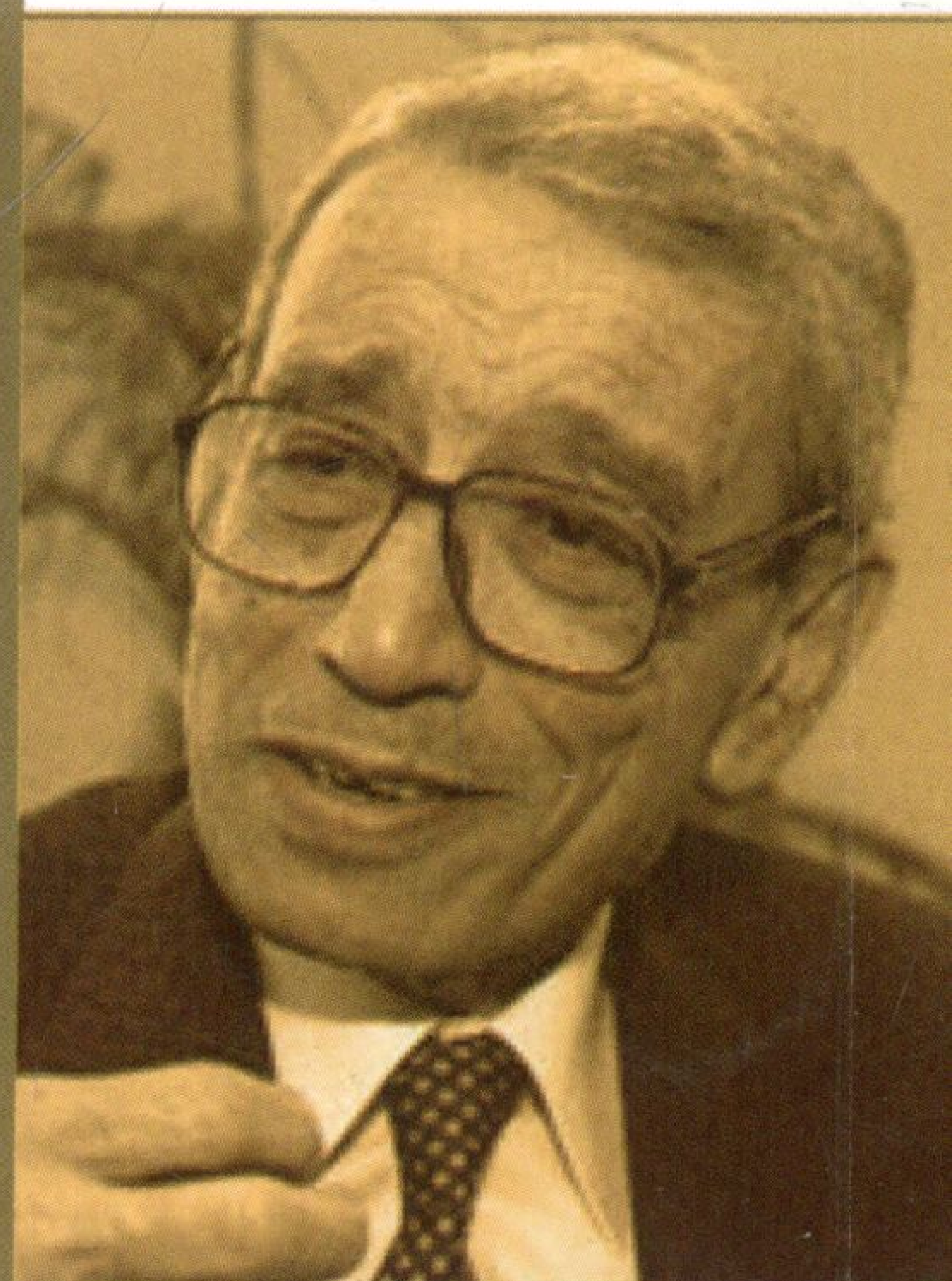
بطرس بطرس غالي



بين النيل والقدس

يوميات دبلوماسي مصري

دار الشروق

بين النيل والقدس

بين النيل والقدس

يوميات دبلوماسي مصري

بطرس بطرس غالي

ترجمة: ناجي رمضان

مراجعة: دينا عزت

تصميم الغلاف: وليد طاهر

الطبعة العربية الأولى ٢٠١٣

تصنيف الكتاب: سياسة / سيرة ذاتية

© دار الشروق

٨ شارع سيبويه المصري
مدينة نصر ـ القاهرة ـ مصر
تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩
www.shorouk.com

رقم الإيداع ١١٥٩٣/ ٢٠١١
ISBN 978-977-09-3056-4

بطرس بطرس غالي

بين النيل والقدس

يوميات دبلوماسي مصري

ترجمة

ناجي رمضان

مراجعة

دينا عزت

دار الشروق

المحتويات

المقدمة

يأتي هذا الكتاب من صفحات مذكرات ـ كنت أدونها يومًا في الفترة الممتدة من يوم اغتيال الرئيس أنور السادات في السادس من أكتوبر ١٩٨١ وصولا إلى اليوم الذي توليت فيه مهام شَغْلي منصب السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة في الأول من يناير ١٩٩٢.

وبالتأكيد، فإن هذه اليوميات لا تعد رصدًا دقيقا لأحداث تلك السنوات حسبما عشتها، فكثيرة كانت الأحداث الهامة التي لم أضمنها في تلك اليوميات، وأحيانًا كنتُ أكتب تعليقات مُطوَّلَة حول تفاصيل صغيرة. وبعد عدة سنوات من تدوين تلك اليوميات، وعندما بدأتُ في إعدادها للنشر، لم أمْحُ أشياء دونتها في حينها ثم أثبتت الأيام أنني جانبني الصواب في التقييم بشأنها، ولم أحاول أيضا إخفاء عدم إلمامي ببعض الوقائع. لقد دَوَّنتُ الأحداث والمشاعر بأمانة؛ كيفما وقعت، وهو ما قد يجعلها تبدو أحيانا لمن يطالع هذه اليوميات أنها تتوالى بدون سياق واضح. لكنني آمل في أنها ستتيح للمؤرخين ـ في المستقبل ـ تحليل السياسة الخارجية المصرية، تلك السياسة التي توليتُ إدارتها لمدة عشر سنوات في عهد الرئيس حسني مبارك، وبالتعاون مع من تولوا رئاسة الوزراء خلال تلك السنوات، ومع مُختلَف الزملاء في وزارة الخارجية المصرية.

وإذا كان هناك من استمرارية في نهج السياسة الخارجية ما بين عهدَي الرئيس السادات والرئيس مبارك، فهناك فرق في طريقة إدارة كل منهما للشئون الخارجية؛ فبقدر ما كان السادات يطرح أفكارًا وآراء جريئين وكان مستعدًّا للإقدام نحو تنفيذها بغض النظر عن المخاطر فإن الرئيس مبارك كان يدير الأمور بحذر واضح ويرفض تعريض الوطن لأدنى قَدْر من المخاطرة. في الوقت نفسه فإن السياق السياسي لحكم السادات يختلف عن ذلك الذي تولى فيه مبارك زمام الأمور؛ فقد كان على الرئيس

السادات أن يثبت موقفه ويوطد سلطاته داخل نظام الحكم المصري ذاته؛ كما كان عليه العمل على تخطي هزيمة عسكرية مُخْزية، والتهيؤ لحرب جديدة؛ ثم كان لا بُد له من طرح مبادرته للسلام والحصول على تأييدها من الرأي العام المصري المتشكك، ومن الرأي العام العربي المعادي لها.

أما الرئيس مبارك، وبسبب ما حظي به من قبول واسع في بداية عهده فكانت مهمته الرئيسية وهي مواجهة العزلة العربية التي فُرضت على مصر بعد معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية والعمل على استكمال مسيرة السلام. كما وأن سياق العلاقات الدولية الذي تولى فيه مبارك الحكم جاء مخالفا لذلك السياق الدولي لسنوات حكم السادات، حقا إن سنوات مبارك شهدت تراجع الاستعمار الغربي لدول العالم الثالث، وانتهاء سنوات «الحرب الباردة»، وتراجع دور «حركة عدم الانحياز»، وبداية انفراد قوة عظمى وحيدة بالهيمَنَة على العالم.

لقد كان لي الحظ أن عملت في خدمة وطني في سنوات حكم كلٍّ من السادات ومبارك ولكلٍّ منهما القناعة بحيوية السياسة الخارجية في إطار أدراكهما لدور مصر الريادي في العالم العربي في القارة الأفريقية وبوصفها لاعبًا رئيسيًّا في الساحة السياسية للعالم الثالث.

ولكن ولائي الأول وإعزازي العميق يبقى دوما لهذه الأرض التي نشأت منها وفيها، تلك الأرض التي يرويها نهر النيل، هذا «النهر المقدس». لقد ألهمتني هذه الأرض القدرة على مواجهة ما لاقيته من صعاب وتقلبات طوال عشر سنوات من العمل الدبلوماسي، وعلى القيام بالمسئوليات التي اضْطَلَعْتُ بها لخدمة الأهداف الأساسية للسياسة الخارجية المصرية (في الفترة ما بين ١٩٨١ و١٩٩١)، والتي يمكن إيجازها في النقاط التالية:

١ ـ دعم الشعب الفلسطيني؛ وبالتالي دعم«منظمة التحرير الفلسطينية».

٢ ـ الحفاظ على علاقات طبيعية مع إسرائيل رغم اعتداءاتها.

٣ ـ التكامل مع السودان رغمًا عن الصراع الدائر في جنوبه.

٤ ـ التواجد المصري في أفريقيا، ودعم المرحلة الثانية من «عملية التحرر من الاستعمار الأجنبي للقارة».

٥ ـ استئناف العلاقات الديبلوماسية مع البلاد العربية.

٦ ـ دفع «حركة عدم الانحياز» التي تراجع دورها مع نهاية «حقبة التحرر من الاستعمار»، ونتيجةً للتقارب الحادث بين الشرق والغرب.

٧ ـ إقامة أسس جديدة للعلاقات مع الغرب لفترة ما بعد التحرر من الاستعمار.

وفي ختام هذه المقدمة، أود القول إنه من المفيد العمل على قراءة الحاضر الذي نعيشه وتَوَقُّع ما يمكن أن يحمله المستقبل في ضوء أحداث الماضي. ولذلك فقد حرصتُ على استكمال تحليل كل هدف من هذه الأهداف التي أشرت إليها لتوي من خلال وضعها في سياقها الحالي دون إغفال أي من التفاصيل المحيطة بها عندئذ أو الآن. وفي هذا وجدت أن الدول النامية لديها كثير من المشاكل التي تعوقها عن السير على النهج السياسي الذي تختاره، وقد يكون التأرجح الذي يميز العمل السياسي لدول الجنوب ناجما عن التسارع الكبير للتطورات الاقتصادية والاجتماعية أو يكون ناجما عن تبعات الجهد الذي ما زالت هذه الدول تبذله للتحرر من الاستعمار الذي تعرضت له أو بسبب أن المؤسسات الوطنية لدولنا في الجنوب لم تصل بعد إلى درجة النضج المبتغاة، لكن أيًّا من هذه الأسباب لا يبرر التأرجح في السياسات الخارجية التي تتبناها دول الجنوب وتمارسها.

وفي هذا ينبغي الإشارة إلى أنه بالرغم من ذلك فهناك عنصر لا يتغير في السياسات الخارجية لدول الجنوب وهي تلك العلاقات الخاصة التي تحرص هذه الدول على الحفاظ عليها مع القوة العظمى الوحيدة في عالم السياسة.

* * *

أولا: دعم الشعب الفلسطيني

لقد كان الاستمرار في تقديم دعم مصر للشعب الفلسطيني أمرًا في غاية الصعوبة، فياسر عرفات و«منظمة التحرير الفلسطينية» كانا قد ابتهجا لاغتيال السادات واحتفلا به باعتباره انتصارًا «لحركة المقاومة الفلسطينية». في الوقت نفسه، فإن المفاوضات مع الإسرائيليين ـ حول «الحكم الذاتي الفلسطيني» ـ لم تُحرز أي تَقَدُّم وبدت هذه المفاوضات شكلية بالنظر إلى أن الأردنيين والفلسطينيين لم يشاركوا فيها. وكنا دائمًا ما نبرر غيابهم من خلال تصرحيات صحفية متوالية تفيد بأن: «سيشارك الأردنيون

والفلسطينيون في المفاوضات عندما نحصُل على نتائج ملموسة». وفي الوقت نفسه، كُنَّا نوحي بوجود اتصالات سرية مع القيادات الفلسطينية.

لكن أغلب الدول العربية كانت تُدين هذه المفاوضات وتعتبرها مفاوضات مضللة، والتي لا تهدف، حسبما قالوا، سوى إلى تغطية اتفاق السلام الذي وقعته مصر مع إسرائيل بعيدا عن باقي الدول العربية، وإلى صرف الأنظار عنه وعن تخلي مصر عن القضية الفلسطينية. وأكدت أغلب الدول العربية في حينه أن هذه المفاوضات ستتوقف حالما تسحب إسرائيل قواتها من سيناء. وفي هذا فإن هناك سؤالًا يطرح نفسه: ألم يكن لبناء مستعمرات استيطانية جديدة ـ في الضفة الغربية وقطاع غزة ـ ما يؤشر إلى سوء النية التي أحاطت بهذه المفاوضات؟

وفي يوم الخميس ٢٢ ديسمبر ١٩٨٣، التقى الرئيس مبارك بياسر عرفات ـ في قصر القبة ـ وكان هذا اللقاء هو الذي سمح بتحقيق المصالحة بين مصر و«منظمة التحرير الفلسطينية». وبعد هزيمة ياسر عرفات في بيروت، كان عليه أن يغادرها؛ وفي الوقت نفسه، كان محتاجًا للدعم المصري إذا ما كان له أن يحصل على لجوء مؤقت لليمن. وتناست مصر ـ بشهامة وكرم ـ كل الشتائم والإهانات التي وَجَّهها ياسر عرفات إليها وقدمت له دعمًا، كان سياسيًّا في المقام الأول، خلال السنوات التالية.

والآن، وبعد وفاة ياسر عرفات ومع الانقسام الذي حل بالجبهة الفلسطينية التي تحولت إلى معسكرَيْن متناحرين يتنازعان على إدارة الأرض. فما هو الدور المنوط بالدبلوماسية المصرية؟ إن الدبلوماسية المصرية تحاول كما سبق وأن حاولت المملكة العربية السعودية ـ إجراء مُصالَحَة بين السلطتَيْن المتنازعتَيْن، ولكن هذه المحاولات لم يكتب لها النجاح. إن أصعب شيء هو أن تصالح الإخوة الأعداء بعضهم على بعض. لقد مررتُ شخصيًّا بتجارب مماثلة بين المؤتمر الوطني الأفريقي ومؤتمر الوطنية الأفريقية في جنوب أفريقيا؛ وفي كمبوديا بين الخمير الحمر وبين الجبهة المؤيدة لكمبوديا المحايدة، وبين المغرب والبوليساريو. وهذه التجارب تجعلني أعتقد بأن الجبهة الفلسطينية ستظل منقسمة على نفسها لأمَد طويل؛ أي أنها ستظل ضعيفة، وسيكون لهذا الضعف أثره في دعم وخدمة التشدد الإسرائيلي.

إنني لا أرى سوى حل واحد ليس له بديل؛ ألا وهو إنشاء دولة عربية ـ إسرائيلية

واحدة يعيش فيها المستعمرون اليهود كأقلية نشطة وسط أغلبية فلسطينية. إن وضع هذه الدولة الفلسطينية ـ الإسرائيلية سيُذكرنا بوضع «جمهورية جنوب أفريقيا» بعد انتهاء حقبة التمييز العنصري (الآبارتايد) هناك. ولذلك، يجب أن يظهر نيلسون مانديلا فلسطيني وديكليرك إسرائيلي، وأن يكون لهما من الشجاعة والخيال والإقدام ما يمكنهما من أن يهبا الحياة لهذه الدولة الجديدة، وأن يتخطيا مشاعر العداء المتبادلة على الجانبين والتي ما زالت تسيطر على ذهنية وأفكار هذين الشعبين الواقعين في العداء.

ثانيًا: الحفاظ على علاقات التطبيع مع إسرائيل

كان من الحتمي أن يثير اغتيال الرئيس السادات قلقًا شديدًا في إسرائيل، وأن يتسبب في إيجاد حالة من التشكك إزاء سياسة الرئيس الجديد. وبدءًا من يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١، ومباشرة بعد جنازة السادات، اشتركتُ مع الفريق أول كمال حسن علي في وضع والشروع في تنفيذ خطة عمل تهدف لطمأنة الإسرائيليين وإقناعهم بأن الرئيس مبارك سيستمر في انتهاج سياسة سلفه.

وبعد وفاة السادات بأسابيع قليلة، استقبلنا في القاهرة وفدًا إسرائيليًّا برئاسة يوسف بورج، وكان آرييل شارون وموشيه نسيم هما أبرز أعضائه. أمّا هدف الزيارة، فقد كان استئناف المحادثات الخاصة بالحكم الذاتي الفلسطيني.

وفي ١٢ نوفمبر ١٩٨١، استقبل الرئيس مبارك هذا الوفد، حيث جرى استعراض صورة متفائلة للعلاقات بين مصر وإسرائيل، وخلال اللقاء اتسم حديث الرئيس مبارك بالود والأريحية وإن لم يغب عنه القدر اللازم من الحسم وأتاح هذا اللقاء للرئيس بناء جو من الثقة كان من شأنه فيما تلا ذلك أن يسهل محادثاتنا حول التطبيع مع إسرائيل.

لكن جو الثقة هذا قد اهتز بعد فترة قصيرة للغاية نتيجةً لفشل المباحثات الخاصة بمنح الحكم الذاتي للفلسطينيين وإصرار إسرائيل على عدم تقديم أي تنازلات لهم، وكان من شأن ذلك أن ينهي الجهود الدبلوماسية المصرية الهادفة لربط انسحاب القوات الإسرائيلية من سيناء بانسحاب إسرائيل من الأراضي الفلسطينية المحتلة.

وكان من شأن التوقف النهائي لهذه المحادثات وما تزامن معه أو تلاه من بناء مستوطنات استعمارية إسرائيلية جديدة في الضفة الغربية وقطاع غزة وتشكيل قوة حفظ السلام متعددة الجنسيات في سيناء ثم الخلاف حول ترسيم الحدود بين مصر وإسرائيل عند طابا ما أوجد أسبابًا عديدة لوقوع التوتر بين مصر وإسرائيل.

ولكي نتدارك عواقب هذه التوترات ونمنع حدوث أي تأخير في انسحاب القوات الإسرائيلية من سيناء. توجهنا ـ كمال حسن علي وأنا ـ للقاء الإسرائيليين في ١٥ مارس ١٩٨٢ بتل أبيب، ثم في مقابلة جرت في القدس في ١٩ إبريل، وبعد عودتنا للقاهرة، قدمتُ تقريرًا متشائمًا ـ إلى حد كبير ـ للرئيس مبارك؛ فقد كنتُ مُقتنعًا بأن الإسرائيليين سيُطيلون أمَد وجودهم العسكري في سيناء إلى ما بعد المدد التي كان قد تم الاتفاق عليها. وكان كمال حسن علي يشاركني هذه المخاوف.

ولكن تقديرنا جانبه الصواب؛ فقد انسحب الإسرائيليون من سيناء في الموعد المُحدَّد، أي في يوم ٢٦ إبريل ١٩٨٢، ولم يشمل هذا الانسحاب منطقة طابا حيث بنى الإسرائيليون فندقًا لهم هناك. وقد تطلب الأمر إجراء مفاوضات طويلة، وإنشاء «لجنة تحكيم» ـ في سبتمبر ١٩٨٦ ـ لكي تنسحب إسرائيل من كامل سيناء بناءً على حكم «لجنة التحكيم» الصادر في سبتمبر ١٩٨٨ والذي قضى بأن طابا جزء لا يتجزأ من الأرض المصرية.

وأدَّى العدوان الإسرائيلي على لبنان إلى العودة بالسلام القائم بين مصر وإسرائيل إلى حالة من البرود. وإذا كان البرود قد سيطر على العلاقات السلمية بين مصر وإسرائيل خلال العقود الماضية فإن العدوان الإسرائيلي على غزة ـ في شهري ديسمبر ٢٠٠٨ ويناير ٢٠٠٩ ـ قد أجَّج نيران الأصولية، ليس في مصر فقط بل أيضًا في مجمل أرجاء العالم الإسلامي: لقد كان هذا العدوان خدمة قدمها العسكريون الإسرائيليون للأصوليين في الدول العربية، ولم يكن في ذلك على الإطلاق ما يسهم في تشجيع عملية تطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل.

ومع ذلك، فمن الممكن القول بأن الدبلوماسية المصرية بما تبذله من جهود لتحقيق المصالحة بين غزة والضفة الغربية، وللإسهام في الحفاظ على الهدنة بين الفلسطينيين والإسرائيليين، فإنها تعمل على الحفاظ على هذا «السلام البارد» مع إسرائيل وتجنُّب تحويله إلى حرب باردة.

ثالثًا: التكامُل مع السودان

كان السودان جزءًا لا يتجزأ من مصر منذ أن غزاه محمد علي ووَحَّده لأول مرة في تاريخه. وفي سنة ١٨٨١، ظهرت بوادر الفتنة الكبرى على يد أحد الأصوليين، فاستولى على الخرطوم في سنة ١٨٨٥ على الرغم من المقاومة التي أبداها الجنرال البريطاني جوردون باشا الذي كان يعمل في خدمة الحكومة المصرية والذي تم تعيينه في منصب «حاكم السودان».

واستولى المهديون على جزء من السودان حتى سنة ١٨٩٨ عندما قاد الماريشال كيتشنر جيشًا مشتركًا من قوات إنجليزية ومصرية ونجح في إعادة فتح السودان بعد ما سحق قوات المهدي. وتم إنشاء «حكم مشترك» ـ إنجليزي ـ مصري ـ في السودان بناءً على «اتفاقية ١٩ يناير سنة ١٨٩٩» التي وقَّعها جدي بطرس غالي باشا، والتي أبقت على الوجود العسكري المصري في السودان.

وفي شهر أكتوبر سنة ١٩٥١، ألغى الملك فاروق الاتفاقية الموقَّعَة مع بريطانيا العظمى وأعلن نفسه ملكًا على مصر والسودان. وبعد ذلك بعدة أشهر قامت مجموعة من الضباط الشبان بخلع فاروق عن العرش. ووَجَّهت بريطانيا أول ضربة لهؤلاء الضباط الشبان عندما أسرعت بمنح الاستقلال للسودان في وقت قياسيّ يتناقض تمامًا مع المماطلات التي مارستها مع مصر بخصوص منحها الاستقلال. وكان هدف لندن هو قطع الحبل السُّرِّي الذي يربط بين القاهرة والخرطوم بينما كانت السياسة المصرية تريد إقامة اتحاد فيدرالي يجمع بين مصر والسودان.

وفيما بعد، استأثرت المواجهة العسكرية مع إسرائيل باهتمام السلطة المصرية الجديدة خصمًا من حساب إقامة وحدة أو اتحاد فيدرالي بين مصر والسودان. ثم جاءت الوحدة التي لم تدم طويلا بين القاهرة ودمشق (١٩٥٨ ـ ١٩٦١) لكي تزيد من أهمية الشرق العربي وتعطيه الأولوية على حساب العلاقات مع السودان.

وبعد عدة انقلابات عسكرية، استولى اللواء جعفر النميري على السُّلطة في السودان سنة ١٩٦٩، فبدأ عهدًا جديدًا من التعاون بين مصر والسودان. واتُّخذَت عدة إجراءات تُعتبر بمثابة علامات على طريق تطوير التعاون بين بلدَينا منها: إنشاء «المجلس الأعلى للتكامل»، و«برلمان وادي النيل» الذي تَكَوَّن من أعضاء برلمانيين من مصر والسودان.

لكن انقلاب إبريل ١٩٨٥، ضد الرئيس النميري، أوقف هذا التعاون المؤسسي بين مصر والسودان قبل أن يؤتي ثماره، وذلك بالرغم من الجهود الشخصية التي بذلها الرئيس مبارك لتنشيط العلاقات بين البلدَيْن. فقد زار مبارك الخرطوم لحضور الاحتفالات بمناسبة مرور ٢١ عامًا على استقلال السودان. وأيضًا، فقد استقبلت القاهرة كبار المسئولين السودانيين منهم الصادق المهدي رئيس مجلس الوزراء السوداني؛ وأحمد الميرغني رئيس «المجلس السياسي». وتم توقيع اتفاقية تآخٍ بين القاهرة والخرطوم في ١٩٨٧، ثم عاد الرئيس مبارك ليزور السودان ثانية في مارس ١٩٨٨.

وفي الأول من يوليو ١٩٨٩، وقع انقلاب أطاح بالحكومة المدنية ـ التي كان الصادق المهدي يرأسها ـ وجاء باللواء عمر البشير. ثم اندلعت الحرب بين الخرطوم والجنوبيين، تحت قيادة جون جارانج. ووقعت أحداث عديدة عَمَلَت على تهميش اهتمام القاهرة بالخرطوم.

وفي الخلاصة يمكن القول إن عبد الناصر والسادات ومبارك لم يتوصلوا لإقامة تكامل حقيقي بين القاهرة والخرطوم، كما أن النميري والصادق المهدي وعمر البشير لم يتوصلوا بدورهم لإيجاد حل سلمي للصراع الدائر بين شمال السودان وجنوبه.

ومع ذلك، يجب عليَّ أن أذكُر ـ هنا ـ الجهود المشتركة التي بذلناها لإنشاء «اللجنة الدولية للنيل». إن نهر النيل هو أطول أنهار العالم حيث يبلغ طوله ٦٦٧١ كم، لكن لم تكن هناك مؤسسة ما مكلَّفة بالتنسيق بين مصالح الدول المختلفة التي تقع على ضفافه كالملاحة النهرية والري وتوليد الكهرباء مثلما هو الحال بالنسبة لنهرَي الدانوب والراين ـ في أوروبا ـ أو نهر الميكونج، في آسيا، وبناءً عليه، فقد وضعتُ مشروعًا لتكوين مجموعة من الدول الواقعة على ضفاف نهر النيل، لكي تعمل ـ في المقام الأول ـ على توعية الرأي العام بأهمية وجود مثل هذه «اللجنة»؛ وهكذا ظهرت للوجود «مجموعة الأندوجو»، وهذه الكلمة تعني «الأُخُوة» أو «الإخاء» باللغة السواحلية.

وفي إطار «مجموعة الأندوجو»، تمكنت من جمع معظم دول حوض نهر النيل للمشاركة في سلسلة من الاجتماعات التي عُقدت في الخرطوم في عام ١٩٨٣ وفي

كينشاسا عام ١٩٨٤ ثم في القاهرة في الأعوام ١٩٨٥، ١٩٨٨، ١٩٩٠ وبعد ذلك في أديس أبابا عام ١٩٩١.

واستطعتُ ـ أيضًا ـ إقناع «منظمة الوحدة الأفريقية» و«اللجنة الاقتصادية الأفريقية» بحضور بعض هذه الاجتماعات.

واستطعتُ الحصول على دعم ثمين من صديقي وزميلي ماهر أباظة ـ وزير الكهرباء في الحكومة المصرية ـ الذي وَجَّه الدعوة لنظرائه في دول حوض النيل في سنتي ١٩٩٠ و١٩٩١ للحضور للقاهرة ومناقشة التعاون في مجال توليد الكهرباء من السدود على النيل، وربط شبكات الكهرباء المختلفة بعضها ببعض.

وعلى الرغم من هذه الاجتماعات المختلفة، فإن هذا المشروع ـ الذي كنت أعتز به جدًّا ـ قد باء بالفشل لعدة أسباب، منها:

أولًا: بالأساس فإن الوزراء الأفارقة ـ المكَلَّفون بملف مشاكل المياه ـ تبنوا مواقف لا تتسم ببعد النظر، كما أنهم كانوا يبدون التشكيك إزاء أي مبادرة تصدر عن دولة من دول المصب، خاصة أن مصر تُعد المستهلك الأول ـ من حيث الكمية ـ لمياه نهر النيل.

ثانيًا: الخلافات القائمة بين دول حوض نهر النيل بعضها وبعض: بين السودان وإثيوبيا التي تُساعد الجنوبيين (وهم مسيحيون ووثنيون) ضد الشماليين (وهم مسلمون)؛ وبين رواندا (التي يحكمها الهوتو) وأُوغندا (التي تأوي اللاجئين التوتسي من رواندا)؛ وبين نيروبي ودار السلام... إلى غير ذلك من العداء القائم بين الدول المتشاطئة على نهر النيل.

وفي مصر لم تحرز المناقشات الهادفة للتعامل مع ملف مياه النيل تقدمًا يذكر، وتدخلت فيها «الأمم المتحدة» و«منظمة الوحدة الأفريقية» ـ وفي يونيو ١٩٩٠، عُقد في القاهرة مؤتمر بخصوص «سياسة وتكنولوجيا المياه في أفريقيا»، وعُرض وضع «برنامج مارشال» لتنفيذ هذا الموضوع؛ لكن ذلك كله لم يكن سوى مبادرات لم تُؤد إلى أي نتيجة، وكانت هذه المبادرات تستحق أن يعاد طرحها، وأن تكون أكثر عمقا.

وفي بداية الألفية الثالثة، أصبح التكامل مع السودان حلمًا يبدو للبعض مبالغًا في

المثالية ويواجَه بقدر كبير من عدم الاهتمام من قِبل الرأي العام المصري به. ويرجع ذلك إلى عدة عوامل، منها:

١ ـ تركيز السياسة والديبلوماسية المصرية على ملفي سيناء وفلسطين وذلك بالنظر إلى تأثير النظرة العسكرية وتبعات أربعة حروب مريرة كانت نتائجها فادحة بالنسبة لمصر.

٢ ـ طي صفحة السودان الإنجليزي ـ المصري منذ سنة ١٩٢٢ عندما فرضت بريطانيا انسحاب الجيش المصري من السودان. ومنذ ذلك التاريخ، فشلت كافة محاولات التقارب والتنسيق معه في عهد السادات وفي عهد مبارك على حد سواء، واقتصر الأمر على النشاطات البروتوكولية، ولم تُتَّخذ أبدا أي إجراءات عملية كان يمكن لها أن تؤدي ـ بحق ـ إلى قيام وحدة ملموسة بين البلدَيْن المتشاطئين على ضفتي نهر النيل.

لقد أصدرت «المحكمة الجنائية الدولية» أمرًا بالقبض على عمر البشير ـ رئيس جمهورية السودان الحالي، زعيم جبهة الإنقاذ الإسلامية المتشددة ـ بسبب اتهامه بارتكاب جرائم ضد الإنسانية وجرائم حرب في دارفور. كما أن إنفصال الجنوب عن باقي السودان أصبح أمرا محتملا وقد يعقب ذلك انفصال دارفور؛ وهو ما يُخشى معه أن نكون بصدد «بَلْقَنَة» السودان كما حدث في جمهورية يوغوسلافيا سابقا، وهو ما يعني تفتيت هذا البلد إلى ثلاث أو أربع دول.

وأمام سيناريو تفتيت السودان هذا اتخذت الديبلوماسية المصرية موقفًا سلبيًّا؛ فالقاهرة لم تفعل أي شيء لمحاولة علاج هذه الصراعات القبلية، كما أنها لم تتخذ أي إجراء استعدادًا لاحتمال تقسيم السودان ولمواجهة العواقب التي ستنتج عن هذا الانفصال مثل: الترسيم الجديد للحدود، والتوزيع الجديد لموارد البترول، وتهجير السكان داخل السودان نفسه، وهجرة اللاجئين إلى مصر.

لقد كان بإمكاننا استباق الأحداث وتدريس لغات قبائل جنوب السودان للديبلوماسيين والفنيين المصريين الذين سيتعاملون مع هذه الدولة الجديدة حتى ولو كنا ـ وهذا صحيح ـ لا نستطيع تقديم الدعم المالي لها.

لقد كان يُمكن للسودان أن يمثل لمصر ما مثله «الغرب الأقصى» (Far west) بالنسبة

للولايات المتحدة الأمريكية أو ما مثلته سيبيريا بالنسبة لروسيا. وبالتأكيد، فالأمر يتطلب عقودا من العمل الدءوب والجاد واستمرار التصميم والتوافق لكي يتحقق التكامل بين هذَيْن البلدَيْن الواقعَيْن على ضفتَيْ نهر النيل والمستفيدَيْن من مياهه.

رابعًا: الوجود المصري في أفريقيا

ظل مستوى علاقات القاهرة والخرطوم أدنى بكثير من المستوى الذي كان يجب أن يكون عليه بالفعل في ظل الإمكانات الكامنة. لكن، في المقابل، كان الوجود المصري في أفريقيا ناجحًا، والفضل في ذلك يرجع - في المقام الأول - للمساعدات التي قدمتها مصر لمختلف حركات التحرير طوال حقبة التحرر من الاستعمار الغربي لدول القارة.

وخلال العقد بين سنتَي ١٩٨١ و ١٩٩١، قام الرئيس مبارك بزيارات رسمية لنحو عشر عواصم أفريقية، كما استقبل رسميًّا في القاهرة قرابة عشرين من رؤساء الدول الأفريقية. وإلى جانب أن هذه اللقاءات الرئاسية كان لها بُعْدٌ رمزي قوي، فقد ساهمت في تطوير العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية فيما بين الدول الأفريقية.

وخلال الفترة ذاتها، حرصتُ على القيام بجولات عديدة في أفريقيا، فزرتُ ثلاثين عاصمة أفريقية إمَّا لتسليم رؤساء هذه الدول رسائل من الرئيس مبارك، وإما لرئاسة لجان التعاون الثنائية مع هذه الدول، وإمّا لإنشاء لجان جديدة. وتم عقد ستين اتفاقية تعاون بين القاهرة ومختلف الدول الأفريقية. واستقبلتُ رسميًّا في القاهرة ثلاثين من الوزراء الأفارقة. واشتركت مصر في مؤتمرات القمة التي عقدتها «منظمة الوحدة الأفريقية» و«منظمة الفرانكوفونية» ولقاءات «قمة فرنسا - أفريقيا». وقد ساعَدَتْ مؤتمرات القمة هذه على التقاء رؤساء الدول والمسئولين الأفارقة بعضهم مع بعض، وخَلَقت علاقات مودة بينهم، وفي أغلب الأحيان، فإن هذه العلاقات الشخصية قد تكون أهم من العلاقات بين المؤسسات بعضها وبعض.

وفي سنة ١٩٨٠، تم إنشاء «صندوق التعاون الفني مع أفريقيا» الذي أتاح لمصر إرسال أطباء مصريين ومدرسين ومهندسين وعسكريين للعديد من البلاد الأفريقية، كما أتاح لها أيضًا تدريب ضباط شرطة أفارقة وممرضين وطيارين وديبلوماسيين في المؤسسات والجامعات المصرية. إن هذا الوجود السياسي لمصر في أفريقيا

والمساعدات الفنية التي تقدمها (في مجال إعادة بناء هذه البلاد) قد جعلا الالتزام المصري مستمرًّا، وهو امتداد للالتزام الذي حرصت مصر عليه تجاه أفريقيا أثناء حقبة التحرر من الاستعمار الغربي.

وبالإضافة إلى ما سبق، فإن اتجاه مصر نحو أفريقيا، ساهم في تعويضها عن العزلة السياسية التي فرضتها عليها الدول العربية بعد زيارة السادات للقدس في سنة ١٩٧٧.

واليوم بعد مرور أكثر من عشرين عامًا على هذا النشاط الفعال في أفريقيا، أصبح الوجود المصري هناك مجرد ذكرى. والسؤال الذي يطرح نفسه: ما السبب وراء هذا الغياب وهذا التراجع للدور المصري في القارة الأفريقية؟ إن مصر لم تتمكن من تحقيق انطلاقة جديدة لها في أفريقيا بعد سنوات كانت قد لعبت فيها دورًا سياسيًّا ودبلوماسيًّا وعسكريًّا لصالح حركات التحرر الأفريقية، ولم تُواكب مصر التطورات التي حدثت في هذه الدول التي استقلت حديثا. فكان من شأن ذلك تراجع الدور المصري في أفريقيا، فعندما تحرَّرت أفريقيا، وعندما وصل الجيل الجديد من حكامها إلى السلطة، اعتُبرت المساعدات المصرية جزءا من ماضٍ له ما له وعليه ما عليه.

إضافة إلى ذلك فإن نهاية «حركة عدم الانحياز»، غداة انتهاء «الحرب الباردة» قد ساهمت بدورها في نقض مصر لالتزاماتها تجاه الدول الأفريقية: لقد كانت مصر هي التي أسَّست ووَجَّهت «حركة عدم الانحياز». وبهذه الصفة، فقد كانت لديها الإمكانية والإرادة لعقد علاقات وثيقة مع دول أفريقيا الرئيسية التي كانت غير منحازة بالفعل أو كانت على الأقل تقول بذلك.

وفي المحصلة النهائية، لا يجب أن نُقَلِّل من أهمية إصابة الدبلوماسية المصرية بنوع من الضَّجَر - أو الإرهاق - إزاء الصراعات الناشبة دائمًا بين الدول الأفريقية بعضها وبعض، وتجاه حالة ركود التنمية في القارة الأفريقية وفي الوقت نفسه تجاه ما أبداه من رغبة في تحمل المسئولية الكاملة لحل مشاكلهم بأنفسهم.

وفي الوقت الحالي، سنجد أن هناك دولًا عظمى جديدة بدأت تستثمر في القارة الأفريقية (الصين والهند والبرازيل). لقد عرفت مصر كيف تتعايش مع المستعمرين القُدامى في أفريقيا (فرنسا وبريطانيا العظمى والبرتغال)، ويجب عليها حاليًا أن تستعد للتعايش مع الدول العظمى الجديدة.

وما زال لدى مصر فرصة للعودة مُجددًا لسابق عهدها في أفريقيا وذلك بإنشاء تجمع يضم الدول الواقعة على ضفاف نهر النيل: إن المشاريع الضخمة الخاصة بالملاحة النهرية والري وتوليد الكهرباء يمكنها أن تُنشئ تجمعًا مع دول شرق أفريقيا وبشكل أوسع مع باقي دول القارة.

خامسًا: عودة العلاقات السياسية مع الدول العربية

قطعت جميع الدول العربية باستثناء السودان وعمان والصومال علاقاتها الديبلوماسية مع مصر، بل إنها استطاعت طرد مصر من «جامعة الدول العربية» ونقلت مقرها من القاهرة إلى تونس. وفي الوقت نفسه، كما نجحت هذه الدول في طرد مصر من «منظمة المؤتمر الإسلامي». وكادت الدول العربية أن تنجح في مسعاها لطرد مصر من «منظمة الوحدة الأفريقية» و«حركة عدم الانحياز» (في كوبا سنة ١٩٧٩).

لكن مثلت المقاطعة العربية ضد مصر بالأساس إجـراءات لقطع العلاقات الديبلوماسية، أما العمالة المصرية فقد استمرت في تواجدها ـ بلا مصاعب حقيقية ـ في مختلف البلاد العربية، وظلت العلاقات الاقتصادية والتجارية قائمة على ما هي عليه؛ وعلى هذا فقد كانت عودة العلاقات الديبلوماسية مع الدول العربية تمثل هدفًا مهمًّا للديبلوماسية المصرية طوال تلك الفترة. وكان القصد هو أن تستعيد مصر قيادتها للعالم العربي وأن تقود الدول العربية نحو البحث عن حل للمشكلة الفلسطينية. وتحقَّق الجزء الأكبر من هذا الهدف لأن عزل مصر ديبلوماسيًّا لم يدُم سوى عدة سنوات وهو ما لم يمنعها من استعادة دورها القيادي في العالم العربي. ففي ١٩٨٧، استعادت مصر عضويتها في المؤتمر الإسلامي، ثم استعادت عضويتها في جامعة الدول العربية عام ١٩٨٩. وبعد ذلك بعام واحد، عاد مقر الجامعة العربية إلى القاهرة من جديد. ومع أن هذه المنظمة لم تتمكن من التطور حسب مقتضيات العصر والأحداث المتلاحقة، إلا أنها ما تزال تمثل رمزًا للوحدة العربية، والشعوب تحتاج إلى رموز بل إنها قد تعيش أحيانًا بفضل هذه الرموز.

وفشلت العديد من النزاعات العربية في الاستحواذ على اهتمام الرأي العام المصري بالرغم من الحروب الأهلية التي نشبت في لبنان واليمن والصومال

والسودان والصحراء الغربية، إلا أن تدفق الهجرة المصرية إلى البلاد العربية مثل ليبيا والأردن والعراق وإمارات الخليج، دفع بالديبلوماسية المصرية للاهتمام بهذا الشتات المصري وحمايته،لا سيما هذا الشتات الذي يجلب دخلًا سنويًّا يعادل دخل قناة السويس، أي أكثر من ملياري دولار.

ولا يمكن إغفال حقيقة موت الحلم العظيم بالوحدة العربية، هذا الحلم الذي كان يُلهب خيال النخبة المصرية غداة نهاية الحرب العالمية الثانية، بل استجد ما هو أخطر: حيث كان من شأن الارتفاع الشديد في أسعار البترول والغاز خلق شرخ جديد بداخل العالم العربي بين من يمكن وصفهم بالأثرياء الجدد والفقراء القدامى. وفي النهاية دومًا تبقى مصر هي أُم العالم العربي، حتى لو فتر الاهتمام من هنا أو تباعد الوصل من هناك.

سادسًا: تجديد «حركة عدم الانحياز»

بدأت مصر تلعب دورًا مهمًّا على المستوى العالمي مع شق «قناة السويس» في القرن التاسع عشر، فكانت القناة هي الأصل في التزام مصر عدم الانحياز، أو الحياد. وفي الواقع، فالمجتمع الدولي لم يكن ليقبل بوجود «قناة السويس» إلا بشرط أن تكون مفتوحة للملاحة أمام سفن جميع الدول، فاتفاقية القسطنطينية لسنة ١٨٨٨ نَصَّت بوضوح على أن: «تظل قناة السويس البحرية حرة ومفتوحة على الدوام ـ في وقت السلم وفي وقت الحرب ـ لمرور كل السفن التجارية أو الحربية دون أي تمييز قد يقع بسبب العَلَم الذي تحمله...».

وحافظت مصر على حيادها أثناء الحربَيْن العالميتَيْن ـ الأولى والثانية ـ فلم تُعلن الحرب الدفاعية على ألمانيا واليابان إلا مع نهاية الصراع في عام ١٩٤٥ لكي تضمن اشتراكها في «مؤتمر سان فرانسيسكو». لكن الشكل الجديد لحياد مصر لم يتضح إلا مع بدايات حقبة «الحرب الباردة».

وجاء ميلاد «حركة عدم الانحياز» في شهر يوليو سنة ١٩٥٦ مع لقاء بريوني الذي جمع جمال عبد الناصر ونهرو وتيتو. وجاءت الخطوة التالية في شهر يونيو ١٩٦١ عندما عُقد مؤتمر تمهيدي في القاهرة خاصة مع عَقْد أول قمة للدول غير المنحازة في بلجراد في سبتمبر ١٩٦١.

وتقوم سياسة «عدم الانحياز» على المبادئ التالية:

١ ـ تبني موقف الحياد وعدم الانحياز أثناء الحرب الباردة.

٢ ـ الانحياز إلى جانب مَنْ يشنون حروبًا من أجل التحرر.

٣ ـ تكوين جبهة مشتركة تُتيح «للدول غير المنحازة» أن تتعرف بعضها على بعض بشكل أفضل وزيادة ثقل هذا التجمع الجديد على المستوى العالمي.

ومع ذلك، فإن مؤتمرات القمة لم تكن بكافية لإقامة تحالف بين الدول التي استقلت حديثًا والتي كانت تعرف القليل جدًّا عن بعضها البعض. وبهدف تحقيق وطأة غياب وجود قدر كافٍ من المعلومات ـ بين «الدول غير المنحازة» ودول العالم الثالث ـ عملت الديبلوماسية المصرية على المشاركة بفاعلية في مؤتمرات القمة للدول غير المنحازة، وسَعَتْ لعقد سلسلة من المؤتمرات على مستوى الخبراء والديبلوماسيين.

إن عدم معرفتنا بأمريكا اللاتينية ومشاكلها، وعدم معرفة أمريكا اللاتينية بمشاكل العالمَيْن ـ العربي والأفريقي ـ قد دفع الجانبين لإقامة إطار مع المكسيك يسمح بعقد اجتماعات سنوية بين ديبلوماسيين وخبراء من القارتَيْن: وعُقد الاجتماع الأفرو ـ لاتيني الأول في القاهرة في سنة ١٩٨٢، وعُقد الثاني في مكسيكو سيتي عام ١٩٨٤، والثالث في القاهرة في عام ١٩٨٧، والرابع في مكسيكو سيتي بعد ذلك بعامين، أي في ١٩٨٩، وجاء المؤتمر الخامس في القاهرة في عام ١٩٩١.

ونجحت هذه المؤتمرات مما حدا بالديبلوماسية المصرية على تكرار التجربة مع الصين في بكين عام ١٩٨٧ ثم في القاهرة في ديسمبر من عام ١٩٨٨، ومع اليابان عام ١٩٨٧، وكوريا الجنوبية في عام ١٩٨٨. وأتاحت هذه المؤتمرات لديبلوماسيينا التعرف ـ بشكل أفضل ـ على بلاد آسيا وإقامة علاقات معها، كما أنها سمحت بإقامة توازن مع التركيز على أوروبا، ذلك التركيز الذي طالما ميز السياسة الخارجية المصرية.

وغداة انتهاء حقبة «الحرب الباردة»، حاولت الديبلوماسية المصرية مواجهة ضعف «حركة عدم الانحياز» من خلال إطار «مجموعة الأربعة» التي أُنشئت في

باريس عام ١٩٨٩، و«مجموعة الخمس عشرة» التي أُنشئت في بلجراد في السنة نفسها. وللأسف، فإن فاعلية هاتَيْن المجموعتَيْن ظلت محدودة للغاية.

وبفضل هذا النشاط الذي بذلته مصر على مستوى «الدول غير المنحازة» ـ ودول العالم الثالث ـ استطاعت الحفاظ على تأثيرها ومكانتها على المستوى العالمي. لقد وطدت مصر مكانتها هذه عندما ساعدت الدول الأفرو ـ آسيوية في مرحلة التحرر من الاستعمار الأجنبي. لكن هذه المكانة قد تناقصت تدريجيا: في البداية، عندما حصلت هذه الدول على استقلالها، ثم مع نهاية حقبة «الحرب الباردة».

واليوم فإنه من الواضح أن «حركة عدم الانحياز» تحتضر: لقد حاولت «الدول غير المنحازة» كثيرا ولكن بلا جدوى، أن تظل متحدة، لكن المبادئ الثلاثة الكبرى ـ التي قامت عليها الحركة ـ الحفاظ على مسافة متساوية بين القوتين العظميين خلال الحرب الباردة، والانحياز إلى حروب التحرر ودعمها، ورفض إقامة قواعد عسكرية أجنبية على أراضيها ـ قد فقدت سبب وجودها. فلقد انتهت الحرب الباردة كما انتهت حروب التحرر من الاستعمار، أما القواعد العسكرية فقد فقدت جزءًا كبيرًا من أهميتها الاستراتيجية بظهور التقنيات العسكرية الحديثة والصواريخ عابرة القارات.

ومع حدوث هذا فإنه مما يؤسف له أن «الدول غير المنحازة» لم تجد موضوعًا جديدًا تلتف حوله ويُوَحِّدها ويعبئ قواها ويحشدها. وفي الوقت نفسه، جاءت «العَوْلَمَة» لكي تُضعف من الحركات والتحالفات الدولية، بينما ظهرت موجة أصولية أدَّت إلى تراجع الاهتمام بعلاقات الدول مقابل الشعور بالهوية الوطنية. ويُضاف إلى ذلك كله أن «الدول غير المنحازة» قد احتفظت بعلاقات خاصة جدًّا مع القوة العُظمى الوحيدة التي يبدو أنها ستظل مُسيطرة على العالم لعقود كثيرة قادمة.

سابعًا: العلاقات مع أوروبا والولايات المتحدة بعد حقبة الاستعمار الغربي

يجب علينا أن نتذكَّر أن مصر كانت «ولاية عثمانية» قبل نشوب الحرب العالمية الأولى، لكنها ـ فعليًّا ـ كانت واقعة تحت «الحكم الثنائي» الأنجلو ـ فرنسي المشترك: فقد كانت بريطانيا العظمى تحتل مصر عسكريًّا بينما كانت فرنسا تحتلها ثقافيًّا؛ حيث كان يتم تطبيق القانون الفرنسي وليس القانون الإنجليزي. لكن البريطانيين كانوا أوصياء على السودان الإنجليزي ـ المصري والجيش والشرطة.

وعقب تأميم «قناة السويس» في سنة ١٩٥٦، كان التدخل العسكري المشترك لفرنسا وإنجلترا بمثابة آخر مظاهر الممارسات الاستعمارية لهاتين القوتين في حينه. وبعد ذلك، أصبحت للقاهرة علاقات ممتازة بلندن وباريس في إطار ديبلوماسية التركيز الشديد والدائم على علاقاتنا مع أوروبا. وفي الوقت نفسه، أقامت مصر علاقات خاصة جدًّا مع موسكو وواشنطن كما مع باريس.

وتقوم العلاقات بين واشنطن والقاهرة على ما تقدمه الولايات المتحدة الأمريكية من مساعدات مالية لمصر وعلى دور الوسيط الذي تقوم به واشنطن في الصراع العربي ـ الإسرائيلي.

وفي المقابل، فقدت علاقات مصر بروسيا أهميتها منذ نهاية حقبة «الحرب الباردة» وانتهاء مرحلة الشيوعية الدولية.

أمَّا علاقات مصر بفرنسا، فهي تبقى دوما قوية للغاية ومتميزة جدًّا، ومما يميز علاقة الصداقة بينهما مبادرة فرنسا لإنشاء «مجموعة الأربعة» (مصر والسنغال والهند وفنزويلا) في باريس في سنة ١٩٧٩، وضم مصر لعضوية «المنظمة الفرانكوفونية»، والرئاسة المشتركة لكل من مصر وفرنسا «للاتحاد من أجل المتوسط» الذي تم إنشاؤه مؤخرا. وإذا ما كانت السنوات المقبلة سوف تشهد سيطرة مبدأ «التركيز على أوروبا» على الديبلوماسية المصرية؛ فلا ينبغي إهمال ظهور قوى عظمى جديدة في آسيا تهدد بخطف الأضواء من البحر المتوسط وتُركزها على «المحيط الهندي ـ الصيني».

وفي الوقت الراهن، تمر الديبلوماسية المصرية بفترة تراجع نتيجة لعدد من العوامل الخارجية التي قمت بعرضها، لكن توجد أيضًا عوامل داخلية يأتي على رأسها: الانفجار السكاني الذي يهدد باحتكار كل الجهود الحكومية ـ في محاولة لحله ـ خصمًا من جهودها في مجال السياسة الخارجية: إن عدد سكان مصر ـ في السنوات العشر القادمة ـ سيصل إلى مائة مليون نسمة يعيشون على ٥٪ فقط من أرضها، بينما يظل الباقي من مساحتها (٩٥٪) مجرد صحراء قاحلة تصعُب زراعتها بسبب نقص المياه. أما السبب الثاني فيرجع إلى الحرب الداخلية المندلعة ضد الأصولية الدينية التي تُغَذَّى ـ غالبًا ـ من الخارج.

إن الأجيال المقبلة هي التي ستتولى مهمة تجاوز هذه المشاكل. ومن أجل هذه الأجيال المقبلة، حرصتُ على كتابة هذه المذكرات من أجل إلقاء الضوء على الأسباب التي لا تبدو ماثلة أمام الأعين للأزمة التي ستتولى هذه الأجيال حلها لكي تستطيع الدبلوماسية المصرية استعادة تألقها، على المستوى الدولي، وتساهم في جعل «العَوْلَمَة» نظامًا ديموقراطيًّا.

* * *

بطرس بطرس غالي

باريس/ القاهرة ٢٠١٢

الفصل الأول

□ اغتيال الرئيس السادات □ جنازة تحت الحراسة المشدَّدة □ قلق في تل أبيب □ زيارة مبارك الأولى للهند.

القاهرة: الأحد، ٤ أكتوبر ١٩٨١

مناقشة طويلة تناولت مواضيع شتى مع الفريق كمال حسن علي، نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية. أخبرتُه بأنني قررتُ عدم حضور العرض العسكري الذي سيُقام للاحتفال بالسادس من أكتوبر يوم تدمير «خط بارليف»، والعبور إلى الضفة الشرقية لقناة السويس.

في الواقع، أنا مرهَق للغاية بسبب المفاوضات التي أجريناها مع بورج ونسيم وشارون ويهودا بن مير، النائب الجديد لوزير خارجية إسرائيل، حول مستقبل القضية الفلسطينية. أقنعتني ليا بقضاء إجازة قصيرة للراحة في الإسكندرية. حاول الفريق كمال حسن علي إثنائي عن قراري قائلًا:

«الرئيس متمسك بحضور كل الوزراء في العرض العسكري. وقد يسيء البعض تفسير غيابك عن هذه المناسبة، إنني أتحدث معك الآن بصفتي رجلًا عسكريًّا، يعرف مدى الحساسية المفرطة التي يشعر بها العسكريون إزاء موقف المدنيين تجاههم».

«لا أظن أن الرئيس سيلاحظ حتى غيابي».

«ـ غير صحيح؛ فأنتَ من الوزراء المرموقين».

ثم أخذ يُقلد صوت السادات قائلًا:

«ـ يا بطرس! يا بطرس! إزاي؟ إزاي تسمح لنفسك بأن تغيب عن احتفالات أكتوبر؟!».

ثم انفجرنا بالضحك. أيًّا كان الأمر، فقد قررتُ عدم اتباع هذه النصيحة الأخوية التي أسداها إليَّ الفريق كمال حسن علي.

القاهرة: الاثنين، ٥ أكتوبر ١٩٨١

سافرنا للإسكندرية للقاء رفيق الدرب الطويل، الدكتور مجدي وهبة، وزوجته. وبعد العشاء، جلسنا لنتبادل الحديث وتأثرت جدًا عندما تطرقنا إلى أحداث عادَت بنا إلى أكثر من ٤٠ سنة إلى الوراء عندما كنا طلابًا في كلية الحقوق. ثم تحدث دكتور مجدي حول الأوضاع الجارية وكان رأيه أن النظام لا يتقدم وأنه يفقد حيويته وأن السادات قد فَقَدَ مصداقيته، ثم قال لي:

«ـ لقد آن الأوان لكي تترك الحكومة. يمكنك الاستفادة من وقتك بتأليف كتاب عن المفاوضات التي أجريتها مع الإسرائيليين».

لقد أخذنا نتحدث بوصفنا أساتذة جامعيين وقضينا بقية السهرة في البحث عن عنوان لكتابي باللغة الإنجليزية: السلام مع إسرائيل «Peace With Israel» أو ملحمة سيناء «The Sinaï Saga» أو مصر والقدس «Egypt and Jerusalem» أو السلام مع اليهود «Peace With the Jews» أو الطريق إلى القدس «The Road to Jerusalem».

الإسكندرية: الثلاثاء، ٦ أكتوبر ١٩٨١

شاطئ المنتزه يبدو رائعًا وخاليًا من رواده. شمس الخريف وادعة والبحر هادئ. مجدي أستاذ الأدب البارع يتحدث مستشهدًا بأشعار قنسطنتين كافافي[1] بشكل لا يُباريه فيه أحد. أشعر بالراحة والرضاء. كنا نتناول الغداء بهدوء عندما توقفت أمامنا سيدة مسنة وسألتني:

«ـ هل حضرتك الوزير بطرس غالي؟».

(١) قنسطنتين كافافي ـ أو كافافيس ـ (الإسكندرية ١٨٦٣ ـ أثينا ١٩٣٣)، شاعر سكندري يوناني حديث؛ وُلد بالإسكندرية وقضى بها معظم سنوات عمره وتأثرت شخصيته وشعره بها وبجوها وروحها (ديوان: «قصائد»، سنة ١٩٣٥). يعتبره النقاد أعظم شاعر يوناني في العصر الحديث [المترجم].

«ـ نعم يا سيدتي أيّة خدمة؟».

«ـ أذاع راديو مونت كارلو أنه قد وقع حادث خطير ـ أثناء العرض العسكري ـ هذا الصباح».

«ـ يا سيدتي، لا تُصدقي كل ما تقوله الإذاعات الأجنبية...».

انصرَفَت السيدة ثم عادت بعد فترة وجيزة لتخبرني بأن هيئة الإذاعة البريطانية قد أكَّدت هذا النبأ؛ وانصرفت ثم عادت للمرة الثالثة لتخبرني بأن الإذاعة الأمريكية قد أذاعت الخبر نفسه.

ودون معرفة التفاصيل قررتُ العودة للقاهرة حيث أصبح تواجدي الفوري مطلوبا، حسبما قال رجال الأمن المرافقون لي والذين حجزوا لي مقصورة في أول قطار مغادر من الإسكندرية للقاهرة. عند وصولي لمحطة القطار، عرفتُ أن السادات قد تعرَّض لعملية اغتيال، وأن إصاباته خطيرة، وأنه قد نُقل بطائرة هليوكوبتر إلى المستشفى العسكري بالمعادي.

في الطريق للقاهرة، كان ضابط أمْن قد اقترب مني وهمس في أذني بأن الرئيس قد توفي منذ فترة وجيزة. أخذتُ أنتحب وسط دهشة المحيطين بي.

في محطة مصر، كانت تنتظرني سيارة أوصلتني إلى مقر وزارة الخارجية حيث وجدتُ الفريق كمال حسن علي. احتضنني في صمت من فرط التأثر. وللمرة الثانية، لم أستطع السيطرة على دموعي. قال لي:

«ـ كانت محاولة انقلاب».

وكان أول ما تبادر لذهني هو سؤاله عما إذا كان الأصوليون قد تسربوا إلى الجيش، فأجابني فورًا:

«ـ لن يتسرَّب الأصوليون ولا الشيوعيون أبدًا إلى الجيش».

ثم أضاف قائلًا: «لقد كنتَ محظوظًا لغيابك عن العرض العسكري فقد مات وجُرح الكثيرون في منصة الرئاسة، ويعتبرك الأصوليون هدفًا ثمينًا».

عند انصرافي، احتضنني الفريق كمال حسن علي مجددًا وودعني قائلًا:

«ـ غدًا، سيكون علينا أن نخوض معًا معركة جديدة أصعب من المعارك التي خضنا لتحرير أرضنا...».

القاهرة: الأربعاء، ٧ أكتوبر ١٩٨١

انهالت علينا البرقيات من كل عواصم العالم. أعلن الكثيرون من رؤساء الدول أنهم سيشتركون في الجنازة، لكن الأصوليين الدينيين والمتطرفين العرب هدَّدوا بقتل كل مَنْ سيشارك في الجنازة. قَرَّرت أجهزة الأمن أن تُقام الجنازة في صباح يوم السبت ١٠ أكتوبر. وقالت إن القاهرة تنتظر توافد كبار الشخصيات العالمية بدءًا من الغد، وعليَّ أن أستقبلهم في المطار.

القاهرة: الخميس، ٨ أكتوبر ١٩٨١

ذهبتُ لتقديم واجب العزاء للسيدة جيهان السادات في منزل أسرة السادات بالجيزة على شاطئ النيل. وكانت متحلية بالشجاعة ومستجمعة لزمام نفسها؛ لكن مقر إقامة الرئيس ـ حيث كنتُ أقابله أحيانًا ـ بدا لي مختلفًا، ربما لأنه لم يعد منزل الرئيس المصري.

ذهبتُ للمطار. حيث قضيتُ اليوم بطوله في استقبالات متتالية لكبار الشخصيات العالمية عند سُلَّم الطائرة ثم أصطحبهم إلى الجناح الرئاسي في مبنى المطار حيث كانت تنتظر كلًّا منهم سيارة تُقله إلى الفندق المخصص لإقامته ـ أو إلى مقر إقامة سفير بلده. وساعدني في هذه المهمة موظفو المراسم من رئاسة الجمهورية ووزارة الخارجية.

في نهاية المساء، هاتفت رئيس الوزراء فؤاد محيي الدين لكي يكلّف وزراء آخرين بمساعدتي غدًا في أداء هذه المهمة.

القاهرة: الجمعة، ٩ أكتوبر ١٩٨١

بناءً على تعليمات صدرت من رئيس الوزراء، جاء لمساعدتي اثنان من نوابه: الفريق كمال حسن علي وفكري مكرم عبيد. وجلس كلاهما في مدخل الجناح الرئاسي في المطار ليستمتعا بشمس الخريف الدافئة، واحتساء القهوة، واعتمدا عليَّ في استقبال أوائل القادمين: كان فكري مكرم عبيد يقول لي:

«ـ القادم صديقك يا بطرس، وأنت تعرفه، فاذهب إذن لاستقباله. نحن مُتعَبان؛ وكما ترى، فإن الفريق كمال حسن علي يُعاني من آلام الروماتيزم».

لكن كافة مظاهر هذا التعب اختفت فور الإعلان عن وصول طائرة الأمير تشارلز، ولي عهد إنجلترا: فقد سارع كلاهما بالوقوف وهرعا لاستقباله عند سلم الطائرة. وعندما رجعا، قلَّدتُ حركاتهما لافتًا نظريهما إلى أنهما لم يتخلصا من ذهنية التبعية للاستعمار البريطاني.

لن يحضر الجنازة أي رئيس دولة أفريقي، فكلهم بعثوا بمندوبين عنهم، وزراء أو سفراء؛ ما عدا صف القائد العسكري ـ صمويل دو، الذي قاد آخر انقلاب في ليبيريا وهو الذي أطلق الرصاص على رئيس الجمهورية ويليام تولبرت على شاطئ البحر. وسيحضر أيضًا معه صديقي، وزير الخارجية، سيسيل دينيس. سيغيب عن الجنازة ـ أيضًا ـ كل رؤساء الدول العربية ـ بل أنهم لن يكلفوا حتى مبعوثين لهم بالمشاركة في الجنازة الرسمية، ما عدا السودان وسلطنة عُمان والصومال.

وفي المقابل، سيحضر ملك بلجيكا، والرئيس فرنسوا ميتران، والرئيس الفرنسي السابق فاليري جيسكار ديستان، والأمير تشارلز ولي العهد البريطاني وثلاثة رؤساء سابقون للولايات المتحدة هم: جيرالد فورد، وريتشارد نيكسون، وجيمي كارتر.

هذا التمثيل ـ على أعلى مستوى ـ للوفود الغربية يبرهن على الاهتمام الذي أثارته زيارة الرئيس السادات التاريخية للقدس لدى العواصم الغربية، وعلى العكس من ذلك، فغياب ممثلي دول العالم الثالث، وكل مَنْ يتضامنون مع البلاد العربية التي تُشكّل جبهة الرفض يعبِّر عن رغبتهم في عزل مصر عن العالم العربي وعن حركة عدم الانحياز.

حدثت مشكلة تفصيلية صغيرة مع الوفد الإسرائيلي الذي تشكل من مناحم بيجين وجوزيف بورج وعدد من الوزراء؛ حيث كان حلول عُطلة يوم السبت الدينية التي يلتزم فيها اليهود عدم ركوب أية وسيلة مواصلات لمدة ٢٤ ساعة تبدأ من مساء اليوم السابق، وهو ما اضطررنا معه لتسكين الوفد الإسرائيلي في مكان قريب من مكان الجنازة لكي يتمكنوا غدًا في الوصول سيرًا على الأقدام.

القاهرة: السبت، ١٠ أكتوبر ١٩٨١

لأسباب أمنية، تم إغلاق الطريق الرئيسي المؤدي إلى نُصُب وقبر الجندي المجهول حيث سيُدفن السادات أمام الجماهير، كما تم إغلاق كافة الطرق التي ستسير فيها الجنازة وكذلك تم إخلاء جميع العمارات ـ التي تطل عليه ـ من سكانها.

ومن السهل على مَنْ يهاجمون السادات أن يعقدوا مقارنة بين جنازته وجنازة جمال عبد الناصر؛ فالجماهير الغفيرة من الشعب قد رافَقَت ناصر حتى مثواه الأخير، كما حضر جنازته عدد كبير جدًّا من الشخصيات الأجنبية على عكس الحال بالنسبة لجنازة السادات، لكن سيغفل هؤلاء أن ترتيبات جنازة السادات اقتصرت على السماح بمشاركة الشخصيات المهمة دون السماح للشعب بالمشاركة.

القاهرة: الأحد، ١١ أكتوبر ١٩٨١

محادثات مع الرئيس فرنسوا ميتران ووزير خارجيته كلود شيسون من أجل الحصول على الموافقة بمشاركة قوات فرنسية ـ ولو بشكل رمزي ـ في القوة متعددة الجنسيات في سيناء، خصوصًا مع معارضة الدول العربية والاتحاد السوفييتي لتكوين هذه القوة التابعة للأمم المتحدة.

عودة للمطار من جديد؛ لكن في هذه المرة لتوديع المغادرين. أنزلتُ الرئيس السابق نيكسون في إحدى قاعات الجناح الرئاسي في المطار لكنه قال لي:

«لا تشغل نفسك بي: فلستُ في السلطة. لديك الكثير لتفعله مع الرؤساء والحكام الذين لا يزالون يحكمون».

لم أعرف ما إذا كان موقف نيكسون هذا هو تعبير عن الحكمة أم التواضع أم أنه ناتج عن مجرد الإحساس بالتعب، لكن الأكيد هو أنني تأثرت جدًّا بهذا التصرف.

القاهرة: الأربعاء، ٢١ أكتوبر ١٩٨١

وصل إلى القاهرة البروفيسير الأمريكي ستيف كوهين قادمًا من إسرائيل، وتحدث معي عن بعض الانطباعات التي كونها خلال زيارة إسرائيل وقال لي إنه وجد الرأي العام الإسرائيلي يشعُر بالقلق الشديد لما حدث في مصر. كما قال لي إن هناك تيارًا

قويًا بدأ يظهر في إسرائيل ويُطالب بتأجيل انسحاب القوات الإسرائيلية من سيناء حتى يُبدي الرئيس المصري الجديد بوضوح نواياه إزاء إسرائيل، حيث إن الاعتقاد السائد في إسرائيل أن السادات لم يكن يعبر بالضرورة عن مصر الذي ينظر إليه على أنه بلد أصولي ومعاد للسامية، بل كان يمثِّل نفسه فقط. ثم نصحني ستيف كوهين قائلًا:

«ـ عليك أن تبذل مجهودًا لكي تشرح لهم أن مصر لها نفس مواقف السادات إزاء إسرائيل وأن السادات كان في الحقيقة يعبر عن مواقف مصر التي تريد السلام مع إسرائيل. إن مسألة انتقال السلطة بعد وفاة السادات قد تمَّت بهدوء، وهذا هو أول ضمان لهم؛ لكن يجب عليكم تقديم ضمانات أخرى إذا كنتم تريدون طمأنة مخاوف الإسرائيليين...».

بالتأكيد، فإن بغداد هي التي ستُعارض ـ بكل قوة ـ إعادة العلاقات الرسمية بين الدول العربية ومصر لأنها تُريد أن تفرض زعامتها على العالم العربي.

القاهرة: الثلاثاء، ١٠ نوفمبر ١٩٨١

قَدَّم لي سفير النيجر الكولونيل موسى، الذي يزور مصر لشراء أسلحة، وقمت بدوري بتقديم الكولونيل للسلطات المختصة.

القاهرة: الأربعاء، ١١ نوفمبر ١٩٨١

جاء يوسف بورج وآرييل شارون وموشيه نسيم ويتسحاق شامير لاستكمال المفاوضات الخاصة بالحكم الذاتي للفلسطينيين. أنزلتُهم في «فندق مينا هاوس». كان الفريق كمال حسن علي هو الذي بادر بالدعوة لعقد هذا الاجتماع، وكان على حق في ذلك. ينبغي علينا إقناع الإسرائيليين بأنه لم يحدث أي تغيير منذ وفاة السادات، وأن الرئيس مبارك ينوي السير على نهج سلفه للوصول إلى حل سلمي للمشكلة الفلسطينية. لكن أخشى ما أخشاه هو ألّا يؤدي هذا اللقاء إلى أية نتيجة، بالضبط كما حدث في اللقاءات السابقة.

القاهرة: الخميس، ١٢ نوفمبر ١٩٨١

في الصباح، استقبل الرئيس مبارك الوفد الإسرائيلي وتم اللقاء على خير ما يُرام. وَدَّع أعضاء الوفد الرئيس وهم مطمئنون إليه ومعجبون به.

القاهرة: الثلاثاء، ٢٤ نوفمبر ١٩٨١

تلقيت اليوم خبرَيْن سارَّيْن في وقت واحد، الأول يتعلق بانتخابي في «لجنة القانون الدولي بالأمم المتحدة». أما الثاني فكان قرار أستراليا الاشتراك في القوة متعددة الجنسيات في سيناء.

وجدت في ذلك نصرًا نفسيًا وإنجازًا دبلوماسيًا في الوقت نفسه، وهو ما منحني بعض الراحة النفسية والتشجيع. فمنذ وفاة السادات وأنا أشعُر بالإحباط ويُسيطر عليَّ ـ بالمعنى الحَرفي للكلمة ـ «هاجس يوم ٢٦ إبريل»، وهو التاريخ المفترض لانسحاب الإسرائيليين من سيناء؛ وكان يسيطر عليَّ إحساس بأن الإسرائيليين سيؤجلون موعد الانسحاب مما سيخلق أزمة ثقة بين مصر وإسرائيل وسيُعَرِّض عملية السلام للخطر.

القاهرة: الأربعاء، ٢٥ نوفمبر ١٩٨١

استقبلتُ وفدًا من أعضاء برلمان غانا، وكان لديهم عتب على مصر لعدم تقديم المساعدات التقنية الكافية لبلدهم. وفي محاولة للتهدئة وكسب الود قلتُ لهم:

«ـ أيها السادة، لقد نسيتُم أن الرئيس المؤسِّس لغانا ـ نكروما ـ قد تزوج من مصرية ـ السيدة فتحية ـ التي أنجبت له أبناء وبنات يتمتعون بالصحة والجمال. هل توجد مساعدة تقنية أهم من هذه يمكنكم مطالبتنا بها؟». وبالفعل فقد انفجروا جميعًا ضاحكين وشعرت أنني قد كسبت ودهم وتجاوزت غضبهم.

القاهرة: الجمعة، ٤ ديسمبر ١٩٨١

قابلتُ الكاتب الإسرائيلي آموس إيلون. بدا متفائلًا للغاية بما يمكن أن تحمله الأيام القادمة. لم أكن متأكدًا ما إذا كان هذا التفاؤل نابعًا من إحساسه الداخلي بما يمكن أن يحدث، أو نتيجة لاقتناعه فعلًا بأن الفلسطينيين والإسرائيليين لن يكون أمامهم من مفر سوى التفاهم. لم أشاركه هذه الثقة لكنني حرصتُ على عدم إخباره بذلك.

في وقت لاحق أجريت مباحثات مع سيمون فيل ـ رئيسة البرلمان الأوروبي ـ وهي سيدة جميلة وذكية وثاقبة الذهن. أكَّدتُ لها على رغبة الرئيس مبارك في اتباع سياسة السادات ذاتها إزاء النزاع العربي الإسرائيلي، والاستمرار في المفاوضات

لمساعدة الفلسطينيين ـ وباقي الدول العربية ـ على بناء السلام. وقالت لي بدورها إنها كانت معجبة جدًّا بالرئيس السادات.

التقينا مجددًا في حفل عشاء أقامته سفارة بريطانيا بالقاهرة بحضور دوجلاس هيرد وغيره من المدعوين. برهن البريطانيون في هذا المحفل على أن لديهم نوايا طيبة إزاء الجانب الفلسطيني، لكنني ـ لسوء الحظ ـ لا أعتقد أن النوايا الطيبة وحدها تكفي.

نيودلهي: الثلاثاء، ٨ ديسمبر ١٩٨١

تناولتُ الغداء مع نبيل العربي ـ سفيرنا المعتمد في نيودلهي ـ وزوجته الساحرة التي حَوَّلت مقر إقامة السفير إلى مكان رائع بعدما كان بلا رونق أو بهاء في عهد السفير السابق. يتتابع السفراء الواحد تلو الآخر على العواصم والسفارات ودور السكن المخصصة لهم، لكن لكل واحد طريقته وأسلوبه، فالبعض منهم يعنى بدار السكن ويضفي عليها لمسات تفيد عن الاستمتاع بالحياة ويقيم الاستقبالات بوصف أن ذلك جزء من مهمته. والبعض الآخر يكون له زوجة تضفي على المكان سحرًا خاصًّا.

نيودلهي: الأربعاء، ٩ ديسمبر ١٩٨١

سلمتُ لآنديرا غاندي رسالة من الرئيس مبارك. قرأتْها بكبرياء ورصانة يليقان بسيدة ذات مقام رفيع، وأعلنت لي موافقتها على دعوة حملتُها إليها لزيارة مصر.

ما أعظم الرمز الذي تجسِّده هذه السيدة رقيقة البنية ـ التي تقود بحزم مصير مليار من الرجال والنساء. إنها تجسِّد بكفاءة التقاليد العائلية والدور الذي تلعبه الأسر الحاكمة العظيمة في التاريخ.

نيودلهي: الخميس، ١٠ ديسمبر ١٩٨١

حرصتُ على الالتقاء بكل السفراء الأفارقة المعتمدين في نيودلهي. ذكَّرتُهم ـ تحديدًا ـ بأن الرئيس مبارك يُولي اهتمامًا خاصًّا لمشاكل أفريقيا؛ نظرًا لأنه كان هو المسئول عن هذا الملف في عهد الرئيس السادات. وعندما كان مبارك نائبًا لرئيس الجمهورية، قمنا معًا بجولات جعلتني ألاحظ أن لطفه وبساطته تأثران محدثيه، وقَدَّرتُ فيه أيضا رهافة الحدس.

بعد الظهر، تفقدت قطعة الأرض التي أهدتها لنا الحكومة الهندية لبناء المقر الجديد لسفارتنا. إذا لم نُعَجِّل بأعمال البناء فإننا سنفقد هذه الأرض، لكن البيروقراطية المصرية لديها مفهوم خاص جدًّا ـ بها وحدها ـ عن الوقت. وبسذاجة نسي البعض الشروط المرتبطة بهذه الهبة والتي تربط بين الاحتفاظ بالأرض والشروع في بناء السفارة الجديدة.

عقدتُ مؤتمريْن صحفييْن في فترة وجيزة: الأول، نظمه «نادي الصحافة»؛ أما الثاني، فقد نظمته وزارة الخارجية. الصعوبة الأساسية تكمُن في ألا أكرر ما أقوله في المؤتمر الأول عندما أصل إلى المؤتمر الثاني. أكَّدت في المؤتمر الصحفي الأول على استمرارية السياسة الخارجية المصرية؛ فالرئيس مبارك يتبنى إستراتيجية السادات بطريقته، خصوصًا في إطار حركة عدم الانحياز. وتحدثتُ باستفاضة عن هذا الموضوع في المؤتمر الصحفي الثاني. ألم تكن مصر والهند هما بالأساس أول مَنْ أطلقتا هذه المبادرة؟ لقد تعرَّض البلدان لمستعمر واحد.

القاهرة/الخرطوم: الثلاثاء، ١٥ ديسمبر ١٩٨١

قضيتُ النهار في واد مدني، وهي مدينة تبعد ساعتين عن الخرطوم. رافقني المحافظ لزيارة «مشروع الجزيرة» حيث يوجد ٢ مليون فدان قابلة للزراعة، وستحتاج للأيدي العاملة المصرية.

شاركتُ في لقاء تلفزيوني مع صديقي بونا موالوال ـ القائد الجنوبي الكبير ـ الذي استنكر موقف الخرطوم إزاء سكان جنوب السودان. لا يستطيع أحد أن يلومه لأنه على حق: فشمال السودان يتعامل مع الجنوبيين بعنصرية؛ لكن يجب علينا الإقرار بأن الجنوب أيضًا ينظر بعنصرية لأبناء الشمال ويعتبرهم «عَرَبٌ نَخَّاسون».

القاهرة: الأحد، ٢٧ ديسمبر ١٩٨١

في الصباح، استقبل الرئيسُ مبارك وزير خارجية مالي. في المساء، أقيم حفل عشاء تكريمًا له. ألقيتُ كلمة للترحيب به واخترت قصيدة قصيرة لليوبولد سنجور عن مدينة تومبوكتو. هذه اللفتة لا يُقدرها سوى أفريقي فرانكوفوني؛ كما أن قِلَّة من زملائي المصريين يمكنهم أن يأتوا بمثل هذه اللفتة الثقافية.

الفصل الثاني

□ حلم الوحدة مع السودان □ لقاء «سري» مع طارق عزيز في باريس □ جولة ديبلوماسية في أمريكا اللاتينية □ في بغداد مع صدام حسين □ مصر مهدَّدة بالطرد من مؤتمر «دول عدم الانحياز» في دلهي □ يوم تاريخي في الخرطوم □ حملة لانتخاب مصر في مجلس الأمن □ أول لقاء لمجموعة «الأوندوجو» □ التصالح مع عرفات أثناء توجهه لليمن.

القاهرة: الثلاثاء، ٤ يناير ١٩٨٣

أجريتُ اتصالًا هاتفيًا مع سمير صفوت ـ سفيرنا في باريس ـ لكي يُنظم لي لقاءً «سريًا» مع طارق عزيز، وزير خارجية العراق. كانت علاقاتنا الديبلوماسية مع بغداد مقطوعة منذ رحلة الرئيس السادات إلى القدس.

بعد الظهر، قابلتُ جوزيف لاجو ـ نائب رئيس جمهورية السودان ـ وهو مسيحي جنوبي يسعى للحصول على دعم مصر، ويريد إقامة احتفال عظيم بمناسبة بدء العمل في مشروع «قناة جونجلي» مع أن العمل فيها قد بدأ فعلًا منذ سنتين. ويفترض أن هذه القناة أن تخترق منطقة البحيرات في جنوب السودان وستوفِّر للبلدَيْن فائضًا مهمًّا من المياه التي تضيع حاليًا في تلك الأراضي غير المنزرعة.

لقد أهملنا السودان طويلًا، خصوصًا جنوب السودان. ولو كنا قد اهتممنا بإقامة وحدة حقيقية بين القاهرة والخرطوم ـ بدلًا من تلك الوحدة التي لم تدم طويلا مع سوريا ـ لكنا قد أقمنا أكبر قوة قد تمتد من ساحل البحر المتوسط حتى قلب أفريقيا. وأنا لا أريد التقليل من أهمية المشاكل الحساسة التي كانت ستنشأ من جَرَّاء مثل تلك

الوحدة لكن كانت ستنشأ دولة ذات أبعاد «قارية» مثل الهند والبرازيل والصين، فهذه الدول هي التي ستُهَيمن في العقود القادمة.

ولسوء الحظ، فإن أنصار الوحدة مع السودان كانوا قلة قليلة في مصر؛ كما أن الصراع مع إسرائيل، والحرب الأهلية في جنوب السودان، قد ساهما في إبعاد اهتمام قادة البلدَيْن الشقيقَيْن عن الإستراتيجيات التي كان يمكن لهم أن يتبنوها لإقامة وحدة حقيقية.

جنيف: الخميس، ٦ يناير ١٩٨٣

وصلتُ إلى جنيف بالأمس للقاء فرانسيس بلانشار ـ المدير العام «لمكتب العمل الدولي» ـ لكي أعد لزيارة الرئيس مبارك في شهر يونيو المقبل.

التقيت بزميلين وصديقين هما نيقولا فالنيكوس وفرانسيس وولف، فالنيكوس وولف حقوقيان لامعان وخبيران بارعان في المعايير الدولية للعمل. لقد تعلمتُ منهما الكثير طوال السنوات العشر التي قضيتُها في «لجنة الخبراء» المكلَّفَة بتطبيق اتفاقيات «مكتب العمل الدولي»، وهذه «اللجنة» تحظى بسمعة عالمية محترمة.

باريس: الجمعة، ٧ يناير ١٩٨٣

أراد الصحفيون أن يعرفوا مني ما إذا كنتُ أنوي مقابلة وزير الخارجية العراقي أم لا. أجبتُهم بقولي:

«ـ في حدود علمي فإنه لا توجد ترتيبات لعقد هذا اللقاء».

جاءت الإجابة تقليدية جدًّا مما جعلني أبدو مثيرًا للسخرية، فطارق عزيز كان قد أدلى بحديث صحفي لإيريك رولو ـ نشرته جريدة «لوموند» الفرنسية ـ ألمح فيه إلى أنه سيقابلني. تم اللقاء في مقر السفارة المصرية وكان مُخيبًا للآمال. فالعراق غير مستعد ـ في الوقت الحالي ـ لإعادة علاقاته الديبلوماسية مع مصر. لقد تعودتُ على العنجهية التي تسيطر على طريقة طارق عزيز في الحديث. يجب على المرء أن يعرف كيف يتجاوز عن الإساءة.

عشاء في السفارة. كان من بين المدعوين فرانسيس جوتمان، السكرتير العام لوزارة الخارجية الفرنسية وليونيل جوسبان، السكرتير العام للحزب الاشتراكي.

الاثنان مهتمان بعلاقاتنا مع العراق: لقد نَجَحَت الدبلوماسية الفرنسية ـ دائمًا ـ في التوفيق بين المتناقضات الموجودة في علاقاتها بصدام حسين. قلتُ لهما:

«ـ إننا نزود العراق بالأسلحة وعلاقاتنا به ستتحسَّن عما قريب».

ومن جانبهما لم يبد جوتمان وجوسبان تطفلا؛ فلم يسألاني عن اللقاء الذي عقدتُه ـ في الصباح ـ مع طارق عزيز.

أكدت على مسامع الضيفَيْن بأن علاقات القاهرة بباريس لا يجب أن تقتصر فقط على العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية، بل لا بُد من العمل على إقامة تعاون وثيق بين الأحزاب السياسية ونشطاء المجتمع المدني في البلدَيْن؛ لأن أهميتهم ستزداد وسيُساهمون في جعل العلاقات الدولية تتسم بالديموقراطية.

باريس: السبت، ٨ يناير ١٩٨٣

حضرتُ اجتماع «مجلس إدارة أكاديمية القانون الدولي» في لاهاي؛ الذي يُعقد كل ستة أشهر.

تربطني علاقات عاطفية بهذه المؤسسة؛ فقد كنتُ عضوًا مستمعًا بها ثم أستاذًا ثم مديرًا لمركز الأبحاث فيها. إن كافة مراحل حياتي الجامعية موجودة في سجلات هذه المؤسسة.

دائمًا ما كنتُ أقدِّر الحس الإنساني العميق لدى صديقي القديم جورج كاستانييدا، وهو عضو في «مجلس الأوصياء» وإن لم يَعد وزيرًا لخارجية المكسيك. قال لي:

«ـ عندما ستترك الوزارة، ستشعُر بنوع من الحرية اللذيذة».

فعقبتُ قائلًا:

«ـ في حالتي أنا، فإن أخشى ما أخشاه هو أن ينتابني شعور بالإحباط».

ميامي: الأحد، ٩ يناير ١٩٨٣

أشرف غربال هو واحد من ألمع الدبلوماسيين المصريين؛ وقد جاء من واشنطن ليقابلني في ميامي. إنه رجل ضئيل الجسم لكنه مليء بالحيوية وبارع جدًا، ويُتقن ـ تمامًا ـ اللغة الإنجليزية ويدرك بدقة أهمية المهمة الموكلة إليه.

تحدثنا في مواضيع شتى تدور كلها حول الإحباط الذي يشعر به كل منا؛ فالوضع السياسي والاجتماعي لمصر صعب جدًا لدرجة لا يمكن التعامل معها والنُخَب المصرية لا تبدو قادرة بما يكفي لتتكيَّف مع التحوُّلات والتغيرات العالمية، كما أنها تبدو مُهدَّدة بتراجع هويتها الوطنية أمام الهوية الأصولية.

ماناجوا، الاثنين، ١٠ يناير ١٩٨٣

خلال شهر يناير من كل عام، يُصبح طقس ماناجوا حارًا تماما مثل طقس القاهرة في شهر أغسطس. حضرتُ هنا للمشاركة في الاجتماع الوزاري «لمكتب التعاون التابع لحركة عدم الانحياز». حضر عشرون وزيرًا للخارجية منهم الأب ميخائيل ديسكوتو بروكمان من نيكاراجوا، وهو قس تحوَّل إلى الماركسية، ولازار مونيسوف من يوغوسلافيا، وهو أستاذ في فن الديبلوماسية، وعصمت كيتاني من العراق، وهو شخص حاضر الذهن، وباولو جورجي من أنجولا وهو شيوعي صميم، وشاهول حامد وزير خارجية سيريلانكا، وهو مسلم، وكثيرون غيرهم.

هدف هذا الاجتماع هو الإعداد لعقد القمة السابعة للدول غير المنحازة في نيودلهي في شهر مارس المقبل.

كيف يمكننا توطيد علاقاتنا مع دول أمريكا اللاتينية، ونحن مختلفون عنهم تمامًا وبينما علاقاتنا الاقتصادية والثقافية معهم تكاد تكون منعدمة؟ ومع ذلك، فهناك جاليات سورية ـ لبنانية مهمة في أغلب دول أمريكا اللاتينية، لكننا لم نعرف بعد كيف نجعلهم يهتمون بمشاكل أوطانهم الأصلية التي هاجروا منها.

ماناجوا، الخميس، ١٣ يناير ١٩٨٣

بدأتُ مشاركتي في المؤتمر بذكر الأهمية التي توليها مصر للعلاقات مع دول أمريكا اللاتينية، وأشرتُ إلى المؤتمر الذي نظمناه بالاشتراك مع المكسيك في القاهرة في يناير ١٩٨٢، لتقوية التعاون بين أفريقيا وأمريكا اللاتينية.

ولعلاج الفجوة الموجودة بين دول الشمال ودول الجنوب، يجب علينا أولًا أن نبدأ بإقامة تعاون أفضل بين دول الجنوب ـ الجنوب، أي إقامة تضامن حقيقي بين القارات النامية الثلاث: أمريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا؛ ويجب أن

تكون «حركة عدم الانحياز» هي الأساس الذي سيقوم عليه التضامن الثلاثي بين هذه القارات الثلاث.

ومن هذا المنطلق، فإن مصر ترفض المفهوم الذي تبنته بعض الدول في مؤتمر القمة الذي انعقد في كوبا سنة ١٩٧٩ والذي يقضي بوجود تحالف طبيعي مع الكتلة السوفييتية، ويقسم دول العالم ما بين «حلفاء طبيعيين وأعداء طبيعيين»: فلا وجود لا لحلفاء دائمين ولا لأعداء دائمين، بل توجد مبادئ دائمة، وحتى هذه المبادئ فهي قابلة بدورها للتعديل. وحيادنا يجب أن يكون مع الجانبين كما أن لُب مبدأ «عدم الانحياز» يعني الوقوف على مسافة متساوية بين الكتلتين.

وبالطبع، فإن ما قلتُه لم يعجب الدول التي تُقيم علاقات وثيقة ومميَّزة مع الكتلة السوفييتية مثل أنجولا وكوبا ونيكاراجوا وغيرها وهي الدول المعادية للإمبريالية الأمريكية بوجه خاص.

بنما سيتي: السبت، ١٥ يناير ١٩٨٣

هذه هي زيارتي الثانية أو الثالثة لبنما في أكتوبر من عام ١٩٨١، كان قد ترأس جورج إ. إيلوييكا وزير خارجية بنما حينذاك وفدًا رفيقًا جاء لحضور جنازة الرئيس السادات. وبمُضي الزمن، نشأت بيني وبينه وبين زوجته علاقة صداقة متينة. ومنذ بضعة أشهر أصبح إيلوييكا رئيسا لجمهورية بنما. وتربط بين بلدينا علاقات وثيقة، خصوصًا وأن البلدين يقع على عاتقهما عبء إدارة ممَرّيْن للملاحة الدولية هما قناة السويس وقناة بنما. وفي الوقت نفسه، فقد نجحتُ في إقامة علاقات بين الهيئتين المسئوليتين عن إدارة هذين الممرين.

عقدت لقاءً ممتازًا مع جورج إ. إيلوييكا الذي ركَّز في حديثه على طلب فنزويلا وكولومبيا الانضمام إلى «حركة عدم الانحياز»، كما ركز ـ أيضًا ـ على الاحتفالات التي ستُقام بمناسبة مرور ٢٠٠ عام على ميلاد سيمون بوليفار والتي سنشترك فيها.

كيبتو: الاثنين، ١٧ يناير ١٩٨٣

غادرتُ بنما في الفجر متوجهًا إلى كيبتو. هذه أول زيارة رسمية لي لدولة الإكوادور. كان في استقبالي وزير الخارجية لويس فالنسيار أديجوير وحرس شرف.

قضيتُ وقتًا قصيرًا في مقر وزارة الخارجية ثم ذهبتُ للقاء رئيس الجمهورية الدكتور زويلدو أورتو دولاريا، وهو شاب مثقف مليء بالحيوية وذكي ويذكرني بملك بلجيكا الذي أكنُّ له إعجابًا عميقًا.

ولم يكن من الممكن أن يدور حديثنا حول العلاقات بين كيتو والقاهرة بالنظر لأنه لا وجود فعليا لهذه العلاقات. ولذلك، فقد تحدثتُ عن العلاقات بين مصر وإسرائيل، وعن الرفض الذي تُلاقيه هذه العلاقات من قبل معظم الدول العربية. أبدى الرئيس اهتمامًا كبيرًا بما قلتُه. وأنهيت حديثي بأن هنأته على قبول انضمام الإكوادور إلى حركة «عدم الانحياز».

بعد الظهر، واصلت لقاءاتي مع نائب رئيس الجمهورية ليون رولدوس ورئيس مجلس النواب رودولفو باكاريزو. في المساء، حضرتُ حفل عشاء فخم أقيم في مبنى «المستشارية». ارتجلتُ خطبة باللغة الإنجليزية عن «السلام والأمن». شعرتُ بالندم لأنني لا أعرف اللغة الإسبانية في حين أنني قد درستُ اللغة الألمانية ـ التي نسيتُها على الفور ـ ولا أتذكَّر منها سوى بعض كلمات الزجر واللوم التي كانت مربيتي الألمانية توجهها لي.

كيبتو: الثلاثاء، ١٨ يناير ١٩٨٣

أجريتُ مباحثات في وزارة الخارجية حول إعداد بيان صحفي مشترك نؤكد فيه ـ مجددًا ـ على دعمنا للأمم المتحدة، «ولحركة عدم الانحياز»؛ وإدانتنا للهجمات الإسرائيلية الأخيرة على لبنان؛ ومطالبتنا في الوقت ذاته بالانسحاب الفوري للقوات الأجنبية من الأراضي اللبنانية. وتجنبنا الإشارة إلى موقف مصر إزاء الصراع الناشب بين بيرو والإكوادور. فالديبلوماسية المصرية لا تستطيع إبداء رأيها في موضوع لا تعرف تفاصيله. وفي هذا البيان، أعلنَّا عن إنشاء «لجنة مصرية ـ إكوادورية» مشتركة ستعقد اجتماعاتها بشكل دوري بالتبادل بين القاهرة وكيبتو.

كيبتو/كاراكاس: الأربعاء، ١٩ يناير ١٩٨٣

في المساء، وصلتُ إلى عاصمة فنزويلا بعدما قضيتُ اليوم الأخير لي في كيبتو في إلقاء محاضرة على مجموعة من الديبلوماسيين الشبان؛ كما زرتُ أيضًا منطقة الخط الوهمي الذي يفصل ما بين نصف الكرة الأرضية الشمالي عن جنوبها. يقع

هذا الخط على بُعد عدة كيلومترات من العاصمة، وهو عبارة عن صف من الأحجار البيضاء التي ترمز لخط الاستواء.

وعلى الرغم من أن الوقت كان متأخرا، إلَّا أن الدكتور خوسيه ألبيرتو زامبارانو وزير خارجية فنزويلا حرص على استقبالي في المطار. هذه هي زيارتي الثانية لفنزويلا.

كاراكاس: الخميس، ٢٠ يناير ١٩٨٣

استقبلني الدكتور لويس هيريرا كامبينيز رئيس الجمهورية وسط حضور رسمي. دار بيننا حوار ديبلوماسي تقليدي به مجاملات متبادلة حول البلدَيْن، وأهمية العلاقات بين القاهرة وكاراكاس.

انشغلتُ مع وزير الخارجية في القيام بالمهمة ذاتها والمتعلقة بصياغة بيان مشترك أكَّدنا فيه على دعمنا للأمم المتحدة، وإدانة الهجمات الإسرائيلية الأخيرة على لبنان، وطلب الانسحاب الفوري للقوات الأجنبية من أراضيه، وتأييدنا لقيام دولة فلسطينية. وأعربت مصر عن سعادتها لطلب فنزويلا الانضمام «لحركة عدم الانحياز»، وعن أملها في التوصل إلى حل سلمي للنزاع الحدودي الناشب بين فنزويلا وجويانا. وأكَّدَت مصر على حضورها الاحتفالات التي ستقام بمناسبة مرور ٢٠٠ عام على ميلاد سيمون بوليفار.

كاراكاس: الجمعة، ٢١ يناير ١٩٨٣

وهيب المنياوي ـ السفير المصري في كاراكاس ـ هو واحد من ألمع رجال الديبلوماسية المصرية.أقام السفير المنياوي حفل استقبال عظيمًا ـ تكريمًا لي ـ في حديقة مقر إقامة السفير. حضر الحفل الوزراء الفنزويليون وأعضاء السلك الديبلوماسي؛ كما حَضَرَت ـ أيضًا ـ أوندينا جوميز التي زارت مصر كثيرًا.

كانت السهرة هادئة ولطيفة، وكنا نتبادل الحديث بشكل ودي، ولم يعكِّر صَفْوَ الأمسية سوى التشاؤم الذي أبداه القاصد الرسولي للفاتيكان، فقد كان مهمومًا بالوضع في نيكاراجوا: «الثورة وحدها هي التي ستضع حدًا لهذا النظام الذي يلحق أضرارا كبيرة بالبلاد».

نيويورك: الاثنين، ٢٤ يناير ١٩٨٣

أبدى السكرتير العام للأمم المتحدة بيريز دي كويبار اهتمامًا كبيرًا بأنباء جولتي الديبلوماسية في أمريكا اللاتينية، خصوصًا بالمشاكل التي وَقَعَت في مؤتمر نيكاراجوا. تطرقت في الحديث معه أيضًا عن الوضع في الشرق الأوسط، لكنني شعرتُ بأن مشاكل العالم العربي لا تهمه كثيرًا. ودي كويبار هو ديبلوماسي من أمريكا اللاتينية ولديه كل صفات ومزايا الطبقة البرجوازية في بيرو، وهو خبير ممتاز بخبايا وأسرار قواعد إدارة الأمم المتحدة.

في المساء ذاته استقليت الطائرة إلى واشنطن وتناولتُ العشاء مع أشرف غربال ومجموعة من الصحفيين المصريين. كان مكرم محمد أحمد رئيس تحرير مجلة «المصور» متميزًا عن باقي زملائه بدرجة واضحة، وكان هو الذي طرح الأسئلة الثاقبة والتي كانت في صلب المواضيع التي تحدثنا عنها. إنه مثقف لامع يُعبِّر أحيانًا عن ثقافته العريضة بشكل قد يبدو حادا أو متعمدا في بعض الأحيان.

واشنطن: الثلاثاء، ٢٥ يناير ١٩٨٣

في الصباح، التقيتُ بفيليب حبيب ومجموعة وزارة الخارجية الأمريكية المسئولة عن الملف الفلسطيني. يبدو أن هذه المجموعة تفضل بقاء الحال على ما هو عليه في الشأن الفلسطيني، وذلك على الرغم من تدهور الحالة في الشرق الأوسط. يبدو أنهم قد قرروا بالفعل ترك الأمر للزمن لكي يتدبر المشكلة.

تناولتُ العشاء مع موسى صبري الذي تحدَّث عن ذكرياته مع السادات، وعن الفترة التي قضياها معًا في المعتقل، وعن مشاكله مع عبد الناصر. وكان موسى صبري هو الذي كتب الخطبة التاريخية التي ألقاها السادات أمام الكنيسيت في نوفمبر ١٩٧٧. إنه كاتب غزير الإنتاج وأسلوبه بليغ ويحب أن يضمن كتاباته الشجاعة بعض الوقائع والأحداث التي يصوغها بصورة جذابة.

تورونتو: السبت، ٢٩ يناير ١٩٨٣

اشتركتُ في الوفد المرافق للرئيس مبارك في زيارته الرسمية لكندا. وإلى جانبي في الطائرة كان الفريق كمال حسن علي، والدكتور محمد عطية، الطبيب الخاص

للرئيس. وصلت طائرتنا مطار تورونتو في ساعة مبكرة من بعد الظهر. كان في استقبال الرئيس مبارك والسيدة الأولى سوزان مبارك جيمس فليمنج، وزير الدولة، وتحسين بشير سفيرنا في كندا وروبرت إليوت؛ وهو مثقف لامع وسفير كندا في مصر. وتم تخصيص طابق بأكمله للوفد الرسمي المصري في فندق «رويال بارك». وأقام الرئيس والسيدة قرينته في «الجناح الملكي».

تناولتُ العشاء مع أصدقائي القدامى الفريق كمال حسن علي والسفير تحسين بشير، المتخصص اللامع في شئون الإعلام، والدكتور محمد عطية طبيب القلب المشهور الذي استفدت كثيرا من تشخيصه الدقيق ومن نصائحه. صاحب العشاء أغانٍ قديمة غنتها مطربة سمراء وجميلة جدًّا؛ فشعرنا بالحنين لذكريات الماضي.

تورونتو: الأحد، ٣٠ يناير ١٩٨٣

قمنا بزيارة لشلالات نياجرا وكان الجو شديد البرودة، كما كان الثلج يغطي جزءًا من الصخور. وأضفى وجود السيدة سوزان مبارك إحساسا بالبهجة والحيوية على أعضاء الوفد؛ فهي سيدة ذكية وفطنة، تهتم بالآخرين. كانت تُنصت إلينا بعناية، ودائمًا ما كانت تطرح أسئلة هامة.

تناولنا الغداء في مطعم «بيلار آند بوست» المشهور بوجباته الفخمة، وإن كنت أرى أن هذه الشهرة مبالغ فيها إلى حد ما.

عدنا إلى الفندق. انتهزت الفرصة لكي أستريح قليلًا قبل لقاء أصدقائي الثلاثة في أحد مطاعم الفندق لتناول وجبة العشاء تحت شعار «ذكريات الشباب».

تورونتو/ أوتوا: الاثنين، ٣١ يناير ١٩٨٣

توجهنا للمطار حيث أجريت مراسم عسكرية لتوديع الرئيس. بعد ذلك بساعة واحدة، هبطت بنا الطائرة في أوتوا واستُقبل الرئيس استقبالًا عسكريًا. الحاكم العام لكندا إدوارد شريير وزوجته كانا في استقبال الرئيس والسيدة سوزان مبارك. ثم تم تقديم التحية العسكرية وتلا ذلك عزف النشيد الوطني المصري؛ الذي استحضر الوطن الدافئ لهذا المكان وفي هذا الطقس شديد البرودة.

لم نكُن قد أعددنا نقاطًا مكتوبة للتحدث. فجاءت الأحاديث التي تبادلناها مع

الحاكم العام ثم مع بير إليوت ترودو رئيس الوزراء ذات طابع بروتوكولي - أكثر من كونها أحاديث سياسية، وكانت ستستمر على هذا المنوال لولا وجود وجيه شندي وزير الاقتصاد الذي ضم نفسه للوفد الرسمي، والذي تحدث طويلًا عن العلاقات الاقتصادية بين مصر وكندا.

دعانا رئيس الوزراء للغداء. بعد ذلك استقبلنا رئيس مجلس الشيوخ جان مارشان، والسيدة جان سوفيه عضو مجلس العموم في مقر البرلمان الكندي.

دعانا الحاكم العام وزوجته للعشاء، وعندئذ سنحت الفرصة لي للدردشة مع ترودو الذي سبق لي أن تعرفتُ عليه. وربما لأن كلانا له خلفية أكاديمية فقد نشأ بيننا على الفور نوع من التلاقي الذهني، ولم نتحدث كثيرًا عن التفاصيل اليومية للأحداث، بل تحدثنا عن مفهوم الدولة السيادية ومفهوم الوطنية. اتفقنا على أن هذه المفاهيم ستفقد - بالتأكيد - أهميتها في السنوات القادمة.

أجريتُ مناقشة بنَّاءة مع جان سوفيه. لدينا أصدقاء مشتركون، من بينهم بوبي صعب وزوجته، وإيزابيل مومسن التي تأتي إلى كندا كثيرًا لتبيع أنواع النبيذ التي تنتجها، والتي تحمل اسما تجاريا لعائلة مومسن والتي قالت لي عنها:

«- إنها تلقى رواجا كبيرا جدًّا في كندا».

أوتوا، الثلاثاء، الأول من فبراير ١٩٨٣

عقد الرئيس مبارك اجتماعًا في «مجلس العموم» مع أعضاء «اللجنة الدائمة للشئون الخارجية والدفاع» ومع أعضاء «اللجنة الدائمة للشئون الخارجية» في مجلس الشيوخ.

التقيتُ ببيير ترودو في مكتبه واستكملنا النقاش الذي كنا قد بدأناه بالأمس، ولقد أخذنا هذا النقاش بعيدا عن أي إحساس بالإرهاق.

قبل سفرنا إلى لندن، استقبل الرئيس ممثلي المهاجرين المصريين والذين لا تجمعهم مظلة واحدة بل ينتمون إلى مجموعات تفتقر للتنسيق فيما بينها. أجرى تليفزيون مونتريال حديثا معي، شرحتُ خلاله أهداف السياسة المصرية ووسائلها في العمل.

لندن: الأربعاء، ٢ فبراير ١٩٨٣

اليوم الشمس مشرقة بصورة استثنائية بالنسبة لهذا التوقيت من شهر فبراير، وأشعر بالسعادة لوجودي في أوروبا، تلك القارة القديمة والتي لها مكانة خاصة في نفسي.

قمت بزيارة لوزارة الخارجية البريطانية حيث التقيتُ بميكل، السفير البريطاني المعتمد في القاهرة. يبدو أن الإنجليز مثل الأمريكيين راضون عن حال العلاقات المصرية ـ الإسرائيلية، كما أنهم أيضًا لا يهتمون كثيرًا بتدهور الوضع في لبنان الذي لهم أن يتعاطوا معه على أنه مشكلة مستمرة لا يمكن الخلاص منها بصفة نهائية.

واستمرت المحادثات حتى ساعة متأخرة من بعد الظهر. تكلمتُ عن التكامل بين مصر والسودان، وتطرق أسامة الباز إلى الملف الفلسطيني. الديبلوماسيون البريطانيون لديهم القدرة على الإصغاء، وكذلك القدرة على حث محدثيهم على قول ما لديهم. إنهم يحتفظون بتراث الإمبراطورية البريطانية ويبقون على تقاليدها، بما في ذلك التقاليد الديبلوماسية حتى بعد أن أفلت الامبراطورية وأصبحت مجرد ذكرى.

دعتنا السيدة مارجريت ثاتشر إلى العشاء. إنها راضية جدًّا عن نفسها. جلستُ بجوار كبير أساقفة لندن الذي سألني عن وضع الأقباط في مصر، وعن أخبار الأنبا شنودة. أجبته:

«ـ إن العلاقات بين الأقلية القبطية والأغلبية المسلمة تتأرجح بين التوتر والتناغم، ولكنها تظل علاقات ممتازة في مجملها»... لقد مرت علينا أكثر من ألف سنة من التعايش.

باريس: الخميس، ٣ فبراير ١٩٨٣

في المحطة الأخيرة من رحلتنا وصلنا إلى باريس. أجريتُ محادثات غير رسمية مع كلود شيسون، وزير الخارجية الفرنسي. أبدى استعداده لمعاونتنا لاستعادة علاقاتنا الديبلوماسية مع الجزائر والعراق. وعلى عكس واشنطن ولندن، فلم يبد وزير الخارجية الفرنسية الرضا عن حالة «الوضع القائم» في الشرق الأوسط، وقال لي:

«ـ علينا أن نأتي بمبادرات جديدة لمحاولة تسوية الوضع في لبنان، وإطلاق جولة جديدة من المفاوضات بخصوص فلسطين».

استعرضنا معًا مشروع قرار مصري ـ فرنسي جديد سنقدمه لمجلس الأمن.

باريس/القاهرة: الجمعة، ٤ فبراير ١٩٨٣

في طائرة الرئاسة التي عادت بنا إلى أرض الوطن، أتيحت لنا الفرصة لنطرح على الرئيس تصورات مختلفة للعمل في المرحلة القادمة. اقترحنا عليه ـ تحديدًا ـ تنظيم سلسلة من الزيارات لمختلف العواصم العربية، الجزائر وعَمَّان وبغداد وبيروت لنقنع هذه الدول بإعادة علاقاتها الديبلوماسية مع مصر، تمهيدا لاستعادة قيادتنا للعالم العربي. ورحب الرئيس بهذا الاقتراح.

القاهرة/ الخرطوم: الأحد، ٦ فبراير ١٩٨٣

قضيتُ النهار في الخرطوم برفقة اثنين من الديبلوماسيين الشبان اللامعين: سعد الفرارجي ومحمود قاسم. قدمت للرئيس النميرى ولنائبه جوزيف لاجو تقريرًا مفصلًا عن جولة الرئيس مبارك في كندا وأوروبا. وبدا على النميري علامات الارتياح بالنظر إلى أنه يعتبر نفسه بمثابة الخلف الحقيقي للرئيس السادات، وبالتالي فهو ينظر بتقدير ودعم للجهد الذي سيبذله الرئيس مبارك. أعتقد أن النميري كان يمكن أن يتحرك بشكل أفضل ـ من أجل إقامة الوحدة بين السودان ومصر ـ لو كُنا قد عرضنا عليه ترأس هذه الوحدة.

فور عودتي للقاهرة، أجريتُ مكالمتين هاتفيتين، الأولى كانت للرئيس مبارك لأخبره عن لقائي بالنميري، وقلتُ له إننا قد أرضينا كبرياء الرئيس السوداني بما قمنا به إزاءه. المكالمة الثانية كانت لرئيس الوزراء ـ فؤاد محيي الدين ـ لأخبره بأن النميري غير راض عن البطء الملازم لمسيرة التكامل بين الخرطوم والقاهرة. علاقاتي مع رئيس الوزراء ليست دائمًا على ما يرام.

القاهرة/ عَمَّان: الثلاثاء، ٨ فبراير ١٩٨٣

استقليت الطائرة إلى عَمَّان برفقة أسامة الباز، حَلَّقنا فوق القاهرة ثم السويس ثم طابا حيث رأيتُ الفندق الذي بناه الإسرائيليون على أرض مصرية. ما زال النزاع

الحدودي بين مصر وإسرائيل قائما وعجزت المفاوضات المتواصلة والمتوالية على إيجاد حل، وهذا النزاع الحدودي يُهدد استمراره بتسميم علاقاتنا بإسرائيل.

غداء عمل مع الملك حسين الذي كان مُحاطًا بمختار بدران رئيس الوزراء ومروان القاسم وزير الخارجية وقائد القوات المسلحة. ترك الملك معاونيه يتحدثون.

أخبرنا رئيس الوزراء عن مباحثاته مع ياسر عرفات، وتحدث عن إمكانية إجراء مباحثات بين مصر والأردن والولايات المتحدة وإسرائيل، وقال إن الوفد الأردني قد يَضم بعض الفلسطينيين. ألمحتُ له بإمكانية ضم بعض الشخصيات الفلسطينية أيضا للوفد المصري وذلك بناءً على الاتفاقيات التي وقعناها في كامب ديفيد. لم يُبد الأردنيون حماسًا لاقتراحي هذا؛ لكن أسامة الباز صحح مسار الحديث عندما أكّد أن الوفد الأردني ـ الفلسطيني هو الذي سيقوم بالدور الأساسي في هذه المفاوضات المحتملة. كما تطرق النقاش كذلك إلى آخر تطورات الحرب العراقية ـ الإيرانية.

تأثرتُ جدًّا ببساطة الملك حسين وقدرته على الإنصات باهتمام لوجهات نظر معاونيه، فهذه الميزة لا نجدها لدى بعض رؤساء الدول الذين يفضلون الاستماع لأصواتهم هم ويحبون أن يستمع الآخرون إليهم.

عَمّان /بغداد: الأربعاء، ٩ فبراير ١٩٨٣

في الصباح الباكر، توجهنا بالطائرة إلى بغداد حيث استقبلنا وزير الدولة ـ حامد علوان ـ ومعه بعض الصحفيين. رفضتُ الإدلاء بأي حديث صحفي إلَّا بعد مقابلة الرئيس صدام حسين. وخصصوا لإقامتنا فيلًا بناها مهندس مصري وتولى تصميماتها الداخلية مهندس ديكور فرنسي. فبدت أنيقة ومريحة للعين.

لحق بنا طارق عزيز ـ نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ـ الذي كان يرتدي السُّترة العسكرية لحزب البعث ويضع مسدسًا في وسطه.

في البداية، تحدثنا عن ملف «حركة عدم الانحياز»، وعن قمتها التي كان مقررًا أن تنعقد في بغداد ثم تم نقلها إلى نيودلهي بسبب الحرب الدائرة بين العراق وإيران. عَبَّر طارق عزيز عن رغبة العراق في استضافة القمة المقبلة التي ستُعقد في سنة ١٩٨٦، علمًا بأن هناك دولًا أخرى هي سوريا وليبيا وكوريا الشمالية قد أبدت الرغبة نفسها.

بعد ذلك، تناولنا موضوع العلاقات العراقية ـ الأمريكية. وكان طارق عزيز قد طلب مني خلال اللقاء الذي عقدناه في باريس أن أستعلم عن الموقف الأمريكي تجاه العراق. أخبرتُه بأن الأمريكيين مستاءون جدًّا من دعم العراق للحركات الإرهابية، خصوصًا «منظمة أبي نضال». ومن الحديث عن أبي نضال، انتقلنا إلى الحديث عن أبي عمار (ياسر عرفات) مما أتاح الفرصة لطارق عزيز لكي يحدثنا بالتفصيل عن الدعم العراقي لمنظمة التحرير الفلسطينية. وعندئذ تحدث أسامة الباز عن تدخُّل الرئيس مبارك لصالح العراق أثناء زيارته للولايات المتحدة.

دعانا طارق عزيز للغداء. وعلى مائدة الغداء قدموا لنا نبيذًا فرنسيًّا أحمرَ ممتازًا، ربما للتأكيد على علمانية الدولة العراقية. اكتفيتُ بشرب كأس واحدة فقط مبررًا ذلك بأنني لا أتناول الخمر إلا بعد غروب الشمس حسب التقاليد المرعية لدى البريطانيين في البلاد الحارة.

بعد الغداء، عقدتُ لقاءً منفردًا مع طارق عزيز. وخلال الحديث أبديتُ أسفي لأن الحكومة العراقية ترفض إعادة العلاقات الدبلوماسية مع مصر، على الرغم من مساعداتنا العسكرية والدبلوماسية للعراق. وقلت له:

«ـ إن العراق يحتاج لمصر أكثر من احتياج مصر للعراق. وهدف زيارتي الحالية هو إعادة محور القاهرة ـ بغداد ـ كما كان الوضع في الماضي ـ حسب تعليمات الرئيس مبارك».

كان رد طارق عزيز صريحًا للغاية فقد ذكر لي أن هذه المشكلة تمت مناقشاتها عدة مرات في اجتماعات مجلس الوزراء العراقي. وبما أن قرار قطع كافة العلاقات الدبلوماسية مع مصر قد اتُّخذ بناءً على مبادرة من العراق نفسه أثناء انعقاد القمة العربية في بغداد، فسيكون من الصعب ـ في هذه الحالة ـ إلغاء هذا القرار من جانب العراق وحده بدون موافقة باقي الدول العربية.

وعندما لاحظ طارق عزيز استيائي، اقترح عليَّ أن يتوقَّف الرئيس مبارك في بغداد أثناء توجهه إلى نيودلهي لحضور مؤتمر «قمة الدول غير المنحازة». وقلتُ له:

«ـ سأنقل اقتراحك إليه؛ لكن إذا طلب مني إبداء رأيي، فسأقول له: إنني أرفض هذا الاقتراح. وسأتمسك بهذا الرأي طالما ظلت العلاقات الدبلوماسية مقطوعة

بين بلدَيْنا. لماذا لا تأتي أنت إلى القاهرة بنفسك؟ لديكم بعثة عسكرية عراقية في القاهرة، ولدينا بعثة عسكرية مصرية في بغداد؛ ولا تنس وجود أكثر من مليون مصري يعملون في العراق. إن العلاقات بين بلَدينا مهمة للغاية، وسيكون لاستعادة العلاقات الدبلوماسية بين بلدينا قيمة رمزية قوية بالنسبة للعالم العربي».

ووعدني طارق عزيز بمناقشة هذه المشكلة مجددًا مع صدام حسين للتوصل إلى حل لها.

بعد الظهر، استقبلنا صدام حسين، وجدتُه أكثر نحافة وأكبر سنًّا وأكثر إرهاقًا عن ذي قبل. شرحتُ له أن هدف الزيارة هو التأكيد على تضامن الشعب المصري مع الشعب العراقي في حربه ضد العدوان الإيراني. شكر صدام حسين الرئيس مبارك، وحكى لنا بالتفصيل عن المعركة التي بدأت بالأمس وقبل الأمس، وعن الخسائر الثقيلة التي ألحقها الجيش العراقي بالقوات الإيرانية، ثم أضاف قائلًا:

«ـ المهم هو الحفاظ على الأمن الداخلي في البلد وعلى الروح المعنوية للشعب».
ثم ركَّز صدام حسين في حديثه على أهمية التعاون المصري ـ العراقي في إطار حركة عدم الانحياز. عندئذ، تدخَّل أسامة الباز مشيرًا إلى المساعي التي بذلها الرئيس مبارك لدى السلطات في كوريا الشمالية لكي تُوقف بيع الأسلحة لإيران. وفي نهاية اللقاء، قَدَّم لنا صدام حسين بيانًا مطوَّلًا، أكد فيه على أن العراق سيُعيد علاقاته الدبلوماسية مع مصر في الوقت المناسب. كما قال إن مصر كانت ـ وستظل ـ هي قائدة العالم العربي. وبهذه المناسبة، عَرَض علينا رؤيته للعالم العربي في السنوات العشر المقبلة، وركَّز على ضرورة خلق مصادر جديدة للطاقة.

هل كان يقصد الطاقة الشمسية أم الطاقة النووية؟ لماذا هذه الخطبة عن مستقبل العالم العربي؟ هل يريد أن يوحي لنا بأنه يفكر ـ بالفعل ـ في فترة ما بعد الحرب وإعادة تشكيل العالم العربي؟ هل يريد أن يشرح لي ولأسامه الباز ـ بوصفنا نعد من بين مثقفي النظام المصري ـ أنه ما يزال قادرًا على التفكير في قضايا بعيدة المدى رغمًا عن ثقل المشاكل الآنية واليومية؟

لقد كان العرض الذي قدمه صدام حسين واضحًا ومنطقيًّا ومتماسكًا؛ وأعترف بأن حديثه ترك انطباعًا قويا لديَّ ولدى أسامة الباز كذلك.

غادرنا قصر الرئاسة متوجهين للمطار. بعد ساعة من الطيران هبطنا في مطار عمان حيث توجهنا للقاء الملك حسين؛ فقد كان يريد أن يعرف نتيجة مباحثاتنا في بغداد. أطلعته على مضمون لقائنا مع طارق عزيز وصدام حسين. أبدى الملك سعادته بانتصار العراق في المعركة التي نشبت في اليومَيْن الماضيَيْن، لكنه شعر بخيبة الأَمل لأن الزيارة لم تؤد إلى الاستعادة الفورية للعلاقات الدبلوماسية بين بغداد والقاهرة.

عَمّان/بيروت: الخميس، ١٠ فبراير ١٩٨٣

سافرنا إلى بيروت بطائرة مدنية. بجوار سلم الطائرة، وجدنا سيارات في انتظارنا قادتنا مباشرةً للقصر الجمهوري. كان إيلي سالم - وزير الخارجية - في استقبالنا ورافقنا للقصر الجمهوري.

فور وصولنا إلى هناك، استقبلنا أمين الجميل، رئيس الجمهورية. كان صديقي العزيز جدا غسان تويني يقف بجواره. يتميز غسان تويني بأَنه شخص متعدد المواهب فهو دبلوماسي ومفاوض وصحفي ومدير لجريدة «النهار» مما يكسب شخصيته جاذبية كبيرة جدا.

كان الرئيس اللبناني مرْهَقًا وبدت عروق وجهه نافرة جزاء العصبية والقلق؛ فقد تلقى لتوه معلومات عن فحوى تقرير «لجنة كاهانا»، التي حققت في مذبحة «صبرا وشاتيلا»، وهو التقرير الذي يوجه الاتهام مباشرة «للكتائب» - الميلشيات اللبنانية - في وقوع هذه المذبحة. ألححتُ عليه لكي يشارك في مؤتمر قمة الدول غير المنحازة في نيودلهي. فقال لي بصورة قاطعة إنه لن يغادر بيروت أبدًا طالما أن الحرب الأهلية ما تزال مستمرة.

رافقنا غسان تويني الذي شكرني على زيارتي وعلى محاولتي إقناع الرئيس الجميل بالمشاركة في مؤتمر قمة الدول غير المنحازة، وأَسَرَّ لي قائلًا:

«- إنه لا يُدرك مدى أهمية هذه القمة، ولا يُدرك كيف يمكن لمشاركته فيها أن تساعدنا على تحسين صورة لبنان» ثم أضاف قائلا: «عندما تقوم بزيارة وزارة الخارجية، لا تنس أن تكرر اعتقادك بأهمية مشاركة لبنان في هذه القمة؛ فإيلي سالم غير مقتنع - هو الآخر - بضرورة وجود لبنان في نيودلهي».

ثم حدث أمر غير مُتوقَّع، حيث توجه موكبنا إلى وزارة الدفاع اللبنانية وهناك كانت تُوجد طائرتا هليوكوبتر جاهزتان للإقلاع بنا إلى المطار. أفهَمَنَا الموجودون بأن رئيس الوزراء ووزير الخارجية ينتظرانا، وأنه لا بد من وجود خطأ ما. وبالفعل، فقد كانت الطائرتان مُخصصتَيْن لنقل مجموعة من الضباط الأمريكيين أو الإيطاليين.

قمنا بزيارة بروتوكولية لرئيس الوزراء ـ شفيق الوزَّان ـ حضرها المصورون والصحفيون والتلفزيون. وكانت فحوى الرسالة التي نقلتها:

«ـ إن مصر تريد مساعدة لبنان والشعب اللبناني على إقامة السلام».

ومن جانبه أكد رئيس الوزراء اللبناني على الدور القيادي لمصر في العالم العربي. كان اللقاء تقليديًّا وغير ذي فحوى كبيرة. شعرتُ بأن رئيس الوزراء لا يريد أن يكشف لي عن أوراقه.

بعد ذلك، قابلتُ إيلي سالم، وهو أستاذ جامعي سابق وقال لي:

«ـ منذ عدة أشهر وأنا أراقب ـ من بعد ـ منازعاتك وخصوماتك مع الإسرائيليين، وكنتُ أتعاطف مع ما تمر به. لكنني أجد نفسي الآن في وضع قد أكون مجبرًا فيه بين لحظة وأخرى ـ للدخول في نفس المواجهات مع أبناء وطني.

تناولنا الغداء معه ومع زوجته في مطعم راقٍ يقع في الطابق السابع في عمارة حديثة. وتجاوزت عن القواعد التي ألتزم بها وسمحت لنفسي بأن أستمتع بالفودكا والنبيذ على مائدة الغذاء.

ومع نهاية الغذاء كنا قد نسينا تقريبًا الحرب الأهلية المندلعة، والقوات الإسرائيلية المتمركزة على أبواب بيروت.

قبل أن أستقل الطائرة «الميستير» ـ التي ستقلنا إلى القاهرة قرب منتصف الليل ـ قابلتُ صائب سلام، الزعيم السُّنّي اللبناني. كان هو الآخر مُرْهَقًا لكنه ما يزال يحتفظ بالأمل في إيجاد حل سريع لهذا النزاع.

بصفة عامة، أشعر بالرضا عن هذه الجولة الدبلوماسية التي أتاحت توطيد مكانة مصر ودورها في قلب العالم العربي على الرغم من الجهود التي يبذلها كل مَنْ يسعون لعزلها منذ توقيع اتفاقيات كامب ديفيد.

القاهرة: الأحد، ١٣ فبراير ١٩٨٣

تناولتُ العشاء مع لورينزو ناتالي، وزير الزراعة الإيطالي السابق والرجل الثاني في «السوق الأوروبية المشتركة». يتوقف انفتاح مصر على العالم الغربي - إلى حد كبير - على علاقاتنا «بالسوق الأوروبية المشتركة». وهناك ما هو أكثر من ذلك فقدرتنا على إيجاد توازُن في علاقاتنا الدولية مع القوة الأمريكية، وكذلك قدرتنا على مقاومة أخطار الأصولية الإسلامية، ترتبط أيضا بتطوير هذه العلاقات.

القاهرة: الخميس، ١٧ فبراير ١٩٨٣

أرسلت سفارة كندا في القاهرة دعوات لي وكذلك ليوسف والي وزير الزراعة والجنزوري وزير التخطيط لحضور حفل عشاء تقيمه سفارة كندا على شرف مدير «هيئة المعونة الاقتصادية الكندية». ظل زميلاي صامتَيْن أثناء تناول العشاء التزاما مع التقاليد المصرية التي لا تحبذ الحديث أثناء تناول الطعام، وكان تقديري أننا نحتاج لكندا - كما نحتاج «للسوق المشتركة» - إذا أردنا تنويع مصادر المعونة الاقتصادية لإحداث توازن مع المعونة الأمريكية. لسنوات عديدة قادمة، سنحتاج للمعونة الأجنبية لكي نتجاوز آثار غياب التنمية.

القاهرة: الجمعة، ١٨ فبراير ١٩٨٣

بعد غياب طويل، التقيتُ بيوسف ابن أخي وابني في المعمودية. كان يوسف الأول على دُفعته في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة،ثم حصل على درجة الدكتوراه من جامعة ماساتشوستس في الولايات المتحدة؛ ويعمل حاليًا «بصندوق النقد الدولي» في واشنطن.

لا ألح عليه كثيرًا لكي يعود إلى القاهرة فالعمل لعدة سنوات أخرى في «الصندوق» سيزيد من خبرته المالية. وعندئذ، سيحين الوقت المناسب لإقناعه بالعودة إلى أرض الوطن حيث ينتظره مستقبل مشرق، وحيث يمكن له أن يحافظ على تقاليد عائلتنا التي خدمت الدولة المصرية على مدى خمسة أجيال، إلَّا إذا قرر الاستقرار في الولايات المتحدة مثلما فعل تيمور، ابن عمه. ولو حدث ذلك، فسيكون بمثابة خسارة لمصر التي خسرت بالفعل الكثير من الشباب التكنوقراط النابهين بعد أن عجزنا عن اجتذابهم للوطن والاستفادة من قدراتهم.

القاهرة: الثلاثاء، ٢٢ فبراير ١٩٨٣

لن يحضر الرئيس مبارك لا حفل تخرج ابنه البكر ـ علاء ـ من الجامعة الأمريكية بالقاهرة ولا توزيع الشهادات على الخريجين؛ لأنه من المقرر أن يرأس البروفيسير مالكوم كير هذا الحفل. وكان هذا البروفيسير قد نشر مقالًا انتقد فيه الرئيس مبارك بشدة. ولَمَّح لي الرئيس بأنني أستطيع ترأس هذا الحفل. إنها مهمة حساسة للغاية، خصوصًا أنه لم يسبق لي التدريس في الجامعة الأمريكية، ولأن مالكوم كير زميلي وصديقي.

تسلحتُ بالشجاعة وتناقشت في الأمر مع رئيس الجامعة الأمريكية الذي أكد لي حرصه على حضور الرئيس لحفل التخرج. وتعهد لي بتلبية مطالب الرئيس مبارك كافة، وقال لي إنه سيقول للبروفيسير إن الرئيس مبارك يصر على أن يرأس وزير مصري هذا الاحتفال.

طلبتُ من صديقي مجدي وهبة مساعدتي على إعداد خطبة ـ باللغة الإنجليزية ـ تكون لائقة بمثل هذه المناسبة.

القاهرة: الأربعاء، ٢٣ فبراير ١٩٨٣

وصل الرئيس مبارك والسيدة قرينته إلى مقر الجامعة الأمريكية. وكان في استقبالهما هيرمان إيلتس؛ السفير الأمريكي. وبعد أن تم تقديمي للحاضرين، وصعدتُ إلى المنصة،وقرأتُ بعناية الخطبة التي أعدَّها لي مجدي وهبة. بعد ذلك، وزعت الشهادات على الخريجين. جاء علاء وقبَّل والديْه. وكانت زوجتي ليا تجلس بجوار الرئيس تشاركه فرحته، فسألها:

«ـ كم يبلغ بطرس من العمر؟».

«ـ في نوفمبر، سيبلغ الواحد والستين».

ولم نعرف أبدا السبب وراء هذا السؤال.

القاهرة: الجمعة، ٢٥ فبراير ١٩٨٣

تناولت العشاء في النادي الديبلوماسي بالتحرير مع الجنرال فيرنون والتر؛ ذلك الرجل الذي يلعب دورا غير بادٍ للعيان في رسم السياسة الخارجية الأمريكية والذي

استطاع الجمع ما بين العمل العسكري والعمل الديبلوماسي، كما وأنه لعب دورا مهمًّا في الاستخبارات الأمريكية. كان الجنرال قد وصل من مقديشيو وهو بصحة غير جيدة. وفور جلوسنا إلى المائدة، تركَنَا وذهب مسرعا إلى الحمام لكي يتقيأ. بعدها قال لي:

«ـ أعتقد أن شخصًا ما حاول أن يسمني. لكنني أفضل الآن».

وبالفعل، فقد استرد حيويته وحماسته. شرح لي كيف أن الرئيس الصومالي ـ سياد بري ـ يعتبر أن وجود قوات الاحتلال الإثيوبي في بلاده بمثابة إهانة. وأبدى وولتر رأيًا قاسيًا جدًّا إزاء الرئيس القذافي الذي قال عنه إنه قاد بلاده إلى الخراب على الرغم من ثرواتها البترولية. أراد الجنرال أن يجاملني، فركز على أهمية النشاط الديبلوماسي المصري في أفريقيا.

تحدثتُ طويلًا عن الملك الحسن الثاني ـ ملك المغرب ـ الذي تعرف الجنرال إليه عندما كان وليًّا للعهد. ومع اقتراب العشاء من نهايته كنا قد تحدثنا بإسهاب عن أهمية العلاقات الشخصية في السياسة الخارجية للدول.

طوال الأمسية، كان الجنرال يتحدث باللغة الفرنسية؛ ربما لأنه كان يعرف أنني أفضل استخدام اللغة الفرنسية على اللغة الإنجليزية. يُعتبر الجنرال بمثابة موسوعة حقيقية في مجال العلاقات الدولية. هذا الرجل ضخم البنية يتحدث عدة لغات بطلاقة، وزار كل أرجاء العالم، وهو بالتأكيد شخصية أستطيع التفاهم والتخاطب معها بكل سهولة وارتياح.

نيودلهي: الأربعاء، ٢ مارس ١٩٨٣

وصلتُ إلى نيودلهي في مهمة استكشافية قبل بضعة أيام من افتتاح مؤتمر قمة الدول غير المنحازة. وكان بعض الزملاء والأصدقاء قد وصل قبلي إلى هناك ومن بين هؤلاء كان طارق عزيز الذي ما يزال باردًا ومتحفظًا تجاه مصر، وحامد شاهول. وكان أيضا هناك وزير خارجية سريلانكا الذي يمثل الجالية المسلمة في دولة تدين بالبوذية والتامولية، وعبد الله توري ابن عم الرئيس سيكوتوري، وهو صديق عزيز جدا يتمتع بالذكاء ودائما ما يلتزم التحفظ في الحديث، ولازار مويسوف وزير خارجية يوغوسلافيا، وهو واحد من أكثر الديبلوماسيين الذين قابلتهم تمتعا بنظرة

ثاقبة. إن تشاؤمه يدفعني للتفكير في كثير من الأمور خاصة أنه يرى أنه «لن يكون هناك حل فوري للأزمة اللبنانية وأن المشكلة الفلسطينية لن تحل في حياتنا. وأن المواجهة المقبلة بين القوتيْن العظمييْن ستقع في أوروبا».

كان من المفروض أن يُعقد المؤتمر بهدوء وبلا مشاكل، فيما عدا إمكانية تقدم ليبيا وسوريا لمبادرة تهدف لطرد مصر من حركة عدم الانحياز. في الجلسة المسائية وجهتُ كلمتي لمندوب إحدى الدول العربية مستخدمًا عبارة شكسبير الشهيرة:

«ـ يوجد شيء عفن في مملكة الدنمارك».

وفيما بعد، أراد هذا المندوب أنه يثبت لي قدرته على الاستشهاد بشكسبير، فقال لي:

«ـ حتى أنت يا بروتس».

ومن المؤكد أن اللغة الإنجليزية وثقافتها تُستخدمان بانتظام في المبارزات الكلامية بين الإخوة العرب.

نيودلهي: الأحد، ٦ مارس ١٩٨٣

وصل الرئيس مبارك والفريق كمال حسن علي إلى نيودلهي. رافقتُ الرئيس أثناء مباحثاته مع السيدة أنديرا غاندي التي تترأس المؤتمر، ومع الملك حسين ملك الأردن، وأمين الجميل رئيس لبنان الذي وافق ـ في النهاية ـ على حضور المؤتمر. اقترح الرئيس اللبناني عقد تحالف بين مصر ولبنان. استمع الرئيس مبارك إليه دون أن يبدي ردة فعل؛ أمَّا شفيق الوزَّان، رئيس وزراء لبنان، فقد بدا مندهشًا لكنه لم ينطق بحرف. وبالنسبة إلى أعضاء الوفد المصري، فقد كنا مندهشين تمامًا من هذه المبادرة التي بدت لي غير قابلة للحياة ولو ليوم واحد.

نيودلهي: الثلاثاء، ٨ مارس ١٩٨٣

ألقى الرئيس مبارك خطبة طالب فيها دول عدم الانحياز بالتدخل لإنهاء الحرب العراقية الإيرانية، واقترح عقد مؤتمر قمة ـ على مستوى الوزراء ـ لإقامة حلف يضمن أمن الدول غير المنحازة.

حضر ياسر عرفات هذا المؤتمر. وكانت العلاقات معه ما تزال تمر بمرحلة صعبة للغاية. وفي ساعة متأخرة من الجلسة المسائية، تحملنا بهدوء أعصاب الشتائم التي

كالها الليبي ـ عبد السلام جلود ـ لمصر. وأكدت على أعضاء الوفد المرافق لي ضرورة عدم الرد عليه بأي حال.

نيودلهي/القاهرة: الأربعاء، ٩ مارس ١٩٨٣

غادرنا نيودلهي في طائرة الرئاسة. توقفنا في مسقط حيث دعانا السلطان قابوس للغداء في قصره. أثناء العودة من مسقط إلى القاهرة، عقد الرئيس مؤتمرًا صحفيًّا مع موسى صبري وغيره من كبار الصحفيين المصريين.

القاهرة: الأربعاء، ١٦ مارس ١٩٨٣

أشارك فرانسيس جوتمان السكرتير العام للخارجية الفرنسية تشاؤمه: أزمة الشرق الأوسط ليست جاهزة للحل.

القاهرة: الخميس، ١٧ مارس ١٩٨٣

لقاء مع جين كيرباتريك؛ تلك السيدة التي أعطت الدبلوماسية الأمريكية روحًا جديدة وعملت في سبيل تطويرها. تطرق الحديث بالتوالي إلى: قمة نيودلهي، والملفات التي سنناقشها في المؤتمر القادم «لمنظمة الوحدة الأفريقية» المقرر عقده في أديس أبابا. واستمعت جين كيرباتريك بإنصات كبير لما أقوله، وكانت تسعل سعلة خفيفة عندما تكون موافقة على ما يُقال، وتصمُت تمامًا عندما لا تتفق مع ما أطرق عليها.

القاهرة: الجمعة، ١٨ مارس ١٩٨٣

التقيت مجددًا بجين كيرباتريك على العشاء. تحدثنا عن إمكانية إطلاق مبادرة مشتركة لمساعدة تشاد على صد العدوان الليبي على أراضيها. وأبدت كيرباتريك تأييدها لقيام مصر بلعب دور أساسي في أفريقيا.

القاهرة: السبت، ٢ إبريل ١٩٨٣

زارني السفير الفرنسي ليبدي شديد احتجاجه لأن السلطات المصرية أدانت الكولونيل دافو بعد أن كان قد تم توقيفه وبحوزته مخدرات في مطار القاهرة. يبدو أن

الكولونيل كان يمارس هذه التجارة لحساب جهاز المخابرات الذي يحتاج ـ أحيانًا ـ لمصادر دخل سرية.

القاهرة: الاثنين، ٤ إبريل ١٩٨٣

دعت الحكومة العراقية شيخ الأزهر للمشاركة في مؤتمر سيُعقد في بغداد. اختلَفَت الآراء في وزارة الخارجية حول هذه الدعوة، فهناك من يرى ضرورة رفض هذه الدعوة من قِبل شيخ الأزهر بالنظر إلى العلاقات الديبلوماسية بين البلدَيْن التي ما تزال مقطوعة؛ وبينما يرى البعض الآخر ضرورة تلبيتها لكي لا تزداد الهُوَّة اتساعًا بين السُّنَّة والشيعة، وأيضًا لكي تكون هناك فرصة لإعادة العلاقات الديبلوماسية مع العراق. أنا من أنصار هذا الرأي الأخير؛ ولكن لابد من إقناع مختلف الأجهزة بالأهمية السياسية لمثل هذه الزيارة.

باريس: الثلاثاء، ٥ إبريل ١٩٨٣

أجريتُ محادثات مع كلود شيسون في مقر وزارة الخارجية الفرنسية. وبالطبع، فقد أثار الوزير الفرنسي موضوع إدانة السلطات المصرية للكولونيل دافو بتهمة الاتجار في المخدرات. ونتساءل: لماذا لم تتدخل المخابرات الفرنسية ـ فورًا ـ لدى المخابرات المصرية لتسوية هذه المسألة قبل أن تصل إلى القضاء؟ وعدتُه بالتوسط في الأمر لدى الرئيس مبارك.

باريس: الأربعاء، ٦ إبريل ١٩٨٣

في قصر الإليزيه التقيت جاك آتالي ودار بيننا حديث مشابه قبل أن يستقبلني الرئيس فرنسوا ميتران. تحليله متشائم بخصوص المشكلة الفلسطينية: فالإسرائيليون يرفضون الانسحاب من جنوب لبنان والأراضي الفلسطينية، والإرادة السياسية لبيجين أقوى بكثير من الإرادة السياسية لريجان، والولايات المتحدة غير مستعدة للتدخل.

نيويورك: الجمعة، ٨ إبريل ١٩٨٣

هارولد ساوندرز وبيل كوانت متشائمان، بالضبط مثل ميتران، وأشارا ـ بشكل ضمني ـ لضعف الديبلوماسية الأمريكية أمام السياسة الإسرائيلية. ستظل الديبلوماسية

الأمريكية خاضعة لهيمنة إسرائيل ما دامت الدول العربية لم تُنشئ بعد «لوبي» (جماعة ضغط) مواليًا للعرب يُحدث توازنًا مع اللوبي الإسرائيلي.

نيويورك: السبت، ٩ إبريل ١٩٨٣

ألقيتُ محاضرة في «مجلس السياسة الخارجية»، تلتها محاضرة لفؤاد عجمي، وهو شيعي لبناني يعمل في خدمة آلة الدعاية الثقافية الأمريكية. تعودتُ على تحمل انتقاداته مرات بلامبالاة، وأحيانًا بشيء من الاستخفاف أو السخرية، أتساءل أحيانا: هل هو معاد للسادات أم معاد لمصر بالأساس؟

نيويورك: الأحد، ١٠ إبريل ١٩٨٣

كأن الانتقادات التي توجهها الأصوات العربية المتعصبة ضد السياسة المصرية لم تكُن بكافية؛ فها هو الدور قد جاء على الإسرائيليين الذين يمثلهم يوسي سييشا نوفر المدير العام السابق لوزارة الخارجية الإسرائيلية، والذي أعلن بوضوح أن «مصر لا تفعل شيئًا لتطبيع علاقاتها مع إسرائيل».

واشنطن: الاثنين، ١١ إبريل ١٩٨٣

ألقيتُ محاضرة في جامعة جورج واشنطن عرضتُ فيها بالتفصيل سياسة مصر تجاه فلسطين. كان الحضور يصغي باهتمام وانفتاح على ما أقول. فيما مثل تغييرًا لطيفًا أراحني لبعض الوقت من التفكير في الانتقادات المتوالية ضد مصر من قبل كل من هجمات العرب والإسرائيليين.

واشنطن: الثلاثاء، ١٢ إبريل ١٩٨٣

أجريت مباحثات مع تشستر كروكر ونيقولا فيليوتيس، وهما ديبلوماسيان لهما وزنهما في وزارة الخارجية الأمريكية. قلتُ لهما:

«ـ يجب أن نتحرك ونطرح مبادرات جديدة وأن نتجنب ـ مهما كان الثمن ـ استمرار إبقاء الوضع الراهن على ما هو عليه. وافقاني على رأيي، لكنهما لم يتقدما بأية اقتراحات فعلية.

التقيت لمدة ساعتين مع الأمير بندر؛ السفير السعودي الذي عرف كيف

يخاطب النخبة في واشنطن باللغة التي تصغي إليها فأصبحت له في واشنطن كلمة مسموعة وأصبح هو محل تقدير النخبة في العاصمة الأمريكية. من المؤكَّد أن الموارد البترولية للسعودية والثروة الناجمة عنها قد أسهمت في أداء الأمير بندر لدوره في واشنطن. قلتُ له:

«ـ ينبغي إعادة العلاقات الديبلوماسية، وينبغي إنهاء عُزلة مصر التي تُضعف العالم العربي كله».

فرد عليَّ قائلًا: «أنتم الذين تحتاجون لدعمنا الديبلوماسي».

ومثلما فعل طارق عزيز، فقد أشار الأمير بندر إلى ضرورة أن نصبر قليلًا، فهو يرى أن الرأي العام العربي ما يزال معاديًا لاتفاقيات كامب ديفيد، وغير مستعد بعد للمصالحة الرسمية بين مصر والدول العربية. يتزايد شعوري بأن الحكام العرب ليست لديهم أي رغبة في أن تستعيد مصر قيادتها للعالم العربي وبأن عُزلة مصر عن العالم العربي لا تزعجهم على الإطلاق.

واشنطن: الأربعاء، ١٣ إبريل ١٩٨٣

من الواضح أن جورج شولتز، وزير الخارجية الأمريكي، لا يضع أزمة الشرق الأوسط على قائمة أولوياته، فبدأت في محاولة إقناعه بقولي:

«ـ يجب على الإسرائيليين حتما أن يعملوا على تحسين وضع الفلسطينيين. إن العنجهية والعنف الإسرائيليين هما اللذان يُغذيان التطرف الفلسطيني والأصولية الإسلامية».

أخبرتُ الوزير الأمريكي عن اتصالاتي مع فرنسا وسعينا المشترك لطرح مبادرة جديدة تمنع تدهور الوضع. لم يُبد جورج شولتز أي رد فعل على ما قلتُه واكتفى بالهمهمة ببعض الكلمات غير المفهومة التي قد تعني أنه يوافقني.

واشنطن: الخميس، ١٤ إبريل ١٩٨٣

طلبتُ من سفيرنا أشرف غربال أن يحدّد لي لقاءً مع السلطان قابوس؛ سلطان عُمان الذي كان في العاصمة الأمريكية. استقبلني السلطان في الجناح الملكي بفندق ماديسون. لون لحيته البيضاء يتناقض مع لون وجهه البرونزي. كان ـ

كعادته ـ يرتدي الزي العماني التقليدي على عكس الشباب السعودي الذين يفضلون ـ أحيانًا ـ ارتداء الزي الأوروبي. إنه رجل في غاية الذكاء يتمتع بالرقي والذوق الرفيع، ومتذوق للموسيقى الكلاسيكية والثقافة الغربية بوجه عام.

أبدى السلطان اهتمامًا بما ذكرته له عن محادثاتي في باريس ونيويورك وواشنطن. وفي نهاية اللقاء، كلفني بتوصيل تحياته القلبية للرئيس مبارك وقال لي:

«ـ أرجو أن تحيطني علمًا ـ بانتظام ـ بالجهود التي تبذلها من أجل إقرار السلام في العالم العربي».

إن سلطنة عُمان والسودان والصومال هي الدول العربية الثلاث التي لم تُدن اتفاقيات كامب ديفيد ولم تقطع علاقاتها الديبلوماسية مع مصر.

واشنطن: الجمعة، ١٥ إبريل ١٩٨٣

استقبلني الرئيس ريجان في البيت الأبيض بابتسامة عذبة، وألقى كلمة قصيرة أكَّد فيها على أن بلاده ستواصل جهودها للتوصُّل إلى حل سلمي للمشكلة الفلسطينية. قبل أن يُنهي ريجان كلمته، همس أشرف غربال في أذني قائلًا:

«ـ لا تنس تسليمه رسالة الرئيس مبارك».

في الواقع، كنتُ قد نسيتُ تمامًا أن هدف هذه الزيارة هو تسليم الرسالة. كنتُ قد سلمتُ نسخة منها للسفير هيرمان إيلتس في القاهرة، ونسخة ثانية لجورج شولتز منذ يومَيْن. كانت رسالة الرئيس مبارك واضحة تمامًا:

«ـ يجب أن نتحرك من أجل السلام في الشرق الأوسط».

الخرطوم: الثلاثاء، ١٩ إبريل ١٩٨٣

قضينا يومًا تاريخيًا في الخرطوم. فقد وصلها الرئيس مبارك والسيدة قرينته، والمشير أبو غزالة والفريق كمال حسن علي ورئيس الوزراء فؤاد محيي الدين لحضور إعادة انتخاب الرئيس النميري. هذه الزيارة تُعتبر ـ بشكل ما ـ ردًّا على اللفتة الديبلوماسية التي قام بها الرئيس النميري عند زيارته لمصر في شهر أكتوبر ١٩٨١ لحضور الاستفتاء على انتخاب مبارك رئيسًا للجمهورية.

ومثل هذه التحركات تهدف إلى توطيد العلاقات بين البلدين لكنها ـ مع ذلك ـ تظل مجرد مبادرات رمزية تمامًا. فالوحدة الفعلية لن تتم إلَّا بتكامل طرق المواصلات، وإصدار عملة موحدة، وقيام تمثيل ديبلوماسي مشترك، ووجود قوات مسلحة سودانية في مصر وقوات مسلحة مصرية في السودان. ويجب الذهاب إلى مدى أبعد من ذلك من خلال تشجيع الزيجات المختلطة، وتشجيع العلاقات بين جامعات البلدَيْن.

إنني أسمع ـ منذ الآن ـ أصواتًا تقول: «إننا لم نستطع ـ حتى الآن ـ تسوية مشاكلنا على المستوى الداخلي، فكيف لنا أن نتصدى لمشاكل على المستوى الإقليمي؟ يجب عليَّ أن أعترف بأن جهازنا الحكومي أصبح فاقدًا للقدرة على الإبداع، وليست لديه القدرة والحيوية المطلوبة للعمل نحو تحقيق هذا التكامل المنشود. إن الإنسان لا ينجز الأشياء التي لا يسعى إليها في الأساس.

القاهرة: الثلاثاء، ٢٦ إبريل ١٩٨٣

وصل جورج شولتز إلى القاهرة وبرفقته وفد مهم. أجرى لقاءً مغلقًا مع الرئيس مبارك لمدة ساعَتْين؛ بعده، عقدنا اجتماعًا موسعًا حضره كل المساعدين. استكملنا المناقشات ـ بعد الظهر ـ في مبنى وزارة الخارجية، وفي المساء، أثناء حفل عشاء أُقيم تكريم للضيوف، وجلس شولتز إلى يميني وتحدثت إليه عن لبنان وفلسطين، وعن المعونة المالية التي تقدمها واشنطن لمصر؛ لكن وزير الخارجية الأمريكي بدا شارد الذهن إلى حد ما. أعتقد وجهة النظر الإسرائيلية إزاء هذه القضايا أقرب إلى نفسه وعقله من وجهة النظر المصرية.

القاهرة: الأربعاء، ٢٧ إبريل ١٩٨٣

الأيام تتوالى لكنها لا تتشابه. في الصباح أجريتُ مباحثات مع وفد من نيجيريا. صَرَّح لي رئيس الوفد أنه مكلَّف بمهمة دينية ألا وهي الدفاع عن الإسلام في نيجيريا ضد المسيحية. تردَّدتُ في الإفصاح بأنني قبطي، ولم أشأ إحراجه، فاستمعتُ بهدوء لروايته عن الوحي الذي جاءه وطلب منه القيام بالحرب المقدسة من أجل «أسْلَمَة» أفريقيا والعالم.

القاهرة: الجمعة، ٢٠ مايو ١٩٨٣

ستيف كوهين أستاذ جامعي أمريكي ساعدني على فهم كل ما يتعلَّق بالسياسة الإسرائيلية، وباح لي بانطباعاته عمّا رآه في رحلته الأخيرة إلى إسرائيل:

الموقف يزداد تدهورًا في الضفة الغربية، سعد حداد عميل إسرائيل في جنوب لبنان أصبح ضعيفًا جدًا، إستراتيجية شارون الصلبة فشلت تمامًا، إذا لم تتدخل الولايات المتحدة بقوة فإن الوضع سيزداد تدهورًا. للأسف، فإنني متفق معه في هذه التوقعات على تشاؤمها الشديد.

الخرطوم: الاثنين، ٢٣ الأربعاء، ٢٥ مايو ١٩٨٣

قام الرئيس مبارك بزيارة جديدة للسودان. في هذه المرَّة سيشارك في ذكرى عيد الثورة السودانية، وسيُصَدِّق على اتفاق التكامل بين البلدَيْن، وسيحضر الاجتماع الأول للبرلمان المصري ـ السوداني المشترك وقد قوبلت زيارة الرئيس بعروض عسكرية، وخطب حماسية، وأغان وطنية، ورقصات شعبية. هذا الحماس قد يجعل الناس تتصور أن الوحدة قد تمت فعلًا بين مصر والسودان؛ في حين أننا ما نزال في بداية مسيرة طويلة جدًا، ومعقَّدة للغاية، ونتيجتها غير مؤكَّدَة، ولم نتخذ بعد أي إجراء عملي لبناء هذه الوحدة فعلًا.

روما: الخميس: ٢ يونيو ١٩٨٣

في مطار روما، استقبلني أحمد صدقي، سفيرنا المعتمد لدى إيطاليا، ومحسن الديواني، سفيرنا المعتمد لدى الفاتيكان. هذان الديبلوماسيان اللامعان متفاهمان تمامًا، وهذا برهان إضافي يُثبت ذكاءهما. ففي أغلب الأحيان، تكون العلاقات متوترة بين السفيرَيْن المعتمدَيْن في عاصمة واحدة. أخبراني بأن السلطات الإيطالية قد اتخذت احتياطات أمنية إضافية لضمان سلامتي؛ وذلك بعد أن ضَبَطَت مجموعة إرهابية مكَوَّنة من ثلاثة ليبيين وثلاثة فلسطينيين خطَّطوا لاغتيالي.

استقبلني وزير الخارجية الإيطالية ـ إيميليو كولومبو ـ في «الكيرينال». ناقشت معه الوضع في الشرق الأوسط، ومؤتمر القمة المقبل الذي ستعقده «منظمة الوحدة الأفريقية» في أديس أبابا. أكدت على مسامعه ضرورة أن تتحرك إيطاليا نحو دول

أوروبية أُخرى للاستناد على تقديم مبادرة جماعية جديدة لصالح الفلسطينيين؛ لكنه أبدى تحفُّظًا شديدًا على هذا الاقتراح، فهو يرى ضرورة التحلِّي بالصبر، وأشار إلى أن عامل الزمن سيكون في صالح الفلسطينيين.

روما: الجمعة، ٣ يونيو ١٩٨٣

سلمتُ بابا الفاتيكان رسالة من الرئيس مبارك، وكنت قد أعددتُ هذه الرسالة وكتبتُها ـ باللغة الإنجليزية ـ بالاشتراك مع أسامة الباز. قرأ البابا جان ـ بول الثاني الرسالة ببطء، ثم استمع إليَّ وهو مُتْعَب، وأنا أحدثه عن المشاكل الخاصة بفلسطين وأفريقيا. بدا عليه النشاط بعد قليل عندما تناولتُ موضوع علاقة مصر بالاتحاد السوفييتي.

غداء مع سفيرنا المعتمد لدى الفاتيكان. تناقشتُ مع الكاردينال كاسارولي حول العلاقات بين المسيحية والإسلام. بعد الظهر، قابلتُ مالفاتي، وهو ديبلوماسي إيطالي لامع يتابع كل مشاكل العالم العربي وتحدثنا بإسهاب حول هذه القضايا. قَدَّم لي تحليلًا دقيقًا وعمليًا:

لن يتحسن الوضع طالما أن الولايات المتحدة لم تقرر التدخل، دور أوروبا سيقتصر على حث الولايات المتحدة لتتخذ قرار التدخل، في هذا الملف، لا تملك أوروبا التأثير الكافي لكي تدَّعي قدرتها على القيام بأي دور آخر.

أديس أبابا: الأحد، ٥/ الأحد، ١٢ يونيو ١٩٨٣

وصلتُ إلى أديس أبابا لحضور مؤتمر قمة «منظمة الوحدة الأفريقية». أشعُر بالسعادة دائمًا عندما أزور العاصمة الإثيوبية؛ فأنا أُحب جدًا جوها النقي، والمناظر الطبيعية للجبال المكسوَّة باللون الأخضر وحميمية هذا الشعب الذي ليس له نصيب يذكر من الثروة ولكنه يتصف بالكرم والشموخ.

التقيتُ بغالبية رؤساء الدول والحكومات الأفريقية: عمر بونجو رئيس الجابون الذي كان متضايقًا وغير منتبه، ورئيس ليبريا ويليام تولبرت الذي لا تفارقه الابتسامة ولا يغيب عنه روح التفاؤل، وسيكو توري رئيس غينيا وهو ماركسي حتى النخاع، ولديه قناعة بأن الماركسية هي التي ستنقذ أفريقيا، وآراب موي رئيس كينيا الذي

خفَّف من استبداده، وجوليوس نيريري رئيس تنزانيا الذي يتمتع بالنشاط والحيوية والتيقظ. ونقلت إليهم جميعا تحيات الرئيس مبارك وأسفه لعدم تمكنه من المشاركة في هذه القمة.

ما الذي يتبقى في الذاكرة عن هذا المؤتمر؟ المشادة العنيفة التي نشبت بين سيكو توري وجوليوس نيريري، وهي أعنف من المشادة التي كانت قد اندلعت سنة ١٩٧٨ في مؤتمر الخرطوم عندما عارض سيكو توري المشروع الذي كان قد قدمه ليوبولد سنجور لإصدار «الإعلان الأفريقي لحقوق الإنسان»، المناقشات العاصفة حول التدخُّل الليبي في تشاد، عزل المغرب عن مناقشة ملف الصحراء الغربية، وفي النهاية تلك الجلسة الطويلة للغاية التي استمرت لوقت متأخر من الليل للتصويت على انتخاب واحد من المرشحَيْن لشغل منصب السكرتير العام للمنظمة: المرشح الجابوني أُوكومبو، أو آليون بلوندين بييه المرشح عن مالي.

الخرطوم: الأحد، ٢٦ يونيو ١٩٨٣

بدأتُ ـ هذا الصباح ـ جولتي الأفريقية بزيارة السودان. توقَّفت الطائرة في أسوان لأسباب لم يعلن قائد الطائرة عنها. وصلت درجة الحرارة في أسوان إلى ٤٦ درجة مئوية، وكان الجو جافًا بدرجة يشعر المرء معها أنه أصبح مجففا. وصلتُ إلى الخرطوم وسط عاصفة رملية كانت تحجب الرؤية. عند هبوط الطائرة، صَفَّق معاوني عمران الشافعي وسامي ثابت وسعد الفرارجي وعلي ماهر عندما حطت الطائرة على أرض المطار. هل كان تصفيقهم إعجابًا بالطيار؟ أم بسبب انفراج هذا الوضع الصعب؟ بالتأكيد للسبَبْين؛ خصوصًا أننا كنا جميعا خائفين للغاية بسبب سوء الأحوال الجوية.

في المساء ألقيتُ محاضرة أمام كوادر الحزب الحاكم في السودان حول «السياسة المصرية ـ السودانية في أفريقيا».

الخرطوم / نيجامينا / ياوندي: الاثنين، ٢٧ يونيو ١٩٨٣

قطعنا المسافة بين الخرطوم ونيجامينا في حوالي أربع ساعات، تقابلتُ مع حسين حبري الذي بدا واثق من نفسه ومتفائلًا، ومع إدريس ميسكيني الذي كان

مُرْهَقًا ومتشائمًا. لن تستطيع تشاد الخروج من هوة التخلُّف إلا باكتشاف البترول في أراضيها. تناولنا غداءً خفيفًا عند السفير المصري.

بعد ذلك استقلينا الطائرة إلى ياوندي عاصمة الكاميرون، حيث كان ينتظرنا كوندري بومبو السفير السابق للكاميرون في القاهرة، وإسماعيل مبارك وهو واحد من ألمع ديبلوماسيينا. اصطحب بومبو معه زوجته روزيت، وهي صديقة حميمة لزوجتي ليا. عُيِّن بومبو في منصب وزير الشباب. أشعر بود شديد تجاه هذا الرجل المرح؛ إنه حليف مخلص لمصر ويحبها ويعرفها جيدًا، ويهتم دائمًا بالدفاع عن مصالحها في حدود صلاحياته. تذكرنا معًا السهرات الممتعة التي كان يُنظمها في مقر إقامته بالقاهرة.

ياوندي: الأربعاء، ٢٩ يونيو ١٩٨٣

مباحثاتي مع رئيس الوزراء، وهو شخص يقظ، أوضحت لي أنه قد درس بعناية الملفات التي كنا بصدد التطرق إليها: المنح الدراسية من جامعة الأزهر، دعم منظمة الوحدة الأفريقية وحركة عدم الانحياز، الدفاع عن وحدة أراضي تشاد ودعم حسين حبري، المطالبة بانسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي المحتلة، والمطالبة بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني.

لقاء مع بول بيا، رئيس الجمهورية الجديد. سلمتُه رسالة من الرئيس مبارك يدعوه فيها لزيارة مصر. عرفتُ بول بيا منذ أن كان يتولى منصب رئيس الوزراء. وهو مسيحي من منطقة الساحل بينما كان سلفه أحمدو أهيدجو مسلمًا من المناطق البعيدة عن البحر. على الرغم من وجود هذه الاختلافات بين الرجلَيْن، إلَّا أنهما نجحا في حفظ التوازن بين القبائل وبين الأديان المختلفة.

ليبرفيل: الجمعة، أول يوليو ١٩٨٣

استقبلني الرئيس عمر بونجو في قاعة كبيرة شديدة البرودة بسبب تكييف الهواء الشديد. كان يجلس على مقعد أشبه ما يكون بعرش صغير ويرتدي عباءة واسعة من الصوف الأحمر ليتقي شر البرودة. رافق الوفدَ المصري مارتان بونجو وزير الخارجية ونائب رئيس الوزراء وابن عم الرئيس.

سلمتُ عمر بونجو رسالة من الرئيس مبارك يدعوه فيها لزيارة القاهرة. وتحدثتُ معه عن أهمية العلاقات التي تربط الجابون بمصر. ثم انتقل النقاش إلى نتائج مؤتمر أديس أبابا. وكان بونجو مؤيدا لتشاد ويُدين بشدة العدوان الليبي عليها. تناولنا أيضًا موضوع استقلال ناميبيا الوشيك، وإلغاء نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، ومشاكل الشرق الأوسط، والوضع في لبنان وفي فلسطين. وكان في اللقاء متسع من الوقت سمح لنا بالتطرق بالحديث إلى العلاقات بين كلية الطب بجامعة الإسكندرية ونظيرتها في جامعة ليبرفيل.

عند خروجنا من القصر الجمهوري، دعانا مارتان بونجو لاحتساء الشمبانيا في حانة تملكها أُسرة الرئيس.

فرانسفيل: السبت، ٢ يوليو ١٩٨٣

غادرنا ليبرفيل إلى فرانسفيل في طائرتَيْن: مارتان بونجو ووفده في طائرة بينما كنا مع الوفد المصري في طائرة منفصلة. أقام حاكم فرانسفيل حفل استقبال رائعًا ـ يليق بأجواء هوليوود ـ استمر لساعة متأخرة من الليل وأحياه مئات من الراقصين. همس مارتان بونجو في أذني قائلًا:

«ـ من حقك أن تلقى المعاملة التي يلقاها رؤساء الدول أثناء زياراتهم الرسمية». ثم أضاف بحرارة: «بالنسبة لي، أنت أهم من أي رئيس دولة».

لامباريني: الأحد، ٣ يوليو ١٩٨٣

زرتُ منزل الدكتور شفايتزر، ثم وقفت على قبره وبعد ذلك زرتُ المستشفى الذي يحمل اسمه. اندهشتُ جدًا لوجود طبيب من الجابون ومعه طبيبة مصرية، وبديا لي أنهما متزوجين. سألتُ مرشدنا ـ حاكم لامباريني ـ عما إذا كانا فعلًا متزوجَيْن، فرد علي قائلًا:

«ـ لا. وحتى لو أرادا الزواج، فلن يستطيعا ذلك لأن قوانيننا تمنع زواج المسلمين بالمسيحيات». فقلتُ له:

«ـ في مصر، يمكن زواج المسلم من المسيحية؛ لكن المسلمة لا تتزوج من مسيحي إلا إذا أشهر إسلامه».

إن الزواج المختلط يطرح دائمًا مشاكل حساسة في مصر، لكن تركيا تخلصت منها بفضل العلمانية.

في المساء، دعانا حاكم لامباريني لقضاء سهرة لم تكن بنفس مستوى سهرة الأمس في فرانسفيل. صرَّحتُ بهذه الملحوظة لمارتان بونجو الذي نصحني بعدم إجراء أية مقارنات ـ فالعلاقات متوترة بين الرجلَيْن ولا تحتاج لمشاكل إضافية.

ليبرفيل: الاثنين، ٤ يوليو ١٩٨٣

عدنا إلى ليبرفيل. تناولنا الغداء مع الرئيس عمر بونجو الذي كان مسترخيًا تمامًا. حكى لنا عن زيارته الأخيرة للصين وعن لقاءاته مع أهم رؤساء الدول الأفريقية.

بعد الظهر، مباحثات مع سفير الولايات المتحدة الذي سلمني رسالة من واشنطن، وهي عبارة عن تحليل موجز للوضع في أنجولا. لا أخفي إعجابي بالمهارة التي تعمل بها الدبلوماسية الأمريكية.

حضرتُ حفل استقبال في السفارة المصرية أقامه المستشار وزوجته وغاب عنه السفير. كانت سهرة مُحبطة للغاية. يا له من فارق كبير يفصله عن سفيرنا في الكاميرون! صارحتُ معاونيَّ بذلك، لكنهم وفي إطار حرصهم إبداء الاحترام لمن هو أعلى منهم في السلم الوظيفي وحرصهم الدفاع عن «الوزارة» أرجعوا هذا الفارق إلى أن حفل الاستقبال هذا قد نظَّمه أحد المستشارين وليس أحد السفراء كما كان الحال في الكاميرون.

ليبرفيل / لواندا. الثلاثاء، ٥ يوليو ١٩٨٣

أنهينا هذه الزيارة للجابون بالتوقيع على بيان مشترك طويل، وأُلقيت خطبٌ وتم تقديم شمبانيا ممتازة. تم ذلك كله في الساعة التاسعة صباحًا. كان مارتان بونجو متأثرًا للغاية واحتضنني.

سافرنا بعد ذلك إلى لواندا حيث استقبلنا وزير الخارجية ـ باولو جورج ـ وهو ابن زواج مختلط وماركسي صميم يتمتع بالذكاء. وتعطي ملامح جورج باولو الانطباع بأنه برتغالي أكثر من كَوْنه أنجوليًا.

وضعتُ باقة من الزهور على قبر أُوجستينو نيتو. مع وجود عرض عسكري اشتركت فيه القوات وهي تمشي بخطوات بطيئة. تذكرتُ أنني كنت قد اقترحتُ على الرئيس السادات في قمة مونروفيا مقابلة الرئيس أوجستينو نيتو بصفته واحدًا من الزعماء التاريخيين لأفريقيا، لكن السادات انفجر فيَّ غاضبًا: «يا بطرس، إنني لن أُقابل شيوعيًا».

وقد أخطأت بإلحاحي على هذا الطلب، فغضب السادات مني بشدة؛ ولحسن حظي، فإن غضبه عليَّ لم يستمر.

تناولنا طعام العشاء في مطعم سيئ جدًا في ضواحي لواندا. علاقاتي بباولو جورج ليست سلسة منذ فترة طويلة، فغداة قمة «منظمة الوحدة الأفريقية» في مونروفيا، تقابلنا في الطائرة نفسها المتجهة إلى جنيف. كان فظًّا عندما قال لي:

«ـ لقد نَجَت مصر في مونروفيا، لكنها لن تنجو بمثل هذه السهولة في مؤتمر الدول غير المنحازة الذي سيُعقَد في هافانا حيث إن أغلبية الدول المشاركة ستثبت أنكم قد خنتم العالم الثالث بسياستكم التي اتبعتموها في كامب ديفيد».

هذا المساء، جاءتني فكرة شريرة: قلتُ له إن أفكاره مستقصاة من فيدل كاسترو، وإن الماركسية قد عفا عليها الزمن. وقد تضايق جدًا مما قلتُه له.

لواندا: الأربعاء، ٦ يوليو ١٩٨٣

استقبلني إدواردو دوس سانتوس ـ رئيس الجمهورية ـ وهو شاب ذكي تولى الحكم منذ فترة قليلة. استمع إليّ بانتباه وانفتاح. أبلغته برسالة الرئيس مبارك إليه: إن مصر تُساند أنجولا في معركتها ضد جنوب أفريقيا، وترفض ربط موضوع استقلال ناميبيا بموضوع رحيل الجنود الكوبيين من أنجولا.

كان الحديث بيننا يدور باللغة الفرنسية.

وعرض الرئيس الشاب ـ بوضوح ودقة ـ موقف أنجولا إزاء مختلف الملفات التي تناولناها: الحرب الأهلية، ناميبيا، سياسة الفصل العنصري في جنوب أفريقيا... إسرائيل.

بعد الظهر أعددنا ـ باولو جورج وأنا ـ بيانًا مشتركًا بإدانة العدوان الإسرائيلي على لبنان، وتأكيد دعمنا لمنظمة التحرير الفلسطينية ومنظمة سوابو في ناميبيا.

لواندا/كينشاسا: الخميس، ٧ يوليو ١٩٨٣

سافرتُ إلى كينشاسا لمقابلة صديقي كاماندا ـ وزير الخارجية ـ الذي سيرافقني حتى جوما؛ وهي مدينة تقع في شرق هذه البلاد الفسيحة، حيث كنا سنقابل الرئيس موبوتو. أثناء حفل العشاء الرسمي، ألقى كاماندا خطبة طويلة أعدها له معاونوه فيما يبدو. لم أكن أتوقع ضرورة الرد عليه، فارتجلتُ كلمة عن «السلام والتنمية».

طوال هذه الرحلة الأفريقية، كنتُ على اتصال هاتفي مستمر بأشرف غربال في واشنطن، وسمير صفوت في باريس، لكي يخبراني بما يحدث في العالم. في هذا المساء، أبدى السفيران تفاؤلًا إزاء التطورات الجارية وذلك رغم أنهما لم يكونا على اتصال للتنسيق بما يخبراني به.

جوما: الجمعة، ٨ يوليو ١٩٨٣

سافرنا بطائرتَيْن إلى جوما. استمرت الرحلة أكثر من ثلاث ساعات مما يدُل على اتساع مساحة زائير. وجوما مدينة صغيرة تقع على ارتفاع ٩٠٠ متر عن سطح البحر وتطل على بحيرة كيفو. في عهد الاستعمار البلجيكي، كانت جوما بمثابة «الكوت دازور» الأفريقية.

لم يتبق من هذا الماضي سوى فندق متداعٍ. قضينا سهرة ممتعة مع كاماندا ومساعديه.

جوما: السبت، ٩ يوليو ١٩٨٣

سلمتُ الرئيس موبوتو رسالة من الرئيس مبارك. رئيس زائير منشغل جدًّا بسبب تدهور الوضع في تشاد. لكي نتفادى انهيار نظام حسين حبري، يجب ـ فورًا ـ تشكيل قوة تدخُّل عسكري مشتركة من مصر والسودان والمغرب؛ أو تشكيل قوة تدخل دولية أفريقية. طلب موبوتو مني الإلحاح على الرئيس مبارك لكي تأخذ مصر المبادرة وتقود هذه العملية. تجنبتُ أن أقول له إن مثل هذا المشروع غير واقعي تمامًا وإن الرئيس مبارك لن يوافق عليه.

سافرتُ من جوما إلى كيجالي، والتي تقع على بُعد ٣٠ دقيقة بالطائرة. وضعتُ حجر الأساس للمبنى الذي سيكون مقرًّا للسفارة المصرية، وزرعتُ ثلاث شجرات. في حفل الاستقبال، تمت دعوة كل الشخصيات البارزة في كيجالي. قررتُ إنشاء مقر جديد للسفارة المصرية في بوروندي، وإنشاء مبانٍ ملحَقَة به لإسكان المعارين المصريين. الأمر يتعلق بتقوية الوجود المصري في باقي دول حوض النيل، فعلى المدى القصير أو المتوسط، ستتعرض مصر لمخاطر كبيرة مرتبطة بإمداداتها من المياه. أنا لا أتوانى أبدًا عن تذكير زملائي بأن مصر تقع في مصب نهر النيل وأن الدول الأفريقية هي دول المنبع.

كيجالي / الخرطوم: الاثنين، ١١ يونيو ١٩٨٣

سلمتُ الرئيس جوفينال هابياديمانا رسالة من الرئيس مبارك وشكرني بدوره لوجود المعارين المصريين في بلده؛ مشيرًا إلى أن عددهم كافٍ، وأنهم جميعًا يتمتعون بالكفاءة.

أنهيت هذه الجولة من حيث بدأتها؛ أي في السودان. وصلتُ إلى الخرطوم حيث استقبلني محمد الميرغني، وزير الخارجية. عقدتُ مؤتمرًا صحفيًّا مطولًا تحدثتُ فيه عن أهم ما حدث في هذه الجولة الأفريقية.

الخرطوم: الثلاثاء، ١٢ يوليو ١٩٨٣

أخبرني الرئيس النميري أن كلود شيسون ـ وزير خارجية فرنسا ـ اقترح إيفاد خبراء عسكريين ـ مصريين وسودانيين ـ إلى ناجامينا، وكلفني بنقل هذه الفكرة للرئيس مبارك.

فور عودتي للقاهرة، تحدثتُ هاتفيًّا مع الرئيس مبارك وقدمتُ له تقريرًا أوليًّا موجزًا عن اللقاءات التي أجريتُها في هذه الجولة. بدا الرئيس راضيًا وحَدَّد لي موعدًا لكي نتحدث بالتفصيل. أخبرني أنه غير موافق ـ بصورة أولية ـ على إرسال خبراء عسكريين مصريين إلى تشاد.

القاهرة: الأربعاء، ٢٠ يوليو ١٩٨٣

عُقد اجتماع مهم للجنة الشئون الخارجية في الحزب الوطني الديموقراطي

بالمدرَّج الكبير لكلية الآداب بجامعة القاهرة. قدمتُ تحليلًا لسياستنا الخارجية وضعتُ فيه أفريقيا في قلب اهتماماتنا.

وجاء هذا العرض مخالفًا لما طرحه الفريق كمال حسن علي الذي يرى أن الأولوية المطلقة يجب أن تكون للعالم العربي. لم يلحظ أحد من الحاضرين مطلقًا وجود هذا الاختلاف التام في وجهتيْ نظر الوزيرَيْن المسئولَيْن عن سياسة مصر الخارجية.

ومع ذلك، علينا الإقرار بوجود تشابك وتداخُل بين أفريقيا والعالم العربي، وبين دول المغرب العربي ـ التي تقع في أفريقيا ـ ودول المشرق العربي، التي تقع في آسيا. وفي الواقع، فإن مصير مصر مرتبط تمامًا بالمأساة الفلسطينية التي تهز العالم العربي مثلما هو مرتبط بالقضايا الخاصة بالسودان ودول حوض النيل التي تمدنا بحصتنا من مياه النيل. وإذا توافَرَت لدينا الإمكانات، وبالأحرى لو توافَرَت لدينا الإرادة السياسية، فستستطيع مصر أن تتواجد بقوة على الجبهتَيْن معًا وفي وقت واحد. أما إذا حدث العكس، فلا بُد من الاختيار، وبالنسبة لي شخصيًّا، فسأختار أفريقيا؛ وفي الوقت نفسه، لن أنسى أهمية أوروبا التي احتلتنا ولكنها ما تزال ـ بالنسبة إلينا ـ هي المصدر الأساسي للتحديث.

القاهرة: الخميس، ٢١ يوليو ١٩٨٣

ألقى الرئيس مبارك خطبة أمام البرلمانيين بمناسبة الذكرى الحادية والثلاثين للثورة. ارتجل بسهولة كلمة عن مجموعة من المواضيع التي تهم الرأي العام ولم تخلُ خطبته من تعليقات مرحة تترك أثرها في نفس مستمعيه. أشار الرئيس إليَّ بإصبعه وقال وهو يبتسم ابتسامة عريضة: « ـ تتحدث الصحافة كثيرًا عن أن بعض المقاولين يريدون تحويل ملاعب الجولف في نادي الجزيرة إلى ساحات لانتظار السيارات. لكن، مَنْ منا يلعب الجولف باستثناء بطرس غالي؟».

ضجَّت القاعة بالضحك. لا يستطيع المرء الهروب من العادات الاجتماعية للطبقة التي ينتمي إليها.

القاهرة: الجمعة، ٢٢ يوليو ١٩٨٣

أبلغني روي آثرتون ـ سفير الولايات المتحدة في القاهرة ـ بأن واشنطن قد

قرأت باهتمام البيان المصري ـ الأنجولي المشترك الذي صدر أثناء زيارتي للواندا. ولكنه لفت نظري إلى أن هذا البيان لم يُشر بالمرة إلى التعاون المشترك بين البلدَيْن في مجال البترول. أعترفُ بأن مباحثاتي مع باولو جورج لم تتطرق إلى هذا الموضوع.

القاهرة: الأحد، ٢٤ يوليو ١٩٨٣

احتفلنا اليوم بمرور ٢٠٠ سنة على ميلاد سيمون بوليفار وكنت قد اضطررتُ لإجراء اتصالات لا تُحصى ومساعي عديدة لدى سلطات المدينة للحصول على موافقتها لإقامة تمثال لمحرر أمريكا اللاتينية في مدخل حي جاردن سيتي الراقي. أعتقدُ أن عددًا قليلًا من ديبلوماسيينا ـ وعددًا أقل من مواطنينا ـ يعرفون مَنْ هو سيمون بوليفار. في الصباح، وضعتُ باقة من الزهور على قاعدة التمثال، بينما كنتُ محاطًا بسفراء دول أمريكا اللاتينية. في المساء، حضرتُ حفل الاستقبال الذي أقامته سفارة فنزويلا بهذه المناسبة.

بعد الظهر، استقبلتُ شيمون شامير، مدير معهد الأبحاث الإسرائيلي بالقاهرة. بناءً على الاتفاقيات التي وقعتُها مع الإسرائيليين ـ في إطار تطبيع علاقاتنا ـ فقد كان من المقرر أن تفتتح مصر معهدًا في تل أبيب. كان الهدف هو نسج علاقات ثقافية وسياسية مع الفلسطينيين الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية. نَفَّذ الإسرائيليون فورًا هذا المشروع بينما بقينا نحن عاجزين عن افتتاح مركز لنا في إسرائيل على الرغم من الجهود التي بذلتُها. شيمون شامير مثقف يتصف بالمثالية ويشعر بالحيرة إزاء تدهور العلاقات بين مصر وإسرائيل، وهو ما يزال يؤمن بأهمية إجراء حوار عربي إسرائيلي بين المثقفين، لكنه ينسى أن السلطة ـ في بلديْنا ـ تقع في يد عسكريين؛ الذين ينظرون إلى الأمور من زاوية مختلفة مبنية بالأساس على مشاكل الأمن الداخلي والخارجي للبلاد.

القاهرة: الخميس، ٢٨ يوليو ١٩٨٣

تلقيتُ برقية من سفيرنا في الخرطوم يخبرني فيها بأن موبوتو ينوي القيام بزيارة للسودان في منتصف شهر أغسطس تقريبًا. اقترحتُ فورًا على الرئيس مبارك عقد لقاء قمة ثلاثية في الخرطوم، مع إمكانية دعوة ميلتون أوبوتي رئيس أوغندا للمشاركة.

ومن بين المواضيع التي يمكننا بحثها في هذا الاجتماع: إنشاء شبكة كهربائية مشتركة، وربط سد إنجا في زائير بخزان أسوان.

أيَّد الفريق كمال حسن علي مبادرتي، لكن الرئيس ظل حذرًا: «ينبغي أن نتأكد ـ أولًا ـ من أن موبوتو سيحضر فعلًا إلى الخرطوم.».

برازافيل: الخميس، ٤ أغسطس ١٩٨٣

استقبلني بيير نيزيه، وزير خارجية الكونغو، في المطار. إنه رجل حكيم ومتزن ومتشبع بالثقافة الماركسية بصورة تُضفي عليه شعورًا واضحًا بالثقة، وهو في الوقت نفسه يتمتع بالثقة بقدرته على تحليل المشاكل؛ وبالتالي، فإنه يستطيع الادعاء بقدرته على حلها.

تناولنا عشاءً رسميًّا في نادي الحزب الحاكم. ألقى نيزيه خطبة رائعة من المؤكَّد أنه استغرق وقتًا طويلًا في إعدادها. أخشى ألا تكون خطبتي على المستوى نفسه.

برازافيل: السبت، ٦ أغسطس ١٩٨٣

سلمتُ للرئيس ساسو نجيسو رسالة من الرئيس مبارك يدعوه فيها للقيام بزيارة رسمية لمصر. فيما بعد، وقَّعنا ـ بيير نيزيه وأنا ـ بيانًا مشتركًا طويلًا جدًّا أكدنا فيه مجددًا على أهمية التعاون الثقافي والتقني الذي يربط بيننا منذ عدة سنوات، وعلى دعمنا لمنظمة سوابو بصفتها الحزب الوحيد الممثل لشعب ناميبيا، وكذلك على دعمنا ـ غير المحدود ـ لشعب جنوب أفريقيا في نضاله ضد نظام الفصل العنصري. كما أشار البيان كذلك لدعمنا ـ غير المحدود ـ للشعب الفلسطيني لإنشاء دولته المستقلة. وذكر البيان أيضًا ضرورة العمل لجعل البحر المتوسط والمحيط الهندي منطقتي سلام؛ وهذه إشارة إلى أن اهتمام بلديْنا لا يقتصر فقط على القارة الأفريقية. إن ثقافة بيير نيزيه الماركسية هي التي جعلت مصر والكونغو ينفتحان على مشاكل العالم.

بانجي: الأحد، ٧ أغسطس ١٩٨٣

في مطار بانجي، استقبلني شاب برتبة ملازم أول يرتدي زي قوات المظلات؛ إنه ميشيل ساليه. عرفتُ ـ فيما بعد ـ أنه وزير الخارجية وعضو «اللجنة العسكرية

للإصلاح الوطني». نزلتُ في فندق «روك» الذي يطل على النهر. حضرتُ استقبالًا رسميًّا، وتناولتُ عشاءً رسميًّا، واستمعتُ إلى خطبة رسمية. بدأتُ أشعر بالتعب.

بانجي / ندجامينا: الثلاثاء، ٩ أغسطس ١٩٨٣

لقاء مع الجنرال كولينجا ـ رئيس الجمهورية ـ وهو رجل لا يتمتع عادة بأي درجة من درجات الود. استغرق وقتًا طويلًا قبل أن يستوعب رسالة الرئيس مبارك إليه. رأيته يضع خطًّا أحمر تحت الفقرة التي تدعوه لزيارة مصر. أخيرًا، تهلَّل وجهه بالفرح عندما قدمتُ له هدية من الرئيس مبارك: صينية كبيرة من الفضة. مهمة النوايا الحسنة ـ التي قمتُ بها ـ انتهت بشكل أفضل مما بدأت به.

أخذتُ الطائرة فورًا إلى تشاد. كان وزير الداخلية منشغل البال بتطورات الوضع، وسفير الولايات المتحدة الذي حرص على لقائي يشاطره هذا القلق. ولم تسنح لي الفرصة للقاء حسين حبري المستاء من موقف مصر السلبي إزاء المشاكل التي يتعرَّض لها.

غادرت إلى باريس متطلعًا.

زيوريخ / القاهرة: الجمعة، ١٢ أغسطس ١٩٨٣

في الطائرة التي أقلَّتني إلى القاهرة، قابلتُ سيدة تشبه أمي: إنها زوجة فؤاد الصواف. قالت لي: «ـ أريد أن أعبر لك عن مدى إعجابي بك وبما تفعله».

تأثرت للغاية بما قالته؛ وبسبب هذا التأثر البالغ، وبسبب شعوري بالإرهاق فقد دمعت عيني وتخيلتُ ـ لوهلة ـ أمي وهي تكلمني.

القاهرة: الخميس، ١٨ أغسطس ١٩٨٣

تناولت العشاء مع عيزرا وايزمان والفريق كمال حسن علي وزوجتَيْهما. ولفتت زوجتي ليا نظري إلى أن علامات الزمن قد أثَّرَت على وايزمان أكثر مما أثَّرَت عليَّ.كان الجو وديًّا، ويكاد يكون عائليًّا، كما لو كنا نعرف بعضنا البعض منذ زمن طويل. اتفق الجميع على أن المشكلة الفلسطينية لن تُحل إلَّا بتدخل حاسم من قِبل الولايات المتحدة.

القاهرة: السبت، ٢٠ أغسطس ١٩٨٣

خلال تواجده في القاهرة اقترح عليَّ وزير خارجية السودان ـ محمد الميرغني ـ أن أثير مع حسن جوليد آبتيدون رئيس جمهورية جيبوتي الذي كان يُجري زيارة رسمية لمصر إمكانية إعادة العلاقات الدبلوماسية بين بلدينا. هذا الاقتراح قد يهمه للغاية، وخصوصًا أن السودان ليس له تمثيل ديبلوماسي في جيبوتي.

القاهرة: الاثنين، ٢٢ أغسطس ١٩٨٣

التقيتُ بالرئيس حسن جوليد آبتيدون. إنه رجل قوي البنيان، واثق جدا من نفسه، ومعتاد على مخاطبة مستمعيه بدون الكثير من الرسميات، وكثيرًا ما يتسبب حديثه الصريح والمباشر هذا في مضايقة نظرائه الأفارقة.

تحدثتُ معه ـ حسبما نصحني الميرغني ـ عن إمكانية إعادة العلاقات بين بلدينا. بدأ جوليد يشتكي من السودان الذي أغلق سفارته في جيبوتي لأسباب مالية. وفيما يتعلَّق بالعلاقات الدبلوماسية بين مصر وجيبوتي، اقترح عليَّ أن نتحدث عن هذا الموضوع قبل نهاية هذا العام. تضايقتُ، لكنني لم أُظهر له ذلك: فقد كنتُ أريد أن ألفت نظره إلى أن جيبوتي هي التي تحتاج لمصر وليس العكس.

القاهرة: الثلاثاء، ٢٣ أغسطس ١٩٨٣

مباحثات مع إسحاق مودعي، وزير البترول الإسرائيلي، الذي قال لي:

«ـ يجب إيجاد فكرة يلتف حولها الناس لإنهاء الحرب الباردة بين العرب وإسرائيل».

«ـ تفاوضوا مع الفلسطينيين؛ وعندئذ، سنحصُل على سلام حقيقي في العالم العربي. هذه هي الفكرة التي تحشد الناس حولها».

القاهرة: الخميس، ٢٥ أغسطس ١٩٨٣

ترأستُ مجلس إدارة «الجمعية الأفريقية» التي نستخدمها كغطاء لتقديم العون المادي والعسكري لحركات التحرر في أفريقيا. لقد ناضلتُ دائمًا لكي يُكتب تاريخ هذه الهيئة لإظهار الدور الأساسي الذي قامت به لتخليص أفريقيا من الاستعمار الأجنبي والحصول على الاستقلال لكل دولها من أقصى جنوب القارة إلى أقصى شمالها.

لكننا لا نحسن إيداع المعلومات في أرشيفنا، ولا الرجوع إلى هذا الأرشيف. وفي الواقع، فإننا نهمل تاريخنا، وهذه علامة من علامات التخلُّف الثقافي؛ وإلا، فكيف نفسر أن الباحثين الأجانب هم من يتولى مهمة كتابة تاريخنا؟!

القاهرة: السبت، ٢٤ سبتمبر ١٩٨٣

وقعتُ على البيان المشترك مع الملازم أول ميشيل ساليه، وزير خارجية دولة أفريقيا الوسطى. أكَّدنا على دعمنا ـ غير المحدود ـ للشعب الفلسطيني في نضاله من أجل إقامة دولته المستقلة. إن الدعم الذي ستقدمه بانجي للشعب الفلسطيني قد يبدو ضئيلًا، لكنه في النهاية يمثل خطوة صغيرة تليها خطوة صغيرة أُخرى ستؤدي كلها ـ في النهاية ـ إلى حشد الرأي العام العالمي لصالح الفلسطينيين.

القاهرة: الاثنين، ٢٦ سبتمبر ١٩٨٣

حصلتُ على موافقة الرئيس مبارك لكي تتقدم مصر للترشيح للعضوية غير الدائمة في «مجلس الأمن». إذا نجحنا، فسيكون ذلك بمثابة توجيه لطمة قوية للدول العربية التي ما تزال مستمرة في مقاطعة مصر مقاطعة ديبلوماسية. أما إذا فشلنا، فاللوم سيُوَجَّه لي وحدي لأنني تسببتُ في توجيه هذه الإهانة الجديدة لبلدي. لكن المكسب هائل ويستحق المخاطرة.

باريس: الجمعة، ٣٠ سبتمبر ١٩٨٣

التقيتُ بالرئيس عمر بونجو في فندق «الكريون». قلتُ له:

«ـ سيدي الرئيس، إن القاهرة في انتظاركم».

فرد عليَّ بلهجة متعالية:

«ـ يجب على مبارك أن يأتي ـ أولًا ـ لزيارتي في ليبرفيل: فأنا عميد رؤساء الدول الأفريقية».

في الليلة نفسها، اكتشفتُ أن رئيس توجو ـ إياديما ـ ينازع بونجو على هذا اللقب: «عميد رؤساء الدول الأفريقية».

وجدت نفسي إزاء مشكلة مزدوجة: كيف أعرف مَنْ منهما يستحق هذا اللقب؟ وفي حالة عدم حسم الأمر فأي من الرئيسين ستدعوه القاهرة أولًا لزيارتها؟

فيتل: الاثنين، ٣ أكتوبر ١٩٨٣

مثلتُ الرئيس مبارك في «قمة فرنسا ـ أفريقيا» التي تُعقَد ـ هذه السنة ـ في مدينة فيتل الفرنسية. هذه هي الفرصة التي أحلم بها للحصول على تأييد رؤساء الدول الأفريقية لانتخاب مصر في «مجلس الأمن».

تم افتتاح المؤتمر رسميا. دخل فرنسوا ميتران مُحاطًا باثنين من وزرائه. خصصوا له مقعدًا أكبر من باقي مقاعد نظرائه، لكنه رفض الجلوس عليه وأصر على أن يكون مقعده مماثلًا لمقاعد باقي الرؤساء المشاركين في القمة.

كنتُ قد طلبتُ من كلود شيسون دعوة السودان ـ لحضور هذه القمة ـ باسم الوحدة الوليدة بين مصر والسودان، فوافق على طلبي، وها هو ذا حسن الترابي ـ الذي يتكلم الفرنسية ـ يمثل الرئيس النميري. لو تُرِكَ لي الخيار، لما اخترته؛ فهو شخص يبالغ في تقديره لنفسه أحيانًا، كما أنه بالأساس أُصولي متعصب ويلعب دورًا ضارًّا جدا بالنسبة للسياسة السودانية. أثناء حفل العشاء، جلس الترابي عن يساري وولي عهد المغرب عن يميني. هذه هي المرة الأولى التي ألتقي فيها بولي عهد المغرب. خلال حديثه الممتع سألني:

«ـ كم لغة تتحدثونها يا معالي الوزير؟».

«ـ ثلاث لغات: العربية والفرنسية والإنجليزية».

«ـ أنا أتحدث أربعة بما أنني أتحدث الإسبانية أيضًا».

«ـ سموكم أكثر علمًا مني».

أما المحادثة مع حسن الترابي لم تكن سلسة في كل الأحوال؛ فأنا أعرف هذا الرجل.. يتخفى وراء عمامة الدين جيدًا أشار في حديثه إلى أن «أسلمة» أفريقيا يجب أن تكون لها الأولوية في مواجهة الاستعمار الديني الذي نشره المستعمرون القدامى.

فيتل: الثلاثاء، ٤ أكتوبر ١٩٨٣

استفدتُ من هذا اليوم لمقابلة أكبر عدد ممكن من رؤساء الدول الأفريقية لكي أطلب منهم الدعم لانتخاب مصر في مجلس الأمن. تباحثتُ مع بول بيا، وعبده ضيوف، وموبوتو.. على الرغم من الوعود التي حصلتُ عليها، إلَّا أنني أشعر بالقلق ـ فجبهة الرفض العربية ستحتفل بهزيمتنا أيَّما احتفال.

ستوكهولم: الثلاثاء، ٥ أكتوبر ١٩٨٣

حضرت إلى ستوكهولم بحثا عن دعم السويد لترشيح مصر للعضوية غير الدائمة في مجلس الأمن. يتسم ملك السويد الشاب بقدر من الخجل. استمع إليَّ باهتمام، وتحدث قليلًا وابتسم لدى توقفي عن الحديث ودعاني للاستمرار في سرد ما كنت بصدد قوله.

ستوكهولم: الأربعاء، ٥ أكتوبر ١٩٨٣

مباحثات مع أولاف بلمير حول ملف مجلس الأمن، والمشكلة الفلسطينية.

حضرتُ حفل استقبال ناجح في السفارة المصرية حيث تعرفتُ على برناديت ماجوريل، وهي ابنة أخ عمتي لويز ماجوريل التي كانت متزوجة من عمي واصف بطرس غالي. حدثتني طويلًا عن عمها ـ الرسام جاك ماجوريل ـ وهو يحظى بشهرة في مراكش أكثر من شهرته في باريس.

كوبنهاجن: الجمعة، ٧ أكتوبر ١٩٨٣

استقبلتني ملكة الدنمارك التي تبدو أكثر ثقة بنفسها من ملك السويد، سلمتُها دعوة من الرئيس مبارك لزيارة مصر.

خلال زيارتي لوزارة الخارجية طلبتُ دعم الدنمارك لانتخابنا في مجلس الأمن. بعد الظهر، ألقيتُ محاضرة في «مركز السياسة الخارجية». لدهشتي الشديدة، وجدتُ أن باحثي هذا المركز يعرفون الملف الفلسطيني أفضل مني.

تلقيتُ مكالمة هاتفية مقلقة من نيويورك: أخبرني عمرو موسى من هناك بأن الجزائر وليبيا تشنان حملة جادة لكي يتم انتخابهما في مجلس الأمن، وأن

علي التريكي ـ وزير الخارجية الليبي ـ قد تلقّى تعليمات «لكي يفعل كل شيء لإسقاط مصر».

القاهرة: الأربعاء، ١٩ أكتوبر ١٩٨٣

يقوم الرئيس نيكولاي شاوشيسكو بزيارة رسمية لمصر، رافقته خلالها قرينته لينا. وهي سيدة رقيقة البنية لكنها تتمتع بحيوية وقوة إرادة، ويبدو أنها تتحكم في سياسة بلدها وفي زوجها. كان شاوشيسكو مرهَقًا وقرأ خطبته بإلقاء رتيب وممل، وكانت المترجمة الفورية تقاطعه بترجمتها. أما حديث مبارك، فقد كان ممتازًا ومكتوبًا جيدًا، وألقاه بنبرة كلها حيوية. علّقتُ متسائلًا: «ـ أسامة الباز هو الذي أعَدَّ هذه الخطبة؟». فهمسوا في أذني بأن مساعدي الفريق كمال حسن علي هم الذين أعدوا هذا النص.

تحدث الرئيسان عن الموضوعات نفسها: دعم فلسطين، ومنظمة سوابو في ناميبيا، والسلام في لبنان، وأهمية العلاقات الاقتصادية والسياسية بين القاهرة وبوخارست.

القاهرة / بيروت: الجمعة، ٢٨ أكتوبر ١٩٨٣

يوم مضطرب وجديد في بيروت: الرئيس الجميل قلق ومتشائم. في المقابل، كان إيلي سالم ـ وزير الخارجية ـ في حالة جيدة ومتفائلًا جدًّا. تناولتُ الغداء مع إيلي سالم.

أحبطتني هذه الزيارة: فقد بدا لي أن الحرب الأهلية قد استوطنت لبنان، وبيروت منقسمة وممزقة بسبب التحالفات والتحالفات المضادة ـ وكلها تحالفات مؤقتة ـ بين مختلف القوى السياسية ـ الدينية التي تتقاسم السلطة بعضها مع بعض أو تتنازع عليها، والدبلوماسية المصرية تقف عاجزة عن التوفيق بين كل هذه الفصائل المتنازعة، فاكتَفَت بالقيام بزيارات سريعة للبنان هدفها الأول هو أن نبيِّن للرأي العام أننا لم نترك لبنان.

القاهرة: الاثنين، ٣١ أكتوبر ١٩٨٣

انتصار. انتصار. أيقظوني في الساعة الرابعة صباحًا ليخبروني بأننا قد فزنا في انتخابات مجلس الأمن: حصلت مصر على ١٢٦ صوتًا مقابل ٢٤ للجزائر وصوت

واحد فقط لليبيا، ربما يكون هو صوت علي التريكي نفسه. هذا الفوز أشعرني بفرحة غامرة لدرجة منعتني من النوم. من المؤكد أنه فوز مؤقت سننساه بعد قليل لكنه صفعة على وجه كل مَنْ يريدون عزل مصر وإهانتها.

الخرطوم، الخميس، ٣ نوفمبر ١٩٨٣

كلمة «أُوندوجو» تعني «الأُخُوَّة» باللغة السواحلية. اخترتُ هذا الاسم وأطلقتُه على «منظمة وحدة دول حوض النيل». هذه المجموعة ستجتمع اليوم للمرة الأُولى في الخرطوم ـ باستثناء مصر والسودان، لم نستطع إقناع جميع الدول بالحضور، فقد حضر وزراء خارجية أُوغندا وأفريقيا الوسطى وزائير فقط.

لم يُعد السودانيون لهذا المؤتمر إعدادًا جيدًا: فقد افتتح في الساعة الخامسة دون الإعداد المناسب لجدول الأعمال ودون حضور المترجمين اللازمين.

كتبتُ البيان الختامي للمؤتمر بمساعدة أقرب المعاونين إليَّ وهو السفير علي ماهر؛ الديبلوماسي اللامع. استعرض البيان الختامي المشاكل الأساسية في أفريقيا، لكنه تجنَّب بحرص الإشارة إلى الهدف الحقيقي لعقد هذا المؤتمر: حوض نهر النيل. ومع ذلك، فقد كانت هناك ثلاث نقاط إيجابية: اتفقنا على أن تعقد دول الأوندوجو اجتماعاتها بشكل دوري ومنتظم على أن يعقد الاجتماع القادم في كينشاسا في شهر أغسطس ١٩٨٤، وجَّهت المجموعة التهاني لمصر والسودان على الجهود التي يبذلها الطرفان لتحقيق التكامل بينهما، هذا التكامل الذي يمكن له أن يمتد ـ في المستقبل ـ ليشمل دول حوض النيل، ودعت مجموعة الأوندوجو باقي الدول الأفريقية للانضمام إليها.

ومع ذلك فإنني أعتقد بأن النتيجة الإجمالية لهذا المؤتمر كانت سلبية بشكل عام للأسباب التالية:

١ ـ وزارة الخارجية السودانية لم تُعد لهذا المؤتمر، بل إنها كانت غير مؤيدة لعقده.

٢ ـ لم يشر الاجتماع إلى أهمية بدء التعاون فيما يتعلق بنهر النيل مثلما يحدث في نهر الميكونج في آسيا، ونهري الدانوب والراين في أوروبا.

٣ ـ بل إن الرئيس النميري لم يستقبلنا.

٤ ـ الصحافة السودانية لم تُغط فعاليات المؤتمر.

ويبدو أن السودان لم يكن مهتمًّا فعليا بمثل هذا المؤتمر. وفيما يتعلق بمصر، خصوصًا وزارة الري، فكان الاعتقاد السائد أن هذا التجمع ليس له مستقبل. ومع ذلك فإن الأيام التالية لم تأتِ بخيار أفضل من هذا التجمع. هل كان ينبغي عليَّ طلب المساعدة من إحدى المنظمات الدولية للاشتراك في هذا المؤتمر؟

القاهرة: الأربعاء، ٩ نوفمبر ١٩٨٣

استقبلتُ ديفيد كيمحي من الموساد وإيلي روبنشتاين المدير السابق لمكتب موشيه دايان الذي أصبح الآن شخصية مهمة في سلم القيادة الإسرائيلية. أطلقتُ عليه لقب «أبو البنات» لأن لديه بنتَيْن. رسمتُ لهما صورة متشائمة للوضع الراهن. فقلت إن العلاقات بين القاهرة وتل أبيب ستزداد تدهورًا، ويجب وقف هذا التدهور. كما أشرت إلى أن الأثيوبيين ما زالوا يحتلون «دير السلطان»، مع أن المحكمة الإسرائيلية قد أصدَرت حكمها لصالح الكنيسة القبطية المصرية، وإلى أن الحدود بين مصر وإسرائيل لم يتم ترسيمها بعد بسبب بناء فندق إسرائيلي في طابا، وكذلك أشرت إلى استمرار الاحتلال العسكري الإسرائيلي للبنان، وإلى حال السلام البارد بين مصر وإسرائيل والذي قد يتحوَّل إلى حرب باردة.

أنصت إليَّ ديفيد كيمحي باهتمام ثم علَّق قائلًا:

«ـ يجب أن نتعاون معًا لكي نجد حلولًا لكل هذه المشاكل في أسرع وقت».

لست أدري إذا كان هو التعب أو الإحباط هو الذي حال دون أن أقول له إن مفتاح المشكلة يكْمُن في حل القضية الفلسطينية.

القاهرة/ باريس/ جنيف: الأربعاء، ٢٣ نوفمبر ١٩٨٣

في الطائرة التي أقلتني إلى باريس، حدثت مفاجأة سعيدة. فقد التقيت بالملكة فريدة؛ الزوجة الأولى للملك فاروق. منذ حوالي ٢٠ سنة، كانت قد طَلَبَت مني معاونتها في كتابة مذكراتها باللغة الفرنسية. عقدنا ١٢ جلسة عمل ثم تركنا هذا المشروع. ومنذ ذلك الحين، انشَغَلَت الملكة باهتمام آخر: هو رسم اللوحات.

من باريس، سافرت إلى جنيف حيث كان في استقبالي السفير سعد الفرارجي ـ

الذي كان يشغل منصب مدير مكتبي ـ وهو الآن يمثلنا في الأمم المتحدة. إنه شاب ذو ضمير يقظ ومستقيم ـ لدرجة الوسوسة في بعض الأحيان ـ وأدار مكتبي بذكاء ومقدرة في ظروف كانت صعبة في أغلب الأحوال.

بيرن: السبت، ٢٦ نوفمبر ١٩٨٣

تباحثتُ مع المستشار النمساوي برونو كرايسكي الذي حاز على ثقة السادات التامة، والذي قام بدور سري ـ لكنه مهم ـ في الحوار المصري ـ الإسرائيلي. رغم الإجهاد، فإنه لم يفقد لا حماسه ولا إخلاصه التام لموضوع التوفيق بين العرب والإسرائيليين وعقد سلام بينهم.

بعد الظهر، ألقيتُ محاضرة في «دار العمودية» حول «أزمة الشرق الأوسط». وكان الحضور يستمع بإعجاب لهذه المحاضرة، كما كان حضورًا مشجعًا.

القاهرة: الخميس، الأول من ديسمبر ١٩٨٣

مرَّ سايروس فانس بالقاهرة في طريقه إلى إسرائيل. أعطاني نص الكلمة التي سيُلقيها في تل أبيب بمناسبة افتتاح المركز الذي أُنشئ تخليدًا لذكرى موشيه دايان لكي أقرأها، وقال لي:

«ـ يجب الاستمرار في التفاوض لحل المأساة الفلسطينية. لن يتحقق السلام الحقيقي إلا بوجود حل عادل ومتوازن لهذه المشكلة».

بالنسبة لي، فإن سايروس فانس يمثل الحيوية وحدة الذهن والذكاء. ويرجع إليه الفضل في عقد اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل. لكنني في الوقت نفسه لا أريد التقليل لا من الدور الذي لعبه الرئيس كارتر ولا من شجاعة الرئيس السادات الذي بدأ مسيرة الصلح مع إسرائيل.

القاهرة: الاثنين، ٥ ديسمبر ١٩٨٣

بدءًا من السبت الماضي، وصل رئيس النيجر سينيه كونتشيه إلى القاهرة في زيارة رسمية. إنه رجل عسكري، ضئيل الحجم، نحيف وعصبي وذو شخصية قوية. ترافقه

زوجته، وهي سيدة هائلة الحجم يبلغ طولها ضعف طول قامة زوجها، وهي متألقة ومحبة للحياة.

فور وصول رئيس النيجر، طلب زيارة أهرامات الجيزة ثم وضع باقة من الزهور على قبر السادات. سأصطحبه اليوم إلى الإسماعيلية حيث سيلتقي بالرئيس مبارك. حوار العسكريين يدار بسهولة ويسر. قرر الرئيسان إنشاء لجنة مشتركة للإشراف على التعاون بين البلدَيْن. وتم الانتهاء من صياغة البيان المشترك في وقت متأخر؛ ولذلك لم يوقِّع الرئيسان عليه. طلبتُ من السلطات المختصة التحري والبحث لمعرفة المسئول عن هذا التأخير غير المقبول.

القاهرة: الأربعاء، ٧ ديسمبر ١٩٨٣

تناولتُ طعام العشاء مع صديق طفولتي، بشارة تقلَا الذي كان يمتلك جريدة الأهرام، وجلال الحمامصي الصحفي اللامع، وسعد عبد النور المحامي البارع. إنهم مقتنعون بأن «حزب الوفد» الذي كان يهيمن على الحياة السياسية في مصر قبل ثورة ١٩٥٢ سيصل إلى الحكم. كيف يتأتى لمثقفين على درجة كبيرة من الوعي والإدراك أن يخطئوا في التقدير إلى هذه الدرجة وبهذه الصورة الواضحة؟! لقد ماتت التعددية الحزبية، والحزب الواحد سيظل في الحكم لفترة طويلة قادمة.

القاهرة: الأربعاء، ٢١ ديسمبر ١٩٨٣

أثناء انعقاد جلسة مجلس الوزراء، تلقيتُ رسالة من الرئيس مبارك. السكرتيرة التي أحضرت هذه الرسالة أرادت أن تبدو حريصة فاقتربت مني بحذر، وانحنت على أذني بشكل ملحوظ، فلفتت انتباه باقي الوزراء. الرسالة قصيرة ومؤثرة: فالرئيس مبارك يكلفني باستقبال ياسر عرفات ـ القادم من بيروت ـ غدًا في الإسماعيلية.

القاهرة: الخميس، ٢٢ ديسمبر ١٩٨٣

احتل خبر وصول ياسر عرفات على متن الباخرة «أوسيا سيليتيس» صدر صفحات الجرائد كلها. سافرتُ إلى الإسماعيلية ومعي أسامة الباز الذي كان عصبيًا وفي غاية التوتر. اقتربنا من الباخرة على ظهر مركب صغير وحاذيناها بصعوبة. قبَّلني عرفات بحرارة؛ لقد جاء بحثًا عن الحماية من مصر بعدما شتمها ولعنها. لن أنسى له أبدًا

أنه قد رقص فرحًا عندما علم بنبأ اغتيال السادات. أمَّا اليوم، فها هو قد خسر معركة بيروت، ولا بُد من النسيان والعفو.

أعد محافظ الإسماعيلية لياسر عرفات استقبالًا يليق برئيس دولة. حاول مئات من الصحفيين والمصورين الاقتراب منه، لكن بلا جدوى. ركبنا الطائرة الهليوكوبتر التي أوصلتنا إلى قصر القبة ـ في القاهرة ـ بعد ٢٠ دقيقة.

أثناء الاستعداد لاستقبال ياسر عرفات، كان الرئيس مبارك متحفظًا عندما سألتُه:

«ـ هل نُعد الغداء؟».

«ـ لا داعي، فاللقاء لن يستمر طويلًا».

عقد الرجلان لقاءً مغلقًا دام أكثر من ساعة ثم خرجا وهما يبتسمان: فقد تمت المصالحة. لم أعرف أبدًا كيف ولماذا تمت هذه المصالحة. التفت مبارك إليَّ متسائلًا:

«ـ هل الغداء جاهز؟».

لحسن الحظ، كان الغداء مُعَدًّا على الرغم من تعليماته السابقة. تم الغداء في جو مسترخ تلاه مؤتمر صحفي قصير. كلفني الرئيس بمرافقة ياسر عرفات حتى السويس حيث رست باخرته في الطريق، رجاني عرفات أن أتوسَّط لدى مبارك لكي تصحبه سفن حربية مصرية حتى ميناء «جدة» في المملكة العربية السعودية ثم إلى ميناء «الحُدَيِّدَة» في اليمن حيث ستستقر ـ بشكل مؤقت ـ «منظمة التحرير الفلسطينية». قبل أن يُغلق عينيه، قال لي:

«ـ يا عزيزي بطرس، سنواصل المعركة».

لم أعرف ما إذا كان يفكر بأمر أم أنه كان يستريح قليلًا. في السويس تعانقت مع عرفات بتأثر. نسيتُ هجومه على السادات ومصر، وسامحتُه وأحسستُ بأنني قريب منه جدًّا ومن معركته لتحرير فلسطين، ومن معاناة الشعب الفلسطيني. لقد أُجبرت المنظمة على قبول هذا النفي الجديد، فهل ستلاقي حتفها في رمال اليمن؟ وهل ستُبعث مجددًا من رمادها مثل طائر العنقاء؟

أعتقد أنه سيكون من الصعب استبعاد ثلاثة أو أربعة ملايين فلسطيني يقيمون في المناطق المعزولة داخل المدن أو في معسكرات اللاجئين.

القاهرة: الجمعة، ٢٣ ديسمبر ١٩٨٣

تعرضتُ لمضايقات من الصحفيين ووكالات الأنباء والإذاعات ومحطات التلفزيون: كانوا كلهم يطلبون مني التعليق على تلك الزيارة غير الاعتيادية. أجبتُ على أسئلتهم وحرصتُ في كل ما قلته على ما يلي:

تجنبتُ الإشارة إلى أن زيارة عرفات تُعتبر انتصارًا ديبلوماسيًّا لمصر. فبعدما اتهم عرفات السادات بالخيانة، ها هو يتسوَّل العَوْن من مصر.

تجنبت الإشارة إلى إستراتيجية عرفات الجديدة نظرًا لأن مباحثاته مع مبارك ظلت سرية.

أكَّدتُ على أن سياسة مصر لم تتغير: فهي مستمرة في مساعدة الشعب الفلسطيني لاسترداد أرضه، حسبما نص قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢.

القاهرة: الاثنين، ٢٦ ديسمبر ١٩٨٣

ألقيتُ محاضرة في «أكاديمية ناصر العسكرية» حول «مصر ودول حوض النيل». كنتُ أعرف أن زيارة عرفات لمصر والمسألة الفلسطينية هما اللتان تهمان الحاضرين؛ لكنني أُؤمن دائمًا بأن مشكلة السودان ودول حوض النيل يجب أن تكون هي محور سياستنا الخارجية. من الخطأ ـ بل إنه لخطأ جسيم ـ أن نُهمل علاقاتنا بهذه البلاد، خصوصًا أن مشكلة المياه ستزداد خطورة في السنوات المقبلة.

من السهل أن نحشد الرأي العام المصري حول المشكلة الفلسطينية ورحيل عرفات ـ بشكل مؤثر ـ عن بيروت متوجهًا إلى منفى جديد، ونضاله ضد الاستعمار الاستيطاني وسياسة الفصل العنصري اللذين تمارسهما إسرائيل ضد الفلسطينيين. لكن على العكس من ذلك كله، فمن الصعب جدًّا أن نجعل الرأي العام المصري يهتم بثمان دول أفريقية نتقاسم معها مياه النيل؛ كما أنه من الصعب جدًّا إقناع المصريين بأن نهر النيل هو جزء من تراثهم وأنه ملكهم. ولكننا ـ بذلك ـ ننسى أن منابع النيل مِلْكٌ لستِّ دول أفريقية أُخرى، وأن الزراعة المصرية تعتمد تمامًا على مياه نهر النيل. كما ننسى أيضًا أن دول المنبع وإن كانت لا تحتاج هذه المياه لزراعة أراضيها بعد، فإن هذا الوضع سيتغيَّر بسرعة شديدة وبسبب الانفجار السكاني في تلك الدول.

القاهرة: الخميس، ٢٩ ديسمبر ١٩٨٣

عصام منتصر ـ مدير «معهد التخطيط في داكار» يُعد دراسة عن حوض النيل، لكن وزراة الري المصرية تُعادي هذا المشروع: فهي لا تقدم له أية مساعدة ولا أية معلومات يحتاجها. أشعر بالإحباط الشديد؛ لأن مشكلة المياه لا تهم لا الحكومة ولا الرأي العام المصري ولا حتى الفنيين في وزارة الري الذين لا يهتمون إلا بالمشاكل الآنية ويعجزون عن التخطيط للمستقبل. إن مجموعة الأوندوجو تراوح في مكانها، والدول الأفريقية ـ بما فيها السودان ـ ترتاب في المشاريع المصرية الخاصة بحوض نهر النيل، لكن المسئولية لا تقع عليهم بالكامل:

فقد بنينا السد العالي بدون استشارتهم، إننا نعتمد على الاتفاقيات والمعاهدات التي وقِّعَت عندما كانت كل هذه الدول خاضعة للاستعمار القديم، وفي الوقت نفسه، فإننا نرفض تعديل هذه الاتفاقيات ونجعلها تُساير الأوضاع الجديدة في تلك الدول.

إننا ما نزال نعتقد بأن النيل ومصر هما شيء واحد.

* * *

الفصل الثالث

□ التوسط لدى ميتران من أجل عرفات □ على متن سفينة موبوتو □ ندوة أفريقيا ـ أمريكا اللاتينية في مكسيكوسيتي □ نحو تعاون ثلاثي بين مصر واليابان وأفريقيا □ تأملات حول السلطة في بوجو مبورا

القاهرة: الاثنين، ٢ يناير ١٩٨٤

يبدو أننا قد توصلنا إلى اتفاق يُنهي نفي البابا شنودة في «وادي النطرون». سيتم نشر «رسالة رسولية» منه في جميع الصحف التي ستصدر في عيد الميلاد حسب التقويم القبطي.

القاهرة: الثلاثاء، ٣ يناير ١٩٨٤

مناقشة ساخنة مع سليم عيسى ـ صديق الفريق كمال حسن علي وصديقي ـ حول ما يجب أن تكون عليه سياسة مصر تجاه العالم العربي الذي لم يقبل بعد بمبادرة السادات بخصوص القدس.

* **السيناريو الأول**: أن تشُن مصر حملة هجومية ـ تقوم بها أجهزة الإعلام بالتبادل ـ للتشهير بموقف الدول العربية التي لم تفعل شيئًا سوى توجيه الانتقادات الحقودة ضد مصر؛ وفيما عدا ذلك، فهي عاجزة عن الحركة أو تقديم إستراتيجية مغايرة لإستراتيجية مصر.

* **السيناريو الثاني**: أن تمارس مصر سياسة حذرة بوصف أننا نمر ـ حاليًا ـ بفترة انتقالية، أي أن نبدي الصبر أمام السياسات العربية.

اتفقنا على أن السادات كان سيختار السيناريو الأول في حين أن مبارك ـ وهو رجل حذر بطبيعته ـ سيفضِّل، بالتأكيد، السيناريو الثاني.

القاهرة: الأربعاء، ٤ يناير ١٩٨٤

عشاء مع سفير السويد. كان من بين نجوم السهرة، مصطفى خليل رئيس الوزراء السابق، وموسى صبري الصحفي الكبير. تبادلنا التنبؤات حول نتائج الانتخابات التشريعية المقبلة: «حزب الوفد» ـ الذي كان يحظى بشعبية جارفة بعد الحرب العالمية الأولى ـ سيحصُل، في أفضل الأحوال، على نسبة ١٠٪ من المقاعد، وستبقى أغلبية حزب الرئيس كما هي.

ما زال مصطفى خليل قادرًا على أن يثير إعجابي بذكائه الشديد، كما أنه على كل حال فقد كان أفضل رئيس وزراء تفاهمتُ معه.

باريس: الجمعة، ٦ يناير ١٩٨٤

تباحثتُ مع اثنين من الشبان شديدي الذكاء والحذق في قصر الإليزيه: جاك آتالي، وجان ـ لويس بيانكو، وذلك قبل لقائي بالرئيس ميتران. قلتُ للرئيس ميتران:

«ـ سيدي الرئيس، لقد كلفني الرئيس مبارك بإبلاغكم رسالة منه: إنه يتمنى عليكم، وبشدة، أن تقابلوا ياسر عرفات».

غادر ميتران مقعده بسرعة وعصبية وسألني بحدة:

«ـ ما هو العَرْض الذي سيقدمه عرفات لي؟».

«ـ سيدي الرئيس، لا أعرف ما الذي سيقترحه عرفات عليكم. لقد كَلَّفَني رئيسي ـ فقط ـ بنقل هذه الرسالة إليكم».

هدأ ميتران وبدا عليه الأسف لأنه احتد في الحديث، واستكمل حواره معي بمناقشة مواضيع مختلفة. منذ أن عرفتُه، كان ميتران يُبدي دائمًا قدرته على الحفاظ والهدوء والرزانة. هذه هي المرة الأولى التي أراه فيها يرفع من نبرة صوته ولو لعدة ثوان فقط.

تناولت العشاء مع كلود شيسون ومعاونيه. جو اللقاء كان هادئًا ووديًا. تناقشنا ـ

مجددًا ـ حول مشروعنا المصري ـ الفرنسي المشترك من أجل فلسطين الذي سنقدمه لمجلس الأمن.

كوتونو: الاثنين، ٩ـ الأربعاء، ١١ يناير ١٩٨٤

لقاء مع رئيس بينين، ماتيو كيريكو. أجواء اللقاء جيدة جدًا، وهناك درجة عالية من التفاهم واستمر اللقاء لأكثر من ساعتَيْن. قدمتُ له تحليلًا للوضع المتدهور في العالم العربي. أكَّد الرئيس على دعمه لـ«منظمة التحرير الفلسطينية» ولياسر عرفات ولنضال الفلسطينيين لممارسة حقهم في تقرير مصيرهم. وتناولنا ـ أيضًا ـ مشاكل تشاد والصحراء الغربية وناميبيا. وقبل نهاية اللقاء، ذكَّرتُه بالدعوة الرسمية التي وجَّهها له الرئيس مبارك لزيارة مصر.

وقَّعنا اتفاقية بين بينين و«الصندوق المصري للتعاون التقني»، واتفاقية ثانية لإنشاء لجنة مشتركة ستجتمع مرة كل سنة في القاهرة وكوتونو بالتبادل.

لومي: الجمعة، ١٣ يناير ١٩٨٤

في المساء، وصلتُ إلى لومي بالسيارة قادمًا من كوتونو. حضرتُ احتفالًا رسميًّا بمناسبة «العيد الوطني» لتوجو. دُعيتُ للجلوس على المنصة على يسار رئيس الجمهورية؛ على يمينه جلس نائب رئيس كوريا الشمالية. الرئيس إياديما عسكري سابق وكان يومئ إليَّ بود عند وقوفي وجلوسي. اقترب مني علي ماهر ـ مدير مكتبي ـ وهمس في أذني قائلًا:

«ـ يجب أن تزحزح مقعدك قليلًا. بعيدًا عن مقعد الرئيس. تذكَّر ما حدث في القاهرة أثناء عرض عسكري مماثل...».

حاولتُ تنفيذ النصيحة الفطنة التي قدمها لي علي ماهر؛ لكن الرئيس إياديما منعني قائلًا:

«ـ يا سعادة السفير، اقترب مني، اقترب بمقعدك لكي نتبادل الحديث».

ولم يكن نائب رئيس جمهورية كوريا الشمالية ليعرف معنى هذه العبارات الفرنسية، فظل جالسًا بعيدًا عنا بشكل آمن، ولم يقترب من الرئيس... لقد اقتربتُ بمقعدي من مقعد الرئيس وأنا أدرك أن المرء لا يملك تغيير مصيره.

أخذ الرئيس يعلِّق على العرض:

«ـ هذا هو سلاح الفرسان. هذا هو سلاح المدرعات...».

وقال فجأة: «ها هُم مثيرو الفتن».

للوهلة الأُولى، انتابني القلق، ثم أدركتُ أنه يقصد الطلاب الذين كانوا يمرون أمَامنا بصحبة أساتذتهم.

استمر العرض عدة ساعات، وتعرَّضتُ لاضطرابات معوية اضطررت معها لمغادرة المنصة عدة مرات.

القاهرة: الجمعة، ٢٠ يناير ١٩٨٤

عُلِّقَت عضوية مصر في «المؤتمر الإسلامي» بتاريخ ٧ مايو ١٩٧٩؛ واليوم، أشهد استعادة هذه العضوية. كان الفريق كمال حسن علي مُحقًّا. وكنت مخطئًا في تقديري لقدرة الدول العربية إعاقة عودة مصر ـ المنبوذة من جانبهم ـ للمنظمة الإسلامية، ولكن مصر استعادت بالفعل عضويتها في «المؤتمر الإسلامي» فيما مثل انتصارًا جديدًا للدبلوماسية المصرية وهزيمة جديدة لدبلوماسية الراديكالية في العواصم العربية.

القاهرة: الاثنين، ٢٣ يناير ١٩٨٤

أقام الرئيس مبارك مأدبة عشاء على شرف ليوبولد سنجور. كانت المناقشة عسيرة نظرًا لأن المترجمة الفورية كانت جميلة للغاية لكنها لم تكن كفؤة قط. وكان الرئيس سنجور يتحدث عن «اللغات الملتصقة»[1] وهو موضوع لا يعرفه ـ بالمرَّة ـ لا الرئيس مبارك ولا المترجمة الفورية. حضر المأدبة كل من فؤاد محيي الدين رئيس الوزراء

(١) «اللغات الملتصقة» (langues agglutinantes) هي فرع من اللغات تتكوَّن فيه الكلمات من جذر تُضاف إليه السوابق واللواحق لتحديد وظيفة الكلمة من حيث القواعد اللغوية (مفرد، جمع، مذكر، مؤنث، فاعل، مفعول به...) ولخلق كلمات جديدة. من هذه اللغات: اللغة التركية والمجرية والفنلندية... إلخ). في اللغة التركية ـ مثلًا ـ تُضاف اللاحقة «لي» للنسبة (عثمانلي، إستانبوللي، درماللي...)، واللاحقة «لر» للجمع (بيكلر...) واللاحقة «جي» للحرفة (قهوجي، عربجي، كبابجي...) واللاحقة «خانة» للمكان (أجزاخانة، شفخانة، عربخانة، بطركخانة...) ... إلخ [المترجم].

والفريق كمال حسن علي. حاولتُ التحدث لكي أحوِّل مجرى النقاش ولأُنقذ الموقف. محاولات فاشلة: فاضطررتُ للاستسلام والإنصات والابتسام.

القاهرة: الاثنين، ٣٠ يناير ١٩٨٤

قرَّر الرئيس مبارك القيام بجولة لزيارة نظرائه الأفارقة بهدف توطيد علاقات الصداقة. قضيتُ الأسبوع الماضي في الإعداد لهذه الجولة. سنبدأ بكينشاسا وسننتهي بالخرطوم. سيرافق الرئيس وفدٌ كبير به ٥٠ شخصًا، منهم الفريق كمال حسن علي وأسامة الباز السكرتير العام لرئاسة الجمهورية، وديبلوماسيون شبان من بينهم علي ماهر السيد، وفاروق بركة، ومجموعة من الصحفيين من بينهم مكرم محمد أحمد وحمدي فؤاد.

القاهرة/ كينشاسا: الثلاثاء، ٣١ يناير ١٩٨٤

غادرنا القاهرة فجرًا ووصلنا كينشاسا بعد خمس ساعات. كانت الجماهير الغفيرة والمتحمسة محتشدة في انتظار وصول الرئيس مبارك وقد أخذت في التصفيق وتقديم رقصات وأغان والدق على الطبول. تناولنا العشاء في «قصر الشعب». أحضر موبوتو فرقة موسيقية ومغنيين عربًا مما حاز رضاء الرئيس مبارك. ألقى كل من الرئيسين خطبة. تمت ترجمة خطبة الرئيس مبارك بواسطة سيدة غير متخصصة في الترجمة الفورية. ولم يكن ذلك أمرًا بالغ الأهمية حيث كانت روح الأُخُوَّة الأفريقية والبهجة الغامرة تسود جو السهرة، وكان التفاهم بين الرئيسين على درجة عظيمة جدًّا.

كينشاسا: الأربعاء، الأول من فبراير ١٩٨٤

دعانا موبوتو لرحلة نهرية على ظهر سفينته الشخصية المجهزة بمهبط للطائرات الهليوكوبتر. وكما لو كان الأمر يحدُث بطريقة سحرية ففي اللحظة نفسها التي يُبدي فيها الضيوف علامات الملل، كانت تظهر فجأةً طائرة هليوكوبتر تقل ضيفًا وصل متأخرًا أو وزيرًا مكَلَّفًا بتسليم موبوتو رسالة يُفترض أنها عاجلة ومهمة.. لقد كنت معتادًا على مشاهدة مثل هذه التحركات الاستعراضية، وأعترف بأنها كانت ـ في كل مرة ـ تلفت الانتباه وتثير الإعجاب وتخلق تسلية لطيفة.

أمّا اليوم، فلم تكُن الطائرة الهليوكوبتر هي التي حقَّقت المفاجأة، بل كان الرئيس موبوتو نفسه هو الذي فجَّر المفاجأة، فعندما دخل الصحفي الكبير مكرم محمد أحمد إلى قاعة الطعام، صاح موبوتو:

«ـ إنه نسخة من الجنرال شارون».

فضحك الجميع بشدة ما عدا مكرم الذي لم تعجبه لا المقارنة ولا روح الدُعابة.

وقَّع الرئيسان رسميًّا على البيان المشترك، وهو بيان طويل للغاية ومليء بالتفاصيل. خُصِّص الجزء الأول منه للوضع الدولي، وتحدث عن دور أفريقيا والدول غير المنحازة إزاء الحرب الباردة، وأزمة الشرق الأوسط، وفلسطين، ولبنان، والصراع العراقي ـ الإيراني، والصحراء الغربية، وناميبيا. كما أشار هذا الجزء أيضًا، نتيجة لإصراري، إلى «مجموعة الأُوندوجو» التي عقدت اجتماعها الأول في شهر نوفمبر الماضي في الخرطوم.

أمَّا الجزء الثاني، فقد خُصِّص للعلاقات الثنائية بين القاهرة وكينشاسا، وانتهى بتوجيه الدعوة للرئيس موبوتو لزيارة مصر.

كينشاسا/ نيروبي: الخميس، ٢ فبراير ١٩٨٤

وصلنا إلى نيروبي بعد ثلاث ساعات ونصف من الطيران. تم الاستقبال على الطريقة البريطانية. أجرى الرئيسان مباحثات بنَّاءة للغاية، خصوصًا أنهما قد استعانا بالمذكرات التي كان المساعدون قد أعدُّوها لهما. عشاء رسمي وخُطبتَان قصيرتَان مدبجتان جيدًا، لا بُد أنه كان هناك تنسيق ما بين من كتب الخطبة عن الجانب المصري ومن كتبها على الجانب الكيني.

نيروبي: الجمعة، ٣ فبراير ١٩٨٤

وضع الرئيس مبارك باقة من الزهور على قبر جومو كينياتا، أول رئيس لكينيا. بعد ذلك، زرنا مزارع الشاي. تناولنا الغداء على ضفاف بحيرة في العاصمة الكينية. انهمكتُ ـ حتى وقت متأخر من الليل ـ في إعداد البيان المشترك الذي سيوقعه الرئيسان غدًا صباحًا. استطعتُ الحصول على إذن بإضافة فقرة تتحدث عن نهر النيل الذي يأخذ ماءه من بحيرة فيكتوريا ويوجد الجزء الأعلى من مجراه في كينيا، وعن

ضرورة أن نشترك معًا في اتخاذ القرارات المتعلقة باستخدامات مياه النيل بما يخدم صالح جميع شعوب المنطقة.

إن مقارنة بين الطريقة التي تمت بها زيارتنا الرسمية لكينشاسا ونيروبي هي مقارنة جديرة بالاهتمام؛ حيث يميل الزائيريون إلى الارتجال؛ أمَّا الكينيون، فهم ـ على العكس ـ يُفضلون النظام والدقة والاهتمام بالتفاصيل. لكن، لا بُد هنا من الاعتراف بأن زيارتنا لكينشاسا كانت تتصف بالحرارة بينما كانت زيارتنا لنيروبي قد سيطر عليها الطابع الرسمي.

نيروبي/ مقديشيو. السبت، ٤ فبراير ١٩٨٤

في المطار، استقبلتنا جماهير تتقد حماسة. في مسرح المدينة، قدموا لنا عرضًا مسرحيًّا تكريمًا لنا. يتناول هذا العرض ماضي العلاقات بين مصر والصومال منذ أيام الفراعنة حتى يومنا هذا. كان العرض مُختَصَرًا بعض الشيء لكنه أثار حماسة المشاهدين الذين كانوا يقاطعون كل مشهد بالتصفيق والتهليل والزغاريد.

مقديشيو: الأحد، ٥ فبراير ١٩٨٤

التوقيع على البيان المشترك. كان محمد سنمطر ـ النائب الأول لرئيس الجمهورية ـ يرأس الوفد الصومالي المكَوَّن من ١٤ عضوًا، منهم السفيرة فاطمة إسحق، ذات الشخصية الكاريزمية. أمَّا الوفد المصري، فقد كان مكونًا من تسعة أعضاء فقط؛ ولذلك، فقد واتتني فكرة ضم أفراد الحرس الشخصي للرئيس إلى الوفد كما سبق لي أن فعلتُ في زيارة الجابون، لكن الفريق كمال حسن علي اعترض بصرامة عسكرية.

محتوى البيان المشترك مشابه للبيانَيْن الصادرَيْن عن زيارتي كينشاسا ونيروبي، مع التركيز على البُعد العربي للصومال والجهود التي يبذلها من أجل عملية «التعريب» هناك؛ كما نص ـ أيضًا ـ على إنشاء «لجنة عُليا مشتركة» تجتمع في القاهرة ومقديشيو في مارس المقبل.

غادرنا مقديشيو إلى دار السلام. استقبلنا الرئيس جوليوس نيريري الذي ارتجل

خطبة بليغة بلغة إنجليزية لا تشوبها شائبة. قرأ الرئيس مبارك الخطبة التي أعدَّها له أسامة الباز. وكان اللقاء حارًّا بين الرئيسَيْن.

دار السلام: الاثنين، ٦ فبراير ١٩٨٤

ركبنا الطائرة الرئاسية إلى جزيرة زنزبار. كان حرس الشرف في استقبالنا. زرنا مدرسة إسلامية. تناولنا الغداء في قصر سلطان زنزبار السابق. ذكَّرتُ حسين كامل ـ سفيرنا المعتمد في دار السلام ـ بأن زنزبار شهدت قيام الأفارقة بأول مذبحة جماعية لإبادة الطبقة الحاكمة العربية هناك، وسألتُه:

«ـ هل تعتقد بأن زيارة رئيس أكبر قوة عربية لزنزبار يمكن اعتبارها بمثابة لفتة تدل على النسيان والتسامح؟».

تجنَّب السفير الرد على هذا السؤال ولفت نظري إلى أن وفد تنزانيا المرافق لنا به من يفهم اللغة العربية، وأن الوقت غير مناسب لإثارة ذكرى هذه المأساة.

عدنا إلى دار السلام. كان العشاء فخمًا يعوض الغداء البارد الذي تناولناه ظهرًا. غنَّت مطربة تنزانية أغاني لأم كلثوم وأثارت حماس جميع المدعوين: صوتها يشبه تمامًا صوت مطربتنا المصرية. كانت الأجواء بهيجة وبها الكثير من الاحتفاء.

دار السلام / الخرطوم: الثلاثاء، ٧ فبراير ١٩٨٤

كان من المقرر أن نُسافر في الساعة الثامنة صباحًا، لكن موعد السفر تقدَّم، فأصبح في الساعة الثانية صباحًا. لم يقدم لنا ضباط الأمن أي تفسير لذلك، وبَدَت على وجوههم القتامة والانشغال. وصل مبارك وبرفقته نيريري. بعد قليل، عرفنا بوجود مؤامرة لإسقاط طائرة الرئاسة عند إقلاعها في الساعة الثامنة.

حاولتُ معرفة حقيقة الأمر. شرح ضباط الأمن لي أن الوقاية هي أساس الأمن.

في الخرطوم، عقد الرئيس مبارك لقاءً منفردًا مع الرئيس النميري، ثم انضم إليهما نائب الرئيس السوداني راشد الطاهر ووزير الخارجية الميرغني من الجانب السوداني وانضممت مع الفريق كمال حسن علي من الجانب المصري. تحدثنا بالتفصيل عن جولة الرئيس في أفريقيا. حاولتُ ـ بلا جدوى ـ الإشارة إلى مشكلة حوض النيل.

يبدو أن الجميع مقتنعون بأن نهر النيل هو نهر مصري ـ سوداني فقط، وأن كَوْن النيل ينبع من خارج بلدينا لا يُغَيِّر شيئًا من حق مصر والسودان المطلق في استخدام مياهه لري زراعاتهما، كما بدا هناك اقتناع بأن دول المنبع تعتمد حتى الآن على مياه الأمطار، وليس لديها من الأسباب ما يدعو لتغيير نمط الري الذي تتبعه.

هذا المفهوم يتسم بقصر النظر وهو مُحبط للغاية، كما أنه يُعرضنا لمخاطر شديدة جدًّا في المستقبل.

القاهرة: الثلاثاء، ٢١ فبراير ١٩٨٤

تناولتُ العشاء مع هيرمان أيلتس السفير الأمريكي ومايكل وير السفير البريطاني اللذين يشُكان في جدوى جولاتي في أفريقيا، فحسب رأيهما، فإن المستقبل تتم صياغته في الشرق الأوسط ومع إسرائيل؛ وبالنسبة لأفريقيا، فلن يحدُث فيها شيء هام في العقود القريبة المقبلة، باستثناء نشوب حروب قَبَلِيَّة واستمرار التخلف المزمن. وفيما يتعلَّق بإمكانية حدوث أزمة في إدارة مياه النيل، فهما يعتبران ذلك وسواسًا قهريًّا لدى «بطرس الأفريقي»: فدول المنبع تكتفي حاليًا بمياه الأمطار.

القاهرة: الجمعة، ٢٤ فبراير ١٩٨٤

تناولتُ العشاء مع لازار مويسوف وزير خارجية يوغوسلافيا الذي تنبأ بضعف مجموعة الدول الأفريقية التقدمية الثورية بعد ما حدث التقارُب مؤخرًا بين موزمبيق وجنوب أفريقيا. استكملنا الحديثَ في مكتبي. قَطَعَتْ لحظات صمت طويلة حديثنا هذا، فسمحت لنا بأن نتأمل ونفكِّر جيدًا في أسئلتنا وإجاباتنا. إن الوزير اليوغسلافي شخص استثنائي وهو قادر دومًا على إثارة إعجابي بذكائه الشديد وبراعته الدبلوماسية.

الخرطوم: السبت، ٢٥ فبراير ١٩٨٤

رحلة جديدة لأفريقيا. التقيتُ بصديقي وزير خارجية السودان؛ الميرغني. بدا أنه يجهل تمامًا تطورات الوضع في جنوب بلاده، على الرغم من التمرد الناشب هناك،

إلَّا إذا كان لا يُريد إثارة هذا الموضوع الحساس جدًّا ـ بالنسبة للخرطوم ـ أمامي، مع العلم بأنني أهتم كثيرًا بالشأن السوداني.

الخرطوم: الأحد، ٢٦ فبراير ١٩٨٤

باستثناء الوقت الذي قضيتُه في إجراء حديث تلفزيوني، فإنني قد انتظرتُ النهار بطوله ـ بلا جدوى ـ لكي يستقبلني الرئيس النميري.

يبدو أنه مستاء مني بسبب البيانات التي صَرَّحتُ بها للصحافة بخصوص البطء في تنفيذ التكامُل بين مصر والسودان. يبدو لي أن الحكام في بلادنا كثيرًا ما يتعرضون للتغيرات المزاجية، وهم لا يبدون الصبر في التعامل مع أحداث ثانوية، في حين أنهم يتحلون بهدوء ورزانة في مواجهة أخطر الأزمات.

أديس أبابا: الاثنين، ٢٧ فبراير ١٩٨٤

انعقد مؤتمر «منظمة الوحدة الأفريقية». حضر التريكي، ذلك الديبلوماسي الليبي الذي لا يتوقف أبدًا عن الحديث بصوت جهوري وعبد الله توري ذلك الغيني، الذي استمتع بالنقاش معه، والمغربي بلقزيز، الأكاديمي الصميم، وباولو جورج ذلك الأنجولي الذي لم يتقبَّل بعد خيانة موزمبيق لأنها أقامت علاقات مع جنوب أفريقيا. استقبلني الرئيس منجستو بمودة. المساعدون أحمد صدقي وعمران الشافعي وعلي ماهر أدوا عملًا ممتازًا. إن مصر تتحرك بنشاط ولديها تأثير كبير وقدرة على الدفع بدفة الأمور، نتيجة لتواجدها العسكري ودورها القيادي وبفضل قدرتها على الدفع بآراء توافقية مقبولة للجميع.

القاهرة: الثلاثاء، ٦ مارس ١٩٨٤

مرَّ جوليو أندريوتي بالقاهرة. الديبلوماسية الإيطالية لها تقاليد عريقة، فهي تتصف بالفطنة، وتهتم بالفروق والظلال الدقيقة لكل فكرة، وبالتدرُّج في الإجراءات، والقدرة على تعديل الأفكار. إن إجراء مباحثات مع رجل دولة مثل أندريوتي ـ حول فلسطين، والحرب العراقية ـ الإيرانية ـ هو فرصة حقيقية لنقاش معمق وليس مجرد تبادل سطحي للآراء. جرت مباحثاتنا في جو ودي مما دفعني لكي أسأله عن رأيه في عدم قيام إيطاليا بدور أكثر أهمية على المستوى الدولي، فلخَّص لي لُب إجابته

فيما يلي: منذ زمن طويل، أدركت إيطاليا ـ قبل الإمبراطوريتَيْن البريطانية والفرنسية ـ أن الأمم الأوروبية أصبحت أقل أهمية، وأنها محكوم عليها بالتبعية للقوة الأعظم الأمريكية. ومن المؤكد أن إيطاليا قد توصَّلَت إلى هذا الإدراك؛ لأنها كانت قد تخلَّصت من أفكار العظمة الفاشستية بطريقة أسرع من بريطانيا وفرنسا ـ وكل منهما لها تاريخ طويل في الليبرالية ـ اللتين تصوَّرتا أنهما كسبتا الحرب العالمية الثانية.

القاهرة: الاثنين، ١٢ مارس ١٩٨٤

تناولت العشاء في القصر الجمهوري ـ في مصر الجديدة ـ على شرف الرئيس اليوناني قسطنطين كارامانليس. لقد كبر في السن وتفاقم ضعف السمع الذي أصابه. كارولوس بوبولياس ـ نائب وزير الخارجية ـ يشعر بالقلق من توابع الحرب العراقية ـ الإيرانية.

الرئيس مبارك قلل من شأن توقعاتي السياسية: «ـ الاجتماع المتوقَّع انعقاده اليوم في نيروبي ـ بين وزيري خارجية إثيوبيا والسودان ـ لم يتم، مع أنك كنتَ تُعلِّق عليه أهمية كبيرة».

القاهرة: الثلاثاء، ١٣ مارس ١٩٨٤

قضيتُ سهرة ممتعة مع نيكولاس فالتيكوس، وهو يوناني مصري، ويعد بمثابة المفتي الأكبر في «منظمة العمل الدولية»؛ لكنه ـ قبل كل شيء ـ صديقي الذي تجمعني به الكثير من الخبرات المشتركة منذ زمن طويل. فقد كنا خبراء لدى «مكتب العمل الدولي» بعدما كُنَّا من بين طلاب السيدة بول باستيد في كلية الحقوق بجامعة باريس. وكلانا ـ حاليًا ـ عضوان نشيطان في «معهد القانون الدولي».

إنه يتذكَّر القاهرة في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية عندما كانت القاهرة لها روح وذوق عاصمة أوروبية يمكن معها أن تنافس لندن وباريس، وكان مستوى رُقي شارعَي قصر النيل وسليمان باشا يُعادل شارعي فوبوور سانت ـ أونوريه في باريس الذي تزينه محال أرقى بيوت الأزياء.

باريس: الجمعة، ١٦ مارس ١٩٨٤

قابلتُ غسان تويني بفرحة. لدينا الإحساس بالتشاؤم نفسه فيما يتعلَّق بالوضع في

لبنان. يشترك معنا كلود شيسون في هذا التشاؤم. كنتُ قد التقيتُ به بعد الظهر في مقر وزارة الخارجية الفرنسية. تلك التحالفات والتحالفات المضادة بين الموارنة والسُّنَّة والشيعة والدروز تُضعف الحكومة اللبنانية على الرغم مما تتمتع به لبنان من طبقة متميزة من الساسة والمثقفين والتي لا يوجد لها مثيل في أي بلد عربي آخر.

واجادوجو: الأحد، ١٨ مارس ١٩٨٤

سافرتُ إلى واجادوجو برفقة أحمد صدقي وعلي ماهر. تباحثتُ مع وزير الخارجية ـ آربا ديالّلو ـ قبل اجتماعي مع رئيس الجمهورية ـ الكابتن توماس سانكارا ـ وهو رجل طويل القامة ونحيف، حسن النيَّة ويقظ ومحب للتعلم. سلمتُه رسالة صداقة وتضامن من الرئيس مبارك، وأكدتُ له ـ مُجددًا ـ أهمية العلاقات بين بلدينا. أعددتُ ـ مع ثمانية من وزرائه ـ بيانًا مشتركًا طويلًا عن: التخطيط والتعاون والبيئة، وتدعيم «منظمة الوحدة الأفريقية» و«حركة عدم الانحياز»، واحترام أهداف «الأمم المتحدة» ومبادئها. ثم تحدثنا عن المشاكل العربية ـ الأفريقية بما في ذلك الصحراء الغربية، وتشاد، ونظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، ولبنان، والحرب العراقية ـ الإيرانية، وانسحاب إسرائيل من كل الأراضي التي تحتلها.

هذا البيان المشترك ـ الطويل جدًّا ـ استغرق إعداده أكثر من ثلاث ساعات. كلما كان البلد فقيرًا ومتخلفًا، ازداد اهتمامه بالشكليات على أساس الافتراض أن الصورة الخارجية يمكن لها أن تُغطي الضعف الداخلي.

لاجوس: الاثنين، ١٩ مارس ١٩٨٤

في المطار، استقبلني إبراهيم جامباري، وزير خارجية نيجيريا. عَلَّق على تعيينه في هذا المنصب قائلًا:

«ـ إنها المرة الأولى التي يتولى فيها مسلم منصب وزير الخارجية».

فيما يبدو، فقد كان هذا المنصب ـ حتى الآن ـ حكرًا على المسيحيين فقط. لم أستطع منع نفسي من عقد مقارنة مع ما يحدث في بلدي. فمنذ الثورة الناصرية، لم يتقلد منصب وزير الخارجية سوى شخصيات مسلمة. يجب أن نأمل في أن ما حدث في نيجيريا سيحدث مثله في مصر يوما ما، وأن نعود إلى الوضع الذي كان سائدًا في

أيام جدي وعمي نجيب غالي وواصف غالي اللذيْن قادا الخارجية المصرية في أيام ما قبل ثورة ١٩٥٢.

لاجوس: الثلاثاء، ٢٠ مارس ١٩٨٤

شاركتُ في اجتماع مائدة مستديرة منعقد في «معهد العلاقات الدولية». كان المستمعون عُدوانيين للغاية: إمَّا بسبب صغر سنهم، وإمَّا بسبب التقاليد المعمول بها في هذا المعهد. انهالت أسئلتهم عليَّ:

«ـ هل وقعتم سلامًا منفصلًا مع إسرائيل؟ هل يستطيع بلد إسلامي ـ مثل مصر ـ أن يثق في دولة يهودية؟ ألا يُعتبر التحالف الجديد القائم فعليًا ـ بين مصر والولايات المتحدة ـ خرقًا لمبادئ وسياسة عدم الانحياز؟».

أجبتُ بهدوء على كل هذه الأسئلة ولم أفقد أعصابي للحظة؛ فقد سمعتُ مثلها كثيرًا، وأصبَحَتْ بالنسبة لي معادة ومكررة.

لحسن حظي، فقد تم اللقاء مع رئيس الجمهورية ـ أوليسيجون أوباسنجو ـ في جو أكثر هدوءًا وودًّا. شخصية الرئيس وبساطته وتواضعه يجعلوني أتذكَّر اللواء محمد نجيب، وأخشى عليه من أن يُلاقي المصير نفسه، أي أنه لن يبقى طويلًا في السلطة.

لاجوس/ أكرا: الأربعاء، ٢١ مارس ١٩٨٤

أُعاني من آلام النقرس الحادة وأمشي بصعوبة. استشرتُ طبيبًا غانيًّا فوصف لي دواءً مسكنًا للآلام. ما بين أزمة النقرس وقذارة المكان ـ الذي أنزلوني فيه ـ تحملتُ الألم بصعوبة.

أكرا: الخميس، ٢٢ مارس ١٩٨٤

لقاء مع وزير خارجية كوبا الذي يُجري زيارة رسمية لأكرا. أنا معجب جدًّا بحيوية السياسة الخارجية لكوبا، فلديهم ٣٠ ألف جندي في أنجولا، وعشرات الأطباء والفنيين في أهم العواصم الأفريقية، وهم يعرفون تمامًا مشاكل القارة. الوجود الكوبي في أفريقيا أقوى من الوجود المصري بها. ومع ذلك، فنحن نَدَّعي أننا نقوم

بدور الأخ الأكبر، بينما الأخ الأصغر ـ الموجود عَبْر الأطلنطي ـ يتفوَّق علينا بفضل نشاطه وإرادته السياسية للوجود في أفريقيا.

حضرتُ حفل استقبال مزدوَجًا أقامه سفير مصر في أكرا وعماد البط، وهو ديبلوماسي مصري يشغل منصبًا مهمًّا في «منظمة الوحدة الأفريقية». وقد نجحتُ في حصول مصر على هذا المنصب بعد جهود ومباحثات مضنية. وفي هذه المنظمة وغيرها، سنجد أن المناصب ـ التي يتطلع الجميع إليها ـ يشغلها الجزائريون أو النيجيريون، أو الكينيون، وهذا برهان على ضعف أنشطتنا في أفريقيا.

أكرا: الجمعة، ٢٣ مارس ١٩٨٤

استقبلني رئيس جمهورية غانا ـ الجنرال رولنج ـ وهو يرتدي السترة العسكرية ويضع مسدسًا في حزامه. في بداية اللقاء، بدا مرتبكًا، أو بالأحرى فقد بدا عُدوانيًّا. لم أعرف كيف أبدأ معه. هل أبدأ بذكر العلاقات الوثيقة التي كانت تربط الدكتور نكروما الأب المؤسس لجمهورية غانا بمصر؟ أم أتحدث ـ من دون مقدمات ـ عن المشاكل العامة التي تهم قارتنا؟

بعد ذلك، ساد جوّ من التفاهم الحقيقي، وتحدثنا بكل صراحة عن مختلف أوضاع الأزمة. في نهاية اللقاء اصطحبني الجنرال روبنج إلى خارج مقر الرئاسة، ربت على كتفي وهمس قائلًا:

«أنت مدافع حقيقي عن الحرية». لم أجرؤ على الاعتراف له بأنني لم أؤدِّ قط الخدمة العسكرية؛ لأن أبي قد دفع مبلغًا من المال للدولة مقابل إعفائي من أدائها كما كان معمولًا به قبل ثورة يوليو، وأن صلتي بالأسلحة تقتصر على الاشتراك في مسابقات صيد البط على شواطئ بحيرة قارون في محافظة الفيوم.

بعد الظهر، زرتُ أرملة الرئيس نكروما، وهي سيدة مصرية. اشتكت لي من بخل الحكومة معها. تقول الأسطورة: إن أحد السَّحَرَة قد نصح نكروما بالزواج من مصرية قبطية لكي يحظى بحماية الفراعنة حسب الأسطورة، وهذا ما فعله نكروما الذي تزوج بالسيدة فتحية بمباركة من الرئيس جمال عبد الناصر، ويبدو أن هذه النصيحة قد نجحت.

القاهرة: الأحد، الأول من إبريل ١٩٨٤

وصل وزير خارجية قبرص إلى القاهرة في محاولة لإعادة العلاقات الديبلوماسية بين البلديْن. كان الرئيس السادات قد قطع هذه العلاقات بعدما قامت جماعة مسلحة فلسطينية باغتيال يوسف السباعي، وبعد وقوع مذبحة لقوات الصاعقة المصرية في قبرص في سنة ١٩٨٧. وحسب معلومات أسامة الباز، فإن الرئيس مبارك لن يؤيد استعادة العلاقات بين مصر وقبرص. لكنني، ومن دون بذل مجهود كبير، نجحتُ في الحصول على هذه الموافقة؛ حيث كنت مؤمنا بأهمية إقامة علاقات ودية مع كل بلاد المنطقة.

حضرتُ لقاء الرئيس مبارك بوزير التخطيط الكاميروني الذي يحمل رسالة صداقة للرئيس. أوضح الوزير الكاميروني أن الخلاف الناشب بين رئيس الجمهورية السابق ـ أحمدو أهيدجو ـ والرئيس الحالي ـ بول بيا ـ ليست له أي علاقة بأي خلاف بين مسيحيي الشمال ومسلمي الجنوب ويجب عدم الخلط بينهما. الرئيس مبارك يهتم جدًّا بالصراعات بين معتنقي الأديان، واستمع باهتمام شديد لما قاله الوزير.

القاهرة: الأربعاء، ٤ إبريل ١٩٨٤

قدَّم آبا إيبان عرضًا واضحًا وبسيطًا لسياسة حزب العمل الإسرائيلي. إنه متفائل ويتحدث بود عن «أفيال» الحزب: بيريز ونافون ورابين الذي يريدون إيجاد حل للمشكلة الفلسطينية. ومن بين الأفكار التي تروق لهم فكرة إنشاء مملكة ـ أو جمهورية ـ أردنية ـ فلسطينية.

لوكسمبورج: الاثنين، ٩ ـ الثلاثاء، ١٠ إبريل ١٩٨٤

التقيت بوزراء خارجية أيرلندا واليونان وفرنسا وإيطاليا. دافعتُ عن موضوعَيْن: احترام حقوق الإنسان وتطبيقها على الفلسطينيين والتعاون بين المجموعة الأوروبية وأفريقيا.

استمعوا إليَّ بطريقة ديبلوماسية. فهم يعرفون أن واجبي هو أن أتحدث وواجبهم هو الإنصات؛ أما حل مشاكلنا، فسيأتي حينما يحين الوقت.

جنيف: الأربعاء، ١١ إبريل ١٩٨٤

مائدة مستديرة في الأمم المتحدة حول «اللاجئين» وكراهية الأجانب. من بين الحضور: فلورا لويس، وسيمون فيل، وبرونو كرايسكي، وجان دورميسون. كنتُ الوحيد الذي تحدَّث عن هؤلاء «اللاجئين بلا وطن» أي الفلسطينيين. من العجيب أن أصحاب تلك النفوس العظيمة على ما يتمتعون به من كرم أخلاق وتفتح ذهني لا يستطيعون التخلص من سيطرة الأحداث الأوروبية على أفكارهم.

جنيف: الخميس، ١٢ إبريل ١٩٨٤

زيارة ودية للفريق كمال حسن علي الذي يتلقى العلاج في لوزان. يُعاني من مشاكل التهاب المفاصل، لكن حالته تتحسن وروحه المعنوية ممتازة. إنه رجل شجاع جدًّا يواجه مرضه بهدوء وسكينة.

القاهرة: الثلاثاء، الأول من مايو ١٩٨٤

تلقيتُ مكالمة هاتفية من الرئيس مبارك ليخبرني أن العلم المصري المرفوع فوق سفارتنا في مسقط في حالة سيئة. من المهم جدًّا ملاحظة كيف يهتم الرئيس مبارك بالرموز التي تمس صورة مصر. تهتم الثقافة العسكرية بالتقاليد الوطنية في وقت السلم وبالإستراتيجية في وقت الحرب.

القاهرة: الثلاثاء، ٨ مايو ١٩٨٤

استقبل الرئيس مبارك ـ في قصر القبة ـ رئيس وزراء غينيا ووزير خارجيته، وهما عسكريان طيبا الخلق يبدآن خطواتهما الأولى في عالم السياسة. حضرتُ هذه المقابلة مع الفريق كمال حسن علي. التفاهم والاتفاق مسألتان سهلتان للغاية بين أربعة من العسكريين، والدليل على ذلك هو أن الوزيريْن الغانييْن عبَّرا عن دهشتهما بحماسة عند سفرهما:

«ـ لم نحظَ قط بلقاء ودي وبنَّاء مثل هذا اللقاء».

أعتقد بوجود صلة وثيقة تربط بين العسكريين أيًّا كانت جنسياتهم، ومهما كانت رتبهم العسكرية.

القاهرة: الثلاثاء، ١٥ مايو ١٩٨٤

محاضرة في الكلية الحربية. قدمتُ تحليلًا للمشاكل التي تواجهها مصر، أو تلك التي ستواجهها في السنوات المقبلة. في المجال الداخلي: نقص المياه، ونضوب آبار البترول. وبالتالي، علينا أن نتوقّع غياب مصادر الطاقة، وتزيد الانفجار السكاني بوجود ٧٠ مليون نسمة بحلول سنة ٢٠٠٠.

وفي **المجال الخارجي**: علاقاتنا بأفريقيا، خصوصًا دول حوض النيل، ومساهمتنا في حركة عدم الانحياز، وعلاقاتنا مع العالم العربي، وكذلك الصراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي.

ولفتَ أحد مساعديَّ نظري ـ بهدوء ـ إلى أنني لم أُشر إلى علاقاتنا الخاصة مع الولايات المتحدة. في الواقع، فإن هذه المشكلة ستظل هي أهم المشاكل مادمنا لم نجد ـ بعدُ ـ وسيلة لإحداث توازن بين نفوذ الولايات المتحدة والنفوذ الروسي، وربما نفوذ الصين أو الهند في المستقبل.

القاهرة: السبت، ٢ يونيو ١٩٨٤

حصلتُ على موافقة الرئيس مبارك لإعادة العلاقات الديبلوماسية مع بلغاريا. أبلغتُ القائم بالأعمال البلغاري هذا القرار. تصرَّف كما ينبغي على الديبلوماسي الجيد بأن حاول ألا يبدي رد فعل، لكنه لم يقدر ـ تمامًا ـ على إخفاء مشاعر الرضا إزاء هذا القرار.

القاهرة: الثلاثاء، ٥ يونيو ١٩٨٤

دخل أحد مساعديَّ الشبان إلى مكتبي وهو مضطرب:

«ـ توفي رئيس الوزراء إثر أزمة قلبية في مكتبه». كان رئيس الوزراء في سني، وكان يبدو متمتعًا بصحة ممتازة. هذا إنذار موجَّه إلينا جميعًا. ينبغي علينا الإقلال من الولائم والرحلات والخمور والسيجار؛ وعلى وجه التحديد، يجب الإقلال من التوترات. قررتُ ـ فورًا ـ إلغاء رحلتي إلى المكسيك، لكن في الليلة نفسها، نسيتُ كل القرارات الجيدة التي اتخذتها، فقد دعاني بعض الأصدقاء لزيارتهم ولم ألتزم أبدًا بقراري التوقف عن شرب الخمور، كما أنني استمتعتُ بتدخين سيجار قدمه لي سفير كوبا.

استقبلتُ خافييه بيريز دي كوييار، السكرتير العام للأمم المتحدة. لقاء ممتع حدثني فيه عن كارلوس خمنيز ـ سفير بيرو في القاهرة ـ الذي يستأجر فيللا والدتي والذي توفي ـ هو الآخر ـ إثر أزمة قلبية. عرضتُ على دي كوييار الموقف في الشرق الأوسط. استمع إليَّ باهتمام ولم يُبدِ سوى تعليقات قليلة. إنه ديبلوماسي صميم: يعرف كيف يُنصت، وكيف يجامل بطريقة ساحرة قد تصل إلى حد مبالغ فيه فيحدث الأثر العكسي أحيانًا، ويعبِّر عن وجهة نظره بذكاء شديد وبدقة.

القاهرة: الأربعاء، ٦ يونيو ١٩٨٤

شُيِّعت جنازة فؤاد محيي الدين. كُلِّف الفريق كمال حسن علي بتولي منصب رئيس الوزراء بصفة مؤقتة. إذا لم تحدث أي مفاجآت، فسيكون هو رئيس الوزراء المقبل. وبذلك؛ سيخلو المنصب الذي يشغله حاليًا: نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية. منطقيًّا، يجب أن أحل محله ـ إذا كان هناك منطق في السياسة.

القاهرة: الخميس، ٧ يونيو ١٩٨٤

لقاء مع الفريق كمال حسن علي. قلتُ له: «إذا عُينتَ في منصب رئيس الوزراء، فسيكون الوقت قد حان لأن أخلفك في وزارة الخارجية».

فقال لي بصراحة ودودة: «لا تنسَ أنك مكروه تمامًا في العالم العربي منذ مرافقتك للسادات في رحلة القدس. بالإضافة إلى ذلك، فأنت قبطي، وأنت تعرف جيدًا ـ أنه منذ قيام الثورة ـ فإن هذا المنصب أصبح مُخصصًا للمسلمين فقط؛ نظرًا إلى العلاقات الوثيقة التي تربطنا بالدول الإسلامية».

استمعتُ إليه في صمت وشعرتُ ـ فجأةً ـ بأنني أُريد أن أهجر كل شيء: لقد انتهت مهمتي بتوقيع اتفاقية السلام مع إسرائيل؛ أمَّا ما بعد ذلك فهي تفاصيل متتالية وأحداث لا تترك بالضرورة أثرًا كبيرًا في الواقع.

القاهرة: الاثنين، ١١ يونيو ١٩٨٤

قضيتُ السهرة مع مصطفى خليل. إنه يتصور أن وفاة فؤاد محيي الدين ستجعله يعود إلى السلطة من جديد أو ـ على الأقل ـ يرجع إلى الحزب الوطني

الديموقراطي. إنه متفاهم جدًا مع الفريق كمال حسن علي، لكن ذلك لم يمنعه من أن يقول عنه:

«ـ إنه رجل عسكري قبل أي شيء آخر، وليست لديه كفاءة في المجال الاقتصادي».

على كل حال، ففي المجال الديبلوماسي، يعرف الفريق كمال حسن علي كيف يُنصت، وهذه ميزة ونقطة جيدة في صالحه.

لندن: الخميس، ١٤ يونيو ١٩٨٤

مباحثات في وزارة الخارجية البريطانية. أبدى البريطانيون اهتمامًا ملحوظًا بالجهود المبذولة من أجل التكامُل بين مصر والسودان وفي المقابل، فقد مروا سريعًا على المشكلة الفلسطينية والحرب العراقية ـ الإيرانية.

تناولت غداءً شهيًا جعلني أنسى كارثة عشاء الأمس.

قابلتُ نائب وزير الخارجية المكلَّف بالشئون الأفريقية. إنه يعرف كافة التفاصيل الدقيقة عن مباحثات الرئيس مبارك مع مختلَف رؤساء الدول الأفارقة وعن جولاتي في أفريقيا.

لندن: الجمعة، ١٥ يونيو ١٩٨٤

لمدة تزيد على الساعتين، تحدثت بحرارة مدافعًا عن القضية الفلسطينية. السير. هاورد ـ المستشار القانوني الضليع في وزارة الخارجية البريطانية ـ استمع إليَّ ببرود أعصاب وبدون أن يُظهر مشاعره، لكنني لاحظته وهو يتحرك عندما كنتُ أتحدث عن الحرب العراقية ـ الإيرانية ونتائجها. هذا الصراع سيزيد من ضعف العالم العربي ـ الإسلامي ومن احتدام الحرب المذهبية بين السنة والشيعة.

مكسيكوسيتي: السبت، ١٦ يونيو ١٩٨٤

كم كان ممتعًا أن يستقبلني سفير كفء هو السفير عزيز سيف النصر وزوجته، بعد التجربة المؤسفة في مقر إقامة السفير المصري في لندن.

مكسيكوسيتي: الاثنين، ١٨ يونيو ١٩٨٤

كارلوس كارسيكو ـ رئيس جمهورية المكسيك ـ لديه طريقة بسيطة للغاية لاستقبالك والإنصات إليك، ربما لأنه لا يزال في بداية ولايته. تطورات الحرب العراقية ـ الإيرانية، وتأثيرها على إنتاج العراق من البترول، موضوعان يشغلان ذهنه تمامًا، وهو غير ملم بالبُعد المذهبي في هذا الصراع بين السنة والشيعة.

افتُتحت الندوة الثانية «لأفريقيا ـ أمريكا اللاتينية» بحضور ١٢ مندوبًا عن أفريقيا و٢١ عن أمريكا اللاتينية. كانت خطبتي باللغة الفرنسية وتناولتُ فيها ـ إجمالًا ـ عددًا من الموضوعات التي فَصَّلها وزير خارجية المكسيك، خصوصًا ما يتعلق بسبل دعم العلاقات بين قارتَيْنا اللتين عانتا من الاستعمار القديم واللتين تتعرضان حاليًا لمواجهة مخاطر الاستعمار الجديد؛ إذا لم تنجحا في تجاوز الانقسامات الكثيرة والتخلف.

مكسيكوسيتي: الثلاثاء، ١٩ يونيو ١٩٨٤

وضعتُ باقة زهور على قبر الجندي المجهول في احتفال عسكري. أشعر بتأثر شديد كلما حضرتُ مثل هذه المراسم. بعد ذلك، قابلتُ وزير التجارة الذي تركني أتحدَّث، ووزير المالية الذي شرح لي بصراحة الوضع المالي الصعب الذي تجتازه بلاده. فنسبة التضخُّم تصل إلى ٨٠٪ سنويًّا، ووصلت الديون إلى بضعة مليارات من الدولارات. ومع ذلك، فإنه لا يزال متفائلًا تمامًا.

جنيف: الجمعة، ٢٢ يونيو ١٩٨٤

في المساء، هبطت الطائرة في جنيف. استقبلني السفراء وأخبروني بأن عصمت عبد المجيد ـ ممثلنا الدائم في الأمم المتحدة ـ سيتولى منصب وزير الخارجية. حتى تلك اللحظة، كنتُ أنا رئيسه، وها هو يُصبح الآن زميلي، وينبغي عليَّ أن أتقاسم السلطة معه. هل أستقيل أم أقبَل هذه المهانة الجديدة؟! تلك هي المشكلة التي يجب عليَّ أن أحسمها في الأيام المقبلة.

القاهرة: الأحد، ٢٤ يونيو ١٩٨٤

أفضيتُ لمصطفى خليل بنيتي في الاستقالة واقترحتُ عليه أن يُبلغ الرئيس بها

لكي يقبلها بدون عقبات. قال لي إنه قد سبق له وأن تحدث معه بشأني، لكن الرئيس متمسك بوجودي في الوزارة. نصحني مصطفى خليل بعدم تقديم استقالتي وأوصاني بالصبر. تركتُه وأنا لم أتخذ - بعد - قراري النهائي.

القاهرة: الثلاثاء، ٢٦ يونيو ١٩٨٤

حاولت مقابلة الرئيس؛ ولما لم أحصل على المقابلة المنشودة، قررتُ السفر للمشاركة في «لجنة الأمم المتحدة للقانون الدولي» في جنيف. ربما سأستطيع رؤية الموقف بشكل أوضح وأنا بعيد عن جو القاهرة الخانق.

جنيف: الجمعة، ٢٩ يونيو ١٩٨٤

استمعتُ إلى النصائح القيمة التي أسداها لي السفير سعد الفرارجي، وهو أحد مساعديّ المقربين وصديقي: الرئيس قد يستاء من قرار استقالتي وقد يعتبره تحديًا شخصيًّا. وبالإضافة إلى ذلك، فإذا كنتُ أسعى للحصول على منصب في الأمم المتحدة، فستكون لديَّ التسهيلات المطلوبة للحصول عليه؛ لأنني - في هذه الحالة - سأكون عضوًا في الحكومة ولستُ وزيرًا سابقًا يبحث عن عمل.

جنيف: السبت، ٣٠ يونيو ١٩٨٤

أعددتُ نص الخطبة التي سأُلقيها أمام «لجنة القانون الدولي» عن «الأنهار التي تجري في أكثر من دولة». سيكون النيل - النهر المقدس - هو محور بحثي. أنهيتُ كتابة النص في وقت متأخر من الليل وسأراجعه غدًا.

جنيف: الخميس، ٥ يوليو ١٩٨٤

مداخلة في «مؤتمر نزع السلاح» الذي ينعقد في قاعة «مجلس الأمم المتحدة» من بين المظاهر المختلفة للقانون الدولي - الذي درَّستُه طوال ٣٠ سنة - كان موضوع «نزع السلاح» هو الموضوع الذي أهملته دائمًا. ومع ذلك، يجب أن تكون له الأولوية إذا كنا نريد حقًّا إحلال السلام.

من تناقضات الحياة الديبلوماسية أنني بعد أن أمضيت كل الصباح متحدثًا عن نزع السلاح فإنني تناولتُ الغداء مع جان - لوك لاجاردير أحد أكبرمصنعي السلاح

في العالم ومساعده بول تانوس. لم نتطرَّق لمشاكل نزع السلاح على الإطلاق خلال ذلك الغذاء.

جنيف: الجمعة، ٦ يوليو ١٩٨٤

قررتُ عدم الاستقالة كما قررتُ السعي لشَغْل منصب «المفوض الأعلى لشئون اللاجئين» في الأمم المتحدة. سيخلو هذا المنصب في نهاية السنة المقبلة ويشغله ـ حاليًا ـ صديقي الأمير صدر الدين خان.

القاهرة: السبت، ٧ يوليو ١٩٨٤

صباحًا وفي مقر الوزارة، استقبلتُ فؤاد سراج الدين ـ رئيس حزب الوفد ـ ومعه إبراهيم فرج؛ الوزير القبطي السابق في هذا الحزب العتيد الذي كان عمي واصف غالي واحدًا من قياداته. انتقد فؤاد باشا سياسة الرئيس مبارك. حدثتُه عن الخطر الذي يمثله الأصوليون المسلمون؛ لكن سراج الدين باشا يقول بأن هناك فرقًا بين «الأصوليين» و«الإخوان المسلمين»: ففي رأيه أن الإخوان المسلمين ـ في الفترة الأخيرة ـ أصبحوا أقل ضررًا وخطورة. استنتجتُ مما قاله أنه ولا بد يفكِّر في التحالف معهم. سيكون ذلك بمثابة كارثة حقيقية ستقضي على أية محاولة لجعل مصر دولة ديموقراطية. لم أفهم السبب الحقيقي لهذه الزيارة.

القاهرة: الأربعاء، ١١ يوليو ١٩٨٤

في الساعة التاسعة صباحًا، استقبلني الرئيس مبارك بابتسامة عريضة وقال لي:

«ـ لقد استمعتُ إلى مختَلف وجهات النظر الخاصة بوضعك في وزارة الخارجية. أود أن أُؤكد لك بأن كونك مسيحيًّا لا يُشكل أية عَقَبَة أمام ترقياتك في المستقبل. أنا أثِقُ فيك ثقةً تامة، وأحتفظ لك ـ في المستقبل ـ بمناصب رفيعة جدًّا. ساعدني، فلديَّ مشاكل كثيرة تعترض تشكيل هذه الحكومة الجديدة. أكرِّر لك: أنا محتاجك وأنت تحظى بثقتي التامة».

القاهرة: الأربعاء، ١٨ يوليو ١٩٨٤

تناولتُ الغداء مع صديقي السفير أشرف غربال. عرضوا عليه منصب وزير السياحة

في الحكومة الجديدة؛ لكنه استطاع إقناع رئيس الوزراء بأنه سيخدم مصر ـ وهو سفير ـ بشكل أفضل مما لو أصبح وزيرًا.

استقبلتُ عبد الله توري، وزير خارجية سيراليون. إنه ذكي، ويتأثر بالمديح، وتحليلاته دقيقة، وأنا أستريح إليه. حجزتُ له الجناح الملكي ـ في فندق الميريديان ـ مما يُتيح له رؤية بانورامية للنهر وللجزيرة.

القاهرة: الخميس، ١٩ يوليو ١٩٨٤

سَلَّم الدكتور عبد الله توري رسالة للرئيس مبارك بعث بها إليه الرئيس سياكا ستيفنس يدعوه فيها للقيام بزيارة رسمية لسيراليون، أصدرنا بيانًا مشتركًا أكد فيه وزير خارجية سيراليون على تأييده لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، ومطالبته بإنشاء دولة فلسطينية.

القاهرة: الأربعاء، ٢٥ يوليو ١٩٨٤

اتفقتُ مع عصمت عبد المجيد على اقتسام المهام التي تتولاها وزارة الخارجية، سأتولى أنا ملفات العلاقات المصرية مع أفريقيا وآسيا، وسيتكفَّل هو بالعلاقات مع أوروبا والولايات المتحدة والأمم المتحدة؛ أمَّا الشرق الأوسط، فسنشترك معًا في متابعة ملفاته.

باريس: الجمعة، ٢٧ يوليو ١٩٨٤

فور وصولي إلى مطار باريس، علمتُ أن السلطات المصرية قد ألقَت القبض على الصحفي بيرونسيل ـ هيوجو عند وصوله لمطار القاهرة. على الفور، اتصلتُ هاتفيًّا لكي يُسمح له بدخول مصر. يبدو أن اسمه مُسجَّل في إحدى القوائم السوداء لأنه يشتم الحكومة المصرية.

إن سوء تصرف السلطات المصرية يبدو أحيانًا خارج نطاق كل سيطرة؛ فالقبض على صحفي ما، هو أفضل وسيلة لتقديم منبر دولي له لتأكيد الانتقادات التي يوجهها لمصر. نَجَحَت جهودي في الإفراج عنه وإعطائه تأشيرة دخول.

تناولت الغداء في قصر الإليزيه مع جاك آتالي وعلى الرغم من مسئولياته في

معاونة الرئيس ميتران ـ والتي تستحوذ على كل جهده ـ فإن آتالي يستطيع أن يجد وقتًا كافيًا ليصدر له كتابًا جديدًا كل عام. كتابه القادم سيكون عن سيجموند فاربورج الاقتصادي اليهودي الذي ولد في ألمانيا وكانت له أعمال بنكية هائلة في بريطانيا والولايات المتحدة. إنه لا يزال مقتنعًا بأن باريس قادرة على القيام بدور أساسي في أزمة الشرق الأوسط. لا أُوافقه على هذا التحليل.

القاهرة: السبت، ٢٨ يوليو ١٩٨٤

جلسة بجوار حمام السباحة في فندق هيلتون. أجريتُ مناقشة هامة مع سليم عيسى ـ وهو لبناني له علاقات وثيقة جدًّا مع الحكام العرب وكذلك مع الصحفي الكبير موسى صبري الذي قال لي:

«ـ سيخلِّد التاريخُ اسمك، فكل مَنْ سبقوك جاءوا وذهبوا. أمَّا أنت، فتمثل الاستمرارية والخيال والذكاء. فأنت عضو في الحكومة وتشغل منصبًا لا يختلف عن منصب وزير الخارجية. لا تقدم استقالتك إلَّا بعد أن تضمن منصبًا مهمًّا في الأمم المتحدة».

لديَّ هذا الاقتناع نفسه: لن أستقيل إلَّا بعد حصولي على مقعد في «محكمة العدل الدولية» أو على منصب رفيع في منظمة دولية.

باريس / طوكيو: الأحد، ٢٩ ـ الاثنين، ٣٠ يوليو ١٩٨٤

في الصباح، سافرنا إلى طوكيو على رحلة للخطوط الجوية اليابانية. توقفنا في آنكوريدج، أكبر مدن آلاسكا. كانت الشمس ساطعة. طرنا فوق القطب الشمالي. الغيوم تملأ السماء ولا يُمكن رؤية أي شيء من خلال نافذة الطائرة، لكن يبقى أننا كنا نحلق فوق هذه البقعة من الأرض، وهذا في حد ذاته أمر له دلالة. لماذا تحظى بعض الأماكن بهذا القدر العظيم من القيمة الرمزية؟ وصلنا إلى طوكيو يوم الاثنين في الساعة الثالثة بعد الظهر. هذه هي أول زيارة لي لليابان التي أكتشفها بانبهار ومتعة.

طوكيو: الأحد، ٥ أغسطس ١٩٨٤

زيارة ناجحة؛ فقد وافق اليابانيون على فكرتي بقيام تعاون ثلاثي مصري ـ ياباني ـ

أفريقي. سيقدِّم اليابانيون الدعم المادي والطبي والتقني لمصر التي ـ بدورها ـ ستوزعه على مختلف البلاد الأفريقية انطلاقًا من القاهرة.

أتاحت لي هذه الزيارة فرصة لقاء أحد أبطال طفولتي، فقد زرتُ معبد الأميرال توجو، ووقفت أمام قبره وأنا في غاية التأثر. اندهش اليابانيون جدًّا مما فعلت. شرحتُ لهم أن الأميرال «توجو» كان يحظى بشعبية هائلة في مصر نظرًا للهزيمة التي ألحقها بالأسطول الروسي في سنة ١٩٠٥. وكان هذا الانتصار بمثابة انتصار للدول ـ التي تُعاني من الاستعمار الغربي ـ على الإمبريالية الأوروبية فأشعل حماس الرأي العام المصري لدرجة أن كثيرًا من الآباء ـ في تلك الفترة ـ قد أطلقوا اسم «توجو» على مواليدهم. وكتب شاعرانا العظيمان ـ أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ـ قصائد تمجيدًا له.

من الأوقات الممتعة ـ أيضًا ـ في هذه الرحلة تلك الزيارة التي قمت بها لمدينة كيوتو ومعابدها الرائعة، وركوبي القطار فائق السرعة، ومشاهدة عرض للكابوكي، والكثير من الاكتشافات الثقافية التي جعلتني أندم لأنني كنتُ قد حصرتُ اهتمامي ـ حتى الآن ـ بالغرب فقط.

طوال هذه الرحلة، كنتُ مندهشًا تمامًا من السِّرية والحرص الشديديْن اللذَيْن أبداهما رجال الأمن اليابانيون الذين رافقوني، فلا يوجد أي وجه للمقارنة بين ما فعلوه في اليابان وما يُسبِّبه رجال الأمن ـ في باقي عواصم العالم الكبرى ـ من صخب وهياج.

شعرتُ بإعجاب عميق بالطريقة التي استطاع اليابانيون بها أن يمزجوا ما بين احترام التقاليد والحداثة. الشيء الوحيد الذي أزعجني هو معاناتي من آلام أزمة نقرس حادة تطاردني ـ عادةً ـ في تنقلاتي.

بكين: الاثنين، ٦ أغسطس ١٩٨٤

استقبلني نائب وزير الخارجية؛ لأن الوزير كان مسافرًا. انتظرني ـ في المطار ـ سفير مصر، عمر شرف، وهو من أعظم الدبلوماسيين ومليء بالحيوية. الطقس حار جدًّا في بكين.

أنزلونا في جناح في المدينة التي كانت مخصصة لإقامة النبلاء الأجانب. هذه

الأجنحة مرتَّبة حسب نظام إداري متسلسل دقيق للغاية: فهناك فئة «الجناح الأكبر» وهو مخصَّص لرؤساء الدول؛ تليها فئة الأجنحة المخصَّصة لرؤساء الوزارات، وغيرها المخصصة لوزراء الخارجية. وأخيرًا، توجد أجنحة يُمكن أن يتقاسمها وفدان رسميان ـ أو ثلاثة ـ من دول مختلفة.

طلبتُ من عمر شرف أن يعرف في أية فئة أنزلوني، فقال لي: «ـ لماذا تُعقِّد حياتك؟ ألا تعجبك حجرتك والحمام وقاعات الاستقبال؟ على كل حال، فالمقصورة المجاورة لك يشغلها ـ حاليًا ـ رئيس وزراء كوريا الشمالية».

إنه ديبلوماسي ممتاز: لم يشأ أن يقول لي إنني أنزل في أحد أجنحة الفئة الثالثة.

في الغداء، حضرتُ حفل استقبال عظيمًا. ألقى وزير الخارجية بالنيابة خطبة طويلة للترحيب بي. وبدوري، قرأتُ خطبة سياسية طويلة استعرضتُ فيها تاريخ العلاقات الودية بين مصر والصين: منذ «قمة باندونج» في سنة ١٩٥٥. كان مرتضى واحدًا من ألمع مساعديَّ وطالبًا سابقًا عندي، وهو الذي اقترح عليَّ موضوع هذه الخطبة. آلام أزمة النقرس تعذبني ومنعتني من الاستمتاع بهذا الجو الودي وهذا الاستقبال الحار.

بكين: الثلاثاء، ٧ أغسطس ١٩٨٤

أجريتُ مباحثات طويلة مع نائب وزير الخارجية ومعاونيه. الديبلوماسية الصينية في غاية الكفاءة: فنائب الوزير يعرف ملفاته تمامًا ولم يلجأ ـ في أية لحظة ـ لا لمراجعة مذكراته ولا لمعاونيه. أمَّا أنا، فكنتُ على العكس ـ ربما بسبب آلام النقرس التي تؤلمني وتمنعني من التركيز.

بعد الظهر، قررتُ استشارة طبيب. يبدو أن الطبيب تصوَّر أنني أُعاني من آلام الروماتيزم فأجرى لي جلسة علاج بالموجات فوق الصوتية مما زاد حالتي سوءًا.

تحاملتُ على نفسي وحضرتُ حفل عشاء مع السفراء العرب المعتمَدين في بكين. كان النقاش مفتوحًا للغاية حول الوضع في فلسطين ولبنان، وعن آخر تطورات الحرب العراقية ـ الإيرانية. ندمتُ لأنني لم أستطع إخفاء تشاؤمي. يجب على وزير الخارجية أن يبدو متفائلًا إذا أراد أن يؤدي مرءوسوه مهمتهم باقتناع.

بكين: الأربعاء، ٨ أغسطس ١٩٨٤

زرت سور الصين العظيم على الرغم من آلامي المستمرة. إنه مبهر تمامًا مثل الهرم الأكبر عندنا، مع وجود فارقَيْن: **الأول**، هو أن الهرم الأكبر يرتفع نحو السماء بينما سور الصين يمتد نحو الأفق. **والثاني**، هو أن الحضارة المصرية هي جزء من التاريخ بينما الحضارة الصينية لا تزال في مراحل الازدهار.

بعد الظهر، استقبلني رئيس الوزراء الذي كنتُ قد التقيتُ به في القاهرة في ديسمبر سنة ١٩٨٢. أشعر بالانبهار أمام سعة ثقافته العالمية: فلا يوجد أي وجه للمقارنة بينه وبين رؤساء الدول الأفارقة أو العرب الذين ألتقي بهم.

حضرت حفل عشاء رسمي. ألقى السفير عمر شرف خطبة للترحيب ثم تلاه وزير الداخلية الصيني الذي ألقى خطبة قصيرة. شربتُ النَّخْب وقلتُ جملتَيْن باللغة الصينية كنت قد حفظتهما غيبًا.

بكين: الخميس، ٩ أغسطس ١٩٨٤

ما زلت أُعاني من آلام أزمة النقرس. التقيتُ بزميل صيني عضو في «لجنة الأمم المتحدة للقانون الدولي»، ومُرشَّح لشغل منصب قاضٍ في «محكمة العدل الدولية». وعدته بدعم ترشيحه مع أن التقاليد تقضي بأن تحصُل كل دولة ـ من الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن ـ على مقعد قاضٍ في «محكمة العدل الدولية»؛ وبالتالي، فإن انتخابه سيتم بسهولة ويُسر.

بعد الظهر، سافرتُ إلى هانج ـ تشيو، المدينة التي يتغنى الشعراء بها. أقام لنا عمدة المدينة حفل استقبال جميلًا. أفرط السفير عمر شرف في الشراب ـ على الرغم من اعتراض زوجته الفاتنة على ذلك باللغة العربية ـ وأثار جوًّا مرحًا في الحفل. كنتُ أريد أن أفعل مثله لكن آلام النقرس أجبرتني على تغيير رأيي. قُدمت رقصات فولكلورية وأغانٍ ممتعة. كان العمدة في مزاج طيب ونافس السفير عمر شرف في إبداء الود وتبادل الضحكات.

شنغهاي: الجمعة، ١٠ أغسطس ١٩٨٤

غادرنا هانج ـ تشو إلى شنغهاي. في الصباح، أعطتني طبيبة أدوية مسكنة لآلام

النقرس. هذه الطبيبة أكثر علمًا من الأطباء الشبان الذين استشرتهم في بكين. على الرغم من ذلك، لا أستطيع المشي، فأنزلتني السيارة أمام سلم الطائرة بالضبط. لم أستطع حضور الاحتفال بتدشين سفينتَيْن حربيتَيْن تم بناؤهما لحساب البحرية المصرية لأن الترسانة توجد على بُعد ٦٠ كم من شنغهاي. في المقابل، لم أستطع رفض الدعوة لحفل العشاء الذي أقامه عمدة المدينة تكريمًا لي.

فوجلياميني: الاثنين، ١٣ أغسطس ١٩٨٤

حالتي الصحية تتحسَّن. قَررتُ الاستراحة في فندق آستير بالاس، في فوجلياميني - وهي شبه جزيرة بالقرب من آثينا - زرتُ كارامانليس الذي امتدح الرئيس مبارك، ففي رأيه، أن الرئيس مبارك يجمع بين مزايا ناصر والسادات بدون أن تكون عنده عيوبهما. لم أسألْه عن عيوب الرئيسَيْن السابقيْن.

القاهرة: الأربعاء، ٢٢ أغسطس ١٩٨٤

ذهبت للمطار لاستقبال وزير الدولة الكاميروني للشئون الخارجية. رافقته حتى فندق الميريديان ووقفنا في شُرفة جناحه الخاص. تأملنا النيل معًا. إنه متخصص في الجغرافيا ومنبهر بالنهر المقدس وبالقاهرة وبمصر.

القاهرة: الأحد، ٢٦ أغسطس ١٩٨٤

رحلة إلى الإسكندرية مع الوزير الكاميروني للقاء الرئيس مبارك في قصر «رأس التين» الذي يطل على الميناء. تأثر الوزير الكاميروني تأثرًا شديدًا بجو الاحتفال الرسمي للمقابلة لدرجة أنه لم يستطع التعبير بسهولة عما يريد قوله، ولذلك، ولأول مرة في حياتي، جربتُ إعادة صياغة الجُمل غير المترابطة التي غمغم بها الوزير باللغة الفرنسية وترجمتها للرئيس باللغة العربية. كان تمرينًا صعبًا للغاية لكنه أتاح إنقاذ الموقف وإنقاذ العلاقات الودية بين القاهرة وياوندي.

كينشاسا: الأحد، ٢ سبتمبر ١٩٨٤

الاجتماع الثاني لمجموعة «الأوندوجو». يبدو أننا لن نستطيع أن نتخطى عقبة الريبة والشك التي تشعر بها دول حوض النيل إزاء هذه المجموعة. ربما أكون قد تناولتُ

المشكلة بشكل خطأ، أو ربما كان يجب تسليم هذا الملف للتقنيين لكي يتوصلوا لإيجاد صيغ توفيقية بين هذه الدول، أو ربما كان يجب تناول الموضوع بشكل ثنائي لأن وضع كل دولة يختلف عن غيرها. هل كان يجب إعداد مشروع مبدئي لشبكة كهربائية تُغذِّيها مجموعة من السدود المقامة على النيل أو أحد فروعه؟

أُقيمت احتفالات لا تنتهي بمناسبة عيد ميلاد الرئيس موبوتو. بعد ذلك، حضرتُ عشاءً منفردًا مع كاماندا وزير خارجية زائير. حدثني عن جهوده لكي تتبنى زائير سياسة غير منحازة. حدثته عن المصاعب التي أُواجهها في سبيل إنشاء تعاون بين دول حوض النيل. بدا لي أنه ـ هو شخصيًا ـ موافق على الفكرة، لكنه لَمَّح لي بضرورة إقناع الرئيس موبوتو.

كينشاسا: الاثنين، ٣ سبتمبر ١٩٨٤

عند صعودي إلى سفينة موبوتو، قابلتُ ابن الرئيس ميتران وهو يهبط منها. تابع موبوتو باهتمام شرحي لموضوع إدارة مياه النيل. حاولتُ إقناعه بأن بناء السدود سيكون مصدرًا هامًا للطاقة، وبإمكانية ربط سد أنجا بالسد العالي في أسوان. إن المشاريع العظيمة تُثير دائمًا خيال رؤساء الدول. وعدني موبوتو بالاتصال بنظرائه في رواندا وباقي دول حوض النيل لإقناعهم بالاشتراك في اجتماعات الأُوندوجو.

بدأ مؤتمر مجموعة «الأوندوجو» ظُهرًا وحضره وزير خارجية أفريقيا الوسطى، ووزير التعاون الإقليمي في أوغندا، ووزير خارجية السودان، وسكرتير الدولة للشئون الخارجية في زائير وهو الذي يرأس الاجتماع، ووزير الإدارة المركزية في رواندا بصفة مراقب. في النهاية، أصدرنا بيانًا طويلًا جدًّا يحمل توقيع «مجموعة الأُوندوجو». أعلنّا فيه عن التزام دول المجموعة بزيادة التعاون في مجالي الاتصالات والمبادلات التجارية خصوصًا في إطار «منظمة الوحدة الأفريقية».

وتحدث البيان عن المشاكل الرئيسية في أفريقيا: جنوب أفريقيا، وناميبيا، وتشاد، والصحراء الغربية. كما أشار البيان نفسه إلى المشاكل العربية: فلسطين، والحرب الأهلية في لبنان، والصراع العراقي ـ الإيراني. وتم الاتفاق على عقد الاجتماع التالي في شهر أغسطس سنة ١٩٨٥ في أوغندا. أعتقد أننا قد حققنا بعض التقدم.

جنيف: الخميس، ٦ سبتمبر ١٩٨٤

ذهبت إلى لوزان لزيارة الفريق كمال حسن علي الذي ما يزال مريضًا. بدا عليه الإرهاق الشديد لدرجة أنه غفا وأنا جالس معه. ألححتُ عليه لكي يُطيل مدة إقامته في المستشفى، لكنه كان قد قرر العودة للقاهرة في نهاية الأسبوع. رجوته أن يبقى حتى يستكمل علاجه؛ فالقاهرة تستطيع أن تنتظر. لكن جاذبية السلطة تجعل متطلبات الصحة تتراجع إلى الصف الثاني.

باريس: الجمعة، ٧ سبتمبر ١٩٨٤

أقام السفير سمير صفوت حفل استقبال في السفارة المصرية. حضر الحفل: كلود شيسون، وأبلغته بقراري للسعي لشغل منصب «المفوض الأعلى لشئون اللاجئين» في جنيف، وطلبتُ دعمه لي. فقال لي كلود شيسون: «إنه منصب مهم للغاية وهو مناسب لك تمامًا». ووعدني بدراسة هذا المشروع بدون أن يذكُر شيئًا عن احتمال تأييد فرنسا له.

تلقيتُ مكالمة هاتفية من الرئاسة في القاهرة. يجب أن أعود إلى مصر قبل صباح يوم الأحد القادم لأن الرئيس خوسيه إيدواردو دوس سانتوس ـ رئيس أنجولا ـ سيصل إلى مصر في زيارة رسمية.

القاهرة: الأحد، ٩ سبتمبر ١٩٨٤

استقبل الرئيس مبارك نظيره الأنجولي في مطار القاهرة. إنه شاب طويل القامة. كُلِّفتُ بمرافقته طوال فترة زيارته. سألني ما إذا كنتُ قد عرفتُ آجو ستينو نيتو. قلتُ له إن لقاءاتي مع هذا الزعيم الأفريقي العظيم كانت عن طريق الصدفة. ولم أذكر له أنني قد حاولت ـ أثناء انعقاد «قمة مونروفيا» عام ١٩٧٨ ـ تنظيم لقاء بين الرئيسَيْن: آجو ستينو نيتو والسادات لكن الرئيس السادات غضب ورفض مقابلة أحد الشيوعيين.

حدثني طويلًا عن مشاكله مع الدكتور جوناس سافيمبي، رئيس حركة «يونيتا»، ووصفه بأنه «عميل لجنوب أفريقيا». سألته عن إمكانية حدوث تقارب ثم عقد

اتفاق بين حكومته وحركة «يونيتا». رد عليَّ ردًا مُبهمًا فهمتُ منه أنها ستكون عملية طويلة وشاقة.

القاهرة: الاثنين، ١٠ سبتمبر ١٩٨٤

مباحثات بين الرئيسَيْن. لديَّ وسواس قهري فيما يتعلق بالكتابة، فأردتُ إصدار البيان المشترك، لكن الزيارة كانت قصيرة للغاية، ولم يوافق الرئيسان على ذلك. أوصل الرئيس مبارك ضيفه ـ الرئيس دوس سانتوس ـ بالهيليوكوبتر ـ حتى المطار. كان مبارك سعيدًا بهذه الزيارة:

«ـ صديقك الكونجولي (دمه خفيف)».

القاهرة: الثلاثاء، ١١ سبتمبر ١٩٨٤

ظهرت صورة في جريدة الأهرام اليومية بشكل بارز: الرئيسان يُحيط بهما معاونوهم. هذا ما سيبقى للأجيال المقبلة من هذه الزيارة التاريخية القصيرة، بشرط أن يكون هناك من بين أمناء المحفوظات من اهتم بالاحتفاظ بنسخة من هذه الجريدة.

القاهرة: الثلاثاء، ٢٥ سبتمبر ١٩٨٤

تلقيتُ مكالمة هاتفية من الصحفية هدايت عبد النبي لتخبرني بأن دولة الأردن قد أعادت علاقاتها الدبلوماسية مع مصر. انتصار. إنها بداية النهاية للعُزلة السياسية التي فرضتها الدول العربية ـ المعادية لاتفاقية السلام مع إسرائيل ـ على مصر.

القاهرة: السبت، ٢٩ سبتمبر ١٩٨٤

قدمت عرضًا أمام أعضاء البرلمان عن عودة العلاقات الدبلوماسية مع الأردن، وعن أهمية العلاقات بين عَمَّان والقاهرة لاستكمال عملنا المشترك من أجل إيجاد حل للقضية الفلسطينية. لقد كان السادات على حق عندما كان يقول: «سيعودون جميعًا ـ مثل الحملان ـ للرعي في وادي النيل».

نيروبي: الجمعة، ١٩ أكتوبر ١٩٨٤

مهمة جديدة في أفريقيا. وصلتُ فجرًا إلى العاصمة الكينية بعد ما قضيتُ الليل

في الطائرة. بعد الظهر، قابلت الرئيس آراب موي. حدثته عن «مجموعة الأوندوجو» الجديدة. ظل باردًا ولم يُبد أية إشارة: هل يسمعني أم لا؟ وشكرني لأنني جئت للمشاركة في الاحتفالات «باليوم الوطني لكينيا» التي ستبدأ غدًا.

تقع كينيا على منابع نهر النيل، ويبدو أنها غير مهتمة بمشاكل التزود بالمياه، مثلها في ذلك مثل باقي دول المنبع؛ أمَّا دولتا المصب فهما تهتمان بهذه المشكلة.

اجتمعتُ مع سفراء مصر ـ المعتمدين في دول المنطقة ـ ومع المعاونين القريبين مني: أحمد صدقي، وأحمد حجاج الزَنْط، وعلي ماهر، إنهم مجموعة من الدبلوماسيين الشبان النشطاء والأذكياء الذين يؤمنون بأهمية دور مصر في أفريقيا. شجعتهم على التواصُل فيما بينهم مباشرةً بدون حتمية التواصل عبر برقيات مرسلة إلى ديوان الوزارة بالقاهرة، وبشرط أن يُبلغونا ـ فيما بعد ـ باتصالاتهم.

نيروبي، السبت، ٢٠ أكتوبر ١٩٨٤

حَضَرَتْ جماهير غفيرة للاستاد الكبير وكذلك فرق غنائية واستعراضات. بعد هذا الاحتفال، حضرتُ حفل غداء في القصر الجمهوري. كنتُ الأجنبي الوحيد الذي دُعِيَ إلى المائدة الرئاسية.

عقدتُ اجتماع عمل ثانيًا مع السفراء المصريين استمر حتى وقت متأخر من الليل. إن حماسهم وحميتهم ورغبتهم في التحرك والعمل على الرغم من بلادة الإدارة المركزية منحتني دفعة للأمام.

أديس أبابا، الأربعاء، ١٤ نوفمبر ١٩٨٤

أحتفل اليوم بعيد ميلادي الثاني والستين، على هامش مؤتمر «منظمة الدول الأفريقية». طبيب المؤتمر وجد أن ضغطي مرتفع. إنني مُتعَب ومُحْبَط. ما الفائدة من هذا المجهود وبهذه الطريقة؟ أخشى أنه رغم كل هذه الجهود ألا تهتم مصر بأفريقيا وأن يُترك للأجيال القادمة مهمة حل مشكلة مياه النيل. في أغلب الأحيان، كان زملائي الوزراء، والمساعدون القريبون مني، يكررون لي هذه العبارة:

«ـ لدينا مشاكل كثيرة عاجلة تتطلب الحل، فلماذا نعقد مسئولياتنا بالانشغال بمشاكل الغد؟».

القاهرة: الأربعاء، ٢٨ نوفمبر ١٩٨٤

حضرتُ مراسم تقديم ستة سفراء لأوراق اعتمادهم للرئيس مبارك بعد انتهاء المراسم، كنتُ أستعد للعودة إلى الوزارة، ففي انتظاري الكثير من الملفات؛ لكن الرئيس أصر على أن أُرافقه إلى أنشاص، بالقرب من القاهرة حيث سيفتتح مصنعًا جديدًا للمنتجات الكيماوية.

بعد ذلك، زار القاعدة الجوية هناك التي كان يرأسها قبل أن يصبح نائبًا لرئيس الجمهورية. دارت مناقشة في أجواء غاية في الاسترخاء بينه وبين الطيارين الشبان. اندهشتُ من صراحة الأسئلة:

«ـ هل سيادتك رئيس للأغنياء أم للفقراء؟».

«ـ هل تؤيد النظام الاشتراكي أم النظام الرأسمالي؟».

«ـ سيدي الرئيس، إن من يطرح عليك هذا السؤال ليس بقبطي بل مسلم: متى ستطلقون سراح الأنبا شنودة؟».

«ـ متى تنوون تطبيق الشريعة في مصر؟».

أجاب الرئيس مبارك برصانة وفطنة عن كل هذه الأسئلة، لكن الذي أعجبني هو شجاعة هؤلاء الشبان العسكريين، والاهتمام الذي أبدوه بالسياسة. من يعرف، فربما سيكون من بينهم من يسعى يومًا للوصول إلى سدة الحكم.

جنيف: الأحد، ٢ ديسمبر ١٩٨٤

جلست في الطائرة المتجهة إلى جنيف بجوار المحامي العظيم، حسن بغدادي. طوال أربع ساعات ـ أو ربما خمس ساعات ـ لم يكُف عن الكلام وأخذ يحكي لي باستياء كبير عن عيوب الإدارة المصرية العديدة. استمعتُ إليه ولم يترك لي فرصة إبداء أي تعليق وهذا من حُسن حظي لأنني أُوافقه تمامًا على رؤيته للأمور؛ لكنني ـ مع ذلك ـ التزمتُ بالتحفُّظ... والحرص.

جنيف: الاثنين، ٣ ديسمبر ١٩٨٤

تناقشتُ مع رئيس منظمة الصليب الأحمر ـ هاي ـ بخصوص الإعداد لمؤتمر

ضخم سيُعقد في سنة ١٩٨٦، والهدف من هذا المؤتمر هو توعية الرأي العام بأهمية القانون الإنساني الدولي.

جنيف: الثلاثاء، ٤ ديسمبر ١٩٨٤

ألقيتُ محاضرة في قاعة فندق الإنتركونتيننتال عن «السلام في الشرق الأوسط» أمام جمهور مختار بعناية من البرجوازية العليا في جنيف وأعضاء السلك السياسي المعتمدين لدى الأمم المتحدة في جنيف. قدمت إجابات ديبلوماسية عن أسئلة لم تكن كلها ديبلوماسية.

بروكسل: الخميس، ٦ ديسمبر ١٩٨٤

تبادلتُ وجهات النظر مع جاستون تورن قبل أن يستقبلني الملك. أنا متأثر دائمًا ببساطته الحقيقية ولطفه البالغ. إنه رجل حكيم. قال لي:

«ـ يجب أن تأتي كثيرًا إلى أوروبا لكي تشرح ـ بشكل أفضل ـ وتدافع عن مصالح عالمك الذي يعاني من التفرقة والتمييز والقهر».

حدثتُه عن حقوق الإنسان، والفلسطينيين، ومشاكل المياه، وأهمية إنشاء منظمة دولية تكون قادرة على إدارة حوض النيل. استمع إليَّ باهتمام، ودوّن بعض الملاحظات كما لو كان طالبًا صغير السن. يا له من حاكم عظيم!

في السهرة، ألقيتُ محاضرة مختلفة عن محاضرة جنيف، ولكنها كانت محاضرة مرتجلة أمام جمهور أكثر انتباهًا وأكثر علمًا؛ حيث طرح بعض أسئلة ذكية أجبرتني على الرد بردود ذكية.

بوجومبورا: السبت، ٨ ديسمبر ١٩٨٤

وصلت بالأمس إلى العاصمة البوروندية للاشتراك في قمة «فرنسا ـ أفريقيا» في الصباح، قمت برحلة في البحيرة. وفي أثناء جولتنا، أشاروا إلى قرية مشهورة تحاك حولها الروايات فوفقًا للأسطورية يُحكى أن هذه القرية هي النقطة التي التقى عندها المستكشف البريطاني ليفنجستون مع هنري ستانلي.

بوجومبورا: الأحد، ٩ ديسمبر ١٩٨٤

زرتُ «المعهد الزراعي» في جيتيجا، وهو فرع لكلية الزراعة بجامعة القاهرة. أغلبية الأساتذة من المصريين ومصر هي التي تدعم تكاليف إدارة هذا المعهد. أعرب المصريون العاملون في هذا المعهد عن الفخر والامتنان الشديدين لهذه الزيارة غير المتوقعة. وكنت بدوري فخورًا جدًا بالعمل الذي يقومون به هنا.

في الفندق، قابلتُ الرئيس عمر بونجو الذي كدس ثروة هائلة بفضل البترول. سألته:

«ـ لماذا لا تنشئ «جائزة بونجو من أجل أفريقيا»، على غرار جائزة نوبل؟».

نظر إليَّ بونجو بريبة وأعلن:

«ـ عندما أمنح «جائزة نوبل للسلام» نتيجة للعمل الذي قمتُ به في أفريقيا، ربما سأفكر في إنشاء جائزة بونجو».

بوجومبورا: الثلاثاء، ١١ ديسمبر ١٩٨٤

احتفال رسمي بافتتاح «قمة فرنسا ـ أفريقيا». خطب الرؤساء بونجو وميتران وغيرهما. استفدت من فترة الغداء لكي أسلم لرئيس بوروندي رسالة من الرئيس مبارك مع هدية هي طبق من الفضة.

أجريتُ مناقشة طويلة مع جان ـ كريستوف ميتران، وجاك آتالي، وعبد اللطيف الفيلالي ـ الذي لم أره منذ «قمة هافانا» في سنة ١٩٧٩. دارت المناقشة حول مشكلة الصحراء الغربية التي ما تزال تُسَمِّم العلاقات الجزائرية ـ المغربية، كما تُسَمِّم ـ أيضًا ـ العلاقات بين الدول الأفريقية وبعضها، والدول العربية وبعضها، وسيستمر هذا الحال لسنوات طويلة قادمة.

بوجومبورا: الأربعاء، ١٢ ديسمبر ١٩٨٤

في الظهر، جلسنا حول موائد صغيرة، بدون ترتيب محدد للجلوس. جلستُ على مائدة ميتران وبعض رؤساء الدول الأفريقية، منهم: عمر بونجو، وحسين حبري. دارت مناقشات مهمة فرنسية ـ أفريقية: بدأت ـ أولًا ـ بتناول المشاكل الحالية في أفريقيا، ثم تحوَّلَت بعد ذلك لمناقشة موضوع «السلطة». فرنسوا ميتران قال لهم:

«ـ ما زلتُم كُلكم شبابًا، ولديكم المستقبل أمامكم». فرد عليه عمر بونجو قائلًا:

«ـ إن المستقبل غير مضمون بالمرة، ففي أية لحظة، يمكن لأي رئيس من الرؤساء الأفارقة أن يفقد السلطة لأسباب تتراوح بين المرض والموت والانقلابات. إن الرئيس الأفريقي إذا ما أبدى لطفًا وحسن معاملة مع أحد وزرائه، فإن هذا الوزير سيتصور في الحال أنه يستطيع أن يأخذ مكان الرئيس. إذا كان لا بد لنا من عقد مقارنة نوعية بين السلطة في أوروبا والسلطة في أفريقيا، فبإمكاننا القول بأن السلطة ـ في أوروبا ـ مضمونة خلال فترة محددة بواسطة الدستور. أمَّا في أفريقيا، فإن السلطة تكون لمدة غير مُحدَّدة، مع وجود المخاطرة الدائمة بوقوع انقلاب أو أن يتعرض الحاكم للاغتيال».

استمع ميتران باهتمام لهذا الحديث.

القاهرة: الأربعاء، ١٩ ديسمبر ١٩٨٤

قدمتُ تقريرًا للرئيس مبارك عن لقاءاتي في بروكسل ـ وبوجومبورا. حصلتُ على موافقته ودعمه لكي أترشح لمنصب «المفوض الأعلى لشئون اللاجئين» في جنيف. أعرف أن هذا المشروع يضايقه.

الفصل الرابع

□ الترشيح لمنصب المفوض الأعلى لشئون اللاجئين
في الأمم المتحدة □ رعب المارشال موبوتو في القاهرة
□ انقلاب في السودان □ مأساة آكيلي لاورو

القاهرة: الثلاثاء، الأول من يناير ١٩٨٥

عشاء في السفارة الفرنسية. النقاش تناول كافة موضوعات الساعة مع التركيز على الصراع العراقي ـ الإيراني. العراق يتلقى أسلحة من بريطانيا ويشحنها بواسطة ناقلات فرنسية. أمَّا إيران، فتتزود بالأسلحة من فرنسا وتشحنها بواسطة ناقلات سوفييتية. تقسيم المبيعات من الأسلحة المصدرة للعراق وإيران بين فرنسا وبريطانيا يحقق الفائدة للجانبين الفرنسي والبريطاني في ذات الوقت.

استمعتُ إلى ما يقال دون أن أقوم بإبداء أي تعليق. إن قدرة الدول على إظهار الأنانية وتجاهل المبادئ الأخلاقية يتجاوز بكثير قدرة البشر على القيام بذلك. ويتقاسم حكام العراق وإيران مسئولية ارتكاب هذه الجرائم مع تجار السلاح الأوروبيين؛ لكن، في نهاية الأمر، فإن الشعبين العراقي والإيراني هما اللذان يُعانيان نتائج تلك الجرائم اللا أخلاقية.

القاهرة: الأربعاء، ٢ يناير ١٩٨٥

ألقيت محاضرة في الأكاديمية العسكرية عن موضوع «الأمن القومي»، طرحت فكرة تتعلق بارتباط الأمن القومي لمصر بضرورة تأمين منابع النيل وتقوية العلاقات المصرية السودانية على النحو التالي: المرحلة الأولى تتطلب إنشاء اتحاد فيدرالي

بين مصر والسودان. والمرحلة الثانية تتطلب إقامة تجمُّع يضم الدول الواقعة في حوض النيل.

كما شرحت وجهة نظري حول أهمية إعداد وتأهيل كوادر من الموظفين والعسكريين الذين يعرفون لغات وعادات وتقاليد جنوب السودان.

تناولتُ العشاء مع أشرف غربال وزوجته. ما يزال أشرف واحدًا من أهم السفراء المصريين في الخارج.

تحتاج وزارة الخارجية ـ بشدة ـ لإنشاء إدارة تكلف بدراسة المشاكل العربية؛ وبدون إنشاء هذه الإدارة، سيكون من الصعب علينا الحفاظ على قيادتنا للعالم العربي. كما أنني أرى أنه من الضروري جدًا تبنيّ سياسة مصرية طموحة تجاه أفريقيا. اعترف لي أشرف بأنه لا يعرف أفريقيا جيدًا لكنه أبدى استعداده للقيام بمهام ديبلوماسية للعمل على سد هذه الفجوة. كما إنني أُصِرّ أيضًا على ضرورة وجود سياسة طموحة تجاه أفريقيا في الوزارة.

هل لدينا القدرات المالية والتقنية لكي نقوم في الوقت ذاته بتبني سياسة ناجحة تجاه العالم العربي وأخرى تجاه أفريقيا ـ مع الأخذ في الاعتبار أن هناك تداخلًا وتقاطعًا كبيرين بين قضايا العمل الأفريقي وقضايا العمل العربي؟ وإذا كان لا بد من الاختيار بين العالم العربي وأفريقيا، فماذا سيكون خيارنا؟ باختصار، ما هو الأهم بالنسبة لمصر: النيل رمز المستقبل أم القدس، رمز التاريخ؟ ما هو الأهم: الجغرافيا أم التاريخ؟

القاهرة: الخميس، ٣ يناير ١٩٨٥

التقيتُ بطريرك الروم الكاثوليك ـ المونسنيور حكيم ـ لتجديد جواز سفره الديبلوماسي المصري. انتقد الحكومة بشدة لأنها تمنع إجراء الترميمات اللازمة للكنائس. وعدتُه بالتدخُّل لدى وزير الداخلية مع أنني أدرك أنني سأصطدم برفض الطلب بالنظر إلى أن أجهزة الأمن تعاني دومًا من حالة من الريبة تكاد تكون مرضية فيما يتعلق ببناء أو حتى ترميم الكنائس. يبدو أن معركة الأجهزة الأمنية ضد الأصوليين تجعلها تتعامل بقسوة مع المسيحيين. حيث إن هذه الأجهزة ترى أن المسيحيين

ناكرون للجميل لأنهم يَشْكُون من التمييز ضدهم، في حين أن أجهزة الأمن تفعل كل شيء لحمايتهم.

بعد الظهر، ذهبتُ إلى المطار لاستقبال الرئيس ليوبولد سيدار سنجور. لم يكُف عن الحديث عن مواضيعه المفضَّلَة: اختلاط الأجناس وخصوصيات اللغات. حدثني ـ أيضًا ـ عن غباء وجهل الرئيس السوداني النميري، وعن الصراع بين الخرطوم والجنوب الذي يدين أغلب أبنائه بديانات أفريقية أو بالديانة المسيحية.

استمعتُ بدون تعليق ثم قدمتُ له البرنامج الذي أعددتُه له: في الغد، زيارة المتحف المصري ثم السفر إلى الإسكندرية لزيارة جامعة سنجور، يوم الأحد، الغداء مع الرئيس مبارك، يوم الاثنين، زيارة هرم سقارة، يوم الثلاثاء، السفر في الصباح.

استمع سنجور إليّ وهو شارد الذهن؛ فقد كان منشغلًا بشرح أهمية اختلاط الأجناس لأحد مساعديّ.

القاهرة: الأحد، ٦ يناير ١٩٨٥

أقيم حفل غداء تكريمًا للرئيس سنجور. حضر الحفل كل من المشير أبو غزالة، ورئيس مجلس الشورى، وعصمت عبد المجيد، وأسامة الباز، وسفير السنغال. أراد الرئيس مبارك إضفاء جو من الصداقة والمرح على المناقشة، فقال للرئيس سنجور:

«ـ سيدي الرئيس، هل تعلم بأن بطرس يخاف جدًا من زوجته؟».

فانفجر الرئيس سنجور ضاحكًا:

«ـ لكنني أنا أيضًا أخاف من زوجتي».

القاهرة: الاثنين، ٧ يناير ١٩٨٥

اليوم، يحتفل الأرثوذوكس بعيد الميلاد. في حياة والدتي، كُنا مُعتادين اللقاء عندها لتناول غداء عائلي كبير. ومنذ وفاتها، أصبحنا نتناول هذا الغداء عند أصدقائنا: آل وهبة وآل عبد النور.

بعد الظهر، التقيتُ بمحمد نوري ـ مبعوث حسين حبري ـ طلب منا التوسط لدى الولايات المتحدة. وحسبما يقول، فإن باريس تخطط للتخلص من حسين حبري أو

ربما حتى تخطط لتقسيم تشاد... يجب على المرء أن يعرف كيف يسكُت ويُنصت: فالتشاديون شأنهم في ذلك شأن الماليين، وكل الشعوب التي احتلتها فرنسا في الماضي لديهم هاجس بأن دولة الاحتلال التي تحرروا منها تسعى دومًا للتدخل في شئونهم. لكن المشكلة تظهر في الواقع عندما تبدأ دولة الاحتلال في رفع أيديها عن شئون البلاد التي كانت يوما مستعمرات لها.

القاهرة: الثلاثاء، ٨ يناير ١٩٨٥

علمت أن موعد استقبال الرئيس لمحمد نوري تم تحديده، وخلال الاستقبال استمع الرئيس لنوري باهتمام وقدم له النصح بإجراء اتصال مع ليبيا. والرئيس بطبيعته نادرًا ما يتجاوز اللغة الديبلوماسية، ولكنه أحيانا يباشر الحديث مع ضيوفه بلغة قاطعة ويخبرهم بأشياء ربما لا يرغبون بالضرورة في سماعها.

خصصت فترة بعد الظهيرة للحملة الخاصة بالترويج لترشيحي لمنصب مفوض الأمم المتحدة الأعلى لشئون اللاجئين، والتقيت بنحو ستة من السفراء بغرض الحصول على دعم بلادهم لهذا الترشيح.

القاهرة: الأربعاء، ٩ يناير ١٩٨٥

كل السفراء الذين قابلتهم وعدوني بتأييد حكوماتهم لي، ما عدا سفير هولندا الذي طلب منّي أن تؤيد مصر المرشح الهولندي. وفي إطار حُسن الديبلوماسية، فقد وعدته بنقل رسالته هذه للرئيس مبارك. وفي الوقت نفسه، كنتُ أتمنى من صميم قلبي أن أفوز في هذه المنافسة المصرية ـ الهولندية.

باريس: الخميس، ١٠ يناير ١٩٨٥

مباحثات مع وزير التعاون الفرنسي ـ كريستيان نوتشي ـ الذي حل محل جان ـ بييركوت. تركزت مواضيع النقاش الأساسية حول حسين حبري، وتشاد، والتعاون بين مصر وفرنسا وأفريقيا في مجال المساعدات التقنية. أكدت بشدة على أهمية هذا التعاون الثلاثي الذي سيدعم الفرانكفونية في مصر. وفي الوقت نفسه، فإن ذلك التعاون سيفتح الباب أمام مساهمة فرنسا في نفقات المشاريع المصرية في أفريقيا.

يبدو أن فرنسا غير مستعدة للتعاون مع دول أخرى في مجال المساعدة على التنمية وأنها تفضل إدارة العلاقات في الإطار الثنائي.

باريس: السبت، ١٢ يناير ١٩٨٥

في القنصلية المصرية، التقيتُ بالرعايا المصريين. عقدتُ هذا اللقاء لعرض سياسة الحكومة المصرية والرد على شكاوى المصريين المغتربين. كان النقاش وديًّا وهادئًا باستثناء وجود شابة كانت عدوانية للغاية.

آبيدجان: الأحد، ١٣ يناير ١٩٨٥

في المطار استقبلني وزير الخارجية، سيميون آكيه، وهو رجل متوسط الطول وممتلئ، ولكن ما يلفت النظر فيه مباشرة هي تلك النظرة الماكرة المليئة بالذكاء.

أخبرتُه عن نيتي في الترشيح لمنصب مفوض الأمم المتحدة الأعلى لشئون اللاجئين، فنظر إليَّ بدهشة قائلًا: «ـ ستكون مخطئًا لو تركتَ وزارة خارجية بلدك...». قضيتُ الليلة في جناحي «بفندق إيفوار» وأنا أحاول ـ بلا جدوى ـ إيقاف جهاز التكييف فتجمدتُ من البرد.

ياموسوكرو: الثلاثاء، ١٥ يناير ١٩٨٥

أخذنا الطائرة إلى ياموسوكرو، حيث استقبلني جورج أوجين آللو وانيو، رئيس إدارة المراسم اللامع لدى الرئيس هوفوييت ـ بوانيي. لقاء مع الرئيس استمر ساعتَيْن تحدث خلالهما الرئيس بدون توقف عن ذكريات شبابه لدرجة أنه لم يترك لي الفرصة حتى لتسليمه رسالة الرئيس مبارك.

وأخيرًا توقف عن الكلام لكي يحتسي كوبًا من الماء، فبادرت على الفور بتسليمه الرسالة؛ وجاء رده على الرسالة سريعًا حيث وجه إليَّ اللوم قائلًا:

«ـ إن مبارك لم يأت أبدًا لزيارتي في كوت ديفوار» في إشاره لكونه «عميد» رؤساء الدول الأفارقة، وأن الزيارة بالنسبة له واجبة من الرئيس المصري.

عند عودتنا إلى آبيدجان، دعانا سيميون آكيه للعشاء في منزله. ومنح آكيه الأوسمة لكل أعضاء الفريق المرافق لي بما في ذلك العقيد أحمد الحفناوي، حارسي

الشخصي. كان الجو عائليًا ووديًا بفضل وجود زوجة سيميون آكيه وأختها معنا. إن شخصية آكيه في النطاق العام تختلف كثيرًا عن شخصيته عندما يكون في دوائر الأصدقاء والأسرة.

آبيدجان / باماكو: الأربعاء، ١٦ يناير ١٩٨٥

غادرنا آبيدجان متجهين إلى باماكو، حيث كان في انتظارنا آليون بلوندان بيا، وزير خارجية بلاده اللامع. كان حديثه متقطعًا لكنه كان حديثًا واضحًا ومحددًا فيما يطرحه. عقدتُ مؤتمرًا صحفيًا تحدثتُ فيه عن العلاقات الأخوية التي تربط مصر ومالي، وعن المساعدات التقنية التي نقدمها، وعن الطرق والفندق التي أنشأناها. وخلال المؤتمر الصحفي شعرت بآلام شديدة في الحنجرة بسبب البرودة التي أصابتني الليلة الماضية في فندق إيفوار بآبيدجان، لحسن الحظ فإن باماكو ليس بها الكثير من أجهزة تكييف الهواء.

الفندق الذي تحدثتُ عنه ـ في المؤتمر الصحفي ـ باعتباره رمزًا للتواجد المصري في مالي، في حالة يُرثى لها.

باماكو: الخميس، ١٧ يناير ١٩٨٥

أجرينا مباحثات في وزارة الخارجية، ثم عقدنا لقاءً مع رئيس الجمهورية، موسى تراوري. كان هو الذي بادر بإشارة موضوع ترشيحي لمنصب مفوض الأمم المتحدة الأعلى لشئون اللاجئين. ربما يكون آليون بلوندان بيا هو الذي أخبره بذلك. قال لي:

«ـ ستكون مرشح أفريقيا وسأُؤيد حصولك على هذا المنصب».

اشتركتُ في الدورة الثالثة «للجنة المصرية ـ المالية المشتركة»، والتي تناولت، للمرة الأولى، فرص التعاون بين الحزبَيْن الحاكمَيْن في مصر ومالي.

أعددنا بيانًا مشتركًا طويلًا استعرضنا فيه مختلف المشاكل العربية ـ الأفريقية بقدر متساو من الاهتمام. وبفضل ذكاء بلوندان بيا استطعنا كتابة هذا البيان بدون مشاكل تُذكَر.

داكار: الاثنين، ٢١ يناير ١٩٨٥

أجريتُ مباحثات مع إبراهيم فال، وزير الخارجية وهو رجل قارئ ومثقف، بل هو في الحقيقة مفكر راق وهو بالتأكيد متأثر بشدة بالثقافة الفرنسية. بعد ذلك استقبلني رئيس الجمهورية عبده ضيوف. تود جامعة القاهرة أن تمنحه درجة الدكتوراه الفخرية. وافق الرئيس بسرور معتبرًا ذلك بمثابة تشريف له. قرأ بعناية رسالة الصداقة التي سلمتُها له من الرئيس مبارك. في أغلب الأحيان، لا يبذل رؤساء الدول بأنفسهم الجهد اللازم لقراءة مثل هذه الرسائل متعلِّلين بأنهم يفضلون ـ أولًا ـ سماعها من المبعوث على أن يقرءوها ـ فيما بعد ـ بهدوء.

روما: الجمعة، ٢٥ يناير ١٩٨٥

استقبلني بابا الفاتيكان بعد تأخير لمدة نصف ساعة عن الموعد المقرر للقاء. قلتُ له:

«ـ إنها المرة الرابعة التي أتشرف فيها بلقاء قداستكم».

لكنه قاطعني قائلًا:

«ـ لكنها المرة الأولى التي أستقبلك فيها بعد نصف ساعة من التأخير».

أنصت بابا الفاتيكان إليَّ باهتمام. حدثتُه عن المشكلة الفلسطينية لكنه لم يدلِ بأي تعليق. إنه يعلم بموضوع ترشيحي لمنصب مفوض الأمم المتحدة الأعلى لشئون اللاجئين لكنه لم يذكُر أي شيء عنه.

دائمًا ما تُبهرني شخصية البابا جان بول الثاني وروحه المشعَّة وقدرته على إبداء الاهتمام وهو ينصت لمحدثيه.

القاهرة: الثلاثاء، ٥ فبراير ١٩٨٥

وصلت إلى مطار القاهرة لاستقبال وزير خارجية ألمانيا، هانز ـ ديتريش جينشر. إنه دبلوماسي عظيم بكل معاني الكلمة. حدثته عن الترشيح. قال لي:

«ـ أنت مخطئ بترك منصبك الحالي في الخارجية المصرية، وخصوصًا أن المجموعة الأوروبية ستُصوِّت لصالح المرشح الهولندي».

تم لقاء بين الرئيس مبارك وجينشر. وكان هناك مترجم للرئيس وآخر للضيف الزائر. حفل عشاء في قصر عابدين. أبدى جينشر اهتمامًا حقيقيًّا إزاء المشكلة الفلسطينية. أراد أن يعرف رأيي في حكومة الائتلاف الإسرائيلية، وإستراتيجية ياسر عرفات، والعواقب المحتملة للحرب العراقية ـ الإيرانية، وإمكانية إنشاء اتحاد فيدرالي بين الأردن وفلسطين أو إقامة دولة فلسطينية مستقلة.

إنه سياسي نافذ البصر للغاية. فعلى الرغم من تعقد الأوضاع داخل أوروبا، وتقسيم برلين وألمانيا، فإنه يهتم بمشاكل الشرق الأوسط.

القاهرة: الاثنين، ١١ فبراير ١٩٨٥

شرحتُ لأعضاء البرلمان موقف الحكومة المصرية إزاء مشكلة تهجير الفلاشا، هؤلاء اليهود الإثيوبيين الذين تمكنوا من الهجرة إلى إسرائيل بتعاون سوداني ـ إثيوبي رسمي. ذكرتُ لهم ـ أيضًا ـ محتوى محادثاتي مع سفير فرنسا الذي استدعيتُه لمكتبي لكي أستوضح منه عن الاتفاق الذي قد تعقده بلاده مع إسرائيل بخصوص إنشاء محطة نووية في إسرائيل. أبدى أعضاء البرلمان الاستياء إزاء هذه التطورات ووجّه بعضهم اللوم للديبلوماسية المصرية بسبب سلبيتها وجمودها.

أديس أبابا: الثلاثاء، ٢٦ فبراير ١٩٨٥

التزم وزراء خارجية الدول الأفريقية بتأييد ترشيحي لمنصب مفوض الأمم المتحدة الأعلى لشئون اللاجئين. محادثات مع وزير خارجية الجزائر حول الصحراء الغربية. يبدو أن مؤسسة الرئاسة الفرنسية تؤيد مواقف المغرب في هذا الصراع، أو على الأقل هكذا كان انطباع الجزائريين؛ ولذلك، فإنهم لا يخفون استياءهم من فرنسا. أعتقد أن هذه المشكلة مشكلة مصطنعة تُسيء لوحدة دول المغرب وتُضعف مُجمل العالم العربي. يجب أن يكون هناك مفوض رفيع للتوسط لإيجاد حل لهذا النزاع.

القاهرة: السبت، ٢ والثلاثاء، ٥ مارس ١٩٨٥

وصل الرئيس عبده ضيوف إلى مصر في زيارة رسمية، خصص خلالها قصر القبة لضيافته وزوجته والوفد الهام المرافق له والذي يضم إبراهيم فال وزير الخارجية

وعبد القادر فال وزير الثقافة وسيدوس سي مدير جامعة داكار. إن وجود هؤلاء المثقفين الأفارقة الثلاثة يعطي صورة إيجابية وعصرية عن بلدهم.

اصطحبتُ الرئيس السنغالي إلى «الصالحية» حيث كانت أسرتي تمتلك أراضي هناك قبل الإصلاح الزراعي الذي أجراه ناصر بعد ثورة ١٩٥٢. لم يعُد من الممكن التعرُّف على القرية لأنها قد تغيرت تمامًا. بعد ذلك، زرنا جامعة الأزهر، ثم جامعة القاهرة حيث تم منح الرئيس السنغالي درجة الدكتوراه الفخرية في احتفال ناجح أعدته إدارة المراسم ـ بوزارة الخارجية. كنت سعيدًا لسبَبَيْن؛ فمن هذه الجامعة، حصلتُ على درجاتي العلمية الأولى، ثم قمت بالتدريس لطلابها لما يقرُب من الثلاثين عامًا.

وقَّع الرئيسان ـ مبارك وضيوف ـ على بيان مشترك طويل جدًّا حول طُرُق تقوية التعاون الفني بين بلدينا، فعلى سبيل المثال بمقتضى هذا الاتفاق ترفع مصر عدد الأطباء المعارين إلى السنغال من ٥ إلى ١٠ أطباء.

اصطحبتْ زوجتي ليا قرينة الرئيس السنغالي إلى الإسكندرية التي لم تكن قد زارتها من قبل. سافر الرئيس السنغالي يوم الثلاثاء، وكان توديعه رسميًا، واصطف فيه حرس الشرف في فناء قصر القبة.

جنيف: الأحد، ١٠ مارس ١٩٨٥

سلمتُ إلى السكرتير العام للأمم المتحدة ـ بيريز دي كوييار ـ رسالة من الرئيس مبارك يُعلن له فيها دعمه لترشيحي لمنصب مفوض الأمم المتحدة الأعلى لشئون اللاجئين.

قضيتُ السهرة في منزل صدر الدين أغاخان حيث التقيتُ بجورج بوش نائب الرئيس الأمريكي ـ وتد كينيدي ومجموعة من كبار الشخصيات التي ستحضر المؤتمر الدولي غدًا. وعدني الجميع بانتخابي.

جنيف: الاثنين، ١١ مارس ١٩٨٥

افتتح جورج بوش وبيريز دي كوييار المؤتمر. أُتيحت لي الفرصة للتحدث مع الدبلوماسي الأمريكي تشيستر كروكر الذي أكد على تأييده لي.

تحدثت مع ديفيد كيمحي واستعرضنا عددًا من السيناريوهات المحتملة لإنهاء الوضع الكارثي في لبنان وفلسطين. اتفقنا ـ في الوقت الحالي ـ على انتظار أيام أفضل. غادر غرفتي مع دقات الساعة الثانية صباحًا. هذا النوع من المحادثات الودية غير الرسمية يسمح ـ عادةً ـ باكتشاف أفكار جديدة تساعد على ظهور الحلول.

القاهرة: الأحد، ٢٤ والأربعاء، ٢٧ مارس ١٩٨٥

يقوم الرئيس موبوتو بزيارة رسمية لمصر بصحبة زوجته. وضع باقة من الزهور على قبر الجندي المجهول. استقبال تقليدي في قصر القبة، زيارة تقليدية للأهرامات، بيان مشترك تقليدي. لكن كل هذه الأشياء التقليدية قد انهارت عندما حضر الرئيس موبوتو مناورات عسكرية في الصحراء: فقد انفجرت قذيفة مدفعية بجوار المخبأ الذي كان موجودًا به مع حاشيته. ساد جوٌّ من الذعر والرعب الشديدين بين الماريشال موبوتو وحاشيته.

القاهرة: الخميس، ٤ إبريل ١٩٨٥

حضرتُ حفل عشاء أقيم في السفارة الفرنسية تكريمًا لجان ـ كريستوف ميتران، الذي لَمَّح لي بأنه مُكلَّف بمهمة سرية على أعلى درجة من الأهمية. جيزيل حليمي ـ التي عُيِّنَت سفيرة لفرنسا لدى اليونسكو ـ بَدَت مرهَقَة بسبب الرحلة، ولم تبد الكثير من الاهتمام بحديث ميتران الابن.

القاهرة: السبت، ٦ إبريل ١٩٨٥

ألقيتُ محاضرة في الأكاديمية العسكرية، موضوعها كالعادة حول «السياسة الخارجية لمصر». في اللحظة التي سُمح فيها بإلقاء الأسئلة، قدموا لي ورقة صغيرة. بالطبع، فقد تصورتُ أنها تحتوي على سؤال مكتوب، لكن ما حملته الورقة كان أمرًا مذهلًا؛ لقد وقع انقلاب عسكري في السودان في الوقت الذي كان فيه الرئيس النميري يمر بالقاهرة في طريق رحلة جوية عائدًا إلى بلاده، وكانت الخشية التي تسيطر عليَّ بشدة في ذلك الحين أن يكون الأصوليون وراء هذا الانقلاب العسكري.

نيودلهي: الخميس، ١٨ إبريل ١٩٨٥

افتتاح شارع جمال عبد الناصر في نيودلهي. جلس المدعوون تحت خيمة ضخمة بيضاء اللون. قدَّمت فتيات صغيرات، تزين منتصف جباههن نقاط حمراء، أزهارًا للمشاركين في افتتاح الطريق الذي يحمل اسم عبد الناصر. تنتابني مشاعر غاية في التناقض، فها أنا ذا ـ اليوم ـ أحتفل بذلك الرجل الذي كانت أمي وأسرتي كلها تكرهه، ذلك الرجل الذي دمَّر الطبقة البرجوازية العليا في مصر. ومع ذلك فإنني أقوم بدوري في الاحتفال باسمه في تلك اللحظة وبصدق وإخلاص حقيقييْن، بوصف أنه كان يُمثل مصر وأنه كان يومًا رئيسًا لها.

نيودلهي: الجمعة، ١٩ إبريل ١٩٨٥

التقيت ياسر عرفات بحضور عمرو موسى ـ سفيرنا في دلهي ـ وعلي ماهر، مدير مكتبي. اشتكى لي ياسر عرفات من سلبية مصر إزاء الأزمة الفلسطينية. شرحتُ له الجهود التي نبذلها لجذب اهتمام المجتمع الدولي للمأساة الفلسطينية.

نيودلهي: السبت، ٢٠ إبريل ١٩٨٥

أجريتُ لقاءً سريًّا مع صديقي ناراسيم راو الذي أصبح وزيرًا للدفاع في الهند بعدما كان وزيرًا لخارجيتها. أَصَرَّ ـ قبل أي شيء آخر ـ على أن يبقى هذا اللقاء سريًّا واستحلفني بحق الصداقة والثقة التي تربط بعضنا ببعض. قال لي:

«ـ تعرف أننا قد عقدنا اتفاقًا مع مصر لتدريب عدد من طيارينا العسكريين لديكم. لكن، منذ بضعة أسابيع، تلقى هؤلاء الضباط طلبًا بمغادرة الأراضي المصرية خلال ٢٤ ساعة فقط؛ وتم ذلك كله في إطار من السرية نظرًا لأن وجودهم نفسه ـ في مصر ـ كان سريًّا. واحترمت الهند هذا القرار.

ومع ذلك، فنحن نرغب ـ بشدة ـ في معرفة مَنْ الذي تسبَّب في طرد ضباطنا، فإذا كان الأمر يتعلَّق بوجود جواسيس يعملون لحساب قوة أجنبية، فإنهم يمثلون خطرًا على أمن مصر وأيضًا على أمن الهند. وحتى اليوم، فإننا لم نتلق أي تفسير من القاهرة حول هذا القرار، وأودُّ أن تتمكنوا من إيضاح أسباب ما حدث لنا.

إن هذه المعلومات ستبقى سرية بيني وبينك فقط. في الأسابيع القليلة

المقبلة، سأُسافر إلى أوروبا. وبإمكاننا الاستفادة من رحلتي هذه لكي نتقابل في أي عاصمة أوروبية».

القاهرة، الأربعاء، ٢٤ إبريل ١٩٨٥

اجتمعتُ بكل كبار ضباط الجيش لحل لغز طرد الضباط الهنود من مصر، فاصطدمت بجدار من الصمت حيث ادَّعى الجميع أنهم لا يعرفون أي شيء عن هذا الموضوع، وفي النهاية كدتُ أقتنع بما قالوه. إن القاهرة عاصمة شفافة حيث يصعب حجب الكثير من المعلومات، لكنني ـ حاليًا ـ أجهل ما حدث جهلًا تامًّا. عندما أُقابل نارا سيماراو، سيكون لزامًا عليَّ أن أعترف له بأنني عجزتُ عن كشف غموض هذا الأمر الشائن.

وبالرغم من صعوبة الحصول على معلومات فكان لي رأي فيما حدث أننا وبالتأكيد فإنه من الغريب أن اتفاقية التعاون التي وقعتها مصر مع الهند في سنة ١٩٥٦ قبل مؤتمر باندونج. لم يتم متابعتها أو تفعيل بنودها، ولو كان حدث ذلك لكنا قد حققنا بداية لتعاون اقتصادي وعسكري نشط بين البلدين، ولكُنَّا قد حصلنا على القنبلة النووية شأن الهند وباكستان. إنني أرى يد إسرائيل ـ التي تدعمها أمريكا ـ وراء تجميد هذا التعاون العسكري. ومن هذا المنظور نفسه، هناك إمكانية لأن تكون لأجهزة المخابرات الأمريكية أو الإسرائيلية أو الباكستانية يد في سحب الضباط الهنود.

يوجد في الهند ١٤٠ مليون مسلم، ومن مصلحة الهند أن تتعاون مع مصر ـ أكثر البلاد الإسلامية تقدمًا ـ كما أن لمصر مصلحة في التعاون مع إحدى القوى العظمى في آسيا لعمل توازُن مع النفوذ الأمريكي. إن هذه كلها كانت افتراضات أطرحها وسأواصل تحري الأمر لمعرفة الأسباب الكامنة وراء عدم تفعيل اتفاقية التعاون بين الهند ومصر بالجدية الكافية.

جنيف، الأربعاء، ٨ مايو ١٩٨٥

لمّح لي صدر الدين أغاخان بقدر كبير من اللباقة والديبلوماسية أن الأمريكيين لديهم مرشح لمنصب المفوض الأعلى لشئون اللاجئين؛ وبالتالي كان هذا المنصب الأممي سيئول بالضرورة للمرشح المدعوم أمريكيًا.

القاهرة: الأربعاء، ٢٢ مايو ١٩٨٥

أطلقتُ على الرئيس السوداني عمر البشير لقب «رجل الدولة الصريح». إنه يعاتبني ويعاتب مصر لغيابنا عن السودان، ولعدم اهتمامنا بمشاكل الخرطوم: «ماذا تنتظرون لكي تتحركوا ولكي تعاونوننا في حل مشاكلنا؟».

إنه مُحق. وأخشى ما أخشاه أن يظل اتفاق التكامل بين مصر والسودان مجرد شعارات لا محل لها من التطبيق على أرض الواقع. وفي الوقت نفسه، فإنني لديَّ خشية كبيرة من انفصال قادم لجنوب السودان، ذي الأغلبية السكانية التي تدين بديانات أفريقية والديانة المسيحية، عن الشمال ذي الأغلبية السكانية المسلمة.

القاهرة: الخميس، ٢٣ مايو ١٩٨٥

تلقيتُ مكالمة هاتفية من هنري برتشت، وهو صديق مخلص:

«ـ عندي أخبار سيئة لك: لقد اختارت الولايات المتحدة المرشح السويسري ـ وهو مناضل شاب عمره ٤٦ سنة ـ لكي يشغل منصب «المفوض الأعلى لشئون اللاجئين». إن الولايات المتحدة تمتلك كافة الإمكانيات لكي تفرض مرشحها على الآخرين».

لم تكن تلك أول هزيمة ديبلوماسية أتلقاها، وأعلم أنها لن تكون الأخيرة. وكنت أعتزم مواصلة الجهد الدءوب على الرغم من المعارضة الأمريكية لترشحي.

نيويورك: الاثنين، ١٠ يونيو ١٩٨٥

عقدتُ ـ لأول مرة ـ اجتماعًا مع مُجمل السفراء الفرانكوفونيين المعتمدين في نيويورك. السفير كلود دي كيمولاريا، مندوب فرنسا الدائم لدى الأمم المتحدة هو ديبلوماسي نشط، أبدى لي اندهاشه من الأهمية التي تُوليها فرنسا لمسألة الفرانكوفونية.

نيويورك: الأربعاء، ١٢ يونيو ١٩٨٥

قضيتُ أكثر من ساعة في إيجاز صحفي ـ للعلم وليس للنشر ـ مع صحفيِّي «التايم ماجازين». بعدها قابلتُ المليونير السعودي عدنان خاشقجي في شقته الفخمة التي أثثها على حسب الذوق العربي. نَظَّم سليم عيسى هذا اللقاء. إنه شخص لطيف

للغاية يحب أن يتباهى بالعلاقات الوطيدة التي تربطه بالمسئولين الأمريكيين الذين يستقبلهم ويتناقش معهم حول كبرى القضايا الدولية الحالّة. خاشقجي يلعب دورًا وراء الستار في توجيه سياسة بلاده، لكني أعتقد بأنه يتمنى الحصول على مناصب أكثر رسمية.

تشستر كروكر ليست له أية ثقة في إثيوبيا التي يتهمها بلعب دور في الفوضى السائدة في السودان. عاتبته لأن وزارة الخارجية الأمريكية اختارت المرشح السويسري. يبدو أن الأمريكيين لا يريدون مصريًّا ـ على وجه التحديد ـ في منصب «المفوض الأعلى لشئون اللاجئين». ولم أكن لأهتم بذلك الموقف الأمريكي لأنني كنت عازمًا على الاستمرار في حملتي الدبلوماسية للحصول على هذا المنصب.

نيويورك: الخميس، ١٣ يونيو ١٩٨٥

اجتمعت بوزراء خارجية مجموعة الدول غير المنحازة. ما تزال هذه الحركة مستمرة في عملها على الرغم من الحرب الدائرة بين اثنين من أعضائنا: العراق وإيران.

أقام سفير مصر أحمد خليل، وهو دبلوماسي مرموق في وزارة الخارجية، حفل استقبال التقيتُ فيه باثنَيْن من المرشحين المنافسين على منصب المفوض الأعلى لشئون اللاجئين: المرشح الهولندي والمرشح النرويجي. يبدو أن تأييد الولايات المتحدة للمرشح السويسري لا يُقلقهما. إن الدبلوماسية مدرسة لا مثيل لها في تعليم قيم التسامح. مثل هذا اللقاء الذي يجمع ثلاثة مرشحين متنافسين على منصب دولي واحد هو بالتأكيد لقاء لا يمكن تصور حدوثه بسهولة.

القاهرة: الأربعاء، ١٩ يونيو ١٩٨٥

وجهت دعوة لموسى صبري للعشاء مع المطربة المشهورة صباح، التي يهيم بها موسى حبًّا. حضر العشاء أيضًا سليم عيسى الذي يحب أن يلعب دور الوسيط. كان الخادم منبهرًا تمامًا بوجود المطربة المشهورة لدرجة أنه كاد أن يقلب وعاء الصلصة على فستانها الحريري الأحمر اللون.

داكار: الاثنين، الأول من يوليو ١٩٨٥

اجتماع مع كل الأحزاب السياسية الأفريقية. ألقى الرئيس عبده ضيوف خطبة

الافتتاح. التقيتُ به بعد الظهر، إنه يؤيد ترشيحي بدون أية تحفظات، إن الرئيس السنغالي يبدي دومًا لطفًا كبيرًا إزائي، كما أنه يبدي اهتمامًا وديًّا بالمناقشات التي تجمعنا.

عقدت لقاءً مهمًّا مع مندوب المغرب ومع مندوب تونس، الهادي البكوش. مصطفى نياسيه يحكي لي عن أسرار السراي، وهو لا يخفي كراهيته إزاء وزير الداخلية، كولين، وهو سنغالي من أصل فرنسي.

داكار: الأربعاء، ٣ يوليو ١٩٨٥

قبل مغادرة داكار متوجهًا إلى جنيف، زرتُ رئيس السنغال السابق ـ ليوبولد سنجور ـ في فيلّته الجميلة. إنه بصحة جيدة وأطلعني ـ بفخر ـ على مجموعاته الفنية الأفريقية. تحدث ـ مجددًا ـ عن مشاكل تعدُّد اللغات وأكد في حديثه على الدور المهم للتعددية الثقافية.

جنيف: الخميس، ٤ يوليو ١٩٨٥

غادرتُ جنيف متوجهًا إلى برن حيث تقابلتُ مع الوزير بيير أُوبير للحديث معه عن ترشيحي لمنصب «المفوض الأعلى». إنه على علم بالدعم الأمريكي للمرشح السويسري. عرضتُ عليه ترضية ديبلوماسية، ففي حالة حصولي على المنصب سأقوم بتعيين شخصية سويسرية في منصب نائب المفوض الأعلى. واتساقًا مع العرف الديبلوماسي المعمول به أبدى أوبير اهتمامًا بما عرضته عليه ووعدني بأنه سيتحدث في الأمر مع وزير الخارجية الأمريكي ـ جورج شولتز ـ في لقائهما المقبل في هيلسينكي.

أديس أبابا: الثلاثاء، ٩ يوليو ١٩٨٥

وصلتُ مبكرًا إلى أديس أبابا للاشتراك في قمة «منظمة الوحدة الأفريقية» التي ستُعقد ـ أولًا ـ على مستوى وزراء الخارجية. على الفور، جمعتُ مساعديَّ الذين كانوا قد سبقوني إلى هنا منذ بضعة أيام.

أفضى إليَّ أحمد صدقي، في إطار من السرية، بأن أحد سفرائنا ـ بدون ذكر أسماء ـ قد زَلَّ ووقع في غرام شابة إثيوبية وأنه يقضي لياليه في بيت الدعارة الذي تعمل فيه هذه الفتاة. وبعد قضاء السهرات والليالي الماجنة هناك، يأتي السفير إلى العمل وهو

في إرهاق وسعادة. قابلتُ هذا السفير العاشق. بالفعل، يبدو سعيدًا ومُرهَقًا فهو ينام طوال جلسات المؤتمر. ويبدو أن جميع أعضاء الفريق كانوا على علم بهذه المغامرة، لكن روابط الزمالة تمنعهم من الحديث عن هذا الموضوع. بالنسبة لي، الأمر يختلف لأنني متحمل بمسؤولية عن سلوك أعضاء السلك الديبلوماسي المصري، لكنني قررتُ مع ذلك ألا أتدخل في التعامل مع هذا الأمر.

أديس أبابا: الأربعاء، ١٠ يوليو ١٩٨٥

حسب البرنامج الذي اتفقتُ عليه مع وزراء خارجية مجموعة «الأُوندوجو»، سنعقد مؤتمرًا في القاهرة في شهر أغسطس.

في سياق آخر أخبرني أحد قادة جهاز المخابرات الكينية بأن الضباط السودانيين ـ الذين قاموا بالانقلاب العسكري ضد الرئيس النميري ـ كلهم من الأصوليين و«الإخوان المسلمين» ويتلقون الدعم المالي من الوهابيين السعوديين ومن «جماعة الإخوان المسلمين» في مصر.

أديس أبابا: الأحد، ١٤ يوليو ١٩٨٥

حكى لي وزير خارجية أُوغندا كيف أَلَحَّ السفير الأمريكي على أُوغندا لكي تنتخب المرشح السويسري لمنصب «المفوض الأعلى»: لقد قررت الديبلوماسية الأمريكية أن تفوز.

في الجلسة المسائية، طالبتُ بأن تُصدِّق كل الدول الأعضاء على «الإعلان الأفريقي لحقوق الإنسان». إن احترام حقوق الإنسان هو الخطوة الأولى في طريق الديموقراطية وله الأهمية نفسها التي نوليها لمكافحة الفقر والعوز والقضاء عليهما.

أديس أبابا: الأربعاء، ١٧ يوليو ١٩٨٥

بعد الظهر، وصل الرئيس مبارك إلى أديس أبابا. هرج ومرج وإشارات وحركات كثيرة قام بها الحرس الشخصي. الوفد الرئاسي لم يشعر بالرضا إزاء مقر الإقامة المخصص لأفراده. اعتبروني مسئولًا عن ذلك. شرحتُ لهم أنه لا توجد فروق تذكر بين مقار الإقامة المختلفة المخصصة للوفود المشاركة في القمة، وأن تخصيصها يتم حسب إمكانيات إدارة المراسم الإثيوبية، لكن هذا التوضيح لم يجد آذانًا مصغية.

فور استقرار الرئيس في مقره، بدأ في عقد سلسلة من اللقاءات الفردية. قمتُ بالترجمة أثناء لقائه مع رئيس السنغال. حكى له الرئيس مبارك ـ بالتفصيل ـ عن تنحي النميري، واتفقا معًا على ألَّا تُعْقَد القمة المقبلة في ليبيا. بعد ذلك، استقبل الرئيس السوداني الجديد ـ سوار الذهب ـ ومعه مجموعة من الضباط الشبان. لم أحضر هذا اللقاء.

أديس أبابا: الخميس، ١٨ يوليو ١٩٨٥

في الصباح، التقى الرئيس مبارك، على التوالي بالرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد، ثم ساسو نجيسو رئيس الكونغو برازافيل، وماتيو كيريكو رئيس بينين. في هذه اللقاءات البروتوكولية، يكون إبداء الصداقة والمودة بين القادة أهم من محتوى اللقاء نفسه.

بعد ذلك، شارك الرئيس في اجتماعات القمة، وفضَّل عدم الخوض في مناقشة المشاكل النوعية، فتحدث عن موضوع أكثر عمومية وهو موضوع «التضامن الأفريقي».

أديس أبابا: الجمعة، ١٩ يوليو ١٩٨٥

عقد الرئيس مبارك لقاءات مطوَّلَة مع منجستو الرئيس الإثيوبي، وموسى تراوري رئيس مالي، وآراب موي رئيس كينيا، ورئيس النيجر كونتشيه؛ ثم سافر إلى القاهرة بعد الظهر.

وحمل اليوم لي انتصارًا عندما حصُلتُ على موافقة القمة بالإجماع على ترشيحي لمنصب «المفوض الأعلى لشئون اللاجئين». في المساء، اتصلتُ بزوجتي ليا لكي أُبلغها بهذا النبأ السار.

القاهرة: الأربعاء، ٧ أغسطس ١٩٨٥

المؤتمر الثالث لمجموعة «الأُوندوجو»، شاركت زائير ممثلة في شخص وزير الخارجية، موكولو وامبولو والسودان وأُوغندا وأفريقيا الوسطى بوصفهم دولًا أعضاء في التجمع، كما شاركت كل من رواندا وبوروندي وتنزانيا بصفة مراقب. أصدرنا بيانًا مشتركًا طويلًا جدًّا يؤكد على أهمية التعاون في مجال الأرصاد الجوية والمائية في بحيرات أفريقيا الاستوائية بالاشتراك مع «اللجنة الاقتصادية لأفريقيا»

التابعة للأمم المتحدة. دعونا باقي دول حوض نهر النيل للاشتراك في اجتماعات المجموعة. الاجتماع التالي سيُعقد في كينشاسا في أغسطس سنة ١٩٨٦.

القاهرة: الخميس، ٨ أغسطس ١٩٨٥

أقلّت طائرة عسكرية ـ من طراز بافالو ـ الوفود المشتركة في اجتماع مجموعة الأُوندوجو للإسكندرية حيث استقبلهم الرئيس مبارك ـ في قصر رأس التين ـ بحفاوة وبساطة. عدنا إلى القاهرة حيث اختتمنا الجلسة الثالثة للمجموعة. شاركت في لقاء تلفزيوني حول الاجتماع، وكان هدفي هو جذب اهتمام الرأي العام المصري ليهتم بمشاكل مياه النيل.

هيلسنكي: الأحد، ١٨ / الثلاثاء، ٢٧ أغسطس ١٩٨٥

رتبت لقيامي بزيارة رسمية لفنلندا بالتزامُن مع اشتراكي هناك في الدورة ٦٢ لـ«معهد القانون الدولي»؛ أقدم أكاديمية للقانون الدولي؛ حيث تم إنشاؤها سنة ١٨٧٤. نجحتُ في الحصول على موافقة لعقد الاجتماع القادم للمعهد والمقرر عام ١٩٨٧ في القاهرة. كما شهد هذا الاجتماع انتصارًا آخر مع انتخاب أحد طلابي القدامى؛ إبراهيم شحاتة، عضوًا في «معهد القانون الدولي». وأصبح لمصر أربعة أعضاء في المعهد: فؤاد عبد المنعم رياض، وجورج أبي صعب، وإبراهيم شحاتة، وبطرس غالي.

استفدتُ من وجودي في هيلسنكي لاستكمال حملتي الانتخابية: فبدأتُها مع أعضاء «المعهد»، وكلهم شخصيات سامية في بلادها. بعد ذلك، أجريتُ مكالمة هاتفية مع الرئيس أندريوتي الذي يقضي إجازته في كورتينا دآمبتيسو، كما حاولتُ الاتصال بجاك آتالي في الإليزيه، لكنه ـ هو الآخر كان يقضي إجازته الصيفية ولا يمكن الاتصال به.

بدأتُ مباشرة في إعداد برنامج الدورة القادمة التي ستُعقد في القاهرة بمعاونة نيكولاس فالتيكيوس وزملائي المصريين. اقترح رجل القانون الإسرائيلي ـ شابيتاي روزين ـ أن يحتوي البرنامج على زيارة إسرائيل. وعدناه بدراسة اقتراحه بعناية. لن نتعاون مع إسرائيل ما دامت المشكلة الفلسطينية لم تُحل بعد!

القاهرة: الأحد، الأول من سبتمبر ١٩٨٥

تلقيتُ مكالمة تليفونية من الرئيس مبارك. إنه غاضب: فقد تلقى تقريرًا عن قنصلنا في إيلات ـ إسرائيل ـ حسن عيسى. يقول التقرير: إن القنصل يتنزه بسيارة العمل الرسمية وبصحبته شابات إسرائيليات، ويُعطي ـ بذلك ـ صورة سلبية عن الديبلوماسية المصرية. وطالب الرئيس بإنزال عقوبات فورية على القنصل مع استدعائه.

«ـ اسمح لي يا سيادة الرئيس بأن أُجري التحريات قبل اتخاذ الإجراءات التي تريدونها، وسأتصل بك قبل نهاية اليوم».

اكتشفتُ أن حسن عيسى غير متزوج؛ أو على الأقل، يقيم في إيلات من دون مرافقة زوجته، كما أنه يستخدم سيارته الخاصة في كل تنقلاته.

اتصلتُ هاتفيًّا بالرئيس وأخبرته بتلك المعلومات موضحًا:

«ـ يا سيادة الرئيس، إن التقرير الذي تسلمتموه هو تقرير مغلوط: فالحكومة لم تضع أي سيارة رسمية تحت تصرُّف القنصل العام في إيلات، والسيارة ـ التي يتهمونه بأنه يجوب بها شوارع إيلات ـ هي سيارته الخاصة. فإذا كانت هذه المعلومة مغلوطة، فاسمح لي ـ سيادتكم ـ بأن أشُك في صحة باقي عناصر التقرير الذي أُبلغتُم به».

استمع الرئيس بهدوء لوجهة نظري. سيبقى القنصل حسن عيسى في منصبه في إيلات. هناك دومًا حروب تدور رحاها وبلا هوادة بين أعضاء البعثات الديبلوماسية وبين السفارات والقنصليات.

القاهرة: الأربعاء، ٤ سبتمبر ١٩٨٥

في اجتماع مجلس الوزراء، أبلغنا الفريق كمال حسن علي باستقالته. فيما بعد، عرفنا بأنه قد تم تعيين علي لطفي (وهو أستاذ جامعي يُدَرِّس في كلية التجارة) في منصب رئيس الوزراء. اختيار غير متوقَّع تركنا في حيرة شديدة.

بعد الظهر، اجتمعتُ بكل سفراء دول أمريكا اللاتينية المعتمدين في القاهرة، وأخبرتُهم بأنني سأقوم بجولة في تلك المنطقة لتحقيق هدفَيْن: الأول هو تدعيم العلاقات بين دول الجنوب ـ الجنوب. والثاني هو حث دول أمريكا اللاتينية على الاشتراك في «حركة عدم الانحياز».

القاهرة: الخميس، ٥ سبتمبر ١٩٨٥

تلقيتُ الكثير من المكالمات الهاتفية من إسرائيل وفرنسا. يريد الصحفيون معرفة مغزى التعديل الوزاري. سيكون علي لطفي هو رئيس الوزراء الخامس الذي أشارك في حكومته في ثماني سنوات. قال لي ممدوح عطية وزير العدل:

«ـ رؤساء الوزراء يتغيرون؛ والوزراء يتغيرون، فبعضهم قد تمت ترقيتهم وأصبحوا رؤساء وزارات، ما عداك أنتَ الذي لم تغيِّر منصبك: فأنت تمثل الاستمرارية».

برازيليا: الاثنين، ٩ سبتمبر ١٩٨٥

كنتُ أعتقد أنني أول وزير مصري يقوم بزيارة رسمية لبرازيليا، لكنهم أخبروني أن الوزير مراد غالب قد سبقني في سنة ١٩٧٢، أي منذ ١٣ سنة. مباحثات مع وزير الخارجية، أُولافو فجيديو سيتدبال. كان الوفد المصري مكونًا من: السفير المصري المعتمد في برازيليا مخلص حسن جُبة، ومدير إدارة أمريكا اللاتينية في الوزارة وهيب المنياوي الذي يتحدث الإسبانية بطلاقة ويعرف هذه القارة جيدًا، وعلي ماهر، وعلي الخضري، ومهدي فتح الله.

التزمتْ مصر بدعم أنشطة «مجموعة الكونتادورا» من أجل السلام في أمريكا الوسطى، وأيضًا أنشطة «مجموعة ليما». ومن جانبها، التزمت البرازيل بتأييد حق تقرير المصير للفلسطينيين، واستقلال ناميبيا، وإلغاء نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا. وفي النهاية، أكدنا على دعمنا المشترك «لمجموعة السبعة والسبعين»، ولإقامة حوار أفريقيا ـ أمريكا اللاتينية.

خلال لقائي به كان رئيس الجمهورية جوزيه سارني يستمع إليَّ بصعوبة كبيرة ولا يُنصت لما أقوله لأنه مشغول الذهن جدًّا باهتمامات أُخرى: فقد كان لديه إضراب عام يقوم به موظفو البنوك والمدرسون، وتسبب ذلك في شلل البلاد.

برازيليا: الأربعاء، ١١ سبتمبر ١٩٨٥

في الصباح، استكملتُ مباحثاتي مع: رئيس مجلس الشيوخ جوزيه فراجيللي، ورئيس مجلس النواب أوليسيس جويمارايس، ورئيس المحكمة الفيدرالية، جوزيه

كارلوس موريرا آلفيس. أبدى الجميع اهتمامهم بمصر وبالسياسة المصرية في أفريقيا وفلسطين.

عند عودتي إلى ريو، أقام حاكم المدينة حفل استقبال جميلًا. تقابلت مع بعض أصدقائي البرازيليين، من بينهم روزيزكا داري دي أُوليفييرا، وهي أستاذة جامعية جذَّابة ومناضلة ملتزمة بالدفاع عن حقوق المرأة. عرفتُها عندما كانت منفية مع زوجها في جنيف. كما قابلتُ كذلك هيلين كوستا، ابنة المهندس المعماري المشهور نيمير الذي صمَّم مدينة برازيليا. لم يكُن لدى الحاكم الوقت الكافي للاهتمام بضيوفه، فكان هناك من يستدعيه باستمرار لتلقي مكالمات هاتفية حيث كان الإضراب قد اتسع بشكل غير مُتَوقَّع.

سانتياجو دي: الخميس، ١٢ سبتمبر ١٩٨٥

التقيتُ بوزير الخارجية، جيم ديل فالليه آلليندي، وهو أستاذ جامعي وقانوني وعميد جامعة سابق. كنا قد وقّعنا معًا ـ في سنة ١٩٨٣ ـ اتفاقية للتعاون بين «الأكاديمية الديبلوماسية» في شيلي و«المعهد الديبلوماسي» في مصر، لكن هذه الاتفاقية لم تُفعَّل. تحدثنا عن وسائل إحياء هذا التعاون. إن تقوية محور الجنوب ـ الجنوب، ولو على المستوى الأكاديمي، سيتيح للأجيال الجديدة من دول الجنوب أن تدير حوارًا متكافئًا مع دول الشمال.

سانتياجو دي تشيلي: الجمعة، ١٣ سبتمبر ١٩٨٥

استقبلني الجنرال أُوجستو بينوتشيه أوجرات بعد تأخير استمر ٢٥ دقيقة عن الموعد المقرر للزيارة قضيتُها في حجرة جانبية. لا أعرف سبب هذا التأخير وما إذا كان قد تم اتساقًا مع قواعد البروتوكول في تشيلي، أم أنه يرجع إلى غياب التنظيم في ديوان الرئاسة بتشيلي. كان الجنرال بينوتشيه يجلس على عرش حقيقي، بينما جلستُ أنا على مقعد متواضع على يمينه. سلمته رسالة من الرئيس مبارك. قرأها ببطء. بدا عليه الإرهاق والسأم. استمع بانتباه لتعليقاتي وأبدى من حين لآخر بعض الملاحظات غير المفهومة. كانت مقابلة محبطة؛ ومع ذلك، كان يجب أن تكون عندي حصانة ضد الإحباط بعد لقاءاتي بالحكام الأفارقة.

ليما: السبت، ١٤سبتمبر ١٩٨٥

نزلت في فندق «بوليفار»، وهو مبنى قديم يرجع إلى بداية القرن الحالي لكنه له ذوق خاص به.

ليما: الاثنين، ١٦ سبتمبر ١٩٨٥

وقعتُ ثلاث اتفاقيات مع وزير الخارجية، الدكتور ألان فاجنر تيزون:

الاتفاق الأول: خاص بالتعاون العلمي والتقني، ويتضمَّن تبادل الباحثين والتقنيين بين البلدَيْن؛ وكذلك قيام تعاون بين مؤسساتنا العلمية.

الاتفاق الثاني: خاص بالتعاون الثقافي والسياحي لمدة ثلاث سنوات، تحديدًا في مجالات التعليم والإعلام والشباب والرياضة.

الاتفاق الثالث: يهدف إلى ربط أنشطة «الأكاديمية الديبلوماسية» في بيرو بأنشطة «المعهد الديبلوماسي» المصري.

استفدتُ من جو الثقة الذي نشأ بيني وبين نظيري، فسمحتُ لنفسي بأن أسأله عن النتائج المادية المستفادة من هاجس توقيع الاتفاقيات، فأجابني بصراحة:

«ـ أولًا: هناك فُرص لأن تُعطي هذه الاتفاقيات نتائج مُرْضية. لكن الشيء الأهم، هو أن نثبت لزملائي الوزراء ـ وللرأي العام في بلديْنا ـ أننا نريد كسر عزلتنا الجغرافية ونُقيم جسورًا بين قارتَيْنا».

رئيس جمهورية بيرو الجديد ألان جارسيا رجل قوي البنية بصورة واضحة وله طلة تجيش بالتعبيرات والانفعالات. أخبرني بأنه يفهم اللغة الفرنسية؛ وبالتالي، لسنا بحاجة لوجود مترجم. أثناء حديثي معه، أخذ يدون نقاطًا من حديثنا في دفتر صغير موضوع أمامه، وتصفَّح رسالة مبارك إليه قائلًا إنه سيقرؤها بعناية أشد وبهدوء فيما بعد. تحمس لفكرة إنشاء مجموعة من دول أمريكا اللاتينية تختص بدراسة المشكلة الفلسطينية:

«ـ إنها فكرة ممتازة».

تصورتُ أنني سأُفرحه فأخبرتُه عن الاتفاقيات الثلاث ـ الخاصة بالتعاون بين بلديْنا ـ والتي وقعتها مع وزير خارجيته. بدا عليه أنه لم يفهم ما أقول واكتفى بالابتسام.

ليما / بوجوتا: الثلاثاء، ١٧ سبتمبر ١٩٨٥

عند سفري، حظيت بوداع رسمي في المطار كما لو كنتُ رئيس دولة، واستعرضتُ حرس الشرف. ألان فاجنرتيسون ـ الذي أصبح صديقي ـ مال على أذني وسألني بصوت خفيض: «ـ من أين تشتري بذلاتك؟».

«ـ من روما، وسأرسل لك اسم الترزي الخاص بي وعنوانه هناك».

بوجوتا: الثلاثاء، ١٧ سبتمبر ١٩٨٥

فور نزولي من الطائرة، أخبرني وزير الخارجية أوجستو راميرز أوكامبو أن الصحافة الكولومبية ستسألني عن موضوع زوجَيْن شابيْن من كولومبيا، طباخ وزوجته، اعتقلتهما السلطات المصرية على ظهر سفينة كانت تنقل المخدرات. «حسب القوانين المصرية، فإنهم يواجهون عقوبة الإعدام». ثم أضاف ساخرًا:

«ـ ستكون تلك هي الأسئلة الوحيدة التي سيطرحونها عليك: فالعلاقات السياسية والعسكرية والاقتصادية بين بوجوتا والقاهرة لا تهمهم بالمرة».

بالفعل، فقد وجدت نفسي في مواجهة حشد من الصحفيين الغاضبين بشدة ويتحدثون بلهجة عدائية:

«ـ إنكم ستحكمون بالإعدام على شابيْن بريئَيْن».

حاولتُ جاهدًا تهدئتهم:

«ـ أولًا، لا يوجد إعدام لتهريب المخدرات في مصر: ثانيًا، إذا كانا بريئيْن، فإن العدالة المصرية ستُطلق سراحهما».

«ـ إنهما بريئان. لماذا لا تطلقون سراحهما فورًا؟».

«ـ ثقوا في العدالة المصرية».

أراد وزير الخارجية أن يخرجني من هذا المأزق فأعلن انتهاء المؤتمر الصحفي.

بوجوتا: الأربعاء، ١٨ سبتمبر ١٩٨٥

سلمت لرئيس الجمهورية بيليساريو بيتانكور رسالة من الرئيس مبارك يدعوه فيها لزيارة مصر، ويشكره على اشتراك القوات الكولومبية في «القوات متعددة الجنسيات

في سيناء». سألني عن الوضع في لبنان، فأخبرته عن الجهود التي تبذلها الديبلوماسية المصرية للإسهام في إيجاد حل للأزمة اللبنانية.

بعد ذلك، تباحثتُ مع الوزير أوجستو راميرز أوكامبو الذي يتفق معي على أهمية «حركة عدم الانحياز»، وعلى الدور الذي يُمكن أن تقوم به لاحتواء النتائج السلبية للحرب الباردة، ولعلاج مشاكل العالم الثالث. إنه متحمس ـ أيضًا ـ لإقامة حوار الجنوب ـ الجنوب وللقاءات بين أفريقيا وأمريكا اللاتينية.

بوجوتا: الخميس، ١٩ سبتمبر ١٩٨٥

وضعتُ باقة من الزهور عند تمثال بوليفار، في احتفالية جرت تحت حراسة مشددة. أثناء الغداء، علمنا بوقوع زلزال دمر المكسيك. نصحني الوزير أوكامبو بتأجيل زيارتي لمكسيكو سيتي نظرًا لخطورة الوضع هناك. اصطحبني حتى المطار. استفدتُ من أن التواصل بيننا كان جيدًا فأطلعته على تقدمي للترشيح لمنصب «المفوض الأعلى لشئون اللاجئين». قال لي إنه سيتحدث في هذا الشأن مع السكرتير العام للأمم المتحدة الذي يعرفه جيدًا.

كاراكاس: الجمعة، ٢٠ سبتمبر ١٩٨٥

وضعتُ باقة من الزهور على قبر سيمون بوليفار، تم عزف السلام الوطني الفنزويلي ثم تلاه السلام الوطني المصري، ولكن وقع خطأ كبير حيث عزف الجنود السلام «الملكي» المصري وليس السلام الجمهوري الحالي، وفي هذه اللحظة شعرت بحنين شديد للماضي.

اتشحت مدينة كاراكاس بالحداد؛ فقد توفي أحد الجنرالات الكبار، وكان قد أنهى حياته العملية بشغل منصب سفير لفنزويلا. وشاركت في مراسم التشييع وهي الخطوة التي كانت محل تقدير من المسئولين في فنزويلا كما بدا لي. بدا لي أنهم قَدَّروا وجودي.

تم توقيع اتفاق ثقافي مع وزير الخارجية، جيرمان نافا كاريو. حضرتُ حفل استقبال في سفارة مصر. ألقى أحد أعضاء البرلمان الفنزويلي قصيدة طويلة تمتدح

شجاعتي وجهودي من أجل السلام. سألتُ سفيرنا في كاراكاس قائلًا: « ـ هل أنت الذي دبرتَ هذا المشهد؟».

«ـ أنا بريء يا سيدي الوزير. يبدو أنك لا تعلم بأن لك معجبين كثيرين في جميع أنحاء العالم».

كاراكاس: السبت، ٢١ سبتمبر ١٩٨٥

قَدَّر رئيس الجمهورية الدكتور جيم لوسينشي رسالة مبارك إليه ودعوته لزيارة مصر. إنه دارس للطب إلَّا أنه يهتم اهتمامًا كبيرًا بالشئون الدولية وانبهرتُ بثقافته في هذا المجال: إنه يعرف الكثير عن أسرار أغلب الأزمات التي يعاني العالم منها.

زرتُ صديقي القديم، بيريز جويريرو، الذي كان يسكن في نفس البناء السكني الذي أقطنه في الجيزة عندما كان يمثل الأمم المتحدة في القاهرة. إنه يحتضر وأثارت زيارتي عواطفه وحنينه للماضي:

«لقد عشت في مصر أجمل لحظات حياتي، واليوم ـ وحياتي توشك على النهاية ـ فإني أتذكر بسعادة مشاهد الفلوكة على سطح النيل بتلك الأشرعة البيضاء، أني أتذكر كيف كنت أراقب صفحة النيل والمراكب تمر عليها في الفجر من شرفة منزلي»، هكذا قال لي.

أمضيت آخر أمسية لي في كراكاس برفقة صديقة لي هي أونديا جوهاز، وانضمت إلينا ابنتها.

سانتيجو: الاثنين، ٢٣ سبتمبر ١٩٨٥

كان عليَّ إلغاء رحلتي المقررة إلى المكسيك بسبب الهزة الأرضية التي أصابت البلاد، وعليه قررت أن أمد فترة زيارتي لسانتيجو بوصفها أصبحت الرحلة الأخيرة في هذه الجولة اللاتينية.

لقاء مع وزير الخارجية الدكتور خوزيه أوجاستو بيجا إيمار. وقرر المعاونون على الجانبين إصدار بيان مشترك عن المباحثات ليوجز أهم ما تم الاتفاق عليه.

بعد ذلك التقيت مع حاكم المدينة والذي بدا لي أن له أصولًا ترجع إلى هييتي

بصورة ما؛ لأنه كان يتحدث الفرنسية بطلاقة كاملة. وكان من المقرر أن يترشح لإنتخابات الرئاسة القادمة في بلاده.

أما وزير الصناعة فكانت له أصول لبنانية؛ وهو ما أسهم بأن يكون لقائي معه له طابع ودود تجاوز حدود اللقاءات الديبلوماسية الاعتيادية بين المسئولين.

سانتيجو: الثلاثاء، ٢٤ سبتمبر ١٩٨٥

يحتفل أهالي سانتيجو اليوم بعيد ديني، ولم يكن بالتالي أمامي الكثير لأقوم به، قررت أن أقوم بجولة سياحية، وزرت لاروماتا، وهي قرية تبعد نحو مائة كيلو متر عن العاصمة، ويطل الزائر فيها على مشاهد تذكِّر بهوليود.

سانتيجو: الأربعاء، ٢٥ سبتمبر ١٩٨٥

استقبلني رئيس الجمهورية سلفادور جورج بلانكو. ولم أستطع منع نفسي من المقارنة بين القصر الرئاسي في سانتيجو وقصر عابدين بالقاهرة من حيث الفخامة.

وكانت قرينة الرئيس حاضرة في الاستقبال، وكذلك قرينة وزير الخارجية، فشعرت بالأسف أن زوجتي ليا بقيت في الفندق ولم تصطحبني إلى هذا الاستقبال.

قمت بتقديم هدية من الفضة ونقلت رسالة الرئيس مبارك.

واتسم هذا اللقاء بطابع رسمي للغاية، اتساقًا مع الأجواء الفخمة للقصر الرئاسي.

وأقام سفير مصر في كراكاس حفل استقبال بالفندق الذي أقيم فيه، وكان يأمل أن يشرف رئيس الجمهورية هذا الحفل غير أن ذلك لم يحدث.

القاهرة: الخميس، ٣ أكتوبر ١٩٨٥

عقدت لقاء مع كل سفراء أمريكا اللاتينية المعتمدين في القاهرة لأطلعهم على نتائج المحادثات التي أجريتها في عواصم البلاد اللاتينية التي شرفت بزيارتها في جولتي الأخيرة. وتطرق اللقاء للنقاش حول فكرة إقامة تجمع من الدول على غرار تجمعات مختلفة لدول لاتينية؛ ليكون هذا التجمع المقترح معنيّ بتداول قضية الشرق الأوسط.

وقد نقلت للسفراء المشاركين في اللقاء أن هذه الفكرة قد لاقت ترحابًا من القادة الذين التقيت بهم.

القاهرة: الأحد، ٧ أكتوبر ١٩٨٥

تلقيت اتصالًا هاتفيًا من روما، وكان محدثي هو الرئيس جيوليو أندريوتي. وفي لحظة من الذاتية تبادر لذهني أن الرئيس سينقل لي أنباء سارة حول مسألة ترشيحي لمنصب مفوض الأمم المتحدة الأعلى لشئون اللاجئين. وللأسف فإنه نقل لي أنباء اختطاف أكيلي لاورو، وهي سفينة إيطالية، وأن الخاطفين هم مجموعة من الفدائيين الفلسطينيين. وطالب بتدخل مصري للتعامل مع الأمر.

القاهرة: الأحد، ١٣ أكتوبر ١٩٨٥

ترأست اجتماعًا في مركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام لتدارس قضايا أمريكا اللاتينية، وذلك في أعقاب الجولة التي قمت بها مؤخرًا. العلاقات بين أفريقيا وأمريكا اللاتينية لا تلقى أي اهتمام. في المقابل، فإن تحويل مسار الطائرة المصرية التي كانت تُقل الفدائيين الفلسطينيين الذين كانوا قد اختطفوا السفينة آكيلى لاورو إلى تونس كان يحظى باهتمام العالم بأسره. وشاع في بعض الأوساط المعادية لمصر أننا كنا قد أخبرنا السلطات الأمريكية بأمر تحويل مسار الطائرة قبل حدوثه.

القاهرة: الجمعة، الأول من نوفمبر ١٩٨٥

كُلفتُ بمرافقة طارق عزيز وزير خارجية العراق أثناء زيارته للقاهرة. أُقيم حفل غداء في السفارة العراقية حضره رئيس الوزراء علي لطفي، ونائب رئيس الوزراء يوسف والي، ورئيس مجلس الشعب رفعت المحجوب، وأسامة الباز. أثنى جميع الوزراء على صدام حسين أمام طارق عزيز الذي بدا عليه شعور كامل بالرضا.

في الطريق إلى المطار، تناقشنا بجدية عن الوضع في العالم العربي. أكَّد لي طارق عزيز:

«ـ لا يوجد تقارب بين العراق وسوريا».

«ـ قبل البدء في أي عمل مشترك لصالح الفلسطينيين، يجب العمل على إصلاح العلاقات بين الدول العربية بعضها البعض».

موقف العراق لم يتغير قيد أنملة منذ زيارتي الأخيرة لبغداد في سنة ١٩٨٢: فعلاقاتنا الدبلوماسية معه لا تزال مقطوعة.

ياوندي: الثلاثاء، ١٢ نوفمبر ١٩٨٥

وصلتُ إلى ياوندي حيث كان في استقبالي ويليام إتيكي ـ وزير الخارجية ـ وحسن جاد الحق؛ سفيرنا اللامع لدى الكاميرون الذي قالي لي:

«ـ يجب أن تستمر في جهدك من أجل الفوز بمنصب «المفوض الأعلى».

سأُعد لك لقاءً مع ممثل «المفوض الأعلى» في الكاميرون؛ أُوسيني فاساسو. إنه مطلع على كافة الحيل التي تدور في مقر «المفوضية العليا» في جنيف، وهو مستعد لمساعدتنا».

ياوندي: الأربعاء، ١٣ نوفمبر ١٩٨٥

استقبلني رئيس الجمهورية، بول بيا. علاقاتي به ودية منذ الزيارة التي قام بها للقاهرة ـ في سنة ١٩٧٧ ـ عندما كان رئيسًا للوزراء في عهد الرئيس أحمدو أهيدجو.

مالابو: الخميس، ١٤ نوفمبر ١٩٨٥

أول زيارة أقوم بها لغينيا الاستوائية. إنها جزيرة غريبة، فكل مبانيها قد تداعت تحت تأثير الرطوبة. نزلنا في القصر الجمهوري، في الجناح المخصَّص لرؤساء الدول. الوزير حسن جاد الحق أحضر كعكة عيد ميلاد بها شموع للاحتفال بعيد ميلادي. شاركنا في الكعكة ثلاث شابات كنَّ يقمن على خدمتنا. أكد لي حسن جاد الحق وأحمد صدقي أنهن قريبات لرئيس الجمهورية وإلَّا لما سُمح لهنَّ بالعمل في هذا الجناح من القصر. يجب أن أصدق هذَيْن السفيرَيْن الكبيرَيْن اللذَيْن يعرفان جيدًا عالم أفريقيا.

عقدت مباحثات في وزارة الخارجية؛ بعدها حضرت حفل التوقيع على بيان مشترك مع الوزير الشاب مارسيليو ناجومبا. فجأةً، انقطع التيار الكهربائي، فشعر

الوزير بالخجل والاضطراب. سارعنا لتطييب خاطره: وقلنا له إننا معتادون على هذا النوع من المشاكل في مصر. تناولنا العشاء في المطعم الوحيد في المدينة ـ «مطعم بيروت» ـ الذي يملكه أحد اللبنانيين. أفضى لنا حسن جاد الحق بأن أخت صاحب المطعم عشيقة لشخصية مهمة في مالابو. وفي لمحة لطيفة من صاحب المطعم جاء العشاء على أنغام أسطوانة لأم كلثوم.

أثناء العشاء، تلقينا مكالمة هاتفية من أوسيني فاساسي. آخر الأخبار لديه تشير إلى أن السكرتير العام للأمم المتحدة لا يزال مترددًا ولم يختر أحدًا بعد لشغل منصب «المفوض الأعلى». حسن جاد الحق مقتنع تمامًا بأنني سأفوز لأنه قد استشار عَرَّافًا مشهورًا في الكاميرون وأكّد العرَّاف له أنني سأفوز.

قال لي حسن جاد الحق في مداعبة ماكرة:

«ـ ما بين التورتة أثناء الظهيرة وأم كلثوم وتنبؤات العرَّاف في المساء، أعتقد أنك لستَ مستعدًّا لأن تنسى عيد ميلادك الثالث والستين في مالابو».

مالابو: الجمعة، ١٥ نوفمبر ١٩٨٥

قابلت رئيس الوزراء، ووزير الحربية، ورئيس الجمهورية الذي سلمته رسالة من الرئيس مبارك يدعوه فيها لزيارة مصر، بل إن الرئيس مبارك قد اقترح عليه إرسال طائرة إلى مالابو لنقله للقاهرة فور تحديد موعد الزيارة. رئيس الجمهورية كان مفتونًا بهذا العرض. أعتقد أنني واحد من أوائل الوزراء الأجانب الذين جاءوا لزيارته.

مدريد: السبت، ١٦ نوفمبر ١٩٨٥

غادرَت الطائرةُ مالابو متوجهة إلى مدريد. اضطررنا للهبوط في لاجوس بسبب عطل فني في الطائرة، أخبرنا أنه ليس بالعطل الكبير إلا أن إصلاحه استغرق ثلاث ساعات أو أكثر.

في المطار، استقبلني السفير خليفة وزوجته الرائعة لولا. احتفلنا بعيد ميلاد ميراي توتسلي ـ المستشارة في سفارة المكسيك ـ التي كان قد سبق لها أن استقبلتني في مكسيكو سيتي عندما كانت ترأس إدارة المراسم في وزارة الخارجية المكسيكية.

مدريد: الاثنين، ١٨ نوفمبر ١٩٨٥

لم أكن في زيارة لمدريد ولكنني توقفت فيها في طريق الرحلة الجوية عائدًا للقاهرة، غير أن خليفة أصر على أن يقيم حفل استقبال دعا إليه أكثر من ٢٠٠ شخص: فقد حضر كل أعضاء السلك السياسي المعتمدين في مدريد وكل النُّخبة الإسبانية. إن خليفة وزوجته يتصرفان على عكس بعض السفراء الذين يفضلون ادخار المال لسنوات التقاعد على إنفاقه على ولائم وحفلات، استقبال، لقد كان خليفة وزوجته يقيمان دومًا حفلات الاستقبال ويحرصان على دعوة الضيوف من أبناء البلاد الذين مثلوا مصر فيها، سواء كان ذلك في سانتياجو أو في مدريد؛ فقد كانا دومًا حريصين على أن يكون تمثيلهما لمصر تمثيلًا رفيعًا ومشرفًا.

القاهرة: الثلاثاء، ٢٦ نوفمبر ١٩٨٥

شرح لي صديقي شريف بسيوني ـ بهدوء ـ استحالة أن يرأس مصري «المفوضية العليا لشئون اللاجئين» بينما يوجد ثلاثة أو أربعة ملايين فلسطيني يقبعون في المعسكرات منذ عدة عقود. إن اللوبي الصهيوني يعارض تمامًا ترشيحي لهذا المنصب. إن مثل هذه الأمور ستساعدني ـ بالتأكيد ـ على تحمُّل الخسارة عندما تقع لكنها لن تنال من عزيمتي لاستكمال المعركة الانتخابية.

القاهرة: الجمعة، ٢٩ نوفمبر ١٩٨٥

تلقيت مكالمة هاتفية هيستيرية من أسامة الباز: لديه معلومات بأن الإسرائيليين يستعدون لقصف القيادة العامة للفلسطينيين في اليمن، يجب أن نتحرك. حاولتُ الاتصال بديفيد كيمحي هاتفيًّا في القدس، لكنه كان موجودًا في تل أبيب. حاولتُ مرة أخرى، لكن الرقم الذي أعطوه لي كان خطأ. نجحتُ أخيرًا في الاتصال به. قال لي:

«ـ أعتقد أن هذه المعلومة خطأ. ومع ذلك، أعطني رقمك وسأهاتفك بعد قليل».

اتصل بي ديفيد كيمحي هاتفيًّا:

«ـ أُؤكد لك أن هذه المعلومة نابعة من المشاعر المعادية لإسرائيل، وليست من الحقيقة».

اتصلت بأسامة الباز:

«ـ المعلومات التي لديك خاطئة، تناول حبة من الفاليوم المهدئ واخلد للراحة».

كان يجب عليَّ أن أكون أكثر ديبلوماسية. أعتقد أن أسامة استاء من نصيحتي له بأخذ حبة مهدئة.

باريس: الثلاثاء، ١٠ ديسمبر ١٩٨٥

السفير أحمد خليل ـ ممثلنا لدى الأمم المتحدة ـ أخبرني أن بيريز دي كويبار قرَّر تعيين المرشح السويسري في منصب «المفوض الأعلى».

مكالمة هاتفية ثانية من عصمت عبد المجيد قال فيها إنه يجب قبول قرار السكرتير العام، وعدم طلب طرح الأمر للتصويت عليه في «الجمعية العامة»، فقد نتعرض لهزيمة جديدة. بين المكالمتَيْن، ذهبت لاستشارة طبية لدى الدكتور باراجان، في شارع دي بورجوني، فقد ارتفع ضغط الدم جدًّا عندي. إنه ثمن الهزيمة.

لماذا كنت حريصًا على الحصول على هذا المنصب لهذه الدرجة؟

أولًا: لأنني لم أُرَقَّ لمنصب وزير الخارجية ونائب لرئيس الوزراء بعد سبع سنوات من الخدمة الحسنة والمخلصة.

ثانيًا: لأنني كنتُ أتخيل هذا المنصب سيُتيح لي الهروب من الحياة السياسية المصرية، بكل عيوبها ومثالبها.

لقد كنت أحلم بالفعل بالحصول على هذا المنصب والانتقال إلى جنيف حيث كنت أود أن أقطن في منزل على ضفاف بحيرة ليمان؛ لأعيش حياةً أقل اضطرابًا وتعبًا؛ وأحقق تغييرًا جذريًّا وملائمًا للصحة. من المؤكد أنني بالغت في الأحلام حيث إن هذا المنصب أيضًا لم يكن بعيدًا عن أسباب القلق أو الممارسات السياسية الوضيعة. لو كنت حصلت على هذا المنصب كنت سأنتقل من حالة من القلق والتوتر إلى حالة أخرى من القلق والتوتر.

فضلًا عن ذلك، فقد أدركتُ أنني لم أُقدِّر القوة الأمريكية حق قدرها ولا القوة الصهيونية، كما أنني قللت من مدى خضوع السكرتير العام للأمم المتحدة للتوجيهات الأمريكية.

أجريت مكالمة هاتفية لليا التي استقبلت هذا الخبر بهدوء تام كما لو أنها كانت تطالع أخبارًا متفرقة في جريدة الصباح.

باريس: الأربعاء، ١١ ديسمبر ١٩٨٥

قابلت جاك شيراك في مقر عمودية باريس. كان برفقتي سمير صفوت الذي أعد هذا اللقاء. مكتب عمدة باريس متسع جدًّا ويسوده جو مُريح للغاية. كان اللقاء هادئًا فساعدني على الاسترخاء ونسيان ليلة الأمس. تحدثنا عن أفريقيا وعن التعاون المصري ـ الفرنسي لمساعدة أفريقيا. افتتنتُ بسحر جاك شيراك وما يبديه من حفاوة وتلقائية، قد تكون حقيقية أو مصطنعة، وقدرته على الإنصات والإقناع.

باريس: الخميس، ١٢ ديسمبر ١٩٨٥

بداية «قمة فرنسا ـ أفريقيا». علم الرئيس ميتران بهزيمتي. فقال لي بود وبساطة:

«ـ إن مصر تحتاج تواجدك في القاهرة أكثر من تواجدك في جنيف».

* * *

الفصل الخامس

□ أول مؤتمر قمة للفرانكوفونية في فرساي □ الرئيس الصيني يزور مصر □ خطبة باللغة العربية أمام «حزب العمل» الإسرائيلي في القدس □ الدكتوراه الفخرية من أُوبسالا □ مُصالحة في موسكو □ زيارة للعزاء في وفاة والد الرئيس ساسو نجيسو □ خطبة عدوانية للقذافي في «قمة هراري» □ الرئيس سنجور يفتتح أعمال «منظمة الاشتراكية الأفريقية» في القاهرة □ راحة إجبارية في مستشفى كوشين.

القاهرة: الجمعة، ٣ يناير ١٩٨٦

لقاء مع البابا شنودة. وافقته على ملاحظته بأن الأقباط غائبون عن وظائف الإدارة العليا مثل مجلس الشعب. أعتقدُ أن الأقباط يتحملون جزءا من المسئولية عن هذا الوضع لأنهم لا يسعون لترشيح أنفسهم في الانتخابات التشريعية. ربما لأنهم يدركون ـ بالتأكيد ـ أن فرصتهم ضئيلة في الفوز نظرًا لعداء الأصوليين ضدهم.

لم يتفق البابا معي في هذا التحليل قائلًا: «على الحكومة أن تتخذ الإجراءات الضرورية لكي تُتيح تمثيلًا نسبيًّا للأقباط في مجلس الشعب، مما سيُتيح دخول ٤٠ نائبًا قبطيًّا بدلًا من وجود ثلاثة أو أربعة كما هو الحال الآن».

بعد ذلك، تناولنا موضوع العلاقات بَيْن الكنيستَيْن القبطيتَيْن في مصر وإثيوبيا. اعترفتُ له بأنني قابلتُ الرئيس منجستو كثيرًا لكنني لم أتحدث معه أبدًا في هذا الموضوع. وعندما سمع البابا شنودة اسم منجستو، قال بغضب: «منجستو هو الشيطان ولا يجب التحاور معه بتاتًا».

عشاء مع تشستر كروكر، الديبلوماسي الأمريكي اللامع، المسئول عن الشئون الأفريقية في الخارجية الأمريكية: انتقد بشدة إهمال مصر لملف السودان قائلًا: «ستتعرضون غدًا لمشاكل في المياه؛ وبعد غد، ستواجهون بالتأكيد مشكلة انفصال جنوب السودان. إن الولايات المتحدة الأمريكية مستعدة لتقديم العون المالي لكم لكن عليكم أن تبادروا بالحركة».

القاهرة: الاثنين، ٦ يناير ١٩٨٦

حضرتُ قداسًا منتصف الليل في الكاتدرائية المرقسية. استقبلني المصلون بحفاوة. يبدو أن الشعب القبطي يحتاج إلى زعيم علماني، بل إنه من الممكن أن يكون هذا الزعيم مسلمًا طالما أنه سيُدافع عن حقوق الأقباط وسيتصدى لكافة أشكال التمييز ضدهم. لا أشعُر أن لديَّ القدرة على تحمل مثل هذه المسئولية.

نيامي: الأحد، ١٢ يناير/الخميس، ١٦ يناير ١٩٨٦

هذه الرحلة للنيجر لم تترك لي أي فرصة للراحة. مباحثات مع سامي باكو، وزير الشئون الخارجية اللامع. لقاء تلفزيوني قَبْل لقائي مع داودا، وزير الخارجية السابق الذي أصبح وزيرًا للمعلوماتية. جلسة طويلة مع رئيس الجمهورية، الكولونيل علي سايبو، وهو رجل عسكري لا يتمتع ببنية قوية ولا بحضور إنساني قوي، ويتكلم بعبارات مقتضبة وقصيرة وقعها على أُذُن المستمع مثل وقع الأوامر العسكرية.

نحن الاثنان متفقان تمامًا: أفريقيا مجزأة وما تزال مُسْتَعْمَرَة. الاتحاد هو السبيل الوحيد للقضاء على غياب التنمية في القارة. من السهل جدًّا أن ننسب هذا التأخر إلى الاستعمار خصوصًا وأنه قد ساهم في تقسيم أفريقيا بدلًا من مساعدتها على إقامة دول كبرى قابلة للحياة.

توالت الأنشطة: زيارة لغابة من أشجار الكافور على بُعد عدة كيلومترات من العاصمة. لقاء مع المبعوث الخاص لرئيس بوركينا فاسو، سانكارا، سمحتُ لنفسي بتوجيه بعض النصائح له بتَوَخِّي الحكمة والاعتدال. مباحثات مع وزيرة كندا للشئون الخارجية التي تقوم هي أيضًا بزيارة رسمية للنيجر. بعدها، ذهبتُ للمقر الجديد للسفارة المصرية التي كان مقرها حتى ذلك الحين في مبنى تابع «لشركة النصر». كانت لهذه الشركة التجارية الحكومية مقار في كثير من العواصم الأفريقية، وكان

المسئولون المحليون العاملون بها على خلاف مستمر مع سفرائنا. وهذا الوضع يذكرني بالخلافات الناشبة بين وزاراتنا المختلفة.

القاهرة: الأحد، ١٩ يناير ١٩٨٦

قابلتُ بسرور برناردو سيبو لفيدا، وزير خارجية المكسيك، وهو رجل طويل القامة وجَذّاب ويشبه عَمَّه شبهًا مدهشًا. وعَمُّه فقيه قانوني مكسيكي عظيم. قمت باصطحاب لفيدا مع زوجته الساحرة إلى مقر إقامتهما في جناحٍ راق في فندق الميريديان يستطيع من نافذته مشاهدة النيل والجزيرة، وهو منظر خَلَّاب. ثم جلست على انفراد مع الوزير لدراسة جدول الدورة المقبلة «لندوة أفريقيا ـ أمريكا اللاتينية».

فريتاون: الجمعة، ٢٤ يناير ١٩٨٦

عُدتُ مجددًا إلى عاصمة سيراليون بشواطئها وجبالها المغطاة بالغابات وكذلك ببؤسها. لن أذكُر اسم سفيرنا هناك لأنه غير كفء بالمرة مما يسبب لي الإحباط، فكل الجهود التي أبذُلها لتفعيل علاقاتنا بأفريقيا لن يكون لها أي جدوى طالما أن الديبلوماسيين المصريين المعتمدين لدى العواصم الأفريقية لا يتمتعون بالكفاءة المطلوبة، بل إنهم أيضًا لا يبذلون أي مجهود لتنمية علاقاتهم بالسلطات المحلية.

يجب علينا إرسال أفضل ديبلوماسيينا إلى البلاد الفقيرة والنامية، ففي هذه البلاد يمكنهم تقديم المساعدة التقنية والثقافية الموجودة لدى مصر، كما يمكنهم أيضًا احتواء الصراعات القبلية في هذه الدول. باختصار، يمكنهم استكمال الدور الذي لعبته مصر في حركة التحرر من الاستعمار عندما وَطَّدت مكانتها بصفتها المركز الحيوي الرئيسي لحركات التحرر الأفريقية.

فريتاون: السبت، ٢٥ يناير ١٩٨٦

إزاحة الستار عن تمثال لستيفن، رئيس سيراليون السابق، بحضور خَلَفه، الجنرال موموه. كان ستيفن زعيمًا أفريقيًّا بحق وسياسيًّا محنكًا. أما التمثال الضخم المقام لخَلَفه فلن يتمكن يومًا من تعويض ما يعانيه من نقص للخبرة السياسية.

استعددتُ لمقابلة الجنرال موموه فطلبتُ من حارسي الشخصي العقيد الحفناوي، الذي يرتدي دائمًا الزي المدني، أن يرتدي الزي الرسمي للشرطة

المصرية. وهكذا جَذَبَ العقيد الحفناوي انتباه الصحفيين أكثر من الوفد الدبيلوماسي الذي كان يرافقني.

بدا الجنرال مومو في غاية اللطف، وقرأ بعناية رسالة التهنئة التي أرسلها له الرئيس مبارك معي. اتفق معي على أننا نستطيع التعاون معًا بطريقة فعَّالة. ثم استعرضنا مختلف القطاعات التي يمكن من خلالها تطوير التعاون بين مصر وسيراليون، وكان من بينها إرسال أطباء مصريين إلى سيراليون، وتدريب ضباط الشرطة في مصر، وشق الطرق، وإنشاء شبكات تليفونية.

فريتاون: الأحد، ٢٦ يناير ١٩٨٦

الاحتفال بانتخاب الرئيس الجديد في استاد المدينة. جلستُ بجوار جي بينيه ـ الموَجِّه الحقيقي لسياسة الرئيس ميتران فيما يتعلَّق بالمشاكل الأفريقية. وجود العقيد الحفناوي بالزي الرسمي للشرطة المصرية أثار فضول بينيه للغاية فسألني:

«ـ هل لديكم ملحق عسكري في سفارتكم هنا؟».

«ـ كلا. إنه يمثل الشرطة المصرية في الوفد المرافق لي».

حَضَرَتْ وفود رسمية كثيرة هذا الاحتفال. بالقرب مني، جلس وزير العدل المغربي، وهو رجل من الطبقة الراقية في المغرب، وبدا عليه الشعور بالإرهاق والاستياء الشديدين.

«ـ يجب أن يتقبَّل الإنسان تقديم الكثير من التنازلات لكي يتمكن من خدمة بلاده».
فأجبتُه قائلًا: «هذا مؤكد. لكن عشقنا لبلدنا يجعل هذه التنازلات الكبيرة مُحْتَمَلَة».

فهز رأسه لكنه تَجَنَّب التعليق على ما قلته.

لاجوس: الأربعاء، ٢٩ يناير ١٩٨٦

محادثات مع رئيس الجمهورية الجديد، إبراهيم بابانجيدا، وهو رجل ضخم لديه نظرة يقظة ويتسم بالذكاء. جرى اللقاء في جو مُريح. تركز نقاشنا على أهمية العلاقات بين القوتَيْن العظميَيْن في أفريقيا: مصر ونيجيريا، والدور الذي يجب عليهما أن تقوما به على مستوى القارة لتحرير جنوب أفريقيا. ولتحقيق هذا الهدف، يجب أن تكون هناك هياكل مؤسسية تقوم عليها العلاقات بين البلدَيْن. وعلى وجه الخصوص،

يجب أن نتجنَّب أي تردُّد قد ينشأ بسبب التنافس بين البلدَيْن مما قد يُؤدي إلى إحباط عملنا الخاص بأفريقيا.

باريس: الأربعاء، ٥ فبراير ١٩٨٦

تلقيتُ تعليمات من القاهرة. الرئيس مبارك يطلب مني الاشتراك في المؤتمر الذي سيرأسه فرنسوا ميتران والذي سيناقش موضوع «الشجرة والغابة». يبدو أن الرئيس الفرنسي قد طلب من الرئيس مبارك ـ في اللحظة الأخيرة ـ إرسال عضو من الوزارة المصرية لتمثيل مصر. انتابني شعور بالضيق مماثل لذلك الضيق الذي استشعرته عندما طلب مني مبارك إعداد الخطاب الذي سيُلقيه السادات في الكنيست الإسرائيلي.

وبالتأكيد، فإنني لم أجد من بين أعضاء السفارة المصرية في باريس من هو قادر على معاونتي في إعداد خطبة عن «الشجرة والغابة». اتصلتُ هاتفيًّا بزميل لي في كلية الحقوق بجامعة باريس الذي ساعدني وأمْلَى عليَّ فقرة مناسبة ولائقة استخدمتها في كلمتي أمام المؤتمر التي تمكنت من إعدادها وإلقائها بعد مشقة. عليَّ دومًا أن أفعل كل ما بوسعي للإسهام في رفعة مصر في المحافل الدولية.

القاهرة: الجمعة، ٧ فبراير ١٩٨٦

وَصَلَ إلى القاهرة إيديه أُومارو، السكرتير العام «لمنظمة الوحدة الأفريقية»، وهو من الأفارقة الناطقين بالفرنسية، وهو ذكي ومتواضع ولديه مقدرة حقيقية على الإصغاء لمحدثيه. كنتُ قد شاركتُ في انتخابه لهذا المنصب في أديس أبابا في جلسة صاخبة للغاية لن تنساها ذاكرة هذه المنظمة. وأحيانًا ما يُوَجَّه إليه اللوم لعدم استخدامه للحزم. لكنني أعتقد أن صفات الحزم والشدة هي ما يحتاجه السكرتير العام لإدارة مثل هذه المنظمة التي تضم في عضويتها ٥٠ دولة نامية، أغلبها يقع تحت وطأة حُكَّام مستبدِّين. وكل هذه الدول تتمسك بشدة بسيادتها التي حصلت عليها مؤخرًا، وكلها تخضع لنفوذ مستعمريها السابقين.

وعلى الرغم من ذلك كله، فإن «منظمة الوحدة الأفريقية» تبقى هي المنظمة التي تشترك فيها أفريقيا كلها، وتمكنت الدول الأعضاء في هذه المنظمة أن توثق أواصر العلاقات والتعاون المشترك. لكن هل تستطيع هذه الدول أن تتجاوز آثار

تقسيم القارة الأفريقية لأكثر من ٢٥ دولة في إطار الحدود المصطَنَعَة التي فرضها المستعمرون السابقون لهذه القارة؟

القاهرة: الأحد، ٩ فبراير ١٩٨٦

رافقتُ إيديه أُومارو أثناء لقائه بالرئيس مبارك. ناقش الاثنان باختصار جميع القضايا الأفريقية. أعرفُ أنني لم أُترجم جيدًا كل ما قاله أومارو لأنني كنتُ متعَبًا، إلّا أن اللقاء تم بشكل جيد. وتمنى السكرتير العام أن تكون مصر أكثر فاعلية في المنظمة التي يرأسها وفي أفريقيا التي تشعر بالعرفان بالجميل تجاه مصر بفضل الدور الحاسم الذي لعبته في تحرير أفريقيا من الاستعمار.

استقبلتُ في المطار مارتن بونجو، نائب رئيس وزراء الجابون ووزير خارجيتها. وهو دائمًا ما يُعطي الانطباع بأنه نائم، لكن ذلك لا يمنعه من تحليل الأحداث تحليلًا سليمًا. رافقته حتى فندق الميريديان. وقمت بفتح باب نافذة الشرفة التي تطل على نهر النيل والجزيرة والحديقة الكبيرة التي كنتُ أذهبُ إليها وأنا طفل. استمتع كلانا بهذا المشهد. لا أشعرُ بالملل من رؤية هذا المنظر. ويبدو أن مارتن بونجو قد تأثر هو أيضًا بجمال هذا المنظر وباتساع العاصمة الممتدة أمام ناظريه.

القاهرة: الاثنين، ١٠ فبراير ١٩٨٦

أصبحتُ لا أُغادر المطار. في الصباح، انتظرتُ وزير خارجية مدغشقر، جان بيما نانجرا، وهو ديبلوماسي لبق ونشط وفَطِنْ.

بعد الظهر، اجتماع «لجنة مصر ـ جابون المشتركة». يتكوَّن الوفد المصري من عمالقة الديبلوماسية المصرية: عز الدين شرف وأحمد صدقي ورفيق حسني وأحمد نظمي. رافَق مارتن بونجو أربعة معاونين، بيانات ومشاريع والقليل من العناصر الفعلية الملموسة، لكن القيمة الرمزية، والسياسية لهذا الاجتماع تتجاوز بكثير النتائج المتوقعَة منه.

بعد الاجتماع، حفل عشاء ناجح. استطعتُ ـ بقدر من الصعوبة ـ إقناع اثنين من زملائي الوزراء بحضور حفل العشاء: ماهر أباظة وزير الكهرباء والطاقة، وسلطان أبو علي وزير الاقتصاد. ارتجلتُ خطبة طويلة حول الصداقة بين الجابون ومصر.

القاهرة: الثلاثاء، ١١ فبراير ١٩٨٦

استقبل الرئيس مبارك وزير خارجية مدغشقر الذي طالب بأن تبيع مصر البترول لبلاده على أن يتم التسديد على دفعات لمدة عشر سنوات. وعده الرئيس بدراسة هذا الطلب. لا بد من تَوَقُّع معارضة وزير البترول لهذا المشروع.

وخُصِّصَت الجلسة الثانية لمارتن بونجو الذي ارتدى زيًّا من الحرير الأسود من بيت الأزياء الفرنسي بيير كاردان. وأثار هذا الزي فضول الرئيس مبارك للغاية لأنه بدا زيًّا أُنثويًّا إلى حد ما، فسألني ـ باللغة العربية ـ عما إذا كان ذلك يعني شيئًا مُحددًا. لم أستطع الرد لكنني قلتُ إنه ربما قد يكون آخر صيحة للموضة في فرنسا.

وأخبرنا مارتن بونجو أن الجابون تضع اليورانيوم الذي لديها من مخزون تحت تَصَرُّف الحكومة المصرية إذا قَرَّرَت بناء محطات نووية، فقال لي الرئيس باللغة العربية:

«ـ ليست لدينا الأموال اللازمة لبناء هذه المحطات».

والرئيس يعلم أنني من أشد أنصار استخدام الطاقة النووية، خصوصًا وأننا سنستهلك كل مواردنا البترولية خلال عشر سنوات.

باريس: الاثنين، ١٧ فبراير ١٩٨٦

احتفال مهيب بمناسبة افتتاح أول قمة للفرانكوفونية في فرساي بحضور العديد من رؤساء الدول ورؤساء الحكومات.

طلب مني الرئيس ميتران الاتصال بالرئيس مبارك لكي أعرف منه إذا كان مستعدًّا لاستقبال ابن «بابا دوك» ـ رئيس هايتي السابق ـ في القاهرة بصفته لاجئًا سياسيًّا. اتصلتُ هاتفيًّا بمبارك الذي اعتذر لعدم استطاعته الاستجابة لهذا الطلب.

وكانت مصر قد منحت حق اللجوء السياسي لعدد كبير جدًّا من السياسيين بما في ذلك لرئيس دولة سابق هو النميري رئيس السودان الذي وقع ضده انقلاب. ربما كان يجب عليَّ أن أنتظر حتى أصل للقاهرة لكي أتحدث مع الرئيس مباشرةً في هذا الشأن. إن منح حق اللجوء السياسي للرؤساء ـ أو الحكام ـ السابقين يُعتبر جزءًا لا يتجزأ من السياسة الخارجية كما أن ذلك من شأنه أن يضع مصر محط أنظار العالم.

حفل استقبال في «دار العمدية» حيث قابلتُ عمدة باريس ـ جاك شيراك ـ وبعد ذلك، عشاء في قصر الإليزيه، جَلَسَتْ خلاله زوجتي ليا محاطة برئيسَيْ دولتَيْن أفريقيتَيْن هما مالي ووسط أفريقيا.

إن أغلب الدول الناطقة بالفرنسية تقع بالفعل في أفريقيا. وفي هذا السياق، تستطيع مصر أن تأمل في الحصول على ثلاث مزايا بانضمامها إلى المنظمة الفرانكوفونية: تقوية علاقاتها بفرنسا، وتطوير علاقاتها مع الدول الأفريقية الناطقة بالفرنسية، وكذلك إحداث توازن إزاء النفوذ الثقافي والسياسي للقوة العظمى الوحيدة الأمريكية.

وقمتُ باستخدام هذه الحُجَج الثلاث لإقناع البرلمان المصري بالتصويت بالموافقة على انضمام مصر «للمنظمة الفرانكوفونية»، تلك الخطوة التي كان الأصوليون ينظرون إليها بمثابة انفتاح على الإمبريالية الثقافية الفرنسية.

باريس: الثلاثاء، ١٨ فبراير ١٩٨٦

لقاء مع شارل إيلو. أحتاج لدعمه للحصول على موافقة رؤساء الوفود المشاركة في القمة الفرانكوفونية لتبني قرار حول القضية الفلسطينية وقضايا عربية أخرى، وتمكنت في الوقت نفسه من طرح هذا القرار على القمة عبر وفد مدغشقر.

غداء في مقر وزارة الخارجية الفرنسية بدعوة من لوران فابيوس رئيس الوزراء الفرنسي. أثناء حفل العشاء، سحب الرئيس وردة من آنية الزهور التي تزين المائدة وقدمها لزوجتي ليا التي رافقتنا طوال هذه الزيارة. في الغد، سيطير الرئيس إلى مقديشيو.

ما زلتُ أتذكر أن هذا الرجل كان في غاية الذكاء وإن كان يتمسك برأيه بشدة ولا يقبل المعارضة في الرأي، ويبدو أنه معتاد على أن يتزلف الناس إليه. أما زوجته، فقد كانت على العكس من ذلك فقد بَدَت لطيفة واجتماعية.

باريس: الأربعاء، ١٩ فبراير ١٩٨٦

استأنفت القمة أعمالها تحت رئاسة فرانسوا ميتران، وتوقفت الاجتماعات لمشاركة الوفود في غداء دعا إليه رئيس الجمعية الوطنية الفرنسي.

في جلسات فترة ما بعد الظهيرة تحدث مطولا الرئيس هوبونه ـ بوينجي الذي

أعرب عن التقدير لجهود الديبلوماسية المصرية في سبيل تحقيق السلام ووجه الانتقادات لاستمرار احتلال إسرائيل لأراضٍ عربية.

وبالرغم من هذه المداخلة الهامة، التي تقدمت بالشكر إلى الرئيس بوينجي عنها، وبالرغم كذلك من مساندة شارل إيلو فإننا لم نتمكن من تحقيق تبني القمة لقرار حول الأوضاع في فلسطين ولبنان.

وشعرت بالدهشة لما قالته لي ديبلوماسية فرنسية شابة أن تبني مثل هذا القرار كان من شأنه أن يفتح الباب أمام مطالبة إسرائيل بالانضمام للمنظمة الفرانكوفونية.

في الحقيقة لم أفهم هذا المنطق لأنني كنت أرى أن إسرائيل لديها بالفعل تأثير كبير على فرنسا، وهي بذلك ليست بحاجة للسعي نحو الانضمام للمنظمة الفرانكوفونية.

القاهرة: الجمعة، ٢١ فبراير ١٩٨٦

بمساعدة يوسي وهبة قمت بإعداد ومراجعة محاضرة كنت بصدد إلقائها، باللغة الإنجليزية، في النادي الديبلوماسي على شرف وفد زائر من الهند. وكانت الفكرة الرئيسية التي كنت بصدد طرحها هو أن تدعيم التعاون بين مصر والهند من شأنه أن يقوي من شأن كل من البلدين على الساحة الدولية.

للأسف فإننا لم نمنح الوقت الكافي ولا الجهد الكافي كما أننا لم نقدم ما يكفي من أفكار ومقترحات لدعم هذا التعاون وتشغيله في إطار مؤسسي بما كان من شأنه أن يجعل التحالف المصري ـ الهندي أداة فاعلة من أدوات ديبلوماسية العالم الثالث.

ولديَّ قناعة بأنه بدون تحقيق تعاون بين دول الجنوب فإن تحقيق التنمية في العالم الثالث سيبقى تحديًا بالغ الصعوبة، كما أنه سيكون من الصعوبة بمكان في ظل استمرار غياب هذا التعاون أن يدير العالم الثالث بدوله النامية علاقة متكافئة مع دول العالم الأول بدوله المتقدمة.

عشاء في مقر سفارة الهند يشارك فيه دكتور الزيات الرئيس السابق للجمعية المصرية ـ الهندية، كما شارك فيه السفير سمير أنور رئيس الجمعية الحالي. يجب على الحكومات أن تقدم المزيد من الدعم الفاعل لمثل هذه الجمعيات حتى يتثنى لها أن تقوم بدور حقيقي وفاعل في دعم العلاقات بين البلدين.

أديس أبابا: الثلاثاء، ٢٥ فبراير ١٩٨٦

وصلت عند الفجر إلى العاصمة الإثيوبية للمشاركة في أعمال مؤتمر منظمة الاتحاد الأفريقي. ورفضت الإقامة في الجناح الفخم الذي كانت السفارة قد حجزته لي. يجب عليَّ أن أقدم للوفد المرافق لي القدوة في ترشيد الإنفاق. إن مصر بلد فقير. يجب ترشيد النفقات الخاصة بالنشاطات الديبلوماسية وذلك بالرغم من الأهمية القصوى للنشاط الديبلوماسي لخدمة المصالح المصرية.

الجلسة الافتتاحية لمؤتمر منظمة الوحدة الأفريقية. تم انتخاب مصر نائبًا أول لرئاسة المؤتمر.

أديس أبابا: الأربعاء، ٢٦ فبراير ١٩٨٦

أخبار سيئة من القاهرة تفيد بحدوث تمرد في صفوف مجندي الأمن المركزي. اتصلت بزوجتي ليا في مصر فوجدتها تشارك في غداء برفقة ملكة الدنمارك، وكذلك برفقة فريدة ملكة مصر السابقة. وعلمت أن الشرطة طلبت عودتهن إلى مقر إقامتهن بأحد فنادق القاهرة ريثما يتم استعادة الأمن. إذن ربما يعود الهدوء للقاهرة.

أديس أبابا: الخميس، ٢٧ فبراير ١٩٨٦

أقمت حفل استقبال بمقر السفارة المصرية في العاصمة الإثيوبية، وشارك فيها جل السفراء الأجانب المعتمدين في أديس أبابا. وبدى لي أن ذلك نجاحًا ديبلوماسيًا طيبًا. وأنا أظن أنه حتى لو لم يكن لدينا من الموارد ما يسمح لنا بتقديم الدعم الكافي للدول الإفريقية فإن أقل ما يمكننا القيام به عوضًا عن ذلك هو أن نبدي المودة والترحاب إزاء هذه الدول.

الأنباء الآتية من القاهرة أفادت بفداحة التمرد الذي قام به مجندو الأمن المركزي، لقد اضطر الجيش للتدخل.

القاهرة: السبت، ٨ مارس ١٩٨٦

الرئيس حسني مبارك يلوم على أعضاء مجلس الوزراء الدخول في سياقات من الشللية والعداء. اللوم الرئاسي يأتي في البداية خلال اجتماع لمجلس الوزراء ثم يتم إثارة الأمر في خطاب له أمام البرلمان. الخطاب استغرق قرابة الساعتين

وتحدث فيه الرئيس بلغة وطنية خالصة. يبدو لي أن موسى صبري قام بإعداد نص هذا الخطاب.

القاهرة: الثلاثاء، ١١ مارس ١٩٨٦

قدمت مداخلة في جلسة افتتاحية لدورة تدريبية مخصصة لديبلوماسيين شباب من دول أفريقيا الناطقة بالفرنسية والعضوة في منظمة الفرانكوفونية. السفير الفرنسي حرص على الحضور والمشاركة لفترة وجيزة بدافع التأكيد على اهتمام بلاده بالفرانكوفونية.

من المقرر أن تستمر أعمال هذه الدورة التدريبية لنحو أسبوعين، وستتطرق أعمالها لقضايا محل اهتمام منظمة الوحدة الأفريقية وكذلك للنزاعات الأفريقية والدعم الإغاثي للقارة.

ولقد لاحظت باهتمام أن كثيرًا من الشباب الديبلوماسيين المشاركين في هذه الدورة التدريبية يأتي من بلاد لغتها الأولى هي الإنجليزية أو العربية، غير أنهم وبالرغم من ذلك يجيدون التحدث بالفرنسية. كانت هذه هي خامس دورة تدريبية تدار بالفرنسية، وقد عقدنا أيضًا خمس دورات تدريبية باللغة الإنجليزية لشباب الديبلوماسيين الأفارقة.

القاهرة: الجمعة، ١٤ مارس ١٩٨٦

كلفني الرئيس مبارك باستقبال ومرافقة رئيس الصين خلال زيارته الرسمية المقررة لمصر.

وصلت طائرة الرئيس الصيني في الموعد المحدد لها بالضبط؛ وذلك في تمام الثانية والنصف بعد الظهر حيث حطت في مطار جانكليس العسكري الذي يبعد نحو ٥٠ كيلو مترًا عن الإسكندرية. خلال الرحلة من المطار إلى مقر إقامة الرئيس الزائر في مقر المنتزه تحدث الرئيس الصيني مطولًا وطرح عليَّ العديد من الأسئلة، وذلك بالرغم من الإرهاق الذي أصابه جراء الرحلة الطويلة والذي ربما ضاعفه تقدم الرئيس في العمر. ولقد طرحَتْ إجابتي على أسئلة الرئيس الصيني نقاطًا عديدة

ومتفرقة. ولاحظت أثناء الحديث أن رئيس الصين يتمتع بذاكرة قوية في التعامل مع الأرقام، وهي ميزة أفتقرها.

لدى وصول الرئيس الصيني إلى مقر المنتزه بدا عليه الرضا إزاء مقر الإقامة المخصص له وإزاء ترتيبات الإقامة له ولزوجته المرافقة له في الرحلة. وقرر الرئيس أن يقضي فترة ما بعد الظهيرة في مقر إقامته ليحصل على قسط من الراحة.

الإسكندرية: السبت، ١٥ مارس ١٩٨٦

بعد نزهة في حدائق المنتزه المحيطة بالقصر محل إقامته قرر الرئيس الصيني أن يعود إلى غرفته ليحصل على قسط إضافي من الراحة. وعلمت أنه أثناء فترة الراحة شاهد فيلما عن حياة كليوباترا بطولة كلوديت كولبار. إن أفلام هوليود التي تلقى رواجًا كبيرًا في العالم عرَّفت الكثيرين ببعض الأشياء عن حياة الفراعنة.

الإسكندرية: الأحد، ١٦ مارس ١٩٨٦

جولة للتنزه في شوارع الإسكندرية، شاركَنَا فيها سفير مصر في الصين فؤاد سليم وقرينته. ولقد ساعدني ذلك في أن أقوم بمهمة لم تكن قد أوكلت إليَّ سابقًا وهي مرافقة رئيس دولة في جولة حول معالم المدينة.

توقف الرئيس الصيني أمام تمثال لسعد زغلول في أحد ميادين الإسكندرية وسألني عن اسم وتاريخ صاحب التمثال. أخبرته أن ذلك الزعيم هو بالنسبة للمصريين كما سن ـ يتسن الزعيم الصيني المشهور. ولم يطلب الرئيس الصيني المزيد من الإيضاحات بعد هذا التعليق من جانبي، ولم أفهم إذا ما كان ذلك يعني أن المقارنة التي عقدتها بين سعد زغلول وسن ـ يتسن قد راقت له أم أزعجته بعض الشيء.

بعد ذلك قمنا بزيارة قلعة قايتباي. وقال الرئيس الصيني إن هناك أوجهًا للشبه بين الإسكندرية ومدينة شنغهاي الصينية.

الإسكندرية ـ القاهرة: الاثنين، ١٧ مارس ١٩٨٦

توجهنا من الإسكندرية إلى القاهرة مستقلين الطائرة الرئاسية الصينية. وكان في شرف استقبال الرئيس الصيني وقرينته الرئيس مبارك والسيدة سوزان مبارك.

واصطحب مبارك وقرينته، بعد احتفاء في الاستقبال، الرئيس الصيني والسيدة قرينته إلى مقر إقامتهما بالقاهرة بقصر القبة.

مأدبة عشاء بمشاركة كافة أعضاء الوفد الرسمي الصيني المرافق للرئيس. العشاء سار في أجواء هادئة وودية وتخلله حديث أسعد بعض أعضاء الديبلوماسيين العاملين معي حول فوز الفريق الوطني المصري لكرة القدم على نظيره المغربي في مباراة عقدت بينهما.

القاهرة: الثلاثاء، ١٨ مارس ١٩٨٦

محاولة للحصول على موافقة وزيرة المالية الصينية لإلغاء دين مستحق على مصر للصين قيمته ١٠٠ مليون دولار. وأبدت الوزيرة ترددًا واضحًا في قبول هذا الطلب بالنظر إلى أن هذا الدين مستحق لشركات عامة لها ميزانياتها المستقلة عن ميزانية الدولة.

جلسة مباحثات بين الوفدين الصيني والمصري.

لم أكن أعرف قبل ذلك أن رئيس الوزراء علي لطفي لا يتقن اللغة الإنجليزية إلى هذا الحد الواضح. في الوقت نفسه فإن العرض السياسي الذي قدمه عصمت عبد المجيد حول ملف الشرق الأوسط لم يكن واضحًا على الإطلاق في تفصيل عناصر الموقف الأردني وعناصر الموقف الفلسطيني كلًا على حدة. ربما أكون مبالغًا في القسوة في تقييم أداء زملائي ولكن ما آخذه عليهم فعلًا هو عدم الاهتمام الكافي بالإعداد للمقابلات قبل مشاركتهم فيها.

لقاء جمع الرئيسين المصري والصيني حيث استعرض كلٌّ منهما المواقف السياسية العامة لبلاده.

بعد الظهيرة توجهنا في جولة عند سفح الأهرامات وأبو الهول، كما قمنا كذلك بزيارة مراكب الشمس. بدا الرئيس الصيني منبهرًا بعراقة آلاف السنوات من الحضارة المصرية القديمة وذلك رغم أن بلاده كما ذكر لنا لها أيضًا تاريخها العريق.

القاهرة: الأربعاء، ١٩ مارس ١٩٨٦

قام رئيس الصين بوضع حجر الأساس لمركز مؤتمرات ستقدمه الصين منحة

لمصر. وبعد ذلك قام بزيارة للبرلمان حيث ألقى خطابًا أمام الأعضاء، تركز حديثه في هذه المناسبة على قضايا العالم الثالث، واستقبل أعضاء البرلمان الحديث بوقفات من التصفيق أكثر من مرة.

وأثناء مرافقتي له في طريق العودة من مقر البرلمان إلى قصر القبة أعربت له عن شديد إعجابي بهذا الخطاب الهام الذي ألقاه أمام البرلمان المصري. وتلقى الرئيس هذا الإطراء بارتياح ورضا عبَّر عنهما بابتسامة واسعة. ثم تبادلنا الحديث حول جملة من القضايا، وفي ذلك الإطار طلب مني أن أحيطه علمًا بتطورات الأوضاع في الصومال التي كان يعتزم زيارتها أثناء وجوده بالمنطقة قبل العودة إلى الصين.

قلت له:

«لقد خصصت عددًا بكامله من مجلة «السياسة الدولية» التي أشرت عليها لهذه القضية، وقد ضم هذا العدد الكثير من التعليقات والتحليلات الموضوعية حول الوضع في الصومال، وهذا العدد الخاص تمت مصادرته ولم يتم توزيعه لا في مقديشيو ولا في أديس أبابا».

فسألني الرئيس الصيني: لو لم يتم مصادرة هذا العدد فهل كان ذلك سيعني أن التحليلات والأفكار المطروحة في سياق هذا العدد الخاص لا تتسم بالموضوعية.

فأجبت موضحًا: سيدي الرئيس لو أنه لم تكن هناك اعتراضات من الصومال ولا من إثيوبيا على ما جاء في هذا العدد فإن ذلك كان سيعني أنه لا يوجد نزاع بين البلدين.

ولم يبدو لي أن هذه الإجابة أقنعت الرئيس الصيني.

الأقصر: الخميس، ٢٠ مارس ١٩٨٦

زيارة لمعبد الكرنك برفقة رئيس الصين وزوجته. وخلال الجولة قام المرشد السياحي المرافق باستعراض الآلهة الفرعونية المجسدة بصور ونحوت على حوائط المعبد الفرعوني، فما كان من رئيس الصين إلا أن أدلى بتعليق يتفق والثقافة السائدة في الصين حيث قال: «إنه لا وجود للآلهة، ولا يوجد هناك آلهة قادرة أن تؤثر على حياة البشر، وحياة البشر ومصائرهم هي نتاج لخياراتهم». غير

أن فريق الأمن المرافق للجولة لم يتفهم السياق الثقافي لمثل هذا التعليق وأبدى انزعاجًا شديدًا منه.

ولدى مغادرتنا معبد الكرنك ألقى الرئيس الصيني بتعليق آخر مماثل حيث قال: «من حسن الحظ أن إله الشمس أخذ في الزوال حتى تحسنت درجة الحرارة قليلًا».

فأجبته: «سيدي الرئيس إن إله الشمس سيعود مجددًا مع صباح الغد». وهو التعليق المتفق بصفة عامة مع الثقافة المصرية التي تؤمن بأن الإله حي ولا يموت.

وقال لي أحد أعضاء الوفد الصيني إن رئيس بلاده يجد متعة في الحوار معي. ويبدو أن هناك من ألمح للرئيس الصيني أنني مثقف اجتذبته الحكومة للمشاركة فيها، ويبدو أن هذا الأمر وجد قبولًا لدى الرئيس الصيني الذي يعد واحدًا من أكبر الحكماء في بلاده.

القاهرة: الأربعاء، ٢٦ مارس ١٩٨٦

نحتفل اليوم بالعيد السابع لتوقيع «اتفاقية السلام» مع إسرائيل. لقد مَرَّت سبع سنوات!! إن السرعة التي يمر بها الوقت تصيبني بالقلق. صحيح أنه مع مرور الوقت يقل التباعد بين مصر وإسرائيل ولكن ما أشد الأثر الذي يتركه مرور الوقت على الإنسان. الوقت يتعامل مع الإنسان بقسوة فهو ينقضي بسرعة في أوقات الفرح، لكنه يُبطئ من سرعته في أوقات الحزن.

استقبلتُ نيكولاس فيليوتيس، سفير الولايات المتحدة الذي ترك منصبه. قال لي: إن أمريكا مَدينَة لك بشيء ما في المستقبل نظرًا لأنها عارضت انتخابك لمنصب «المفوض الأعلى للجنة اللاجئين».

لا أُشاطره هذا التفاؤل لأنني لا أُؤمن بأن الدول لديها شعور العرفان بالجميل؛ فالدول تتصرف بقسوة وبرود وتأخذ ما تريد من البشر ولا تهتم كثيرًا بمكافأتهم.

القاهرة: الاثنين، ٣١ مارس ١٩٨٦

مكالمة تليفونية من تل أبيب، يتصل بي إسرائيل جات ليقترح إيفاد القاهرة لشخصية مصرية مرموقة لحضور الاجتماع الكبير الذي يعقده حزب العمل الإسرائيلي في إبريل المقبل.

القاهرة: الجمعة، ٤ إبريل ١٩٨٦

أبلغتُ أعضاء مكتب الحزب الحاكم بالدعوة التي تلقيتُها من جات ولم تلق هذه الدعوة فيما رأيت أدنى اهتمام. أبدى مصطفى السعيد اعتراضات حاسمة، وبلا تردد، على مشاركة مصر في هذا الاجتماع في إسرائيل. عندما التقيت هذا الشاب الدبلوماسي الطموح منذ أكثر من عشر سنوات بقليل كان مدرسًا في كلية التجارة بجامعة القاهرة. إن النخبة تشارك الأغلبية من عامة الشعب في رفض أي محاولة لتطبيع العلاقات مع إسرائيل.

القاهرة: الاثنين، ٧ إبريل ١٩٨٦

الرئيس مبارك يستقبل آبا إيبان، وزير الخارجية الإسرائيلي السابق. حضرتُ المقابلة ومعي أسامة الباز. قال لنا آبا إيبان: «إن شيمون بيريز يتوقَّع تحركًا أمريكيا جديدًا لصالح السلام».

«ـ قدموا تنازلات للفلسطينيين. يجب أن يستطيعوا ممارسة حقهم في تقرير مصيرهم». تلك كانت رسالة مبارك الدائمة للإسرائيليين. ولا يبدو أن هذه الرسالة تلقى تجاوبًا من كثيرين في إسرائيل بما في ذلك بعض من شاركوا توقيع «اتفاقية السلام»، تلك الاتفاقية التي ساعدت بالتأكيد في تحسين الأجواء.

القدس: الخميس، ١٠ إبريل ١٩٨٦

وصلتُ إلى إسرائيل للاشتراك في اجتماع «حزب العمل».استقبلني رئيس الجمهورية ـ حاييم هيرتزوج ـ الذي شرح لي ما يفعله لصالح الفلسطينيين. لقاء مع إسحق شامير في مكتبه لقد صار مُسنًّا ويبدو عليه الإرهاق الشديد. إنني أتفاهم معه بصورة سهلة وأتحدثُ معه دائمًا باللغة الفرنسية. وهو مستمع جيد، لكني أعتقدُ أن لديه شكا عميقا تجاهي شخصيا وتجاه الدبلوماسية المصرية.

ألقيتُ خطبة باللغة الإنجليزية ثم باللغة العربية أمام أعضاء «حزب العمل» الإسرائيلي. سألني إسحق رابين مُرْتابًا:

«ـ ماذا قُلتَ باللغة العربية؟».

«ـ الشيء نفسه الذي قلتُه بالإنجليزية. ويهمني أن ألفت نظركم إلى أننا ـ خلال هذا

المؤتمر ـ قد تحدثنا بكل اللغات ماعدا اللغة العربية، مع أنها هي اللغة الأُم للشعب الفلسطيني الموجود في إسرائيل. فإذا كنتُ قد حرصتُ على إعادة ما قُلتُه بالعربية، فلكَي أُذكركم بأنه يوجد أكثر من مليون فلسطيني هم مواطنون إسرائيليون».

فعلق رابين على ماقلته ببرود: «عندك حق».

ثم استدار بسرعة ليلحق بزملائه.

غادرتُ إسرائيل عائدًا للقاهرة. أوصلني إسرائيل جات إلى المطار وتحدث معي عن التعاون ـ في المستقبل ـ بين «حزب العمل الإسرائيلي» والحزب الحاكم في مصر.

القاهرة: الأحد، ١٣ إبريل ١٩٨٦

استقبلتُ وفدا من الشابات الأمريكيات المسيحيات واليهوديات يعملن في إسرائيل من أجل السلام. شرحتُ لهن أنه لا يمكن تحقيق سلام دائم طالما أنه يتم تجاهل حقيقة أن هناك أكثر من مليون فلسطيني يعيشون في إسرائيل ويحملون جنسيتها، كما يوجد أيضًا أكثر من ثلاثة ملايين فلسطيني يعيشون مكتظين في الأراضي المحتلة: في غزة والضفة الغربية. استَمَعَتْ الشابات لما قلتُه بهدوء ولطف ولم يبدين أي ردة فعل حقيقية حسبما كنت أتوقع.

القاهرة: الاثنين، ١٤ إبريل ١٩٨٦

يشكو البابا شنودة من المضايقات التي يختلقها مسئولو وزارة الداخلية إزاء الاحتفاء المسيحي بتجليات السيدة العذراء في الزيتون. وكان أُلوف من المسيحيين والمسلمين يحتشدون يوميًّا لرؤية التجلِّي المعجز للسيدة العذراء عند كنيسة الزيتون، حتى إن أمي وليا قضتا ليلة بأكملها لرؤية هذا التجلي ولكن بلا جدوى.

تناولت العشاء عند كمال حسن علي برفقة مصطفى خليل. وكان لدى كل من كمال حسن علي ومصطفى خليل تعليقات قاسية على السياسات التي يتبعها الرئيس مبارك لأنه حسبما يقولان غير قادر على تبني الإجراءات الفاعلة والقادرة على إنقاذ البلاد من أزمة اقتصادية واجتماعية تنال من العصب المنتج في المجتمع. اقترحت أن يكون الحل في تطبيق خطة إنقاذ اقتصادي تقوم على استخدام الطاقة النووية في

إنتاج الكهرباء وتزويد مصر والسودان وغزة بهذه الطاقة لتفعيل النشاط الاقتصادي، وقلت إنه من الممكن أن نعهد لمجموعة من الخبراء العالميين بإدارة المحطة النووية حتى يكون واضحًا لكل جيراننا أننا بصدد مشروع سلمي بحت.

القاهرة: الأربعاء، ١٦ إبريل ١٩٨٦

عرضت على مبارك خطتي لإنتاج الكهرباء بواسطة الطاقة النووية وتزويد مصر وغزة بها. الرئيس مبارك يرفض أي مشروعات مشتركة مع غزة لكنه لا يمانع في إقامة هذا المشروع بالتعاون مع الأُردن، ثم اقترح عليَّ:

«ـ لماذا لا تذهب لمقابلة القذافي لعرض مشاريعك عليه؟».

الرئيس يعرف تمامًا أن علاقاتي سيئة جدًّا مع طرابلس.

القاهرة: الأربعاء، ٢٣ إبريل ١٩٨٦

حوار طويل مع هدى توفيق وهي صحفية ممتازة ومتزوجة من الصحفي الموهوب حمدي فؤاد. الزوجان ودودان وذكيان ويتصفان بالحيوية. أكَّدَتْ لي أن وزارة الخارجية تُعَيِّن عددًا محدودًا من المتقدمين لامتحاناتها وتختار مسيحيًّا واحدًا في كل امتحان.

فقلتُ لها: «أنا رئيس لجنة امتحانات القبول في وزارة الخارجية منذ ثماني سنوات. وأُؤكد لكِ أن ما تقولينه خطأ تمامًا، وإن هذه مجرد شائعات ينشرها المتعصبون من الأقباط الذين لا يقلون إيذاءً عن المتعصبين من المسلمين».

وهناك عدد قليل من المسيحيين يتقدمون لاجتياز امتحانات الانضمام للسلك الدبلوماسي، وهم يتصوَّرون مسبقًا أنهم سيتعرضون للتمييز طوال حياتهم الوظيفية. وهذا التصور خطأ تمامًا؛ ولكنه موجود بالفعل، وهو يدفع بكثير من الأقباط للابتعاد عن التقدم لاجتياز اختبارات وزارة الخارجية ويجعلهم يفضلون ممارسة الأعمال الحرة والتجارة؛ وهي أنشطة يحققون فيها نجاحًا كبيرًا.

القاهرة: الجمعة، ٢٥ إبريل ١٩٨٦

وصل إلى القاهرة إنريكي إيجليسياس ـ وزير خارجية أوروجواي ـ برفقة

رئيس جمهورية بلاده في زيارة لمصر. ألقى وزير الخارجية محاضرة في المعهد الدبلوماسي عن الاقتصاد في أمريكا اللاتينية. محاضرة إيجليسياس تطرح تحليلًا ممتازًا للقضايا التي يتناولها وهو قادر على شرح وجهة نظره بأسلوب سهل وشيق ومتعمق في الوقت نفسه. ولم يُطل إيجليسياس، إنه بالفعل يتحدث بتمكن يليق بأستاذ جامعي من طراز رفيع. عليَّ أن أكون قادرًا على إلقاء محاضرة مماثلة عندما أتحدث في القضايا الاقتصادية الخاصة بأفريقيا.

كنتُ الوزير المصري الوحيد الذي لبى دعوة سفير أوروجواي لحضور حفل استقبال أقامه على شرف رئيس جمهوريته، وذلك رغم أنه قام بدعوة الوزراء، لكنهم لم يهتموا بالحضور. انتهزتُ هذه المناسبة وتحدثتُ على انفراد مع رئيس الأُوروجواي. طرحت عليه مشروعي الخاص بإنشاء مجموعة تضم دول أمريكا اللاتينية وتكون مهمتها الرئيسية متابعة القضية الفلسطينية، على غرار مجموعة «الكانتادورو». يبدو أن الفكرة قد أعجبته.

القاهرة: الخميس، أول مايو ١٩٨٦

نجحت مع نهاد عسقلاني، سفير مصر في بيروت، في إقناع الرئيس مبارك بأن يشير إلى مأساة لبنان في سياق الكلمة التي سيُلقيها بمناسبة الاحتفال بالأول من مايو، وذلك على الرغم من أن هذه الخطبة مُوَجَّهة أساسًا للعمال ونقاباتهم.

جنيف: الاثنين، ٥ مايو ١٩٨٦

اليوم، عيد شم النسيم في مصر. كان يجب أن أكون مع أسرتي للاحتفال بذلك اليوم في عزبتنا في كفر عمار، لكن عوضًا عن ذلك أتيت إلى جنيف لأتفاوض مع زملائي في «لجنة الأمم المتحدة للقانون الدولي» لكي يتم انتخاب رجل القانون السنغالي البارز دودو إهيام لرئاسة اللجنة. تكلَّلت المهمة بالنجاح.

القاهرة: الثلاثاء، ٢٠ مايو ١٩٨٦

رافقتُ صديقي سيمون أُوجوما، وزير خارجية بنين، لمقابلة الرئيس مبارك. الرئيس بدا مرتاحًا وهادئًا. وذكَّرني بأنني لم أحصل على منصب «رئيس مفوضية

الأمم المتحدة للاجئين» على الرغم مما حصلت عليه من تأييد من الدول الأفريقية، كنت قد تصورتُ أن الرئيس مبارك قد نسي هذه الواقعة المؤسفة.

القاهرة: الخميس، ٢٢ مايو ١٩٨٦

دعاني سفير الاتحاد السوفييتي للمشاركة في مؤتمر مهم سيُعقد في «المعهد الأفريقي» في موسكو. وافقتُ بحماس، لكن مدير مكتبي ـ علي ماهر ـ لم يبد نفس القدر من الاهتمام مثلي وقال لي:

«ـ هذا المؤتمر لن يُعْقَد على مستوى الوزراء».

«ـ أنتَ مُحق تمامًا. لكنها فرصة للذهاب إلى موسكو لمحاولة تحسين علاقاتنا الديبلوماسية مع هذه القوة العظمى».

كان ما زال عليَّ الحصول على موافقة الرئيس مبارك حتى أتمكن من الذهاب إلى موسكو.

القاهرة: الجمعة، ٢٣ مايو ١٩٨٦

مكالمة هاتفية من أخي الموجود في نيويورك. أشار إلى مقالة جيدة نُشرت في «الهيرالد تريبيون» تناولت ترشيحي لمنصب «المدير العام لليونسكو»، وهو منصب كنتُ قد قررتُ أن أسعى للحصول عليه غداة فشلي في الحصول على منصب «رئيس مفوضية اللاجئين».

استوكهولم: الخميس، ٢٩ مايو ١٩٨٦

سيكون عليَّ غدًا أن أتوجه إلى جامعة أوبسالا لاستلام درجة الدكتوراه الفخرية التي قررت الجامعة أن تمنحها لي. وقام حسن عبد الصمد سفير مصر إلى السويد، وهو رجل ودود، بإعارتي بذلة لائقة بهذه المناسبة وإن كان مقاسها أكبر قليلًا من المقاس المناسب لي. وأكد لي السفير عبد الصمد أنني سيكون عليَّ أن أضع على سترتي ما سبق أن حصلت عليه من أوسمة.

فقلت له: «لا يمكن أن تكون جادًا فيما تقول، لا يعقل أن تكون قد أحضرت كل هذه الأوسمة». فأجابني أنه فعل ذلك بالفعل.

أوبسالا: الجمعة، ٣٠ مايو ١٩٨٦

لقد كانت البذلة التي أعارها لي حسن كبيرة جدًا عن القياس الذي أحتاجه، كما أن كثرة الأوسمة المعلقة على السترة نالت من ترتيب هندامي، وشعرت أنني وأنا أرتدي هذه البذلة واضعًا قبعة مستطيلة ومرتفعة قليلًا، حسبما تقضي التقاليد، أبدو أشبه بمهرج في السيرك.

وبدأت المراسم بمناداة الحائزين على الشهادات الشرفية واحدًا بعد الآخر بالهجاء اللاتيني. وانتابني القلق أنني لن أتعرف على اسمي عندما ينادى عليه حسب النطق اللاتيني.

واستغرقت المراسم وقتًا طويلًا، واتبعها حفل استقبال. وأبدى لي السفير حسن عبد الصمد، الذي كان يرتدي ملابس مناسبة لقياسه وقد زين سترته بالأوسمة الحاصل عليها، أنه يغبطني للحصول على هذه الشهادة الرفيعة من واحدة من أقدم الجامعات في العالم وأرفعها شأنًا.

استوكهولم: الاثنين، ٢ يونيو ١٩٨٦

لقاء مع ملك السويد. ارتكب السفير خطأً ديبلوماسيًا كبيرًا في حق الملك عندما قال له:

«ـ يا صاحب الجلالة، إن الوزير بطرس قد حصل على درجة الدكتوراه الفخرية مثلكم من جامعة أُوبسالا، وهو بذلك أصبح زميلًا لك».

فصَحَّح له ملك السويد ما ذكره بقوله:

«ـ لم أحصُل أبدًا على درجة الدكتوراه الفخرية، وكل ما حصلتُ عليه هو مجرد لقب فخري من كلية الزراعة في جامعة أُوبسالا».

ولحُسن الحظ، فلم يتحدث كثيرًا في هذا الأمر حيث كان التعاون السياحي بين استوكهولم والقاهرة هو الموضوع الرئيسي في مقابلتنا. عمومًا، فقد انتهت المقابلة بشكل طيب، لكن ذلك لم يمنعني من تأنيب حسن، فقلتُ له:

«ـ لقد أهنتَ الملك!».

«ـ سيدي الوزير، إن مَنْ يهمني هو صديقي بطرس أكثر من الملك».

«ـ يا حسن، إن صداقتنا لا يجب أن تمنعني من مواجهتك بالحقائق: إنك لا تقرأ ملفاتك قبل اللقاءات».

عدتُ مجددًا إلى أُوبسالا لإلقاء محاضرة باللغة الإنجليزية أمام جمهور محدود العدد، وكان موضوع المحاضرة هو «عملية السلام في الشرق الأوسط». أدهشني معرفة المشاركين بتفاصيل الأزمة في الشرق الأوسط حيث إنهم استعدوا لهذه المحاضرة بقراءة دراسات مختلفة عن الصراع في الشرق الأوسط وعن المأساة الفلسطينية.

في المساء، أثناء حفل استقبال، قابلتُ وزير دفاع السويد السابق، وهو مرشح آخر لم يحالفه الحظ في الفوز بمنصب «رئيس مفوضية اللاجئين». اتفقنا على أن المنصب ـ الذي يشغله كل منا حاليًا ـ أهم.. لكنه غير مضمون.

استوكهولم: الثلاثاء، ٣ يونيو ١٩٨٦

جلسة استماع في البرلمان السويدي حضرها أعضاء «لجنة الشئون الخارجية». عندما أقارن هذه الجلسة بتلك الجلسات التي أتحدث فيها أمام أعضاء البرلمان المصري يتأكد لي أن «الهُوَّة بين دول الشمال ودول الجنوب أعمق بكثير مما نظن».

جنيف: الخميس، ٥ يونيو ١٩٨٦

قُمتُ بالتحضير لمؤتمر «معهد القانون الدولي» الذي سيُعقد في القاهرة في شهر سبتمبر سنة ١٩٨٧. أشركت في الإعداد البروفيسير جورج أبي صعب وزوجته، ونيكولاس فالتيكوس، وهو شخصية مهمة في «مكتب العمل الدولي». وهؤلاء الثلاثة أصدقاء قدامى وزملاء يساعدونني لكي ينجح هذا الاجتماع الذي يعقده المعهد لأول مرة في مصر. وهؤلاء الأصدقاء حقوقيون مشهورون في الأساس وأساتذة فخريون في القانون الدولي ويجعلونني أشعُر بالحنين للماضي عندما كنت أدرس القانون بالجامعة قبل أن أنتقل إلى عالم السياسة.

جنيف: الجمعة، ٦ يونيو ١٩٨٦

مناقشة حَيَّة مع صديقي دودو إهيام. إنه مقتنع أن القوانين المطبقة في السنغال

وزائير كما في سائر البلاد الفرانكوفونية هي مجرد قوانين منقولة حرفيًّا من القانون الفرنسي أو القانون البلجيكي، «ولا يجب علينا أن نخجل من الاعتراف بذلك».

لكني أرى أن التقاليد والعادات الأفريقية ترجع للقانون الروماني وقوانين وضعية تطبقها الدول الأفريقية مما يجعل لهذه الدول وضعية قانونية خاصة.

لم يتفق معي، ربما يكون هو المُحق في نهاية الأمر. ربما كانت رغبتي إضفاء صيغة «ذاتية أفريقية» على القوانين التي تُطَبَّق في قارتنا، هي نتاج للتأثير السياسي على قراءتي للأمور وتوصيفي للواقع.

موسكو: الأحد، ٢٢ يونيو ١٩٨٦

هذه هي أول زيارة لي لموسكو رغم أني تولَّيتُ مسئولية السياسة الخارجية في مصر منذ تسع سنوات. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى السادات الذي كانت لديه شكوك تحوَّلت مع الوقت إلى ما يشبه وسواسًا قَهْريًّا تجاه القطب السوفييتي. في الوقت الذي كان فيه معجبًا بالقطب الأمريكي. ويبدو أن مبارك يُطَبِّق نفس النهج الديبلوماسي الذي تبناه السادات ـ على الأقل حتى الآن.

أعرفُ أن مهمتي ستكون صعبة، خصوصًا وأنني أحضر للمشاركة في مؤتمر أفريقي، وأن أيًّا من موسكو أو القاهرة لم تقترحا رسميًّا إجراء أي محادثات مصرية ـ سوفيتية مع الوفد المصري الزائر لموسكو.

موسكو: الاثنين، ٢٣ يونيو ١٩٨٦

زرتُ أعضاء «جمعية الصداقة المصرية ـ السوفييتية». أبدى البروفيسير شرباتوف ملاحظة متفائلة جدًّا عن هذا اللقاء: «إن علاقات الشعبَيْن ستتيح لهما تخطي المصاعب الديبلوماسية الملازمة للعلاقات المعقَّدة للغاية بين الدول».

موسكو: الثلاثاء، ٢٤ يونيو ١٩٨٦

قرأتُ بدقة على أعضاء المؤتمر النص الذي كتبته عن المشاكل الأفريقية. لقاء مع مدير وكالة «تاس» الذي قال لي:

«ـ أنتم لستُم متعجلين، وكذلك نحن لسنا متعجلين استئناف العلاقات الديبلوماسية والاقتصادية معكم».

أجبته أنني لا أوافقه الرأي وأنني أجد أن هناك رغبة سياسية حقيقية لدى بلدَيْنا في استئناف التعاون بشكل مكثف، وأن كل ما علينا القيام به هو إيجاد السياق المناسب الذي يمكن من خلاله إعادة إطلاق علاقاتنا الثنائية.

يسعى سفير مصر في موسكو صلاح بسيوني للحصول على لقاء لي مع وزير الخارجية، لكنه غير واثق من إمكانية ترتيب هذا اللقاء.

موسكو: الأربعاء، ٢٥ يونيو ١٩٨٦

استئناف أعمال «المؤتمر الأفريقي» الذي يفوق عدد السوفييت المشاركين فيه عن عدد الأفارقة. قَدَّم البروفيسير بليشينكو عرضًا ممتازًا لمختلف أشكال الإرهاب.

لقاء مع نائب وزير الخارجية السوفييتي، وهو شخص لطيف وألمعي. تحدثنا عن المشاكل الأفريقية ثم تناولنا الأزمة في الشرق الأوسط. شعرتُ بالرضا عن هذا اللقاء. لكن صلاح بسيوني كانت لديه خشية أن هذا اللقاء مع نائب الوزير يعني في الواقع أن الوزير نفسه لا يعتزم إتاحة الوقت لمقابلتي.

زرتُ كنيستَيْن في الكرملين ثم زرتُ مترو موسكو. كان في ذلك حفاظ على التوازن بين الاهتمامات الروحانية وتلك المادية.

موسكو: الخميس، ٢٦ يونيو ١٩٨٦

استقبلني إيفيجني بريماكوف ـ مدير «مركز الأبحاث» ـ ممازحًا باللغة الإنجليزية حيث قال لي: «ـ صباح الخير يا سيد كامب ديفيد».

كان بريماكوف هو عَيْن موسكو في القاهرة عندما كانت العلاقات وثيقة بين مصر والاتحاد السوفييتي. وهو ديبلوماسي عظيم وخبير متخصص في شئون العالم العربي، ولديه روح دعابة تروق للمصريين، كما أنه يحب الطعام والشراب بدرجة واضحة ولديه جسم ممتلئ شأنه في ذلك شأن الكثيرين من حكام العالم العربي.

الحديث مع إيفيجني بريماكوف حديث هام بالفعل. أخبرتُه أن بعضًا من أعضاء

مجلس الوزراء يدعون لمُطالبة الحكومة السوفييتية بدفع تعويضات لمصر بسبب توقُّف إنتاج المصانع الحربية المصرية نتيجة لقرار موسكو وقف تزويد هذه المصانع بقطع الغيار وقرار سحب الخبراء السوفييت. لكنني سارعتُ مُستدركًا:

«ـ هذه المطالب لا أساس لها مُطلقًا لأن سياسة حكومتنا هي التي ساهمت في رحيل الخبراء السوفييت، وهي التي مَنَعَت شراء قطع الغيار اللازمة لتشغيل مصانعنا بالكفاءة اللازمة».

استمع إيفيجني لما قلتُه باهتمام وطرح عليَّ سؤالًا واحدًا:

«ـ متى ستقابل وزير الخارجية؟».

«ـ لا أعرف، لكني آمل أن يتم هذا اللقاء في أقرب وقت».

زار ممثل لوزارة الخارجية السوفييتية السفارة المصرية بموسكو وأخبرني بأن اجتماعي مع وزير الخارجية سيتم بعد ظهر اليوم نفسه. وبالفعل، استقبلني إدوارد شيفارنادزه وزير الخارجية بعد هذه الزيارة بفترة ليست بالطويلة. إن إدوارد شيفارنادزه يتمتع بشخصية ودودة للغاية.

يبدو أن تراكم مشاكل العالم العربي أصبح مزعجًا للغاية.

تحدثتُ بإيجاز وذكرتُ أهمية عودة التعاون بين بلدينا. استمع لي باهتمام وكتب عدة ملحوظات لكنه لم يبد موقفًا واضحًا إزاء إمكانية مساهمة الاتحاد السوفييتي في تسوية أزمة الشرق الأوسط. بعد ذلك تناول الحديث القضايا الرئيسية في العالم العربي، وكان واضحًا أن شيفارنادزه على علم كامل بتفاصيل هذه القضايا. لا شك لديَّ أن المقابلة كانت إيجابية للغاية. والمهم الآن أن يكون لدى القاهرة الاستعداد لإبداء حُسْن نية متبادل.

موسكو: الجمعة، ٢٧ ـ والسبت، ٢٨ يونيو ١٩٨٦

نزهة في مدينة سانت بطرسبرج نافذة روسيا على أوروبا. هذه المدينة تُذكرني بفينيسيا. الاتحاد السوفييتي قوة عظمى عَرَفَت كيف تُحافظ على إمبراطوريتها، على العكس من فرنسا وبريطانيا العظمى والبرتغال.

موسكو: الأحد، ٢٩ يونيو ١٩٨٦

زيارة لمدينة أجورسك. جولة في بعض من كنائسها. هذه المدينة بمثابة الفاتيكان بالنسبة للأرثوذوكس. قَدَّم لي السفير بسيوني شموعًا فأضأتها ووضعتها أمام المذبح المقدس متمنيًا أن تُساهم رحلتي هذه في إعادة الصداقة بين مصر والاتحاد السوفييتي. قلتُ لبسيوني:

«ـ من الغريب أن الكنيسة القبطية ليس لها علاقات مع الأرثوذوكس في روسيا».

تردد السفير في التعليق على ملاحظتي، لكنه رد بصراحته المعهودة:

«ـ ذلك لأن الكنيسة القبطية شأنها شأن مصر؛ ما زالت تفتقر للتقدم».

القاهرة: الثلاثاء، الأول من يوليو ١٩٨٦

زارني القائم بأعمال السفارة الأمريكية ليستعلم مني عن نتائج زيارتي للاتحاد السوفييتي. قلتُ له:

«ـ أرجو أن تساهم هذه الزيارة في تحسين علاقاتنا مع موسكو».

لقاء مع سفير أستراليا، اللقاء تسبب في إصابتي بالإحباط. حدثني السفير عن زيارة قام بها مؤخرًا لكل من إسرائيل والسودان. وبالطبع فإن السياسة الإسرائيلية ليست مثل السياسة السودانية في أي شيء، لكنني أشعر بنفس الإحباط إزاء سياسات إسرائيل وسياسات السودان، إلَّا أنهما تسببان لي القدْر نفسه من الإحباط.

التقيتُ أيضًا بسفيرنا في كامبالا سعيد هنداوي. كان هنداوي يومًا أحد طلاب الجامعة الذين درّستُ لهم. شرح لي كيف أن حياته في خطر وأنه يجب عليه مغادرة هذا البلد. إن أعضاء السلك الديبلوماسي المصري يرغبون دومًا في إرسالهم إلى سفارات مصر في أوروبا، وكثيرًا ما أضطر أن أشرح للديبلوماسيين الشبان أن أول تمثيل ديبلوماسي لهم في الخارج قد يكون في عاصمة أفريقية حيث لا يتوافر الأمن غالبًا.

القاهرة: الاثنين، ٧ يوليو ١٩٨٦

عشاء مع رئيس الوزراء الأسبق عزيز صدقي وزوجته التي تربطها صداقة مع زوجتي ليا. عزيز صدقي يتوقَّع سقوط النظام قبل نهاية السنة. لكنه مخطئ في رأيي،

لأنه على الرغم من ضعف النظام والتناقضات التي يقع فيها، إلَّا أنه قادر على البقاء. أعتقدُ أن عزيز صدقي يحلم بأن يلعب ثانية دورًا أساسيًّا في المشهد السياسي، مثله في ذلك مثل كل مَنْ فقدوا السلطة. أنا واثق أن ما يتمناه لن يتحقق.

أديس أبابا: الثلاثاء، ٢٢/الأحد، ٢٧ يوليو ١٩٨٦

مؤتمر وزاري «لمنظمة الوحدة الأفريقية». قضيتُ ليالي ساهرًا مستغرقًا في مناقشات مرهِقَة وأحاديث حول مشاريع أقرب للخيال منها للواقع؛ مثل إنشاء جيش أفريقي مشترك.

وافقت جميع الدول على إعادة انتخاب مبو، السكرتير العام الحالي لليونسكو. هذا القرار يُقَلِّل من فرصة حصولي على هذا المنصب. سأتعرض لهزيمة ثانية. بعد قضاء حوالي أربعين عامًا في خدمة الدولة المصرية، أحتاج للتغيير، أُريدُ أن أعمل في منظمة دولية.

في المساء التقيت في نقاش مع اثنين من ألمع الصحفيين المصريين وهما: مكرم محمد أحمد ومحفوظ الأنصاري. إننا نعرف المعضلات التي تواجه مصر وتحول دون تسريع وتيرة تقدمها، ولكننا لا نعرف سبل علاج هذه المشكلات التي من أهمها ضعف الحكومة وغياب الكوادر التكنوقراطية القادرة على تحمل مهمات كبيرة، ذلك إلى جانب سلبيات المد الأصولي، وانتشار الفساد على كافة المستويات.

جلسة الـ ٢٦ من يوليو، انتهت في الساعة الواحدة صباحًا. خُطَب تليها خُطَب، لكنها تتشابه في أنها لا تطرح أشياء ذات مغزى. لا أتذكر أي شيء عن هذه الليلة المرهقة سوى الموقف المعادي للعروبة الذي اتخذته زائير.

أديس أبابا: الاثنين، ٢٨ يوليو ١٩٨٦

وصل الرئيس مبارك إلى أديس أبابا. قبل حضوره جلسة الافتتاح الرسمية، التقى تباعًا برئيس السنغال عبده ضيوف، ثم ديدييه أتسيركا رئيس مدغشقر، ثم عمر بونجو رئيس الجابون، ثم موسى تراوري رئيس مالي.

وفي حفل الاستقبال الذي أقامه الرئيس الإثيوبي، اشتكى صديقي إدوارد

ساوما المدير العام «لمنظمة الأغذية والزراعة»، للرئيس مبارك من أن مصر لم تُصَوِّت لصالحه، فنظر الرئيس إليَّ وسألني:

«ـ مَنْ هذا الشخص؟».

«ـ إنه صديق لبناني يا سيدي الرئيس يتصرف بعدوانية. ولسوء حظ لبنان فإن العدوانية أصبحت سيدة الموقف هناك الآن».

أديس أبابا: الثلاثاء، ٢٩ يوليو ١٩٨٦

سلسلة جديدة من لقاءات الرئيس مبارك بالرؤساء الأفارقة؛ فالتقى كاوندا رئيس زامبيا، وسانكارا رئيس بوركينا فاسو، وموجابي رئيس زيمبابوي. الرئيس مبارك مستمع جيد، ويعرف كيف يدير لقاءاته في إطار من الهدوء والود والأُخُوَّة بما ينال إعجاب الرؤساء الأفارقة.

كينشاسا: الثلاثاء، ٥ أغسطس ١٩٨٦

وصلتُ كينشاسا بعد توقُّف في دوالا حيث التقيتُ بسفيرنا حسن جاد الحق الذي اشتكى لي عن حق من بطء ديوان وزارة الخارجية في الرد على البرقيات التي يبعث بها. إنه مُحِق في شكواه وأنا أيضًا أتحمل جزءًا من مسئولية تباطؤ الديوان.

زيارتي لكينشاسا تهدف للمشاركة في اجتماع «لمجموعة الأندوجو». تعرَّضتُ لخيبة أمل ديبلوماسية مُزدَوَجَة: أولًا: كان من المفروض أن يرأس وزير الخارجية هذا الاجتماع، لكنه سافر إلى أوروبا، وثانيًا: لم أتمكن في الوقت نفسه من مقابلة الرئيس موبوتو.

كينشاسا: الجمعة، ٨ أغسطس ١٩٨٦

شَرَحَ لي رئيس الوزراء أسباب إلغاء اجتماع «الأندوجو»:

في البداية عارضت إثيوبيا عقد هذا الاجتماع لأن الرئيس منجستو معادٍ تمامًا للمشروع الخاص بالنيل الأزرق، وبعد ذلك أبدت كينيا أيضًا معارضتها.

وفي الواقع، فإن زائير تتفق مع أهداف مصر. واقترح عليَّ رئيس الوزراء تأجيل هذا الاجتماع إلى شهر يوليو من العام التالي. تجنبتُ إظهار خيبة أملي إزاء ما لقيته

من تضليل. على الأقل، كان يمكن إخطاري بأن الاجتماع قد تم إلغاؤه. لكنهم لم يصلوا بعد إلى الدرجة اللازمة من الأداء الديبلوماسي التي تجعلهم يعرفون كيفية التعامل مع مثل هذه المواقف بدون إحراج لضيوفهم.

برازافيل: السبت، ٩ أغسطس ١٩٨٦

اجتماع للجنة المصرية الكونجولية المشتركة حيث تم توقيع عدد من الوثائق حول التعاون المشترك. ألقيت كلمة بهذه المناسبة. علمتُ أن والد رئيس الجمهورية قد توفي. قَرَّرتُ الذهاب إلى قريته لتقديم واجب العزاء.

قال لي السفير على ماهر: «سنضطر أن نذهب ونعود في اليوم نفسه لأنه لا يوجد هناك أي مكان للمبيت وستقطع السيارة المسافة جيئة وذهابًا في أكثر من ثماني ساعات».

وهكذا نبهني السفير إلى أنني أبلُغ من العمر ٦٤ سنة. وعندما أدرَك أنني لن أُغَيِّر قراري، أضاف قائلًا: «ـ اسمح لي بالاعتذار عن عدم مرافقتك: فعليَّ أن أُنهي التقرير عن الاجتماعات التي عُقدت طوال اليوم».

وفهمتُ أنه لا يُريد القيام بهذه الرحلة. وتفهمت موقفه.

برازافيل: الأحد، ١٠ أغسطس ١٩٨٦

بدأت الرحلة في ساعة مبكرة من الصباح برفقة صديقي وزير خارجية الكونغو ندينجا ـ أوبا أنطوانيس. بعد أربع ساعات، وصلنا إلى قرية الرئيس. صلينا على جثمان المتوفى. تناولنا الغذاء مع الرئيس ساسو نجيسو. دار حديث حول أمور متفرقة وشخصيات مختلفة، من بينها جورباتشوف وميتران وشاه إيران، وقمة منظمة الوحدة الأفريقية المقبلة وقمة الدول غير المنحازة.

الرئيس ساسو نجيسو رجل ودود فلا يجد المرء صعوبة في التواصل معه، وقد سافر كثيرًا حول العالم ويعرف أغلب حكام العالم. وبدا عليه أنه قد استحسن زيارتي لقريته لتقديم واجب العزاء له هناك.

طريق العودة إلى برازافيل استغرق وقتًا أطول من طريق الذهاب. تقاطع طريقنا مع طريق عدد كبير من السيارات التي تقل الأعيان الذين سيحضرون الجنازة صباح

الغد. كانت كل سيارة تمر بالاتجاه المعاكس تُثير سحابة من التراب فتعوق رؤيا سائق السيارة التي تقلنا لمدة طويلة وتُجبره على تخفيض سرعة السيارة.

بوانت نوار، الاثنين، ١١ أغسطس ١٩٨٦

حضرتُ معرض بوانت نوار. غابت مصر بينما كانت هناك أجنحة للجزائر وفرنسا والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي.

بانجي: السبت، ١٦ أغسطس ١٩٨٦

منحني رئيس جمهورية أفريقيا الوسطى «وسام الاستحقاق» برتبة ضابط عظيم. وَقَّعتُ مع جان ـ لويس بيسميسيس وزير الخارجية على اتفاقية لإنشاء «لجنة تعاون مشتركة» تجتمع كل سنتَيْن. التقيتُ بالمعارين المصريين هناك من الأطباء والمهندسين والمدرسين وكلهم راضون عن مهمتهم والسلطات هناك أيضًا راضية عن عملهم. بالنسبة لي، فإن وجود هؤلاء المهنيين في بانجي يُعتبر انتصارًا. لقد جاء إنشاء «صندوق» لتقديم المساعدات لأفريقيا بمبادرة مني وحرصتُ دومًا على أن أتابع بنفسي عمل هذا الصندوق وضمان أن يعمل تحت مظلته مجموعة من أفضل الخبراء المصريين في مختلف المجالات.

الإسكندرية: الثلاثاء، ١٩ أغسطس ١٩٨٦

طلب مني الرئيس مبارك أن أُمثله أمام القمة القادمة لدول عدم الانحياز الذي سيُعقد في هراري في بداية سبتمبر.

القاهرة: الجمعة، ٢٢ أغسطس ١٩٨٦

ساعدني يوسف ابن أخي في إعداد افتتاحية مجلة «السياسة الدولية» التي خَصَّصت جزءًا من هذا العدد للحديث عن العقائد الدينية في مصر.

القاهرة: السبت، ٢٣ أغسطس ١٩٨٦

حديث طويل مع بشير البكري، المثقف السوداني الكبير. نشعر بالقلق إزاء

العلاقات بين مصر والخرطوم، تلك العلاقات التي لم نستطع التوصُّل لطريقة لضمان تفعيلها. كما نشعر بنفس القلق إزاء مخاطر «بَلْقَنَة» السودان.

ريميني: الأربعاء، ٢٧ أغسطس ١٩٨٦

في الصباح، غادرتُ روما مبكرًا متوجهًا إلى ريميني حيث أُشارك فور وصولي هناك في مؤتمر صحفي مع الرئيس آندريوتي وعمدة بيت لحم الفلسطيني، فريج. المشكلة الفلسطينية هي شغلي الشاغل وهي بالنسبة لي ولكل المثقفين المصريين قضية لا نتوقف عن التفكير فيها أو الحديث عنها. لقد تصورتُ أن «اتفاقية السلام» مع إسرائيل ستضع حدًّا لهذه الحالة من القلق. ولسوء الحظ، فإن معاناة الشعب الفلسطيني ما زالت مستمرة والقلق على مصير القضية الفلسطينية هو هو.

شاركتُ في حوار «المائدة المستديرة» عَبْر القمر الصناعي مع ويليام كوانت، الذي كان عضوًا في الوفد الأمريكي في كامب ديفيد، ومع أستاذ أمريكي آخر. كان اللقاء طويلًا ولم يكن الإرسال جيدًا باستمرار. وتركز الحديث حول أزمة الشرق الأوسط. يبدو أن هذه القضية ستبقى قيد النقاش والبحث المستمر لأمد بعيد جدًّا.

زُرتُ معرض ريميني مع آندريوتي. وألقى كلٌّ منا كلمة بهذه المناسبة. يبدو أنه يوجد في هذه المدينة جسر وقوس نصر أثريان، لكن لم يكُن لديَّ وقت لأقوم بزيارتهما، وفي كل الأحوال فقد حصلت على «وسام المدينة» الذي قلدني إياه عمدة ريميني.

هراري: الأحد، ٣١ أغسطس ١٩٨٦

عشية افتتاح قمة عدم الانحياز، عقدتُ لقاء عمل مع مُساعديَّ السفراء: عبد الحليم بدوي وأبو النصر وعمرو موسى ووفيق حسني وعلي ماهر.

أقام الرئيس موجابي حفل استقبال بمناسبة استضافة بلاده للقمة، وحضره كل رؤساء الدول المشتركين في هذا المؤتمر والذي يجمع بعضًا من أفقر دول العالم. قابلتُ ياسر عرفات وهو بصحة جيدة ومتفائل وواثق من نفسه ومن القضية التي يُدافع عنها بشجاعة عظيمة.

هراري: الاثنين، الأول من سبتمبر ١٩٨٦

جلسة الافتتاح الرسمي للقمة. حركة عدم الانحياز تحتفل بمرور ٢٥ عامًا على إنشائها.

في المساء، حفل استقبال أقامه راجيف غاندي الذي يرأس الوفد الهندي، وهو يتميزبثقة في النفس ويشعر أنه امتلك مقاليد السلطة والعُرف وتأييد بلده التي هي أكبر دولة ديموقراطية في العالم.

هراري: الخميس، ٤ سبتمبر ١٩٨٦

ألقى الرئيس القذافي خطبة مُريعة تتفق تمامًا مع طريقته التقليدية التي تثير السخرية، والغضب في نفس الوقت فتوجه بالإهانة ـ بالمعنى الحرفي للكلمة ـ لكل الدول، خصوصًا الدول الأفريقية التي لم تقطع علاقاتها بإسرائيل. واستهدف القذافي مصر في المقام الأول. كتبتُ رسالة لرئيس القمة ـ الرئيس موجابي ـ أحتجُّ فيها على إهانات الرئيس الليبي، وطلبتُ منه ضم هذه الرسالة للتقرير النهائي الذي سيُوزَّع على المندوبين.

هراري: السبت، ٦ سبتمبر ١٩٨٦

بَدَأت الجلسة الختامية للمؤتمر في منتصف الليل بعد طبع كافة الوثائق وتوزيعها على الوفود. رفض رئيس القمة سحب نص الرسالة المصرية للاحتجاج على إهانات القذافي من التقرير النهائي للقمة على الرغم من كل الجهود التي بذلها الوفد الليبي في سبيل ذلك. القمة القادمة ستُعقد في ليبيا وهو الأمر الذي رفضه وزير خارجية كوريا الشمالية، الذي كانت بلاده تأمل في استضافة القمة المقبلة. حاولت تهدئة خواطره وقلت له: «حتى موعد انعقاد القمة المقبلة يمكن لكثير من الأشياء أن تتغيَّر».

لكن ما قلته لم يكن بكاف لتهدئة خواطره فهو يعلم أن عدم دعم قمة هراري لاستضافة بيونج يانج للقمة القادمة قد يكلفه بسهولة منصبه لدى عودته لبلاده.

باريس: الاثنين، ١٥ /السبت، ٢٧ سبتمبر ١٩٨٦

أجرى لي الجراحان البروفيسير آدولف ستيج والبروفيسير برنار ديبريه عملية البروستاتا. السفير المصري سمير صفوت يزورني بانتظام في مستشفى كوشين

حيث أرقُد تحت حراسة ضابط الأمن المشرف على حراسة أحمد الحفناوي وبرفقة زوجتي ليا. وفي فترة الراحة الإجبارية هذه، لمست لُطفًا كبيرًا من هذَيْن الطبيبَين وشعرت بالود العميق الذي أبداه لي السفير سمير صفوت.

باريس: الأربعاء الأول من أكتوبر ١٩٨٦

علمتُ من الصحف أن مصر قد أعادت علاقاتها الديبلوماسية مع جيبوتي. اتصلتُ بالوزير باهدوم للإعراب عن التهنئة. إنها بداية النهاية لعُزلة مصر الديبلوماسية في الإطار العربي، كما أن استعادة هذه العلاقات يمثل أيضًا انتصارًا شخصيًا لي بعدما بذلتُ كل جهد لكي يأتي هذا اليوم ـ الذي تبدأ فيه مصر باستعادة علاقاتها العربية ولو مع جيبوتي لأن ذلك له دلالة كبيرة حتى لو لم يعترف الرئيس مبارك بأهمية هذا الجهد لأنه قد يعتبرها مشكلة ثانوية بالمقارنة بمشاكل أخرى تواجهها مصر، ربما كان على حق لأن الرئيس مبارك كان يعرف ـ بالضبط مثل الرئيس السادات ـ أن الدول العربية سينتهي بها الأمر بالعودة إلى حضن مصر بدون أن تضطر مصر لبذل مجهود كبير من جانبها.

باريس: الخميس، ٢ أكتوبر ١٩٨٦

ألقيتُ محاضرة في «جمعية المنظمات اليهودية في فرنسا» بناء على طلب من البروفيسير آدولف ستيج، وبدا لي أن المحاضرة لاقت آذانًا صاغية. وفي كل الأحوال فلقد كنت سعيدا باستئنافي لنشاطي.

باريس: الاثنين، ٦ أكتوبر ١٩٨٦

لن يتقدم آماتو مهتار مبو للترشيح لمنصب المدير العام لليونسكو، مما يزيد من فرص حصولي على هذا المنصب الأممي.

القاهرة: الجمعة، ٣١ أكتوبر ١٩٨٦

استقبلتُ إبراهيم موكيبي، وزير خارجية أُوغندا، في المطار وبرفقته أربعة وزراء آخرين. أخبرتني إدارة المراسم أن كلًّا منهم كان يريد أن تُخَصَّص له سيارة مستقلة؛

لكن إدارة المراسم لم تكن قد وفرت عددًا من السيارات لهذا الغرض. وهو ما أصاب الوفد الأوغندي بخيبة أمل واستياء.

القاهرة: السبت، الأول من نوفمبر ١٩٨٦

في الصباح، استقبل الرئيس مبارك وزير خارجية أُوغندا والوفد المرافق له. ركَّز الرئيس في حديثه معهم على العلاقات المتوترة بين مصر وليبيا.

القاهرة: الأحد، ٩ نوفمبر ١٩٨٦

تعديل وزاري. أعددتُ نفسي لإلغاء رحلتي إلى توجو إذا لم يُعَدْ تعييني في منصبي. بعد الظهر، تلقيت مكالمة من عاطف صدقي، رئيس الوزراء المكلف، يُخبرني بأنني احتفظت بمنصبي وزيرًا للدولة للشئون الخارجية.

باريس: الاثنين، ١٠ نوفمبر ١٩٨٦

لقاء مع جاك شيراك للحصول على دعمه لي عند ترشيحي لمنصب المدير العام لليونسكو. وعدني بالمساندة لكنه لا يستطيع إعلان ذلك في الوقت الحالي. أمَّا جاك أتالي، فقد كان متشائمًا إزاء فرص حصولي على هذا المنصب لاقتناعه بأن مبو ينوي ترشيح نفسه وسيكون من الصعب على فرنسا عدم تأييده.

لومي: الأربعاء، ١٢ نوفمبر ١٩٨٦

أخبرني الرئيس إياديما رئيس توجو أنه يؤيد ترشيحي لمنصب «مدير عام اليونسكو». تأثرتُ جدًّا خصوصًا أنني لم أكُن أنوي فتح هذا الموضوع معه في هذا اللقاء.

لومي: الجمعة، ١٤ نوفمبر ١٩٨٦

افتتاح الدورة الثالثة عشر لقمة فرنسا ـ أفريقيا. كلمة لفرنسوا ميتران وأُخرى لجناسينبي إياديما. صورة للقادة ورؤساء الوفود المشاركين في القمة يعقبها غداء حول حمام السباحة في مقر انعقاد القمة.

مكالمة من جنيف تخبرني أنني تم انتخابي عضوًا في لجنة القانون الدولي بعد

أن حصلتُ على ١١٨ صوتًا لي، في حين لم يحصُل المرشح البريطاني السير إيان سنكلير على عدد كاف من الأصوات للحصول على عضوية هذه اللجنة القانونية الرفيعة. اتصلت بصديقي مندوب مصر الدائم في نيويورك السفير عبد الحليم بدوي الذي بذل جهدًا كبيرًا لكي يتم انتخابي. منذ ٤٠ عامًا، عندما كنتُ أستاذا جامعيًا شابًا، كنتُ أُطالع قائمة القانونيين العظام أعضاء هذه اللجنة الرفيعة، وكنتُ أحلمُ أحيانًا بأن أكون يومًا واحدًا من هؤلاء.

مأدبة عشاء حضرها عدة مئات من الأشخاص. جلستُ بين جاك شيراك والهادي نويرة. طوال السهرة، تبادلنا نوادر وحكايات مسلية. ورغم أن شيراك ونويرة لا ينتميان لثقافة واحدة، إلا أنهما يتمتعان بحِس مشترك بالفكاهة. لا أستطيع أن أجزم أيهما يتمتع بسحر وكاريزما أكثر من الآخر، لكنني قضيتُ برفقتهما سهرةً لا تُنسى.

القاهرة: الأحد ٢٣ نوفمبر ١٩٨٦

أدارت جوديث ميللر مراسلة الشئون الخارجية اللامعة لجريدة النيويورك تايمز لقاءً صحفيًا معي ومع مُرسي سعد الدين. قدمنا تحليلًا للوضع العراقي ـ الإيراني على الجبهة. يبدو أن إيران هي التي ستنتصر.

ما عواقب هذا الانتصار الإيراني بالنسبة للعالم العربي؟ يجب أن نتوقَّع استيلاء الشيعة على الحكم في بغداد وزيادة نفوذهم ـ بشكل محسوس ـ في سوريا ولبنان وإمارات الخليج وفي الأرض الفلسطينية المحتلة. تلوح في الأفق بوادر انقسام جديد في العالم العربي.

القاهرة: الثلاثاء، ٢٥ نوفمبر ١٩٨٦

عشاء مع سليم عيسى وموسى صبري. جاءت جوديث ميللر للقاء سليم عيسى. لم يتوصل موسى صبري بعد لمعرفة السبب في تغيير رئيس الوزراء علي لطفي فجأةً بعاطف صدقي. لقد تخرَّج الاثنان بعدي من جامعة القاهرة.

القاهرة: الأحد، ٣٠ نوفمبر ١٩٨٦

استقبلتُ الرئيس ليوبولد سنجور في المطار. تحدث معي عن «عائلة اللغات

الملتصقة». حاولتُ أن أُعيده للحديث عن مجموعة الدولية الاشتراكية الأفريقية. التي يرأسها والتي ساهمتُ في إنشائها مع تونس والسنغال.

القاهرة: الاثنين، الأول من ديسمبر ١٩٨٦

افتتاح مؤتمر «الدولية الاشتراكية الأفريقية» التي يرأسها ليوبولد سنجور ويوسف والي. كان ممثل للمعارضة الأريترية يريد المشاركة في جلساتنا، غير أنني اعترضتُ على ذلك وأبلغتُ سفير إثيوبيا بقراري، وقام بدوره بإبلاغ أديس أبابا. إن منابع النيل الأزرق توجد في إثيوبيا وليست في إريتريا.

القاهرة: الثلاثاء، ٢ ديسمبر ١٩٨٦

لقاء بين ليوبولد سنجور والرئيس مبارك. المحادثات جرت في هدوء، ثم حدث تبادل للمجاملات بين الرئيسين. قال سنجور:

«ـ مصر هي أُم الحضارات».

فرد عليه مبارك قائلًا: «ـ إن سنجور هو رمز للثقافة في أفريقيا».

أكّد لنا سنجور تأييده وحماسه لترشيحي لمنصب مدير عام اليونسكو. وبعد ذلك بقليل، حصلتُ على تأييد الممثلة اليونانية ميلينا ميركوري، وزيرة الثقافة في اليونان، التي كانت في مصر في زيارة رسمية.

القاهرة: الخميس، ٤ ديسمبر ١٩٨٦

دعوتُ ليوبولد سنجور للعشاء في منزلي. دعوتُ أيضًا مجدي وهبة ـ عضو مجمع اللغة العربية ـ وزوجته جوس. جرت محادثة طويلة بين الاثنين، وهما أستاذان جامعيان، حول: فصائل الدم، واللغات الملتصقة، والأساتذة الجامعيين ودورهم في نشر الثقافة. غادر سنجور في حوالي الساعة الحادية عشرة مساءً بعد أن أمضى سهرة بدا راضيًا عنها كل الرضا.

لواندا: الاثنين، ١٥ ديسمبر ١٩٨٦

وضعتُ باقة أزهار على قبر أوجستينو نيتو قبل الذهاب للقاء وزير الخارجية لوسيو لارا وهو مفكّر النظام الحاكم. لارا رجل ذكي لكنه ليس في كامل لياقته. وهو

يدرك تمامًا مدى التخلُّف الذي يعاني منه بلده لكنه ما يزال مقتنعًا بأن الماركسية وحدها هي القادرة على وضع بلاده على طريق التقدم.

لواندا: الأربعاء، ١٧ ديسمبر ١٩٨٦

لقاء عاصف مع ممثل حركة «سوابو» الذي يتهم مصر بالتعاون مع إسرائيل وجنوب أفريقيا. لُمتُه على جهله ووقاحته. لقد نسي المساعدات التي قَدَّمتها الديبلوماسية المصرية باستمرار لحركة «سوابو».

أقام سفير مصر حفل استقبال كبير حضره العديد من وزراء أنجولا وكل السفراء المعتَمَدين في لواندا.

لواندا: الخميس، ١٨ ديسمبر ١٩٨٦

استقبلني جوزيه إدواردو دوس سانتوس رئيس الجمهورية الأنجولي. سلمتُ له رسالة من الرئيس مبارك فقرأها باهتمام. بدأ لقاءه معي متحدثًا باللغة البرتغالية واستعنا بمترجم فوري. غير أنه سرعان ما بدأ يتحدث باللغة الفرنسية التي يُتقنها جيدًا. اقترحت عليه تنظيم ندوة ـ في القاهرة ـ عن الجزء الجنوبي من أفريقيا. اهتم بالموضوع وسيبحثه مع معاونيه.

بعد الظهر، ألقيتُ محاضرة باللغة الفرنسية في الجامعة عن منظمة الوحدة الأفريقية وحركة عدم الانحياز. أعقبتها مناقشة مهمة للغاية. يبدو أن الجيل الجديد من الأنجوليين أكثر إدراكًا لحقائق الوضع الدولي عن الأجيال السابقة.

لوساكا: الاثنين، ٢٢ ديسمبر ١٩٨٦

محادثات مع وزير الخارجية حول إنشاء لجنة مشتركة وتوقيع اتفاق للتعاون التجاري. ثم لقاء مع صاحب السعادة م. زولو، الرجل الثاني في الدولة. اعتذر الرئيس كاواندا عن عدم استطاعته لقائي نظرًا لوفاة ابنه.

لوساكا: الثلاثاء، ٢٣ ديسمبر ١٩٨٦

جنازة ابن الرئيس كينيث كاواندا. الإشاعات تقول إنه قد توفي على إثر مرضه بالإيدز.

محاضرة في الجامعة عن أزمة الشرق الأوسط، تلتها محاضرة أخرى في السفارة المصرية حضرها كل الديبلوماسيين المعتمدين في لوساكا.

لوساكا: الأربعاء، ٢٤ ديسمبر ١٩٨٦

لقاء مع المعارين المصريين. اشتكى رجل بدين جدًّا ـ يعمل موظفًا في مركز الطيران المدني ـ نيابة عن زملائه لأن السفارة المصرية تتعامل معهم بعجرفة. استمعتُ للشكوى ووعدته بالتدخُّل لصالحهم، ثم أضفتُ على الفور:

«ـ لا تُبالغ. إذا لم تكونوا راضين، ارجعوا للقاهرة. يوجد عشرات من الخبراء مستعدين لشغل وظائفكم».

القاهرة: الثلاثاء، ٣٠ ديسمبر ١٩٨٦

سلمني سفير الأردن رسالة شُكر من الأمير الحسَن لأنني أرسلتُ إليه مجموعة من «الكتاب الأبيض» الذي تنشره وزارة الخارجية المصرية. الأمير حسن واحد من الحكام العرب الذين يحبون القراءة ويُقدِّرون قيمة الكتب.

لم أفهم أبدًا لماذا لم يكُن طلابي المصريون يحبون القراءة، ولم يكونوا يترددون على مكتبة الجامعة بينما كان طلابي الأمريكيون والفرنسيون شغوفين ـ دائمًا ـ بالكتب، مثلهم في ذلك مثل المندوبين في «أكاديمية القانون الدولي» في لاهاي.

لقد غَرَسَ والداي فيَّ حب القراءة منذ الطفولة؛ وعندما كان عمي واصف غالي يأتي لزيارة جدتي، كان يسألني دومًا عن آخر ما قرأت من كتب. وعندما كنتُ أعرف أنه سيأتي لزيارتنا، كنتُ أتعمَّد أن أمُر من أمامه وفي يدي كتاب.

الفصل السادس

□ الترشيح لليونسكو □ البابا شنودة يوافق على أن يبعث برسالة لبابا الفاتيكان □ توتر بين موبوتو الموالي لأمريكا وساسو نجيسو الموالي للجزائر □ فشل إقامة علاقات ديبلوماسية مع سيول □ سيدة مالاوي الأولى جاثية على قدميها □ التعامل باحترام شديد مع شحنة من القات □ طائرة رئيس جزر القُمُر.

القاهرة: الخميس، الأول من يناير ١٩٨٧

حدثني أسامة الباز عن شحنة أسلحة ستمر عَبْر ميناء جونية في لبنان.

لقاء مع يوسف، ابن أخي. أنا معجب بطموحه في الحصول على السلطة وقوة شخصيته وعزيمته. يوسف مقتنع بأنه سيكون وزيرًا خلال خمسة أعوام.

القاهرة: الجمعة ٢ يناير ١٩٨٧

عملية نقل الأسلحة عبر ميناء جونيا تفرض نفسها على جدول أعمالي، سفيرنا في بيروت يريد معرفة آخر التطورات. لكن، هل أستطيع أن أخبره؟ من الأمور الحساسة أن تقول لسفير إن المشاكل المهمة تتم تسويتها على مستوى آخر.

القاهرة: الأحد، ٤ يناير ١٩٨٧

تحدثت أمام كوادر الحزب الحاكم مؤكدًا على أهمية مشكلة مياه النيل. الأجيال الجديدة تهتم بالمشاكل الوقتية، ولا يتقبلون بسهولة رغبتي في التأكيد على أهمية

المشاكل التي ستواجه مصر في المستقبل. ومع ذلك، فهذه الأجيال الجديدة هي التي سيكون عليها التعامل مع هذه المشاكل.

القاهرة: الأربعاء، ٧ يناير ١٩٨٧

لقاء مع كمال أدهم، صهر ملك المملكة العربية السعودية، وواحد من أبرز مستشاريه. أدهم يتفق معي حول أهمية توثيق علاقات مصر مع السودان. يشعر مثلي بالقلق بسبب تصاعد الأصولية. حضر سليم عيسى هذا اللقاء فأضفى لمسة مرح على مناقشة هذه القضايا الحساسة.

ياووندي: الثلاثاء، ١٣ يناير ١٩٨٧

ترأستُ الجلسة الثانية لأعمال اللجنة المصرية الكاميرونية المشتركة، وبعدها زُرت مقر السكن الجديد لسفير مصر في الكاميرون. لأول مرة في تاريخ وزارة الخارجية، يقوم سفير لمصر، وهو حسن جاد الحق، أثناء ترأسه لبعثة ديبلوماسية في الخارج ببناء مقر إقامته مع مقاول محلي من الدولة المضيفة. تكلَّف بناء هذا المقر نصف قيمة التكلفة المقدرة له فيما لو كنا التزمنا باللوائح المالية المطبقة في ديوان الوزارة. إنه نجاح حقيقي يرجع إلى المخاطرة الإدارية التي اتخذتها والتي شاركني فيها السفير جاد الحق.

قابلتُ صديقي الكاميروني إبراهيم نجو، وهو شخصية هامة في إحدى قبائل الكاميرون. كان نجو سفيرًا للكاميرون في القاهرة قبل أن يتولى منصب وزير الثقافة والاستعلامات. زوجته روزيت صديقة لليا زوجتي. كان أكثر السفراء الأفارقة شعبية في القاهرة، وكان هناك اهتمام واسع بالمشاركة في حفلات الاستقبال التي كان يقيمها أثناء ترأسه لبعثة بلاده الديبلوماسية في مصر.

ياووندي: الأربعاء، ١٤ يناير ١٩٨٧

يوم مهدر. انتظرتُ عودة الرئيس بول بيا ووزير خارجيته ويليام إتيكي السكرتير العام السابق لمنظمة الوحدة الأفريقية. ياووندي مدينة بلا تاريخ، ولا يوجد بها شيء يستهوي الزائر أن يطلع عليه أو استكشافه.

ياووندي: الخميس، ١٥ يناير ١٩٨٧

قضينا ساعات الصباح كله منتظرين أن تُحدِّد لنا إدارة المراسم ساعة الاجتماع مع الرئيس. وعند الظهر تقريبًا، أخبرونا أخيرًا بأن الرئيس سيستقبلنا في الساعة الثالثة بعد الظهر. مما يعني أنه سيكون بإمكاننا أن نستقل الطائرة هذا المساء للتوجُّه إلى باريس، ثم تم تأجيل اللقاء إلى الساعة ١١ من صباح الغد.

ياووندي: الجمعة، ١٦ يناير ١٩٨٧

استقبلني الرئيس في الساعة ١١ صباحًا. لاحظت أن وزنه قد زاد. ذكَّرَني بأول زيارة له لمصر في سنة ١٩٧٧ عندما كان رئيسًا للوزراء في عهد الرئيس آهيدجو. سلمتُ له رسالة من الرئيس مبارك. قدمتُ له بيانًا تفصيليًّا عن أعمال اللجنة المشتركة بين مصر والكاميرون. استعرضنا القضايا الأساسية التي تتسبب في النزاعات في قارتنا. كان واضحًا أن الرئيس متابع لآخر التطورات السياسية، وبدا عليه أنه يُقَدِّر تبادل وجهات النظر بيننا.

غداء مع ويليام إتيكي. شعرتُ بأن علاقاته متوترة مع الرئيس؛ فلكي يذهب إلى مدينة دوالا مسقط رأسه يجب عليه أولًا الحصول على موافقة الرئيس. حرص على ألَّا يشكو، لكنني خمنتُ أن مهمته ليست سهلة.

القاهرة: الأربعاء، ٢١ يناير ١٩٨٧

الرئيس مبارك لا يُؤيد ترشيحي لليونسكو. وعدني أسامة الباز بأنه سيحاول إقناعه بأهمية أن تترأس مصر منظمة دولية تعنى بقضايا التعليم والثقافة.

عشاء في سفارة كندا، قرَّر المليونير الكندي بروفمان تعيين صديقي ستيف كوهين في منصب رئيس مؤسسة بروفمان حديثة الإنشاء. وكوهين هو إجمالًا مقرَّب جدًّا من الفلسطينيين. أرجو أن تُتيح هذه المؤسسة الفرصة لتقديم الدعم للحقوق الفلسطينية.

القاهرة: السبت، ٢٤ يناير ١٩٨٧

ستُسافر ليا غدًا إلى أسوان مع السيدة سوزان مبارك والملكة نور، ملكة الأردن.

القاهرة: الأحد، ٢٥ يناير ١٩٨٧

مكالمة هاتفية غير متوقعة من الأمير طلال من باريس: «ـ إذا طلب مني الرئيس مبارك تأييد ترشيحك لليونسكو، فإنني سأبدأ حملة الدعاية فورًا».

القاهرة: الاثنين، ٢٦ يناير ١٩٨٧

أكَّد السفير الأمريكي في إسرائيل صمويل لويس بثقة وحماس على رغبة بلاده في لعب دور نشط في أزمة الشرق الأوسط. لكنني لم أشاركه أبدًا تفاؤله، وبَرَّرْتُ له السبب في تشاؤمي بأن أغلب الإسرائيليين لا يريدون سماع أي حديث عن إقامة دولة فلسطينية. كما أن أغلب الفلسطينيين لا يُريدون الاعتراف بدولة إسرائيل.

كل مَنْ شاركوا في «كامب ديفيد» التقوا في حفل عشاء في سفارة الولايات المتحدة الأمريكية. حضر العشاء مصطفى خليل وكمال حسن علي وأشرف غربال، وهم آخر مَنْ بقوا مِمَّنْ يهتمون بكامب ديفيد؛ فبعد أن استرددنا سيناء، لم يكن هناك من هو معنيّ بمتابعة كامب ديفيد سوى أشخاص قليلين أصبحوا يُعَدُّون على أصابع اليد الواحدة. ذلك بالرغم من أن مشكلة طابا لم تكن قد وجدت حلًّا، وإن كان من الضروري أن تحظى هذه المشكلة بكامل اهتمامنا.

القاهرة: الخميس، ٢٩ يناير ١٩٨٧

لقاء لمدة ساعتَيْن كاملتين مع البابا شنودة. ألححتُ عليه بضرورة انفتاح الكنيسة المصرية على العالم الخارجي وعلى الكنائس الأُخرى بما في ذلك الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية، وكذلك على المؤسسات الدولية. وافق البابا شنودة على إرسال خطاب لبابا روما لبدء حوار بين الكنيستَيْن.

القاهرة: السبت، ٣١ يناير ١٩٨٧

زيارة لبطريرك الطائفة الملكانية، المونسنيور حكيم، في الفجالة. أخبرته عن حديثي مع البابا شنودة، وطلبتُ منه أن يُساعد على إجراء حوار بين الأقباط والكاثوليك. تحدث معي طويلًا عن وضع المسيحيين في سوريا، وعن الدور النشط الذي لعبه الرئيس حافظ الأسد لتشجيع الحوار بين المسيحيين والمسلمين هناك. وعلى العكس من لهجة الارتياح التي سادت في حديثه حول سوريا كان المونسنيور

حكيم، قاسيًا جدًّا في حديثه حول مسيحيِّي لبنان المنقسمين على أنفسهم، والعاجزين عن التفاهم.

القاهرة: الاثنين، ٢ فبراير ١٩٨٧

استقبلتُ وفدًا من البرلمانيين الأوروبيين برئاسة النائب الإسباني مارتينيز الذي قال لي:

«ـ سيدي بطرس غالي، أنتَ متشائم للغاية. يجب أن تؤمن بالسلام، وبالعمل لصالح السلام».

«ـ أنا متشائم لأن أغلب الإسرائيليين يرفضون إنشاء دولة فلسطينية. أمَّا فيما يتعلَّق بباقي الأزمات الدولية، فإنني أتفقُ معك في إمكانية التوصل إلى حلول لهذه المشاكل من خلال التسوية السلمية، ويمكنك دومًا أن تعول على مساندتي في هذا الصدد».

القاهرة: الثلاثاء، ٣ فبراير ١٩٨٧

التقيتُ هذا الصباح بالسفير عمرو موسى، وهو مقتنع بأن المدير العام الحالي لليونسكو ـ إمبو ـ ليست لديه أية فرصة لإعادة انتخابه، ثم قال لي:

«ـ إذا أردتَ الترشح لهذا المنصب، يجب أن تقوم مصر بعمل مباشر ومنظم».

القاهرة: الأربعاء، ٤ فبراير ١٩٨٧

سيطرت قضية اللبن المجفَّف الملوَّث على جدول أعمال اجتماع مجلس الوزراء، ولم تكن المناقشات جادة أو عميقة، ولم أكن واثقًا إذا ما كان السبب في هذا الحديث السطحي يرجع لعجز رئيس مجلس الوزراء عن إدارة النقاش بصورة جادة، أو بسبب عجز الوزراء أنفسهم عن إدارة نقاش عقلاني ومنطقي أم إذا كان السبب يرتبط بالموضوع حيث لم يكن ينبغي مناقشته على مستوى مجلس الوزراء.

القاهرة: الجمعة، ٦ فبراير ١٩٨٧

مناقشة مع ابن عمي ـ ميريت غالي ـ وهو الوزير السابق الذي تفاوض حول موضوع التقارُب بين الكنيسة القبطية في مصر والكنيسة القبطية في إثيوبيا. دار النقاش حول مصير بيت العائلة (قصر بطرس باشا) الذي كنا قد وهبناه لعمل جمعية

خيرية، والتي حولته منذ ذلك الحين إلى دار سكن للمسنين الفقراء. يحتاج القصر لترميمات ضرورية، لكن مَنْ سيدفع تكاليف هذه الترميمات؟

القاهرة: الأحد، ٨ فبراير ١٩٨٧

حضرتُ مقابلة بين الرئيس مبارك وإدوارد بنجامين، وزير التخطيط الغيني، وكان الموضوع الأساسي للحديث هو دور البرلمان وكيفية دعمه. سمحتُ لنفسي بالتدخُّل في الحديث، وقلتُ إنني عندما كنتُ طالبًا شابًّا شاركتُ بحماس في الحملات الانتخابية للبرلمان لصالح اثنين من أبناء عمي وهما ميريت وجيفري، وأضفتُ قائلًا:

«ـ فضلًا عن ذلك، فإن فكرة الترشيح في الانتخابات المقبلة تراودني».

ويبدو أنني لم أكن موفقًا فيما قلت، وأن حديثي لم يعجب الرئيس مبارك الذي علق قائلًا:

«ـ في هذه الحالة، يجب أن تتخلَّى عن مشاريعك لليونسكو».

القاهرة: الاثنين، ٩ فبراير ١٩٨٧

التوقيع على بيان مشترك مع إدوارد بنجامين. وقد تضمن البيان الإعراب عن الشكر للأطباء والمدرسين المصريين المعارين لغينيا، ومبعوثي الأزهر الذين يُدرِّسون الدين الإسلامي واللغة العربية، خصوصًا أن الأغلبية العظمى من السكان هناك مسلمون.

وفي نهاية البيان، أشرنا إلى مرور عشر سنوات على عقد القمة العربية الأفريقية في القاهرة لأول مرة في مارس ١٩٧٧.

وخلال زيارته للقاهرة كان إدوارد بنجامين قد التقى بأربعة وزراء مصريين إلى جانب رئيس الوزراء عاطف صدقي وهؤلاء هم: وزير التخطيط كمال الجنزوري، ووزير التجارة الخارجية يسري مصطفى، ووزير التعليم فتحي سرور، ووزير المالية محمد الرزاز. لقد كانت هذه اللقاءات المتتالية بمثابة سابقة في اللقاءات التي أجراها أي ضيف أجنبي لمصر. إن الدبلوماسي الذي وضع هذا البرنامج يستحق التقدير على الجهد الذي قام به ليجعل كل ذلك ممكنًا في أيام قلائل.

القاهرة: الثلاثاء، ١٠ فبراير ١٩٨٧

أقمتُ حفل عشاء على شرف الوفد السوفييتي الذي جاء للاشتراك في ندوة عن العلاقات بين البلدَيْن. أناتولي جروميكو رئيس الوفد الزائر للقاهرة من موسكو هو ابن وزير الخارجية السوفييتي السابق، وهو يشغل الآن منصب مدير معهد الدراسات الأفريقية في العاصمة السوفييتية. قابلتُ بسرور صديقي أليكس فاسيلييف. دعوتُ أيضًا حافظ إسماعيل وزير الدولة السابق الذي أقام علاقات ودية بين القاهرة وموسكو. استعرضنا بصراحة الأحداث التي أساءت لعلاقاتنا الثنائية بما في ذلك رحيل الخبراء السوفييت، واستبدالهم بخبراء أميريكيين، وأيضًا إضعاف حركة عدم الانحياز. تناولنا أيضًا الجهود الحالية التي تبذلها الدبلوماسية المصرية لإعادة الود ـ مجددًا ـ بين شعبَيْنا.

القاهرة: الخميس، ١٢ فبراير ١٩٨٧

موقف الرئيس مبارك تجاه الاتحاد السوفييتي يختلف عن موقف الرئيس السادات. صباح اليوم، استقبل الرئيس مبارك أعضاء الوفد والسفير السوفييتي. تمت المقابلة في جو ودي وحميم.

قال الرئيس مبارك مازحًا:

«ـ من مصلحتنا، نحن دول عدم الانحياز، أن تظل القوتان العظميان مختلفتَيْن».

بعد الظهر، افتتاح الندوة التي حضرها كل الشيوعيين المصريين. تمنيتُ دائمًا أن يُتاح للحزب الشيوعي القيام بدور أكثر فاعلية في الساحة السياسية المصرية. وكان رأيي هذا وراء قيام الرئيس السادات بوصفي أنني «شيوعي» كلما اختلفنا حول أي موضوع. وعندما كنتُ أحتج على هذا الوصف، كان يخفِّفه واصفًا إياي بأنني «صديق للشيوعيين».

جيبوتي: الأربعاء، ١٨ فبراير ١٩٨٧

وصلت فجر اليوم إلى جيبوتي مع السفير أحمد حجاج مدير إدارة أفريقيا بالوزارة، والفريق الدبلوماسي المعاون لي، وأعضاؤه هم: علي ماهر، وسعيد أحمد قرني، وحاتم سيف النصر. غداء مع وزير الخارجية، مؤمن بهدون، حسب العادة، اشتملت

قائمة الطعام على خروف مشوي موضوع على إناء ضخم مليء بالأرز. كان الجو وديًّا، ويكاد أن يكون أخويًّا.

جيبوتي: الخميس، ١٩ فبراير ١٩٨٧

غادرنا جيبوتي متوجهين إلى المقر الصيفي للرئيس حسن جوليد آيتيدون، على قمة جبل يرتفع ٧٠٠ متر عن سطح البحر. أشار الرئيس جوليد إلى لقاء جمعه سابقًا مع الرئيس مبارك في أديس أبابا، لافتًا أنني توليت الترجمة بين الرئيسين في هذا اللقاء. غير أن الرئيس الجيبوتي قال إن الوعود التي قطعها له الرئيس مبارك في ذلك اليوم لم تنفذ بعد. طلبَ منا تزويده بأسلحة لاستخدامها في العرض العسكري الذي سيُجرى يوم ١٧ يونيو القادم بمناسبة الذكرى العاشرة لاستقلال جيبوتي. كما أعرب كذلك عن رغبته في أن تُرسل مصر إليه مدرسين وأطباء. ولم أتردد في الوعد بالاستجابة لمطالبه فَور عودتي للقاهرة.

حضرتُ حفل استقبال حضره كل المعارين المصريين: الأطباء ومرشدو الميناء والمدرسون.

على عكس ما ادعاه الرئيس جوليد، فالتعاون المصري موجود بشكل مهم للغاية في جيبوتي، والمهم هو الحفاظ على هذا المستوى من الدعم الفني المصري.

أديس أبابا: السبت، ٢١ فبراير ١٩٨٧

وصلتُ أديس أبابا للاشتراك في القمة السنوية لمنظمة الوحدة الأفريقية. نقاش مطول في السفارة المصرية مع الديبلوماسيين الشباب تناول أسئلة مثل ما إذا كان يجب أن تستضيف القاهرة العام التالي القمة الـ ٢٥ للمنظمة الأفريقية، وما إذا كان يجب ترشيح أحمد حجاج لمنصب السكرتير العام المساعد لهذه المنظمة، وهل يجب عليَّ السعي للحصول على منصب الرئيس المقبل لمجلس وزراء منظمة الوحدة الأفريقية؟ إذا ما كنا نعتزم القيام بكل ذلك فعلينا أن نحسن الاستعداد لكل هذه المهام؛ وهو الأمر الذي يتطلب منا البدء فورًا في التحرك الديبلوماسي.

أديس أبابا: الاثنين، ٢٣ فبراير ١٩٨٧

مواجهة بين تشاد وليبيا أثناء المؤتمر. بالطبع، فإن أغلب الدول تؤيد تشاد وليس ليبيا، وذلك على الرغم من المساعدات المالية التي تقدمها ليبيا للدول الأفريقية.

أديس أبابا: الأربعاء، ٢٥ فبراير ١٩٨٧

استقبلني الرئيس منجستو، وأكدت بشدة خلال الحديث على الدور الهام لمجموعة الأُوندوجو، ثم تطرق النقاش إلى علاقة إثيوبيا بالسودان. منجستو لا يثق في الصادق المهدي، رئيس السودان. لن يكون من حسن الديبلوماسية أن أسأله عن السبب وراء ذلك.

أديس أبابا: الخميس، ٢٦ فبراير ١٩٨٧

لقاء مع أحمد طالب الإبراهيمي، وزير خارجية الجزائر. سألتُه: «ـ لماذا لا تتحسَّن علاقاتنا؟ هل بسبب كامب ديفيد؟ هل ستكونون أكثر ملكية من الملك نفسه؟ إن الفلسطينيين ذاتهم يتعاونون معنا وقبلوا اتفاقيات كامب ديفيد».

رَبَتَ الوزير الجزائري على كتفي ووعدني بأن الجزائر سترسل قريبًا مبعوثًا مهمًّا للقاهرة.

القاهرة: الاثنين، ٢ مارس ١٩٨٧

مكالمة هاتفية من سامي مارون، وهو صديق مُقَرَّب من الرئيس اللبناني، ليخبرني أن الرئيس الجُميِّل سيتصل بي هاتفيًّا في منتصف الليل: «إنها مكالمة على أعلى درجة من الأهمية»، حسبما أكَّد لي. انتظرتُ بلا جدوى حتى الساعة الواحدة صباحا. ذهبتُ للنوم بدون أن أعرف أي شيء عن الرسالة المهمة التي كان الرئيس اللبناني يُريد إبلاغها لي.

القاهرة: الثلاثاء، ٣ مارس ١٩٨٧

لا يزال الرئيس مبارك مترددًا في عرض ترشيح مصر لرئاسة القمة المقبلة لمنظمة الوحدة الأفريقية. أخبرني أن الحزب الحاكم قَرَّر ترشيحي في الانتخابات التشريعية المقبلة التي ستتم بنظام القائمة.

القاهرة: الجمعة، ٦مارس ١٩٨٧

اجتماع في مقر الحزب الحاكم. كان عبد القادر حاتم، الذي كان يومًا أحد طلابي ثم أصبح وزيرًا، على رأس قائمة المرشحين للانتخابات عن الحزب الحاكم، يليه

اسم أحد أعضاء أحزاب لقائمة العمال، ثم كان اسمي هو الاسم الثالث على القائمة. لم يكتم المرشح السابع والأخير غضبه، فانفجر قائلًا:

«ـ لماذا وضعتموني في نهاية القائمة؟ يجب على النَّحْل أن يعمل من أجل الملكة التي لا تفعل شيئًا».

قام عبد القادر حاتم بتهدئة زميلنا قائلًا له:

«ـ كلنا نعمل من أجل خدمة الوطن، وسيعاون بعضنا البعض وسنفوز كلنا».

القاهرة: الاثنين، ٩ مارس ١٩٨٧

اجتماع المجلس الوزاري لمنظمة الوحدة الأفريقية استعدادًا لانعقاد القمة المصغَّرَة لرؤساء الدول. كان كويبي أنطوان وزير خارجية الكونغو هو أكثر الوزراء استعدادًا للنقاش الذي دار في هذا الاجتماع الوزاري. توالى وصول رؤساء الدول واستقبلهم إيدا أُومارو، السكرتير العام للمنظمة.

حضر الرئيس جوليد رئيس جيبوتي، وكاوندا رئيس زامبيا، وموبوتو الرئيس الزائيري، وموسيفيني رئيس أُوغندا، وموموه رئيس سيراليون، وساسو نجيسو الرئيس الكونغولي.

القاهرة: الأربعاء، ١١ مارس ١٩٨٧

افتتاح القمة المصغَّرَة بخطبة من الرئيس مبارك للترحيب بالرؤساء. رد الرئيس كاوندا على خطبة الترحيب. كان البوفيه المفتوح فرصة لتهدئة التوتر الذي نشب بين موبوتو الذي كان مؤيدًا للموقف المغربي في النزاع المتعلق بملف الصحراء وساسو الذي يؤيد موقف الجزائر.

أعلن الرئيس ساسو أن الرئيس كواندا هو الذي سيرأس القمة المقبلة في أديس أبابا، وذلك مع أنني كنتُ قد أجريتُ كافة الاتصالات اللازمة لكي يرأسها مبارك. همس السفير أحمد صدقي في أذني قائلًا: «ربما يكون الوزير الجزائري وراء هذه العملية». ولم يكن في ذلك الالتفاف على التحرك المصري مفاجأة كبيرة.

القاهرة: الجمعة، ١٣ مارس ١٩٨٧

في المطار مع الرئيس مبارك لوداع موبوتو وموسيفيني. ذهبتُ بعد ذلك إلى حي الفجالة لزيارة منزل الأسرة القديم ولكي أستعد لحملتي الانتخابية. بدا المنزل صغيرًا. كنتُ أتخيله أكبر بكثير مما هو عليه عندما كنتُ صغيرًا. لا أعتقد أنني أستطيع استخدام إحدى غرف الدور الأرضي كمقر قيادة لحملتي الانتخابية.

القاهرة: السبت، ١٤ مارس ١٩٨٧

بداية حملتي الانتخابية في دائرة الأزبكية مع عبد القادر حاتم. على من يريد أن يترشح للانتخابات في مصر أن يعرف ماذا يفعل. يجب عليك أن تستمع إلى مَنْ يمدحونك بدون أن يبدو عليك الخجل من تلقي المديح. يجب أن تعرف كيف تتحدث ببساطة عن قضايا مختلفة. يجب أن تُصافح الأيدي الممدودة وتُصافح وتُصافح. ابتسم. استخدم تعبير «إن شاء الله».

القاهرة: الأحد، ١٥ مارس ١٩٨٧

زيارة لثلاث كنائس في حي الفجالة حيث توجد أغلبية قبطية للحصول على تأييد شركائي في الدين.

بعد الظهر، محاضرة في الكلية الحربية عن «الصراعات في الشرق الأوسط». سألني ضابط شاب:

«ـ ما هو أخطر صراع على أمننا القومي؟».

«ـ هو الصراع الذي يعيث فسادًا في جنوب السودان لأنه خطر على مياه النيل، مصدر الحياة لمصر».

إن الصراع العربي ـ الإسرائيلي واستقلال فلسطين يسيطران على ذهن الجيل الجديد الذي أهمل السودان الذي كان يوصف في اتفاقية سنة ١٨٩٩ أنه السودان الإنجليزي ـ المصري. هذا الجدل بين النيل والقدس الذي استحال إلى هوس لدى البعض يصيبني بالقلق والغضب الشديدين.

القاهرة: الاثنين، ١٦ مارس ١٩٨٧

استقبل الرئيس مبارك مبعوثًا للرئيس عبده ضيوف الذي يتمنى أن تقوم مصر بطبع ترجمة لمعاني القرآن نقلها شيخ سنغالي من العربية إلى الفرنسية.

توجد ثلاث جهات يمكنها طبع هذه الترجمة: جامعة الأزهر، أو صبحي جريس وهو ناشر كتبي من مكتبة الأنجلو المصرية، أو مركز بحوث الأهرام.

القاهرة: الخميس، ١٩ مارس ١٩٨٧

أقمتُ حفل استقبال في «نادي التحرير» على شرف الرئيس جيمي كارتر. حضر عدد قليل جدًّا من زملائي الوزراء مع أنني حرصتُ على دعوتهم هاتفيًّا خشية ألا يلبوا الدعوة التي كنت قد أرسلتها لهم. إن مَنْ في الحكم لا يهتمون بمن تركوا مقاعد الحكم.

حفل عشاء في سفارة الولايات المتحدة. لم يحضر سوى الوزيرَيْن السابقَيْن: إسماعيل فهمي الذي كان بصحة جيدة ويبدو راضيًا، ومحمد كامل الذي كان يبدو مرهَقًا وضجرًا. أمَّا الرئيس كارتر، فكان·ما يزال محتفظًا بحيويته ومتألقًا. إن خروجه من الحكم لم يُغيره في حين أن الخروج من السلطة قد أثَّر على أغلب رؤساء الدول السابقين الذين قابلتُهم.

القاهرة: الجمعة، ٢٠ مارس ١٩٨٧

سافرت ليا بالطائرة إلى باريس لمرافقة السيدة سوزان مبارك التي ستفتتح «معرض تانيس» بعد «معرض توت عنخ آمون». إن الوَلَع الفرنسي بتاريخ مصر الفرعونية لا يفتر.

القاهرة: الاثنين، ٢٣ مارس ١٩٨٧

جولة انتخابية في حي بولاق. تجولت في الشوارع لأكثر من ثلاث ساعات. برفقة قسيس قبطي وشيخ مسلم على يميني وعلى يساري. كنا نرفع أيدينا للسماء داعين للوحدة: «عاشت الوحدة الوطنية». انتهز أحد التجار هذه الفرصة لكي يفتتح دكانه باحتفال كبير. في اللحظة التي بدأتُ فيها بقص الشريط، ارتفعت تراتيل دينية قبطية.

القاهرة: الخميس، ٢٦ مارس ١٩٨٧

المعركة الانتخابية تحتدم. تم إقامة سرادق كبير في حي السكاكيني. حضر أكثر من ألف شخص. وألقيت الخطب الواحدة تلو الأخرى. هاجمتُ «حزب الوفد» وسكرتيره العام، فؤاد باشا سراج الدين، وخلال الخطبة كنت أردد دومًا شعارات مدوية مثل: «عاشت الوحدة الوطنية»، «عاشت مصر»، وكانت هذه الشعارات تقابل بتصفيق جماعي من المشاركين في التجمعات الدعائية.

إن من يقوم بحملة انتخابية عليه أن يهتف دومًا بقوة بشعارات تُلهب المشاعر، ويجب عليه تمامًا تجنُّب التحليلات الأكاديمية أيًّا كانت الظروف.

القاهرة: الجمعة، ٢٧مارس ١٩٨٧

في الصباح، بدأتُ الجولة الانتخابية قبل صلاة الجمعة. قمتُ بجولة في حي العباسية والوايلي. حشود جماهيرية. خطب انتخابية لا تنتهي.

القاهرة: السبت، ٢٨ مارس ١٩٨٧

جولة جديدة في حي العباسية. حشود جماهيرية جديدة. توقفتُ للراحة في أربعة من مقاهي الحي كان قد تم اختيارها سلفًا لتجنب الوقوع في أية مطبات. ألقيتُ خطبة قصيرة في كل مقهى. الموضوعان اللذان أُعبئ بهما الجماهير وأحشدها هما: مكاسب السلام الذي احتفلنا بمرور ثماني سنوات عليه، والوحدة الوطنية.

القاهرة: الأحد، ٢٩ مارس ١٩٨٧

زيارة لكنيسة «حارة السقّايين». أطلعني الكاهن على سجل حسابات قديم يُغطي الفترة ما بَيْن سنتَيْ ١٨٩٥ و١٩٠٥. في الجزء المخصَّص للمتبرعين الكرماء، وجدتُ اسم جدي لأمي ـ ميخائيل شاروبيم ـ وجدي لأبي، بطرس غالي باشا. التزمتُ بالحفاظ على تراث العائلة في تقديم تبرعات سخية، وطالبت الكاهن بأن يدعو المصلين لإعطائي أصواتهم يوم الانتخابات.

القاهرة: الاثنين، ٣٠ مارس ١٩٨٧

اجتماع انتخابي في حي القُللي. يوسف أبو طالب محافظ القاهرة، وعبد القادر

حاتم رجل النظام القوي، وكل المستفيدين من الامتيازات الحزبية جلسوا على المنصة. تحدثتُ عن الوحدة الوطنية التي يمثلها تعانق الهلال مع الصليب.

القاهرة: الثلاثاء، ٣١ مارس ١٩٨٧

في الصباح الباكر، جولة انتخابية في شارع إبراهيم باشا الذي أصبح اليوم شارع الجمهورية في المنطقة الواقعة بين «ميدان محطة مصر» ومستشفى صيدناوي الذي يعرف الآن بمستشفى التأمين الصحي. دخلتُ كل الدكاكين لكي أُصافح التجار بينما كان أعضاء حملتي الانتخابية يرددون الشعارات والهتافات.

عدتُ إلى وزارة الخارجية بعد ثلاث ساعات حيث كان ينتظرني ٤٠ من كبار الضباط السودانيين. قلتُ لهم معاتبًا:

«ـ إن التعليم الذي نتلقاه أثر علينا بصورة سلبية فأصبحنا نحن المصريين نميل للنظر شمالًا بدلًا من النظر جنوبًا، وأهملنا إخوانَنا السودانيين. بينما أنتم السودانيون قد أهملتم الجنوب حيث يوجد أولاد عمومتنا الأوغنديون والإثيوبيون والتشاديون. وفي الوقت نفسه، أهملتم الشمال حيث يوجد إخوانكم المصريون».

بعد الظهر، جولة انتخابية جديدة على أطراف جراج كبير قريب من جريدة الأهرام ـ المعروف بساحة انتظار موقف الترجمان. كنت أريد وضع إحدى لافتاتي الانتخابية في مدخل الجراج لكي أجذب أنظار سائقي الحافلات، لكن خصومي كانوا يقومون بانتزاع اللافتة في كل مرة أضعها فيها. اتفق عدلي سائقي مع حارس الجراج بأن يقوم بوضع لافتة جديدة كلما انتزع أحدهم اللافتة القديمة على أن يحصل على مبلغ مالي نظير هذه المهمة.

القاهرة: الأربعاء، الأول من إبريل ١٩٨٧

تعرضت لموقف كان سيؤدي لعواقب وخيمة. كنتُ أتهيأ لدخول قهوة برفقة فريقي الانتخابي، فهمس أحدهم في أذني قائلًا:

«ـ يجب أن تُغادر هذه القهوة فورًا. لقد أخطأنا: إنها قهوة يرتادها الإخوان المسلمون».

بالقطع لن أتراجع. دخلتُ القهوة ببساطة، لكنني قوبلتُ بصمت بارد. رَبتُّ على كتف القهوجي قائلًا بلهجة مرحة: «ـ آمُل أن تعطيني صوتك».

ثم انسحبتُ بوقار بينما كان المساعدون يتنفسون الصعداء؛ لأنهم كانوا في غاية القلق من نتائج هذا الخطأ الذي لا يستهان به والذي وقعنا فيه.

القاهرة: الأحد، ٥ إبريل ١٩٨٧

حضرتُ قداسًا في كنيسة متهالكة في حي بولاق برفقة مرشح آخر، هو جلال رضوان، لقد شعرت بضيق بالغ بسبب الحالة شديدة البؤس لهذه الكنيسة وتجنبتُ إلقاء خطبة هناك.

القاهرة: الاثنين، ٦ إبريل ١٩٨٧

عشاء في السفارة البريطانية. عن يميني جلسَتْ فيرجينيا أوبريجون سفيرة كولومبيا، وعن يساري جلسَتْ سفيرة بريطانيا. أثناء تناول العشاء، اتصلوا بي ليخبروني بتقديرات النتائج الأوَّلية للانتخابات: فاز الحزب الوطني الديموقراطي بأغلبية كاسحة، يليه «الإخوان المسلمون» و«حزب الوفد». أفهموني أن نجاحي مضمون.

القاهرة: الأربعاء، ٨ إبريل ١٩٨٧

حضرتُ حفل استقبال أقامه السفير محمود مرتضى على شرف السفير علي ماهر الذي عُيِّن سفيرًا في تونس. وفي المناسبة نفسها، تم الاحتفال بانتخابي نائبًا في البرلمان.

القاهرة: الخميس، ٩ إبريل ١٩٨٧

وصل الرئيس منجستو رئيس إثيوبيا إلى القاهرة ونزل في قصر القبة. إنه رجل ضئيل الحجم ومُعَقَّد وفي غاية الحذر، ومن الصعب معرفة ما يدور في ذهنه أو ما ينوي فعله. ويعتبر البعض أن منجستو ليس أمهريًّا حقيقيًّا، أي أنه لا ينتمي للطبقة الحاكمة في إثيوبيا، مع أنه أمهري.

قمتُ بنزهة طويلة معه في حدائق قصر القبة. تركته يتكلم ورافقته إلى القصر الرئاسي في حي مصر الجديدة، حيث كان مبارك في انتظاره. دام اللقاء بينهما أكثر من ساعتَيْن وبدا على مبارك أنه راض تمامًا.

بعد الظهر، وضع منجستو باقة من الزهور على قبر جمال عبد الناصر ثم توجه لزيارة الأهرام.

القاهرة: الأحد، ١٢ إبريل ١٩٨٧

زيارة للمتحف المصري مع الرئيس منجستو الذي عَلَّق قائلًا:

«ـ هناك الكثير من التشابه بين قدماء المصريين والإثيوبيين: فلديهم العادات نفسها ونمط الحياة، ويستخدمون الأدوات ذاتها».

عندما غادر منجستو المتحف المصري، كان مقتنعًا بأنه رأى إثيوبيين وأُعجب بهم، وبأن الحضارة المصرية قد نشأت في إثيوبيا. آثرت ألا أجادله رغم تحفظي على ما قال، فقد كان هذا هو الثمن الذي يجب عليَّ أن أدفعه لتقوية العلاقات بين بلدَيْنا.

القاهرة: الأربعاء، ١٥ إبريل ١٩٨٧

غادرتُ القاهرة متوجهًا لمدينة شبين الكوم. ألقيتُ محاضرة عن الدبلوماسية المصرية ونصحتُ الطلاب بتعلُّم اللغات الأجنبية لكي يستطيعوا العمل في أفريقيا أو أوروبا.

بعد الظهر، زرتُ دائرتي الانتخابية لأشكر سكانها الذين انتخبوني ولكي أُؤكد لهم أنني سأفي بوعودي الانتخابية.

القاهرة: الأحد، ١٩ إبريل ١٩٨٧

استيقظتُ فجرًا لاستقبال الرئيس نيريري رئيس تنزانيا وهو أحد حكماء أفريقيا. رافقته إلى الإسماعيلية حيث استقبله الرئيس مبارك على مائدة إفطار اتسمت أجواؤها بالهدوء الكامل. زرنا قناة السويس ثم تناولنا الغداء في نادي التحرير. دعوتُ الوزراء لكن أغلبهم اعتذر لأنهم غير مقتنعين بأهمية علاقاتنا بأفريقيا.

القاهرة: السبت، ٢٥ إبريل ١٩٨٧

عشاء مع السفير بوب شتراوس الذي مَثَّل الولايات المتحدة في «مباحثات الحكم الذاتي» مع الإسرائيليين، وكاترين جراهام مالكة «الواشنطن بوست» وهي سيدة مفعمة بالحيوية على الرغم من سنها المتقدم. وبينما كان بوب شتراوس يحب

الكلام، كانت كاترين جراهام تحب الإنصات. تحدثنا طويلًا عن أزمة الشرق الأوسط وأهمية اللوبي الإسرائيلي ومشكلة البترول والطاقة بصفة عامة.

القاهرة: الثلاثاء، ٢٨ إبريل ١٩٨٧

رأستُ أول اجتماع لجمعية الصداقة المصرية السوفييتية التي تضم: حافظ إسماعيل الوزير السابق، وأحمد بهاء الدين، وماجدة صالح نجمة الباليه التي دَرَسَته في موسكو وعشرات غيرهم من الدبلوماسيين ورجال الأعمال والشخصيات العامة. نقطة الانطلاق جيدة: فالجمعيات الأهلية يجب أن تكون أساسًا للدبلوماسية.

القاهرة: الأربعاء، ٢٩ إبريل ١٩٨٧

اجتماع لأعضاء الحزب الوطني الديموقراطي. قدمنا بكل صراحة نقدًا ذاتيًّا وتقييمًا لنتائج الانتخابات. أنا مقتنع بأن مثل هذه المشاورات التي تتسم بالموضوعية سيكون لها فائدة كبيرة في المستقبل.

في منتصف الليل، ذهبتُ «لسوق البلح» لتقديم العزاء لأهل تاجر غني دَعَّم حملتي الانتخابية. النائب البرلماني عليه أن يقوم بكثير من الالتزامات والواجبات.

جنيف: الأربعاء، ٦ مايو ١٩٨٧

أشترك في أعمال «لجنة القانون الدولي». لقاء مع محمد مزالي الذي خرج من السلطة وتم احتجاز أسرته في تونس. إنه يُعِد نفسه لفترة ما بعد بورقيبة.

عشاء عند صدر الدين أغاخان الذي يخوض هو أيضًا معركة الترشيح لمنصب المدير العام لليونسكو.

جنيف: الخميس، ٧ مايو ١٩٨٧

عرفتُ أن «الإخوان المسلمين» حاولوا اغتيال وزير الداخلية، حسن أبو باشا. إن حكومتنا ليست ممسكة كيفما ينبغي بزمام الأمور، ولم تفهم أنه لا يمكن التعايش بسلام مع المتعصبين، وأن الخيار الوحيد أمامنا هو إقصاؤهم. إن اكتفاء الحكومة باتخاذ حلول جزئية ورفض مواجهة المتعصبين هي سياسات من شأنها تعريض مستقبل بلدنا للخطر.

لقاء مع جورج إيللوبيا، وزير خارجية بنما. دافعتُ مجددًا عن فكرة إنشاء تجمع للتعاون بين الدول المتوافقة بما في ذلك دول من أمريكا اللاتينية للدفاع عن المشكلة الفلسطينية.

جنيف: السبت، ١٦ مايو ١٩٨٧

مكالمة هاتفية مع حسن أبو باشا الذي يُعالَج في مستشفى في ميونيخ. نبرة صوته غير واثقة ويبدو منهكًا. تذكرتُ كل السياسيين الذين اغتالهم المتعصبون: جدي بطرس غالي باشا وأحمد ماهر باشا والنقراشي باشا والرئيس السادات... القائمة طويلة.

كينشاسا: الاثنين، ١٨/الخميس، ٢١ مايو ١٩٨٧

اجتماع لمجموعة «الأُوندوجو». حَضَرَت منظمات دولية. من المشروعات المقترحَة: ربط خطوط السكك الحديدية بين مصر والسودان وأُوغندا، وربط شبكة الهواتف لهذه البلدان الثلاثة بالتعاون مع الاتحاد الدولي للاتصالات وربط شبكة كهرباء سد أسوان بشبكة سد إنجا في زائير.

الاجتماع الخامس سيكون في بانجي في شهر أغسطس ١٩٨٨. أشعر بالرضا عن هذا الاجتماع. بَدَأت مجموعة الأُوندوجو تشق طريقها على الرغم من شكوك معظم الدول الأفريقية في جدواها.

القاهرة: الجمعة، ٢٩ مايو ١٩٨٧

حكى لي سليم عيسى عن خفايا الاجتماعات التي عقدها مع الرئيس السوداني السابق جعفر النميري المنفي حاليًا في القاهرة. النميري يُدبِّر انقلابًا عسكريًّا يعود به إلى السلطة. يميل سليم لنسج روايات وهمية يظنها حقيقية. وعلى أي حال، فالمستقبل سيوضِّح لنا كل شيء.

القاهرة: الأحد، ٣١ مايو ١٩٨٧

لقاء بين الرئيسَيْن مبارك وعبده ضيوف ـ في قصر القبة ـ للإعداد لعقد قمة منظمة الوحدة الأفريقية المقبلة وقمة المؤتمر الإسلامي التي ستُعقد في داكار في سنة ١٩٩٠.

عشاء رسمي عقد في أجواء ودية بمشاركة عاطف صدقي رئيس الوزراء ويوسف والي. الرئيس السنغالي يعرف كيف يُريح ضيوفه.

القاهرة، الاثنين، الأول من يونيو ١٩٨٧

اللقاء الثاني بين مبارك وعبده ضيوف. قمتُ بالترجمة. علمنا باغتيال رشيد كرامي ـ رئيس الوزراء اللبناني السابق ـ وزعيم السنة في لبنان. الموقف هناك مستمر في التدهور.

في اجتماع مجلس الوزراء، أخبرنا وزير الداخلية أنه ينوي التركيز على شن مواجهة مع الإخوان المسلمين. بالتأكيد، وافقناه كلنا. ومع ذلك، ما يزال الوضع مقلقًا.

القاهرة/عمان/القاهرة، الأربعاء، ٣ يونيو ١٩٨٧

استقبل الملك حسين الوفد المصري المكوَّن من: الفريق أول أبو غزالة وصفوت الشريف وأسامة الباز وأنا. كان الملك مُحاطًا بكبار شخصيات المملكة. حديث عن الوضع الصعب في الشرق الأوسط. كان الغداء ممتازًا على الرغم من أن قائمة الطعام خلت من الأكلة الأردنية الشهيرة «المنسف» والتي تتكون من لحم الخراف والأرز. جلست على يسار الملك والفريق أول أبو غزالة عن يمينه.

عُدنا للقاهرة راضين عن هذه الزيارة وعن التقدم الذي أحرزناه وتحسُّن العلاقات مع الأُردن.

القاهرة، الخميس، ٤ يونيو ١٩٨٧

رافقتُ وفد «مجلس الكنائس» إلى قصر الرئاسة. حيث كان الرئيس مبارك يبدو مهمومًا بشيء ما، وكانت أجواء اللقاء جافة بعض الشيء. تحدث سكرتير «اتحاد الكنائس» ـ اسمه كاسترو، من أوروجواي ـ عن الصلاة من أجل السلام، فقاطعه مبارك بضيق قائلًا: «ليس بالصلوات وحدها تتقدم عملية السلام».

في المساء، استقبلنا البابا شنودة ومعه عشرة من الأساقفة. أحاديث طويلة وعاد الجو إلى الهدوء مجددًا. أغلب الأساقفة مقتنعون بأن الصلوات يمكن لها أن تأتي بالسلام.. وبما أنني قد أمضيت سنوات طويلة وشاقة في مفاوضات تهدف لتحقيق

السلام، فلربما ينتهي بي الأمر إلى الاعتقاد بأن الصلوات قد تكُون عنصرًا مؤثرًا في التسوية السلمية للصراعات.

القاهرة: الأحد، ٢١/الخميس، ٢٥ يونيو ١٩٨٧

زيارة رسمية لوزير خارجية كينيا ـ زاهاري أونيوفوكا ـ على رأس وفد به ١٦ ضابطًا. نجحتُ في دعوة ممثلي وزارات: التجارة والسياحة والصحة والتعليم العالي والدفاع الذين حضروا وشاركوا في هذه المباحثات. فكَّرنا سويًّا ـ وبالتحديد ـ حول الموضوعات التي ستُناقَش في قمة أديس أبابا في يوليو المقبل.

تم اللقاء بين الرئيس مبارك وزاهاري في جو ودي. وفي البيان المشترك الذي وقعناه، حرص الوزير على شُكْر مصر لإرسالها خبراء وضعتهم تحت تصرف كينيا، وعلى المنح الدراسية التي قدمتها للطلاب الكينيين. حرصتُ على أن يتضمن البيان إشارة إلى ضرورة الإفراج عن نيلسون مانديلا.

القاهرة: الخميس، ٢ يوليو ١٩٨٧

تاج الدين هو أحد سلاطين دارفور، وابن عمه يحكم معظم الإقليم. اشتكى تاج الدين من حكومة الخرطوم ومن الوضع في جنوب السودان ومن سلبية الموقف المصري إزاء هذه المشاكل، ونبهني بقوله: «إن هذه المشاكل هي مشاكلكم أيضًا».

إنه على حق. بكل أسف، فإن العتاب لن يغير الكثير. عندما كان علينا أن نختار ما بين أفريقيا وفلسطين، وما بين نهر النيل ونهر الأردن، اخترنا الثاني، ذلك النهر الذي تم فيه تعميد المسيح.

القاهرة: الاثنين، ٦ يوليو ١٩٨٧

تحدث الرئيس مبارك عن الطاقة الشمسية مع وزير الكهرباء ماهر أباظة الذي علَّق قائلًا بأن الرئيس مبارك ما يزال معاديًا للطاقة النووية. لقد بذلتُ جهودًا مضنية مع ماهر أباظة لمحاولة إقناع فؤاد محيي الدين رئيس الوزراء السابق بأهمية الطاقة النووية. لكن منذ كارثة تشيرنوبيل، أصبح الرئيس يرفض مجرد الاستماع لفكرة إمكانية إنشاء محطة نووية في مصر. يعتقد ماهر أباظة أن كارثة تشيرنوبيل تسببت فيها مؤامرة صهيونية أو أمريكية. طالما قلت للرئيس مبارك إن فرنسا قد بَنَت ٤٠

محطة نووية على أرضها وأن ٧٥٪ من الكهرباء هناك تنتجها محطات نووية. لكن بلا جدوى.

وصل سفيرنا في الجزائر إلى القاهرة. أخبرني أن الحكومة الجزائرية تنوي الاعتراض على ترشيح مصر للسفير أحمد حجاج لمنصب السكرتير العام المساعد لمنظمة الوحدة الأفريقية، وستعترض أيضًا على رئاسة مصر للقمة. إن مباحثاتي مع وزير خارجية الجزائر لا تجعلني أتوقع حدوث ذلك.

ندجامينا: الأربعاء، ٨ يوليو ١٩٨٧

يبدو أن سفيرنا المعتمد في ندجامينا لا يعلم الكثير عن مشاكل تشاد. هل هو الإنهاك أم التعب أم هو السأم الذي يجعله يبدو غير مهتمٍّ بالرغم من كونه دبلوماسيًا شابًا يتمتع بالنشاط والحماس. لقاء مُطَوَّل مع حسين حبري الذي كان سعيدًا بالهزيمة التي ألحقها بالليبيين. سلمته رسالة من الزعيم السوداني تاج الدين بخصوص الوضع في دارفور، حيث توجد حدود مُصطَنَعَة رسمتها الإمبريالية الغربية لكي تفصل القبائل على جانبَي الحدود. يجب بذل جهود دبلوماسية لتشجيع السلام في هذه الأراضي المهَمَّشة.

ندجامينا: الخميس، ٩ يوليو ١٩٨٧

لقاء مع قائد القوات المسلحة. أعرف أن التشاديين قد استولوا على صواريخ سام ٩ وسام ١٣ أثناء معاركهم مع الليبيين. السلطات العسكرية المصرية ستُسَر جدًّا بفحص هذه الصواريخ. سيصل وفد مصري إلى ندجامينا لمناقشة وسائل تنفيذ هذا التبادل المعلوماتي.

دعوة في مطعم تملكه ابنة عم حسين حبري. بَلَغَت درجة الحرارة أكثر من ٤٢ درجة مئوية. لكن ذلك لم يحول دون أن يحتسي الجميع كئوسًا متتالية من نبيذ إسباني ثقيل للغاية.

ندجامينا: الجمعة، ١٠ يوليو ١٩٨٧

ألقيتُ محاضرة على أعضاء الحزب الحاكم في تشاد. حضر أكثر من ألف من المناضلين التشاديين الذين أبدوا غضبًا كبيرًا تجاه «منظمة الوحدة الأفريقية» لأنها

لم تَقُم بإدانة الهجوم الليبي على بلادهم. هذا الحشد كان نصفه من الجنوبيين وهم أفريقيون أكثر من كونهم عربًا، والنصف الثاني كان من الشماليين، وهؤلاء عرب أكثر من كَوْنهم أفارقة. إنها بالضبط نفس المشكلة التي نقابلها في السودان. لكن السودان على عكس تشاد عجز عن إقامة توازن بين العرقَيْن.. ولم تلعب مصر دور الحَكَم في هذه المشكلة.

القاهرة ـ الأربعاء، ١٥ يوليو ١٩٨٧

قدمت تقريرًا موجزًا للرئيس مبارك عن مهمتي في ندجامينا. ما يزال الرئيس مُصرًّا: «لن أتقدم للترشيح لرئاسة منظمة الأمم الأفريقية»، ونظرًا لأنني أصررتُ فقد قال لي:

«ـ ستتحدث في هذا الموضوع في سنة ٨٨ أو ٨٩».

أديس أبابا: الجمعة، ١٧ يوليو ١٩٨٧

بدأتُ حملة لانتخاب سفيرنا أحمد حجاج لمنصب السكرتير العام المساعد لمنظمة الوحدة الأفريقية. هذا المنصب تشغله الجزائر منذ إنشاء المنظمة. حصلتُ على تأييد كويبي أنطوان وزير خارجية الكونغو برازافيل، وإبراهيم فال وزير خارجية السنغال، وكذلك وزراء خارجية تنزانيا وتوجو والصومال. اكتشفتُ بحزن أن صديقي الحميم سيميون آكيد ـ وزير خارجية هوفوييت بواني ـ معاد جدًّا للعرب. وهذا الشعور منتشر في أفريقيا ويمثل عَقَبَة يجب على مرشحنا أن يتخطاها.

أديس أبابا ـ الخميس، ٢٣ يوليو ١٩٨٧

مكالمة هاتفية طويلة مع الرئيس مبارك من أديس أبابا. الدورة الوزارية لمنظمة الوحدة الأفريقية ستنتهي يوم الجمعة وستبدأ القمة يوم الاثنين. من المهم أن يحضر الرئيس إلى أديس أبابا بدءًا من يوم السبت أو الأحد صباحًا.

أديس أبابا: الاثنين، ٢٧ يوليو ١٩٨٧

الافتتاح الرسمي للقمة بحضور السكرتير العام للأمم المتحدة ـ بيريز دي كوييار والوزيرة النرويجية مدام جرو هارلم برونتلاند ـ التي كلفتها الأمم المتحدة بمهمة.

قبل حضور حفل الاستقبال الذي أقامه منجستو، التقى الرئيس مبارك بمدام برونتلاند واثنَيْن من معاونيها، وبالجزائري سحنون كامشا، وبالسوداني منصور خالد. قَدَّمت الوزيرة النرويجية للرئيس مبارك تقريرًا عن البيئة، وركَّزَت فيه على دور أفريقيا في هذا المجال. قالت بحماس واهتمام:

«ـ إن مشاكل البيئة أخطر من المشاكل المتعلقة بالحرب الذرية. يجب أن تدعم منظمة الوحدة الأفريقية هذا التقرير».

لاحظتُ أن مساعديها الأمميين يتابعان بضجر العرض الذي قَدَّمَته الوزيرة. هناك شيء ما يؤثرني في هذا الحماس الإسكندنافي لتقليل العذابات التي يتعرض لها سكان العالم، لكنني أعتقد أنه لا يوجد في أفريقيا ولا في غيرها من القارات الإدراك الكافي لمدى خطورة هذه المشكلة. أمَّا الرئيس مبارك، فقد تأثر بقدرة الإقناع التي تتمتع بها الوزيرة النرويجية.

أديس أبابا: الثلاثاء، ٢٨ يوليو ١٩٨٧

جلسة هذا الصباح سيطرت عليها سلسلة من تصفية الحسابات. أولًا جاءت تصفية الحساب بين السودان والكونغو بسبب مشاكل جنوب السودان. كانت القاعة مؤيدة للكونغو، خصوصًا الرئيس كاوندا الذي انتقد السودان. ثم جاءت تصفية الحساب بين تشاد وليبيا: القمة أيدت تشاد وأدانت ليبيا.

التقى الرئيس مبارك بالرئيس الجزائري. لقاء ودي. مصالحة في القمة. قبل سفر الرئيس للقاهرة في اليوم نفسه سألتُه عما إذا كان قد تحدث عن مشكلة انتخاب حجاج لمنصب السكرتير العام المساعد لمنظمة الوحدة الأفريقية فأجابني:

«ـ لم نتناول هذه التفاصيل. أنا واثق من أنك ستتصرف».

أديس أبابا: الأربعاء، ٢٩ يوليو ١٩٨٧

فريقنا منقسم على نفسه: أسامة الباز ـ من جهة ـ يعتقد أن علاقاتنا بالجزائر أهم من انتخاب مصري في منصب السكرتير العام المساعد لمنظمة الوحدة الأفريقية. باقي الفريق يرى أن انتخاب مصري ستكون له قيمة رمزية قوية. وبالإضافة إلى ذلك، فإن وجوده في قلب المجموعة التي تقود المنظمة سيسمح بزيادة نفوذ مصر ووجودها

في أفريقيا كلها. المساعدون القريبون مني يرجون أن أتجنَّب المواجهة: فإذا خسرنا، فسيكون ذلك بمثابة إهانة جديدة لمصر بعد عشر سنوات من زيارة السادات للقدس؛ وإذا كسبنا، فلن يُقدِّر أحد في القاهرة هذا الفوز.

تم التصويت في نهاية السهرة: حصلنا على ٢٧ صوتًا مقابل ٢٣ صوتًا لصالح مرشح الجزائر. في الجولة الثانية، حصلنا على ٢٩ صوتًا مقابل ٢٠ للجزائر. طلب وزير خارجية الجزائر طالب الإبراهيمي الكلمة وأعلن انسحاب الجزائر من الترشيح. تصفيق من الحاضرين. كنتُ متوترًا بشدة لدرجة أنني خشيتُ من إصابتي بأزمة قلبية.

انتهت القمة. وقفتُ لمصافحة طالب الإبراهيمي لكنه تجنبني. أحيانًا تكون الهزيمة صعبة.

القاهرة: الثلاثاء، ١١ أغسطس ١٩٨٧

وقع حادث مع الطلاب الأفارقة في الأزهر. لا أعرف التفاصيل. كل ما أعرفه هو أن شيخ الأزهر تباحث بشأنه مع الرئيس مبارك ورئيس الوزراء ثم بعد الحصول على موافقتهما قام بطرد ٣٦ طالبًا منهم.

اجتماع مع السفراء الأفارقة المعتمدين في القاهرة. احتج سفراء مالي والسنغال بشدة على طرد هؤلاء الطلاب الأفارقة. الأزهر أقدم جامعة دينية في العالم الإسلامي ويستقبل طلابًا من جميع البلاد. إذا لم يحترم الطلاب لوائح هذه المؤسسة، فإنهم لا يستحقون المنح التي تقدمها لهم الحكومة المصرية.

مكسيكو سيتي: الأربعاء، ١٩ أغسطس ١٩٨٧

افتتحتُ ـ مع وزير الخارجية المكسيكي ندوة أفريقيا ـ أمريكا اللاتينية. سيكون موضوعها «حل المشاكل الإقليمية في أفريقيا وفي أمريكا اللاتينية». أوفدتُ اثنين من ألمع سفرائنا إلى هذه الندوة: تحسين بشير وعزت عبد اللطيف. كنتُ قد كتبتُ كافة ملاحظاتي باللغة الفرنسية؛ لكن نظرًا لعدم وجود مترجم فوري، فقد تحدثتُ بالإنجليزية.

مكسيكو سيتي: الخميس، ٢٠ أغسطس ١٩٨٧

سلمتُ لرئيس جمهورية المكسيك رسالة من الرئيس مبارك. مفاوضات في مقر وزارة الخارجية تلاها عقد اتفاقية ثم حفل استقبال في السفارة المصرية حيث قَلَّدتُ الوزير المكسيكي وسامًا. الرغبة في إقامة علاقات صداقة مع بلد تُعتبر بمثابة تحدٍّ، وتتطلب بذل كثير من الجهد.

إنني أتساءل ـ أحيانًا ـ عما إذا كانت النتائج تستحق الجهد المبذول، وعما إذا كانت كل هذه المجهودات تفوق إمكانات الديبلوماسية المصرية. ومع ذلك، فلا توجد وسيلة أخرى أمامنا إذا كُنا نريد أن تؤدي مصر دورًا مهمًّا على المستوى الدولي.

جواتيمالا سيتي: الاثنين، ٢٤ أغسطس ١٩٨٧

زيارة لنائب رئيس الجمهورية. وضعتُ باقة أزهار على قبر الجندي المجهول. مباحثات مع وزيرة الثقافة آنابيل بيريرا فلورس، وهي شابة جميلة جدًّا، الاتفاق الذي كان يجب أن نوقعه لم يَكُن جاهزًا بعد.

بعد الظهر، محاضرة في الجامعة تلاها حفل استقبال أقامه وزير الخارجية الذي منحني وسامًا. هذا الوسام الجديد أهم من الوسام الذي حصلتُ عليه أثناء رحلتي الأخيرة إلى جواتيمالا سيتي. في نهاية السهرة، حديث مع سفير اليابان الذي أبدى اندهاشه واهتمامه الشديديْن إزاء الوجود المصري في جواتيمالا.

جواتيمالا سيتي: الثلاثاء، ٢٥ أغسطس ١٩٨٧

لقاء مع رئيس البرلمان وأعضاء لجنة العلاقات الخارجية. توقيع اتفاقية للتعاون الثقافي. استقبلني رئيس الجمهورية الذي سلمتُه رسالة من الرئيس مبارك بها دعوة رسمية لزيارة مصر.

نيويورك: السبت، ٢٩ أغسطس ١٩٨٧

أثناء الغداء مع الجنرال فيرنون والتر المتألق دائمًا، قال لي:

«ـ عليكم أن تضموا السودان وليبيا لكي تصبحوا أمة عظمى وتنتهي مشاكل الزيادة

السكانية عندكم. رشِّح نفسك لمنصب المدير العام لليونسكو. هذه المؤسسة تحتاج لأفكار جديدة ولاستعادة حيويتها».

كيبيك: الاثنين، ٣١ أغسطس ١٩٨٧

أجريت مداخلة خلال المؤتمر الوزاري للمنظمة الفرانكوفونية لكي أذكِّر الحاضرين بحق الفلسطينيين في تقرير المصير. عشاء مع الحاكم العام لكندا السيدة جوان سوفييه وزوجها، وبوبي صعب وزوجته. كان العشاء في القلعة الرائعة التي تُطل على نهر سان ـ لوران.

كيبيك: الأربعاء، ٢ سبتمبر ١٩٨٧

افتتاح قمة رؤساء دول وحكومات منظمة الفرانكوفونية. جلستُ على يمين فرنسوا ميتران، حسبما يتطلب الترتيب الأبجدي. الكلمة التي ألقاها الرئيس أمين الجميِّل هي أكثر الكلمات تأثيرًا: فقد طالب بحق تقرير المصير للفلسطينيين حسبما نَصَّت عليه اتفاقيات كامب ديفيد. همستُ في أُذُن الرئيس ميتران قائلًا:

«ـ إن كامب ديفيد لا يوجد بها أي ذكر لما يقول».

وألقى رئيس مدغشقر كلمة تناول فيها الموضوعات نفسها، فمال فرنسوا ميتران عليَّ وهمس في أذُني قائلًا:

«ـ هكذا يُصنع التاريخ».

تمت دعوة جميع الوفود للقيام بنزهة نهرية في سفينة عبر نهر سانت ـ لوران. جلس رؤساء الدول والحكومات معًا في جانب بينما جلس الوزراء في جانب آخر. لم يتساءل الوزراء عن سبب هذا الفصل. بعد فترة علمنا أنه قد وقع انقلاب عسكري في بوروندي، وأن الرئيس باجازا قد غادر الاجتماع وعاد إلى أفريقيا. أجمع رؤساء الدول على ضآلة فرصته في استعادة الحكم. تجنَّب الوزراء ـ وأنا منهم ـ التدخل فيما لا يعنينا أثناء حواراتنا.

كان من المثير رؤية مظاهر القلق الواضح على بعض رؤساء الدول الأفريقية، ففي تلك اللحظة، لا بُد أنهم أدركوا كيف أن السلطة زائلة بطبيعتها، ولا بُد أنهم قد حسبوا قيمة خسارة الامتيازات التي يعدها البعض أمرًا مفروغًا منه. هل

أدركوا أن خسارة السلطة ستكون لها تبعات خطيرة منها السجن أو النفي أو ما هو أسوأ؟

مونتريال: السبت، ٥ سبتمبر ١٩٨٧

لقاء مع الرعايا المصريين المستقرين في مونتريال. إنهم منقسمون على أنفسهم ويواجهون بعضهم البعض من خلال تجمعات متناحرة. مناقشات مهمة حول مشاكل مصر وواجبهم تجاه الوطن الأم على الرغم من حصولهم على الجنسية الكندية. لمستُ إلى أي مدى كانت سياستنا تجاه المصريين المغتربين سياسات قاصرة، هذا إذا اعتبرنا أن لدينا سياسات في هذا الشأن على الإطلاق. إنهم يجلبون إلى بلدهم موارد مالية تعادل ما تجلبه قناة السويس. لماذا لا نستقطبهم بإعطائهم نسبة من المقاعد في المجلسين التشريعيين أو إنشاء مجلس ثالث يجتمع سنويا؟

مونتريال: الأحد، ٦ سبتمبر ١٩٨٧

دعتني جمعية سورية ـ لبنانية لحضور قُداس. مناقشات. رقصات. أول مرة في حياتي أرى حفلات راقصة في كنيسة. عشاء مع بوبي صعب وزوجته جاكلين. إنه مهاجر كان يمكنه تأدية دور سياسي في العلاقات مع الشتات في كندا.

القاهرة: الأحد، ١٣ سبتمبر ١٩٨٧

جلسة افتتاح الدورة رقم ١٣ لمعهد القانون الدولي. لأول مرة ـ في تاريخ هذا المعهد العريق ـ يعقد دورته في مصر. بصفتي رئيسًا للمعهد، افتتحتُ الجلسة بخطبة استغرق إعدادها وصياغتها وقتًا طويلًا. مداخلة من رئيس الوزراء، عاطف صدقي.

إن انتخاب مرشح ما لرئاسة هذا المعهد يتطلب القيام بحملة دعاية انتخابية واسعة، تماثل في صعوبتها الحملات الدعائية للمرشحين في الانتخابات البرلمانية، بل ربما تكون هذه أصعب حيث يتطلب الأمر أن يكون المرشح معروفًا على المستوى الدولي. لم أنس بعد الفشل الذي مُنيتُ به عندما رشحتُ نفسي لهذا المنصب لأول مرة في دورة روما، ولم أنس كذلك فخري عندما نجحتُ في الحصول عليه.

القاهرة: الأحد، ٢٧ سبتمبر ١٩٨٧

افتتاح خط جديد لمترو الأنفاق في القاهرة بحضور جاك شيراك وجَمْع من الشخصيات البارزة. من الصعب التعرُّف على المدعوين وَسط هذا الحشد من ضباط الأمن. أُقيمت سهرة على مركب في النيل. قابلتُ الوزراء الأفارقة المدعوين. تمنيتُ أُمنيتيْن؛ الأولى: أن نَقْدر على أن يظل المترو على حالته الراهنة. والثانية: أن نُسرع بإنشاء خطوط جديدة تسمح بسيولة المرور في القاهرة.

القاهرة: الثلاثاء، ٢٩ سبتمبر ١٩٨٧

قَدَّم السفراء الجدد أوراق اعتمادهم للرئيس مبارك الذي كان مزاجه ممتازًا. كان يتحدث عن السلطة بمرح، فقلتُ له:

«ـ إنها تُدير الرأس مثل الخمر القوية».

فنظر إليَّ قائلا: «ـ أنا لا أشرب الخمر».

غداء في المطار مع الرئيس كاوندا الذي يمر بالقاهرة. استكملتُ معه تأملاتي عن السلطة فسألتُه:

«ـ ألم تُدر السلطة رأسك؟».

انفجر الرئيس كاوندا بالضحك وهو يقول:

«ـ عندما تقتسمها مع الغير لا يُمكنها أن تُدير رأسك».

احترامي للرئيس كاوندا منعني من التعقيب على ما قاله: فالسلطة الحقيقية غير قابلة للقسمة. كم من رؤساء دول، وكم من الوزراء، كانوا بسطاء للغاية لكنهم تبدلوا تمامًا عندما وصلوا للسلطة: فأصبحوا يستمعون لأنفسهم أكثر من استماعهم للغير، ويقاطعون محدثيهم قائلين: «ـ هذا موضوع مهم للغاية. ابعث لي بمذكرة مكتوبة»، وأصبحوا يتصفحون الجرائد بعصبية باحثين عن أسمائهم وصورهم، أو عن أسماء وصور منافسيهم. ولسوء حظك، لو كنتَ في مرحلة سابقة رئيسًا لهم في العمل، فإنهم يُخفون عجرفتهم تجاهك باصطناع احترام مزيف يكشف عن سرورهم لحلول الدور عليهم وممارسة الرئاسة عليك.

اجتماع جمعية الصداقة المصرية السوفييتية التي أرأسُها.

السفير حافظ إسماعيل نائب رئيس الجمعية قَدّم لنا تقريرًا عن زيارته الأخيرة لروسيا. علاقاتُنا تتقدم وهذا من دواعي رضائي التام.

عشاء مع البابا شنودة وأسقف كانتربيري الذي تحدث بانفعال عن ذكرياته الشخصية. هذه أول زيارة له لمصر، لكن زوجته كانت في شبابها تعمل مصففة شعر على ظهر سفينة فوَصَفَت له مصر وصفًا شائقًا.

في يوم واحد، قابلتُ ثلاثة رجال في السلطة: مبارك وكاوندا وأسقف كانتربيري. نجح هؤلاء الثلاثة في تجنُّب الوقوع تحت حالة النشوى التي يتسبب فيها خمر السلطة.. وهذا شيء نادر.

القاهرة: الجمعة، ٢ أكتوبر ١٩٨٧

لا يجب أن أنسى القيام بواجباتي المفروضة عليَّ بصفتي نائبًا في البرلمان: اجتماع كبير في حَيِّ «وكالة البلح»، وهو حي تجاري في قلب القاهرة ـ كان برفقتي: عبد القادر حاتم، والفريق أول أبو طالب، ورفعت المحجوب. كلهم أصدقائي وأعضاء في الحزب الحاكم. حضر الاجتماع معنا ابن أخي؛ يوسف ليعرف عن قرب أجواء ممارسة السياسة. خُطب ووعود يجب متابعة تنفيذها.

القاهرة: السبت، ٣ أكتوبر ١٩٨٧

في الصباح، قابلتُ سفير تشاد وهو مسلم ومتعدِّد الزوجات: إحدى زوجاته كاثوليكية والأُخرى بروتستانتية. قال بمرح:

«ـ إنني أُمثل تشاد المتصالحة مع نفسها، لكنني أُمثل أيضًا الدعوة لتوحيد كل الكنائس في كنيسة واحدة».

القاهرة: الثلاثاء، ٦ أكتوبر ١٩٨٧:

احتفال رسمي أمام «قبر الجندي المجهول» وقبر الرئيس السادات. حضر جميع الوزراء وكانوا كلهم مشغولين بالتعديل الوزاري القريب أكثر من انشغالهم بالاحتفال الرسمي على الرغم من أنه كان مؤثرًا للغاية.

القاهرة: الأربعاء، ٧ أكتوبر ١٩٨٧

عشاء عند سليم عيسى حضره داني شمعون، ابن رئيس الجمهورية اللبنانية الأسبق. إنه يأمل في السير على خُطى والده في الانتخابات الرئاسية التي ستتم في العام القادم. بدأ بعمل دعاية انتخابية حذرة. أُعجبتُ بنضجه السياسي ووقاره وإتقانه اللغات الأجنبية. مشكلة لبنان تكمُن في أن لديه كثيرين من المرشحين المتألقين.

القاهرة: السبت، ١٠ أكتوبر ١٩٨٧

أقمتُ حفل عشاء في منزلي على شرف دوق كِنْت وزوجته. شرفتنا السيدة سوزان مبارك ـ قرينة الرئيس ـ بالحضور. حضر العشاء ـ أيضًا ـ سفير بريطانيا وزوجته. في نهاية السهرة، أوصلتُ قرينة الرئيس حتى سيارتها وقلت لها:

«زيارتك نَوَّرت منزلي المتواضع».

فابتسمت وردت: «ـ ليس متواضعًا إلى هذه الدرجة».

قبل زيارتها، تم تنظيف الحي كله ومدخل العمارة، وتم إصلاح الأرصفة.

القاهرة: الاثنين، ١٢ أكتوبر ١٩٨٧

تم حل مجلس الوزراء وكُلِّف رئيسه ـ عاطف صدقي ـ بتشكيل الحكومة الجديدة. اجتمعنا كلنا في قاعات مجلس الوزراء. حسب المراسم، كنا ننتظر أن يستقبلنا رئيس الوزراء ـ كلًّا حسب دوره ـ لكي يُبلغه إما بخروجه من الوزارة، وإمَّا بالاستمرار في منصبه، وإمَّا بتكليفه حقيبة جديدة. راقبتُ زملائي في الوزارة باهتمام: بعضهم كان قلقًا، والبعض كان يعرف أنه سيحتفظ بحقيبته الوزارية، والبعض الآخر كان يعرف أنه سيخرج. كانوا أشبه بالطلاب الذين ينتظرون دخول الامتحان الشفوي، أي بهؤلاء الطلاب القلقين الذين يسألون كل مَنْ يخرج من «عرين» الأستاذ: «هل نجحتَ؟ هل أنت راضٍ؟ ما الأسئلة التي طرحها عليك؟»..

واليوم، هناك مَنْ سيخرجون من الوزارة، وهناك مَنْ سيستمرون فيها. هناك مَنْ يخفون خيبة أملهم قائلين:

«ـ أخيرًا، أصبحتُ حرًّا».

وهناك مَنْ يخفون فرحتهم مُعلنين:

«ـ الحزب يحتاج لخدماتي».

وهناك أيضًا مَنْ يتبجَّحون بقولهم:

«ـ إن وجودي ضروري في هذه الوزارة».

فإلى أي فئة من المستوزرين أنتمي أنا؟ في الحقيقة، كنتُ منشغلًا بوضع زملائي؛ لأن رئيس الوزراء كان قد أكَّد لي سلفًا أنني باقٍ، ولن يشملني هذا التعديل.

القاهرة: الثلاثاء، ١٣ أكتوبر ١٩٨٧

أقسم الوزراء اليمين الدستورية أمام رئيس الجمهورية.

عندما جاء دوري لأداء اليمين، مازحني الرئيس مبارك بلطف: «ـ أعتقدُ أنك ستُقسم اليمين باللغة الفرنسية».

لقد دَخَلْتُ الفرانكوفونية في أبهى لحظات حياتي السياسية.

القاهرة: الأربعاء، ١٤ أكتوبر ١٩٨٧

أثناء حفل العشاء الذي أقمتُه على شرف الوزير المغربي عبد اللطيف الفيلالي، طَلَب كأسًا من الويسكي. لا يجرؤ أي وزير ـ في العالم العربي ـ على شرب الخمر في حفل استقبال رسمي.

برافو!! لقد نجحت دولة المغرب في التحرُّر من عادات القرون الوسطى. وبدوري، طلبتُ كأسًا من الويسكي، ولم أتردد في شرب كأس ثانٍ.

بكين: الثلاثاء، ٢٠ أكتوبر ١٩٨٧

وصلتُ صباحًا إلى العاصمة الصينية. الجو بارد، والشوارع العريضة خالية. عشاء مع أعضاء الوفد المصري الذي سيُشارك غدًا في «ندوة الصين ومصر».

بكين: الأربعاء، ٢١ أكتوبر ١٩٨٧

افتتاح الندوة. ألقيتُ خطبة كان صديقي مجدي وهبة قد راجعها. أهمية العلاقات بين البلدَيْن تتطلّب أن نعرف بعضنا بشكل أفضل، وأن ندرس مشاكلنا المتبادلة، ونتحرك معًا لصالح السلام في العالم. قام ديبلوماسيان لامعان ـ حجازي ومرتضى ـ

بمداخلات جيدة. من الواضح أن باقي أعضاء الوفد أقل كفاءة. أمّا الصينيون، فقد كانوا ممتازين، فهم متمكنون تمامًا من المواضيع التي يتناولونها بالحديث، ويهتمون جدًّا بالأسئلة والانتقادات التي نُوجهها إليهم.

بكين: الخميس، ٢٢ أكتوبر ١٩٨٧

استقبلني رئيس الجمهورية حَسب مراسم بروتوكولية في غاية الإتقان. طرح عليّ أسئلة محدّدة عن الصراع بين تشاد وليبيا، وعن حرب العراق وإيران. تحدث عن زيارته لمصر، وكنتُ قد رافقته طوال هذه الزيارة. أبدى رغبته في التنحي عن الحكم لكي يترك الفرصة للشباب.

أثناء لقائي مع السفراء الأفارقة والعرب المعتمدين في بكين، لامني سفير العراق لأنني أعلنتُ أن العالم العربي منقسم على نفسه بخصوص الموقف الذي يجب اتخاذه حيال الحرب العراقية ـ الإيرانية. كان يُريد مني أن أُصرِّح أن العالم العربي يساند العراق بالإجماع. للأسف، فإن العالم العربي المسلم منقسم حول هذا الصراع، مع وجود خلفية الصراع المذهبي بين الشيعة والسُّنَّة.

بكين: الجمعة، ٢٣ أكتوبر ١٩٨٧

خُصِّصَت الجلسة الصباحية لمناقشة موضوع التعاون الصيني ـ المصري في المنظمات الدولية، خصوصًا في إطار منظمة الأمم المتحدة. تقدر كلٌّ من مصر والصين دور هذه المنظمة الدولية التي يتمكنان من خلالها من طرح آرائهما السياسية والتي تُتيح لهما التشاور مع ممثلي باقي دول العالم.

خرجت من الجلسة لأُؤَدي زيارة مجاملة لوزيرة الاقتصاد السابقة التي كانت قد رافَقَت الرئيس ليو في زيارته للقاهرة، وهي تشغل الآن منصب مدير البنك المركزي الصيني. إنها سيدة بشوشة الوجه، ومبتسمة، وتتذكر بسرور زيارتها لمصر.

الجلسة الأخيرة للندوة وهي الأكثر أهمية حيث تعرَّف أعضاء الوفدَيْن بشكل أفضل على بعضهم البعض، فأصبحا أقدر على التواصل. وطرحت أسئلة مثل: ما مستقبل منظمة الوحدة الأفريقية؟ أخفينا تشاؤمنا بصعوبة. كما طرحت أسئلة أخرى مثل: لماذا لا تشترك الصين نفسها في حركة عدم الانحياز؟

جاء الرد الصيني:

«ـ نعتقد أننا سنخدم الحركة بشكل أفضل لو بقينا مراقبين مما لو كنا أعضاء فيها».

يتفق هذا مع المواقف المعروفة للديبلوماسية الصينية. هذه هي الديبلوماسية الصينية الحقَّة!!

بكين: السبت، ٢٤ أكتوبر ١٩٨٧

زيارة لضريح ماوتسي تونج. في المساء، حفل باليه. حَضَرَت نجمة الفرقة لتحيتنا.

سيول: الخميس، ٢٩ أكتوبر ١٩٨٧

وصلتُ إلى سيول، ووضعتُ باقة زهور على قبر الجندي المجهول. لقاء مع وزير الخارجية ورئيس مجلس الوزراء. تمنوا أن تكون هذه الزيارة فرصة لإعلان عودة علاقاتنا الديبلوماسية رسميًّا. يجب عليهم أن يعرفوا أن كيم يانج سن قد أرسل خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ سربًا جويًّا لحماية المجال الجوي المصري، وأن الرئيس مبارك مُمتن جدًّا لهذا الموقف؛ فالتزم بألّا يُقيم أي علاقات في شبه الجزيرة الكورية إلَّا مع كوريا الشمالية. التقيتُ بأحد طُلابي الكوريين القدامى الدكتور آباس الذي جاء لتحيتي ومعه زوجته وأطفاله. تأثرتُ للغاية بإعجابه بالأستاذ الذي ساعده على إنهاء دراسته في مصر. بكل تأكيد، فإن سنوات التدريس الجامعي كانت بالنسبة لي مرحلة من أكثر المراحل التي شعرت فيها بالرضا خلال حياتي.

سيول: الاثنين، ٢ نوفمبر ١٩٨٧

قلَّدني رئيس الجمهورية، رون تامي وو؛ وسامًا. قال لي وزير الخارجية الذي قابلتُه للمرة الثانية في هذه الزيارة:

«ـ إنه وسام مهم جدًّا».

من المؤكد أن حكومة سيول تأمل في أن تُساهم هذه الزيارة في عودة العلاقات الديبلوماسية بين بلدَيْنا، على الأقل على مستوى العلاقات القنصلية، وهذا ما ألمحتُ إليهم به؛ لأنني لم آخذ الضوء الأخضر من القاهرة. لدينا قنصل كوري جنوبي مُعتَمَد في القاهرة، ومبدأ المعاملة بالمثل يتطلب منَّا تعيين قنصل مصري في سيول.

القاهرة: الخميس، ٥ نوفمبر ١٩٨٧

كنتُ أتمنى أن يؤيدني عصمت عبد المجيد وعاطف صدقي في مطالبتي للرئيس مبارك بعودة العلاقات الديبلوماسية مع سيول. أغلب الدول تُقيم علاقات مع بيونج يانج وسيول في الوقت نفسه. يجب أن نفعل مثلهم. لا بُد من الحصول على موافقة مبارك، مع أنني أعرف أسباب رفضه. لكن عبد المجيد وصدقي كانا أكثر حكمة، أو ربما أكثر تحفظًا مني، ويبدو أنهما قررا أن يتركاني أُنجز هذه المهمة وحدي.

القاهرة: الأحد، ١٥ نوفمبر ١٩٨٧

اجتماع لمجلس الوزراء. مناقشة عقيمة: هل يجب أن نُصدر بيانًا نعبِّر فيه عن ارتياحنا لعودة العلاقات الديبلوماسية مع الأُردن؟ أو هل يجب أن نُولي هذا الحدث قدرًا أقل من الأهمية، ونترك لوزارة الخارجية مهمة إصدار هذا البيان؟ في النهاية، وافق المجلس على الحل الثاني.

القاهرة: الاثنين، ١٦ نوفمبر ١٩٨٧

لقاء مع أكثر من ٤٠ سيدة أفريقية هن المسئولات عن التعاون الريفي في بلادهن. في المساء، لقاء مع وزير خارجية بنين، وهو شخص ضخم وقوي البنية وعباراته متقطعة. إنه لا يتمتع بهذه الحرارة وهذه التلقائية الأفريقية اللتين تميز بهما اجتماع هذا الصباح.

القاهرة: الثلاثاء، ١٧ نوفمبر ١٩٨٧

لقاء في نادي الروتاري حول مشاكل أفريقيا. كان أعضاء الروتاري يفضلون الحديث عن موضوع آخر، لكني أصررتُ على الحديث عن موضوع أعرف أنه قد لا يهم الرأي العام المصري. أغلب أعضاء هذا النادي لهم علاقات عمل مع أُوربا.

القاهرة: الخميس، ١٩ نوفمبر ١٩٨٧

ذهبتُ إلى كليتي، كلية الحقوق بجامعة القاهرة. العميد الجديد دكتور الغندور رجل لطيف ونشط. تحدثتُ معه عن موضوع المحاضرة التي سألقيها أمام مجموعة

من الطلاب حول سياسة مصر الأفريقية. شعرتُ بارتياح شديد لأن الجيل الجديد أبدى اهتمامًا ملحوظًا بهذا الموضوع أكثر من أعضاء الروتاري.

القاهرة: الجمعة، ٢٠ نوفمبر ١٩٨٧

السيدة الأولى في «مالاوي» تزور القاهرة. ألْمَح مستشارو الرئيس مبارك إلى أنها ليست فعليًّا السيدة الأولى، وأنهم لا يعرفون بأي صفة سيستقبلها الرئيس مبارك. في كل الأحوال وصلت «السيدة الأولى» وبرفقتها عشر سيدات صغيرات السن أبدين الكثير من البهجة للتعبير عن الامتنان لاستقبالهن في مصر. نظر موظفو المطار إليَّ بدهشة وتحسب حيث كانت مرافقات السيدة الأولى يتمايلن رقصًا وهن مرتديات الزي الوطني لبلدهن الذي طُبعت عليه صورة رئيس البلاد من الأمام والخلف وعندما كن يتمايلن مع إيقاعات الموسيقى المليئة بالحيوية، كانت ملامح صورة الرئيس العجوز المطبوعة على ملابسهن تبدو كأنها تتحرك.

القاهرة: السبت، ٢١ نوفمبر ١٩٨٧

استقبلتُ السيدة الأُولى لمالاوي في مكتبي وبصحبتها تلك المجموعة المرحة من السيدات. واتفاقًا مع تقاليد بلادها جثت السيدة الأولى على ركبتها أمامي، ثم سلمتني رسالة الرئيس باندا. سَبَق لي أن لاحظتُ هذا التقليد في مالاوي؛ حيث يتسلم الرئيس الوثائق من أيدي وزرائه وهم راكعون أمامه. وهذا التقليد معمول به في تايلاند.

قابلتُ ريمون بار. تحدثنا عن الديون الأفريقية، وعن ذكرياتنا عندما كان يترأس لجنة التحكيم التي تمنح شهادة الأُستاذية الرفيعة في تونس وكنتُ عضوًا بها. تحدثنا عن مطعم «شيه نوو» حيث كان أعضاء لجنة التحكيم يلتقون لتناول الغداء.

القاهرة: الاثنين، ٢٣ نوفمبر ١٩٨٧

في الصباح، استقبل الرئيس مبارك السيدة الأُولى لمالاوي على الرغم من الاعتراضات المتحفظة لبعض مستشاريه، وكما هو معمول به في تقاليد بلادها جثت السيدة الأُولى على رُكبتَيْها أمامه، وزَحَفَت نحوه لتسليمه رسالة الرئيس باندا. نظر إليّ الرئيس مبارك منزعجًا، فلقد نسيتُ أن أنبهه لهذا التقليد المتبع في مالاوي عند

تسليم الرسائل. ازداد قلق الرئيس بينما كانت السيدة الأولى تقترب منه وهي زاحفة على ركبتَيْها. تدخلتُ قائلًا:

«هذا من تقاليد مالاوي يا سيدي الرئيس. لا تقلق».

بعد المقابلة، استدعاني الرئيس مبارك وقال لي:

«ـ إنك تجعلني أُجري مقابلات غريبة مع الرؤساء الأفارقة».

«ـ هذا كله من أجل توطيد زعامتك وزعامة مصر في أفريقيا يا سيادة الرئيس...».

أديس أبابا: السبت، ٢٨ نوفمبر ١٩٨٧

وصلتُ إلى أديس أبابا مع مجموعة من الديبلوماسيين والرسميين المكلفين بحضور الاجتماعات التمهيدية لقمة تعقد حول الديون الأفريقية. سيحضر رئيس الوزراء عاطف صدقي، ووزير التعاون الاقتصادي موريس مكرم الله هذا المؤتمر، واشترط رئيس الوزراء وجودي معه قائلًا:

«ـ أنت تعرف كل الحكام الأفارقة، وستحضر معي المباحثات كافة».

أديس أبابا: الأحد، ٢٩ نوفمبر ١٩٨٧

وصل رئيس الوزراء من القاهرة متأخرًا ساعة زمن. هذه أول زيارة له لإثيوبيا. بدا عليه التعب بسبب ارتفاع المدينة عن سطح البحر.

أديس أبابا: الاثنين، ٣٠ نوفمبر ١٩٨٧

اللقاء الأول كان غير رسمي. حضره رؤساء خمس دول فقط، وخمس رؤساء وزارات. هذا دليل على أن الدول الأفريقية لا تتعامل بجدية مع هذا الاجتماع الذي أعَدَّته منظمة الوحدة الأفريقية. استقبل منجستو عاطف صدقي الذي عرف كيف يأثر هذا الرجل الإثيوبي صاحب الميول السياسية الشيوعية. تناولت محادثات صدقي ومنجستو أزمة الثقة بين السودان وإثيوبيا. صَرّح منجستو له أن الصادق المهدي رئيس وزراء السودان الحالي أسوأ بكثير من جعفر النميري، رئيس السودان السابق.

العلاقة بين الخرطوم وأديس أبابا أكثر توترًا مما كنا نظُن.

هذه فرصة ضائعة أُخرى كانت ستجعل الديبلوماسية المصرية تقوم بدور الوسيط، وكان من المحتمل أن تؤدِّي إلى أن تضمن لمصر رئاسة ما يعرف باسم الإدارة الثلاثية لمياه النيل.

أديس أبابا: الثلاثاء، الأول من ديسمبر ١٩٨٧

من دون أي إعداد مسبق، فوجئتُ بزيارة مفاجئة قام بها الهادي البكوش رئيس وزراء تونس وبرفقته المنستيري وزير خارجيته. تحدثنا في مواضيع عدة وشتى من بينها نادي باريس، الصراع بين ليبيا وتشاد، الاشتراكية الدولية الأفريقية...، وغير ذلك. هذا اللقاء الأخوي كان مفاجئًا لي إلى أقصى درجة، خصوصًا وأن أجهزة مخابراتنا كانت قد أبْلَغَت عاطف صدقي عن عقد اتفاق سري بين ليبيا وتونس؛ بمقتضاه، تلتزم تونس بعدم إعادة علاقاتها الديبلوماسية مع مصر؛ وفي المقابل، تحصُل على معونة مالية سخية من ليبيا.

سافر عاطف صدقي إلى القاهرة وسأُسافر إلى جيبوتي. أخبروني بأنه لا توجد مقاعد في الطائرة المتجهة إلى جيبوتي. لكن روبير إسكندر سفيرنا في أديس أبابا تدخّل لدى السلطات واستطاع أن يجد مقاعد لكل الوفد المرافق.

أديس أبابا/جيبوتي: الأربعاء، ٢ ديسمبر ١٩٨٧

لدهشتنا الشديدة، كانت مقاعد الطائرة خالية تمامًا وكُنا نحن الركاب الوحيدين. وعندما هبطت الطائرة في مدينة ديري دوا في منتصف المسافة بين أديس أبابا وجيبوتي، تمكنا من فهم حقيقة الأمر؛ فعلى كل مقعد خالٍ، كانت توجد لفافة من نبات القات المخَدِّر. ولكي يحتفظ القات بكل مذاقه، يجب نقله في درجة حرارة خاصة لا تتوفر إلا بوجود الهواء المكَيَّف. وتشتهر منطقة ديري دوا بزراعة أفضل أنواع القات. وعندما وصلنا إلى جيبوتي وجدتُ حشدًا متجمعًا أسفل سلم الطائرة. ولأول وهلة، تصورتُ أن الجماهير قد جاءت لاستقبالي فشعرتُ بالنشوة تغمرني من الأهمية التي بدا لي أن هذه الحشود توليها إلى شخصي. لكن هذا الحشد لم يحضر للمطار سوى بسبب وجود لفات القات على الطائرة. لقد كانوا كلهم من التجار الذين جاءوا لاستلام هذه الشحنة الثمينة.

تاناناريف: الخميس، ٣ ديسمبر ١٩٨٧

قضيتُ ليلة مرهقة للغاية؛ فالطائرة تأخرت لأكثر من خمس ساعات. وصلتُ تاناناريف فجرًا ونمتُ في الطابق الثالث عشر في فندق هيلتون. قضيتُ السهرة مع السفير والديبلوماسيين الشباب، وهم جادون وأذكياء ونشطاء. أحد أهم أهداف زيارة وزير الخارجية لبلد ما هو تقييم حُسن أداء سفارته ومدى التواجد الواضح لأعضاء السفارة في الأوساط المحلية للبلد الموفدين إليه.

تاناناريف: الجمعة، ٤ ديسمبر ١٩٨٧

افتتاح أعمال لجنة التعاون المشترك، إلقاء خُطبة وإعداد بيان مشترك وعقد اتفاقية تعاون. في المساء، حفل استقبال في فندق هيلتون أقامه تونيو بورج وحضرته تاناناريف كلها. جاء بعض طلابي القدامى لتحيتي.

تاناناريف. السبت، ٥ ديسمبر ١٩٨٧:

زيارة لميناء تاماتاف، وهي المدينة التي يرتبط اسمها بكونها مسقط رأس رئيس الجمهورية، إلى جانب أنها كانت قد تعرضت لإعصار شديد كاد أن يدمرها بالكامل.

تاناناريف: الأحد، ٦ ديسمبر ١٩٨٧

قضيتُ ست ساعات في القطار لزيارة مدينة آنتسيرابين. الفندق قديم وتم ترميمه. توجد بالمدينة حمامات مياه معدنية حارة. المنشآت مهجورة. في هذه المدينة نُفي ملك سابق للمغرب وحُدِّدت إقامته.

استقبلنا الحاكم الذي يحلم بمشاريع كثيرة لتطوير مدينته. للأسف، تنقص الأموال اللازمة. سمعتُ هذه الشكوى اللانهائية في مختلف مدن العالم.

تاناناريف: الاثنين، ٧ ديسمبر ١٩٨٧

يشتهر رئيس الجمهورية ديديه راتسيراكا بنبرة صوته العالية. سلمته رسالة من الرئيس مبارك. سألني عن انطباعي عن المدن التي زرتُها وقال لي:

«ـ أنا الذي وضعتُ برنامج رحلتك. إنني أحْرِص على أن يتعرف ضيوفنا على بلدي ولا يكتفون بزيارة العاصمة فقط».

يبدو أنه يطمح في رئاسة منظمة الوحدة الأفريقية. أعتقدُ أنه يُريد أن تُعقد القمة المقبلة في تاناناريف. غير أن ذلك الاهتمام لا ينفي أن الأولوية بالنسبة له هي علاقات بلده بفرنسا وليس بدول أفريقيا.

أثناء حفل الاستقبال الذي أقامه سفير مصر، التقيت بسفيرة الولايات المتحدة الأمريكية التي صَرَّحَت لي بأنها شربت الشمبانيا هذا الصباح مع سفير الاتحاد السوفييتي احتفالًا بلقاء ريجان بجورباتشوف. هل تسير الأمور في اتجاه إنهاء الحرب الباردة؟

لقاء مع رئيس البرلمان الذي يتحدث بصعوبة كما أنه يخلط ما بين مصر والجزائر. تجنبتُ تصحيح معلوماته: على كل حال، فالبلدان عربيّان.

دُعيتُ لزيارة الأكاديمية المالاجاشية التي يتمنى البعض أن تكون على نسق مطابق من الأكاديمية الفرنسية، حيث تم اختياري عضوًا بالمراسلة، وهو الأمر الذي استتبعه إلقاء مجموعة طويلة من الخُطب بهذه المناسبة.

باريس: الخميس، ١٠ ديسمبر ١٩٨٧

رحلة إلى باريس ـ نيس ـ آنتيُب لحضور مؤتمر قمة فرنسا ـ أفريقيا. اجتماع تمهيدي على مستوى وزراء الخارجية.

آنتيب: الجمعة، ١١ ديسمبر ١٩٨٧

حفل افتتاح مهيب في مقر المؤتمرات في آنتيب. خطبة لموبوتو ثم لإياديما ثم لميتران. كانت مسألة الديون الأفريقية هي محور المؤتمر الأخير في أديس أبابا. اليوم أيضًا ما زالت على جدول أعمال القمة.

غداء في مطعم «إيدين روك». دعاني ميتران للجلوس على مائدته. هذا شرف عظيم لي لأنني كنتُ الوزير الوحيد بينما كان باقي الحضور من رؤساء الدول. تُتيح هذه اللقاءات لرؤساء الدول الأفارقة توثيق علاقاتهم الشخصية ببعضهم البعض، وتسمح لهم أيضًا بأن يُذكِّروا فرنسا بالمعونات المنتظرة أو بتلك التي طُلِبَتْ منها مؤخرًا.

باريس: الاثنين، ١٤ ديسمبر ١٩٨٧

استجاب الرئيس مبارك لطلبي، فوافق على استقبال الرئيس عبد الله ـ رئيس جمهورية جُزر القُمُر ـ بعد نهاية مؤتمر قمة فرنسا ـ أفريقيا، بل إن طائرة الرئاسة المصرية ستُقلع إلى باريس لكي يستقلها الرئيس عبد الله من هناك إلى القاهرة. في الدقيقة الأخيرة، أبلغني معاونو الرئيس مبارك أنه قد غَيَّر رأيه وأن الرئيس عبد الله سيركب طائرة ركاب عادية. كيف يمكنني تفسير هذا التغيير المفاجئ لرئيس جُزُر القُمُر؟

قلتُ له: «ـ إن طائرة الرئاسة المصرية تُجرى لها عملية إصلاح. لكننا حجزنا لكم كل مقاعد الدرجة الأولى على الطائرة البوينج التابعة لشركة مصر للطيران».

ابتسم الرئيس عبد الله في وجهي. أعتقد أن العذر الذي حاولت تقديمه لم ينطل عليه لأننا عندما صعدنا للطائرة فوجئنا بأننا لم نكن وحدنا: فقد كان بعض طياري الشركة عائدين من نيويورك وشغلوا بعض مقاعد الدرجة الأولى. علَّق الرئيس عبد الله على هذا الوضع تعليقًا لا يخلو من نسبة من الاستخفاف قائلًا:

«ـ في البداية، قلتُم لي إننا سنستقل طائرة خاصة. بعد ذلك، قلتم إن الدرجة الأولى ستكون محجوزة بالكامل لنا».

«ـ سيدي الرئيس، إنهم رجال أمن موجودون لحمايتكم».

لا أعرف ما إذا كان رئيس جمهورية جُزر القُمُر قد صَدَّق هذه الكذبة الدبلوماسية أم لا، لكنه هَدَأ.

في مطار القاهرة، انتظر الرئيس مبارك ضيفه أسفل سُلَّم الطائرة. اتجهنا مباشرة لقصر القبة لتناول العشاء. استقبله الحرس الجمهوري استقبالًا حافلًا. أخبرني معاونو الرئيس مبارك أنه لن تُلقى أية خُطب أثناء العشاء. اعترضتُ بشدة قائلًا:

«ـ يجب عليكم احترام البروتوكول حتى ولو كان المدعو رئيس بلد صغير».

سارعتُ إلى حيث يجلس الرئيس عبد الله وهمست في أذنه قائلًا: «بعد العشاء، فخامتكم مدعو لإلقاء خُطبة مختصرة».

ارتجل الرئيس عبد الله خُطبة باللغة الفرنسية وسط دهشة الجميع فاضطر الرئيس مبارك للرد عليه باللغة العربية. فوجئ المترجمون الفَوْريون بهذه المداخلات غير

المتوقَّعَة، فشعروا بالحَرَج، لكن المهم أنه تم احترام قواعد البروتوكول في اللقاءات والمآدب الرئاسية.

القاهرة: الثلاثاء، ١٥ ديسمبر ١٩٨٧

اللقاء بين الرئيسيْن مبارك وعبد الله تم على أفضل وجه، وذلك بالرغم من خشيتي أن يسود التوتر في الأجواء؛ فقد بدأ الرئيس عبد الله حديثه بذكاء قائلًا:

«ـ أنا رجل عجوز (وُلد في سنة ١٩١٩) وأنت شاب. أنا رئيس دولة صغيرة وأنت رئيس دولة كبيرة. إذن، فأنت أكبر مني».

القاهرة: الأربعاء، ١٦ ديسمبر ١٩٨٧

استقبل شيخ الأزهر رئيس جمهورية جُزُر القُمُر قبل قيام الأخير بجولة سياحية. قال لي الرئيس عبد الله:

«ـ أريد منكم أن تضعوا تحت تصرفي طائرة خاصة تقلني إلى جُزُر القُمُر».

واجهتني الصعوبات نفسها للحصول على موافقة الرئيس مبارك. شرحتُ للرئيس عبد الله للمرة الثانية أن طائرة الرئاسة المصرية ما تزال تحت الإصلاح. فعقب بضيق على ما قلتُه:

«لا تقلق. سأطلبُ ذلك من ملك المغرب».

اجتماع محدود ضم الرئيس مبارك والمشير أبو غزالة لمناقشة الوضع في السودان. تقرَّر أن أسافر إلى إثيوبيا لتسليم الرئيس منجستو رسالة جديدة. وبعدها، سألتقي بالرئيس الأوغندي القادر على القيام بدور الوسيط في هذه الأزمة.

القاهرة: الخميس، ١٧ ديسمبر ١٩٨٧

رافقتُ الرئيسيْن، مبارك وعبد الله، من قصر القبة حتى مطار القاهرة. شعرتُ بالخجل عندما وجدتُ طيارين مغاربة يرتدون الزي الرسمي بطائرتهم الرابضة على أرض المطار في انتظار الرئيس عبد الله. أخفيتُ مشاعري بصعوبة وأنا أتحدث مع الرئيس مبارك:

«ـ كان من الأليَق أن يستقل الرئيس عبد الله طائرة مصرية بعد زيارته لمصر».

فرد الرئيس عليَّ بضحكة ساخرة قائلًا:

«ـ لكنك تعرف جيدًا أن طائراتنا تحت الإصلاح».

القاهرة: الجمعة، ١٨ ديسمبر ١٩٨٧

دعاني فينوجرادوف رئيس جمعية الصداقة المصرية السوفييتية لزيارة موسكو والتوقيع على اتفاقية تعاون بين جمعيتَي الصداقة بين البلدَيْن.

حضرتُ حفل زفاف ابنة السفير يحيى رفعت، المدير السابق لإدارة المراسم بالخارجية، الذي طالما عملت معه لتسوية الكثير من المشاكل الحساسة المثيرة للنزاع التي تنشأ بسبب ترتيب الأسبقيات الرسمية.

القاهرة: الأربعاء، ٢٣ ديسمبر ١٩٨٧

يقوم الرئيس ميتران بزيارة خاصة لمصر. كُلِّفتُ باستقباله. وصلت طائرته متأخرة ساعتَيْن. شرح لي أن الصحافة عَلِمت برحلته هذه وأنه قَرَّر اختصار مُدتها، لكن لا بُد له من زيارة أسوان وحتى يتم له ذلك، نزل ضيفًا في قصر القبة.

القاهرة: الاثنين، ٢٨ ديسمبر ١٩٨٧

في الفجر، سافرتُ لأديس أبابا حاملًا رسالة لمنجستو. أبدى صادق المهدي استعداده للذهاب إلى كامبالا لمقابلته؛ وفي الوقت نفسه، أبدى الرئيس مبارك استعداده لاستقبال المهدي ومنجستو في القاهرة. عند وصولي إلى أديس أبابا، علمتُ أن منجستو سيستقبلني غدًا صباحًا.

أديس أبابا/كامبالا: الثلاثاء، ٢٩ ديسمبر ١٩٨٧

لقاء مع منجستو. أبلغته أن القاهرة مستعدة للوساطة. منجستو راض عن الخطاب الحميم الذي أرسله له مبارك، وعن استعداده لاستضافة المحادثات المحتملة بينه وبين الصادق المهدي.

غادرتُ أديس أبابا متوجهًا إلى عنتيبي. قابلتُ الرئيس موسيفيني في حدائق «الستيت هاوس». كان لطفًا منه أن ينتقل من كامبالا إلى عنتيبي للقائي. أخبرني أنه يشعر بالقلق الشديد لتدهور الوضع في جنوب السودان بسبب الحدود المشتركة

بين البلدَيْن لأن خط الحدود يقسم القبيلة الواحدة إلى نصفَيْن. صَرَّح موسيفيني أنه مستعد للوساطة بين الدولتَيْن.

فور انتهاء لقائي بموسيفيني، ركبتُ الطائرة إلى نيروبي حيث تناولتُ العشاء مع وزير الخارجية.

نيروبي/الخرطوم: الأربعاء، ٣٠ ديسمبر ١٩٨٧

سافرتُ إلى ناكورو الواقعة على بُعد ٣٠ دقيقة من نيروبي بالطائرة حيث يقضي الرئيس آراب موي إجازته. قرأ باهتمام رسالة مبارك. عَبَّر هو الآخر عن قلقه الشديد بسبب تدهور الأوضاع في جنوب السودان لكنه لم يقترح أي حل. كان يشعر بالفخر الشديد لأن الرئيس مبارك يطلب نصيحته.

عدتُ إلى نيروبي حيث قابلتُ سفير السودان وصديقي بونا ماوالوال، الزعيم الجنوبي الكبير، الذي صَرَّح لي قائلًا وهو يؤكد على كلماته:

«ـ لن نستطيع بدء أية مفاوضات جادة إلَّا بعد تحقيق شرطَيْن؛ إلغاء تطبيق الشريعة الإسلامية في الجنوب، وحصول الجنوبيين على الحكم الذاتي».

وصلتُ بالطائرة إلى الخرطوم بعد رحلة استغرقت ثلاث ساعات. زرتُ وزير خارجية السودان.

الخرطوم/القاهرة: الخميس، ٣١ ديسمبر ١٩٨٧

الإفطار مع الصادق المهدي. رجل ذكي ومثقف لكنه متردد. ثم قابلتُ الميرغني. لم أخرج بأية نتيجة إيجابية من هذَيْن اللقاءين. عدتُ للقاهرة. باختصار، كانت هذه الجولة بلا طائل. وفي الواقع، لم يكن أحد يتوقَّع أية نتيجة فورية، لكن الهدف كان جعل الحكام يدركون خطورة الوضع، وإعلامهم بأن مصر مستعدة للتدخل لحل المشكلة.

السودان ينقسم إلى شمال يجمع بين أصحاب الأصول النوبية والمسلمين الأصوليين وجنوب مكوَّن من قبائل أفريقية مختلفة، بعضها يدين بديانة أفريقية والأخرى تدين بالمسيحية. وهذا الوضع أكثر تعقيدًا ـ بكثير ـ مما يبدو عليه للوهلة

الأولى. أما المثقفون الذين يدافعون عن وحدة السودان، أي الدولة المدنية بكل أبناء السودان، فهم قلة قليلة ولا وزن يذكر لهم على الساحة السياسية.

لقد كنتُ آمل دائمًا في قيام وحدة بين السودان ومصر، وحدة تسمح بتجاوز الشَّرْخ الموجود بين شمال السودان وجنوبه.

لو كانت مصر قد اهتمت اهتمامًا خاصًّا بالجنوبيين فيما يتعلق بتقديم منح لهم في جامعاتنا، وبإنشاء مستشفيات، وما إلى ذلك فلرُبما ساهم هذا الوجود المصري في الحفاظ على وحدة السودان. لكن اهتمام المسئولين المصريين بالمأساة الفلسطينية، والتركيز على العلاقات مع أوروبا قد أديا بنا إلى تهميش السودان ومشكلاته حيث احتلت المشاكل التي تقع على نهر الأردن مكانة تلك الواقعة على نهر النيل بالنسبة لاهتماماتنا الدبلوماسية.

هذا المساء، أقضي ليلة رأس السنة الجديدة وأنا حزين لأن ليا ترقد في الفراش مريضة بالالتهاب الرئوي، ولأنني واثق من أننا خسرنا السودان الموحد.. وأننا قد ساهمنا في تفتيته.

الفصل السابع

□ زيارة مؤثرة لمنابع النيل الأزرق □ لقاء مع ملك سوازيلاند □ جولة في العواصم الأوروبية؛ من أجل ديون أفريقيا □ صورة لبيك بوتا تحت سفح الأهرامات □ عرض كابوكي في أوبرا القاهرة.

القاهرة: السبت، ٢ يناير ١٩٨٨

قدمت تقريرًا للرئيس مبارك عن مهمتي في السودان. الرئيس متفق معي على أنه كان يجب علينا إعطاء المزيد من الوقت والجهد والأفكار لحل المشاكل السودانية. لكن يبدو أن الرئيس يثق في تعامل أجهزة المخابرات مع هذا الملف أكثر من ثقته في التعامل الديبلوماسي معها.

على الرغم من إصراري ما زال الرئيس رافضًا لأن يترشح لرئاسة منظمة الوحدة الأفريقية في القمة المقبلة. سألته: ـ «إذن، هل سنستعد لسنة ١٩٨٩؟».

«ـ لا أحب الالتزام بوعود تربطني في المستقبل القريب أو المستقبل البعيد».

لا يبدو لي أن هذا الموقف هو تعبير عن التردد أو تراجع عن التزامات وطنية، ولكنه يبدو لي معبرًا عن خليط من الحذر التلقائي والقدرة على الحدس لما يقدر عليه المرء وما يحب الحصول عليه.

القاهرة: الاثنين، ٤ يناير ١٩٨٨

أثناء حفل عشاء أقيم على شرف رئيس بنجلاديش خالد حسين إرشاد تهامس البعض بأنه جاء لتحضير منفاه الديبلوماسي في مصر. يا لها من حكمة أن يستعد الحاكم لفترة ما بعد زوال السلطة. لاحظتْ قرينة الرئيس غياب ليا، فشرحتُ لها السبب:

«إنها مريضة وملازمة للفراش منذ بضعة أيام، لكنها تتعافى يومًا بعد يوم».

القاهرة: الأربعاء، ٦ يناير ١٩٨٨

مكالمة هاتفية من الرئيس. سألني:

«ـ لماذا ألمحتَ للكوريين بأننا سنفتح قنصلية في سيول؟ لا أنوي إقامة أي علاقات مع كوريا الجنوبية ولو حتى على المستوى القنصلي».

«ـ سيدي الرئيس، ما التبرير الذي يجب أن أقدمه لسلطات سيول التي تُصر على أهمية إقامة علاقات قنصلية انتظارًا لإعادة العلاقات الدبلوماسية؟».

«ـ قل لهم: إن فريق كرة القدم الكوري الجنوبي قد هزم الفريق المصري».

لم يكن أمامي سوى أن أضحك على هذه المزحة، لكنها بالتأكيد لم تكن لتساعدني على تحسين علاقاتنا بسيول كما كنتُ أتمنى. يبدو لي أن الرئيس قد وَعَدَ زعيم كوريا الشمالية كيم يونج سان بمقاطعة كوريا الجنوبية وما يزال متمسكًا بوعده.

أستعد لرحلتي القادمة في أفريقيا. ربما تكون الخامسة. ومع ذلك، فإنني أتساءل منذ فترة وبقلق عما إذا كانت سياستي إزاء أفريقيا خاطئة أم لا؟ ألم يُكن من الأجدى أن أكرس طاقتي لتقوية علاقاتنا بالقوى العظمى الآسيوية مثل الصين والهند واليابان والدول الغربية؟

إن مصر بلد نامٍ، ويجدُر به أن يأخُذ لا أن يُعطي ويُساعد الدول الأفقر منه. ما جدوى هذه الرحلات التي أقومُ بها لمختلف العواصم الأفريقية، أو أن تقوم القاهرة بزيادة طفيفة في عدد المعارين المصريين لأفريقيا، أو أن تقدم بضع المنح الدراسية لطلاب أفارقة؟ ما فائدة دعوة رؤساء الدول الأفريقية لزيارة القاهرة والمعابد الفرعونية في الصعيد، أو التوقيع على بيانات مشتركة؟ سأكون أول من يرد قائلًا:

«ـ إنها لا تفيد بشيء إلا إذا كانت لنا علاقات خاصة مع السودان والدول الواقعة على ضفاف نهر النيل».

فلماذا، إذن، لا نقصر نشاطنا إلا على هذه البلاد الأفريقية الثمانية التي توجد بها منابع النيل؟ سأرد قائلا:

«ـ لأننا لعبنا دورًا أساسيًا في تحرير أفريقيا من الاستعمار الغربي، ولأن سياسة

عدم الانحياز تتطلب منا بالضرورة الالتزام بهذا التعاون بين دول الجنوب. وإذا أردنا أن يكون لنا دور على المستوى العالمي، يجب علينا معرفة كيف نساعد الدول النامية، ونتعامل معها حسبما أقر مؤتمر باندونج وسياسة عدم الانحياز.

إنني أطرح هذه الأسئلة على نفسي بانتظام، وأردُّ عليها دائمًا بالإجابات نفسها قبل القيام بجولة أفريقية جديدة وأنا ممتلئ بالتفاؤل والنشاط.

كوناكري: الاثنين، ١١ يناير ١٩٨٨

عند وصولي إلى كوناكري، كان السفير المصري غائبًا «لعُذر مَرَضي»، وهو موجود حاليًا بالقاهرة. لم أكن قد أخطرت أحدًا بذلك. وسواء أكان موجودًا أم غائبًا فهذا لن يغير من الأمر شيئًا، إنه واحد من هؤلاء الدبلوماسيين الذين عُينوا في أفريقيا؛ لأن العناصر الأفضل قد أرسلت إلى العواصم الأوروبية. باختصار، فإن تمثيل مصر ضعيف في كوناكري.

اجتماع اللجنة المصرية الغينية. وزير الخارجية مامادي إيرا وري رجل عسكري سابق، وهو مهذب ويقظ ويسمح لمعاونيه بالحديث، وهذا شيء نادر في العالم الدبلوماسي ـ العسكري. من الواضح أن من يتحدثون هم فقط الذين يجيدون اللغة الفرنسية.

كوناكري: الثلاثاء، ١٢ يناير ١٩٨٨

قضيتُ النهار في ضواحي كوناكري. نزلتُ ضيفًا على «شركة معدن البوكسيت». استقبلني حرس شرف. زرت مصنع تحويل معدن البوكسيت، وكذلك ميناء لتصديره. حفل الكوكتيل في كوخ هائل يُستخدم بمثابة «دار الضيافة».

كوناكري: الأربعاء، ١٣ يناير ١٩٨٨

لقاء مع وزير الخارجية السابق الذي عُين حاليًا في منصب وزير في رئاسة الجمهورية، ومُكلف بالتعاون الدولي، ومع جان تراوري، وهو برتبة رائد، ويُشاع عنه أنه مُقرب جدًّا من الرئيس.

كوناكري: الخميس، ١٤ يناير ١٩٨٨

التوقيع على بيان مشترك يتناول المواضيع ذاتها التي ترد في أغلب الوثائق الموقعة مع الدول الأفريقية. لكننا ما زلنا غير قادرين على طرح أفكار أفضل لما يجب أن تتضمنه هذه البيانات.

رئيس الجمهورية لانسانا كونتي ليست لديه تلك الحيوية ولا الروح القتالية اللتان كان يحظى بهما سيكوتوري. قرأ بصعوبة رسالة الرئيس مبارك، واستمع بدون اهتمام كبير لشروحاتي التي قدمتُها له عن السياسة المصرية إزاء الصراعات الأساسية في أفريقيا والشرق الأوسط. وهو على العكس من سيكوتوري الذي كان يعرف كيف يؤثر في محدثيه ويأثرهم بحديثه الساحر، ويكسب ثقتهم. لانسانا كونتي يبث فيمن يتحدث إليه ذلك الإحساس بالتعب والملل. قالوا لي إن السبب في ذلك يرجع لمشاكل صحية يُعانيها.

حفل استقبال كبير في قاعة المؤتمرات التي شيدها سيكوتوري؛ احتفالا بالعيد الخامس والعشرين لإنشاء منظمة الوحدة الأفريقية. رقصات شعبية، جو مليء بدفء المشاعر الأخوية. يبدو أنني قد تجاوزت شكوكي فيما يتعلق بالسياسة التي يجب على مصر أن تتبعها إزاء الدول الأفريقية.

القاهرة: الاثنين، ٢٥ يناير ١٩٨٨

افتتاح المؤتمر الدولي المخصص لأفريقيا. ألقى العديد من نجوم عالم الدبلوماسية الخُطَب: إيديه أومارو السكرتير العام لمنظمة الوحدة الأفريقية، وعاطف صدقي رئيس وزراء مصر، وأولوي سيجون أوباسانجو رئيس نيجيريا السابق، ولويس إيتشيفيريا رئيس المكسيك السابق...، وغيرهم.

في المساء، أصر يوسف بطرس غالي ابن أخي، ومراد ابن صديقي مجدي وهبة عليَّ أن أقرأ نص المداخلتيْن اللتيْن سيشتركان بهما غدًا في المؤتمر. أحاول تدريجيًّا أن أجعلهما يكتسبان الخبرة في العمل العام؛ لأنني آمُل في أنهما سيلعبان دورًا سياسيًّا في بلدنا، وأنهما سيُحافظان على التقليد العائلي نظرًا لكونهما حفيدي اثنيْن من رؤساء وزراء مصر الأسبقين.

القاهرة: الثلاثاء، ٢٦ يناير ١٩٨٨

اليوم الثاني من فعاليات المؤتمر. ألقى أناتولي جروميكو مدير المعهد الأفريقي في موسكو، وابن وزير خارجية الاتحاد السوفييتي المشهور خطبة أكاديمية رسمية للغاية تعرض وجهة النظر السوفييتية إزاء المشاكل الأفريقية. قدَّم يوسف ومراد أداءً طيّبًا.

حفل استقبال بحضور محافظَي القاهرة والجيزة، ووزير الداخلية، زكي بدر. باقي الوزراء يغيبون دومًا عن الاشتراك في حفلات الاستقبال هذه. إنهم يفضلون قضاء السهرة مع عائلاتهم بدلًا من تمضية الأمسية في تبادل الحديث مع الضيوف الأجانب.

القاهرة: الأربعاء، ٢٧ يناير ١٩٨٨

ارتجل الزعيم السوداني الجنوبي بونا ماوا لوال كلمة. إنه نجم اليوم الثالث للمؤتمر بلا منازع. إنه صديق قديم، وأتفاهم معه جيدًا، وهو يؤيد وحدة السودان في إطار علماني وفيدرالي.

زرتُ رئيس جمهورية المكسيك لويس إيتشيفيريا في الفندق الذي ينزل فيه؛ لأشكره على اشتراكه معنا. إنه مثقف عظيم له رؤية متعددة الروافد، ويعتقد بأن بلاده يجب عليها الاشتراك في دراسة المشاكل الدولية. أعددنا معًا المواضيع الرئيسة التي سيناقشها مؤتمر أمريكا اللاتينية ـ أفريقيا الذي سيُعقد في مكسيكوسيتي في العام المقبل.

القاهرة: الخميس، ٢٨ يناير ١٩٨٨

أثناء حفل العشاء الذي أقيم في سفارة الاتحاد السوفييتي على شرف أناتولي جروميكو، اتفقت معه على تأليف كتاب يُخصص لمناقشة العلاقات الدولية على خلفية التطور الاقتصادي ونزع السلاح والبيئة.

القاهرة: الاثنين، الأول من فبراير ١٩٨٨

حكى لي مندوب وكالة غوث اللاجئين (الأونروا) عن الأعمال البشعة التي ترتكبها السلطات العسكرية الإسرائيلية في غزة. أخفيتُ غضبي بصعوبة. أشعر كما

لو كنتُ أنا نفسي الضحية التي تتعرض لهذا الإذلال. من الصعب أن يسيطر الإنسان على غضبه في لحظات كهذه. يتصرف الإسرائيليون مثل قُدامى المستوطنين البيض في جنوب أفريقيا، فهم يعتبرون الفلسطينيين مثل سكان البلاد الأصليين الأفارقة الذين يجب وضعهم في مناطق معزولة واستعبادهم. لقد أصبحت الضفة الغربية وغزة منطقتيْن معزولتين داخل الأراضي الإسرائيلية، والفلسطينيون الذين يعيشون بداخل إسرائيل يخضعون لنظام الفصل العنصري الذي تخفيه إسرائيل عن الأنظار.

القاهرة: الثلاثاء، ٢ فبراير ١٩٨٨

ألقيت محاضرتيْن. الأولى فى الكلية الحربية عن السياسة الخارجية المصرية فى أفريقيا، والثانية في المعهد الديبلوماسي التابع لوزارة الخارجية عن اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل. نسيتُ للحظة أنني قد قضيتُ عشر سنوات أعمل في وزارة الخارجية، وعُدتُ من جديد أستاذًا شابًّا يُحاضر في جامعة القاهرة. إنه لأمر غريب أن تحل ذكريات الماضي لتحتل مكان أحداث اللحظة الراهنة في ذهن الإنسان.

القاهرة: الخميس، ٤ فبراير ١٩٨٨

محاضرة جديدة، هذه المرة، في أكاديمية الشرطة. دعَوْنا ٤٠ ضابط شرطة من أفريقيا. ألقيتُ المحاضرة باللغة الإنجليزية، وأجبتُ عن الأسئلة باللغة الفرنسية؛ لإقامة توازن بين اللغتَيْن الرئيستين في القارة من بقايا سنوات الاستعمار.

مدير كلية الشرطة هو الأخ الأصغر لعبد المنعم القصاص، أحد المعاونين الذين ساعدوني سنة ١٩٦٥ في عمل ماكيت مجلة «السياسة الدولية» التي ستبقى أحد أهم إنجازاتي في مجال النشاط غير الجامعي. ستظل مجلة «السياسة الدولية» هي أول مجلة في العالم العربي أتاحت لجيل كامل من الشباب الباحثين والمؤرخين والقانونيين أن يعرض أعماله وتحليلاته على القراء، وهي أيضًا أول مجلة أتاحت لجيل كامل من القراء أن ينفتح على المشاكل الدولية.

القاهرة: الجمعة، ٥ فبراير ١٩٨٨

كان هيرمان آيلتس سفيرًا للولايات المتحدة الأمريكية في القاهرة، وشارك في

مباحثات كامب ديفيد. لامني آيلتس لأنني أُضَيِّع وقتي في أفريقيا، في حين أن مشكلة الشرق الأوسط تستحق أن أوليها كل اهتمامي.

القاهرة: السبت، ٦ فبراير ١٩٨٨

ذهبتُ للمطار لاستقبال أمير البحرَيْن. تباحث معه رئيس الوزراء عاطف صدقي في قصر الطاهرة، في إحدى ضواحي القاهرة. تبادلا المجاملات. المباحثات بين الدول العربية وبعضها البعض تكون غالبًا ذات صبغة بروتوكولية في الأساس نظرًا لأن المؤسسات ما تزال في طور التكوين. وفي مثل هذا السياق، فإن العلاقات الإنسانية والشخصية تكتسب أهمية كبرى.

القاهرة: الجمعة، ١٢ فبراير ١٩٨٨

لقاء مع البروفيسير ج. ك. هوريفيتش. كان هوريفيتش قد استقبلني في نيويورك في سنة ١٩٥٤ وساعدني طوال تلك السنة التي قضيتُها في جامعة كولومبيا بصفة طالب زائر. لقد مرَّت ٣٤ سنة على هذه الرحلة الأمريكية. لم يتغير هوريفيتش فهو ما يزال شابًا نشيطًا. أهم أعماله هو إصدار تجميع لأهم المعاهدات في الشرق الأوسط قام بنشره في جزءين.

عندما قامت مصر بتأميم قناة السويس، هاتفني إسماعيل فهمي الذي كان وقتها نائب وزير خارجية وطلب مني أن أُزَوِّده بنص اتفاقية القسطنطينية لسنة ١٨٨٨ الخاصة بقناة السويس. فهرعتُ إلى كتاب ج. ك. هوريفيتش. وبالفعل وجدتُ نص الاتفاقية لكن بدون المقدمة. وطَبَعَت الحكومة المصرية النص كما هو، فاستغل أنطوني إيدن ذلك وصَرَّح قائلًا:

«ـ انظروا سوء نية المصريين: لقد نشروا نص الاتفاقية وحذفوا منها المقدمة التي تنص بوضوح على أن قناة السويس هي قناة دولية. وهذا النص يمنع مصر من تأميم القناة بدون موافقة الدول التي تستخدمها.

وحتى لو كُنا قد اعترضنا على ما قاله إيدن، فلن يوجد أحد يُصدق أن وزارة الخارجية المصرية لا يوجد لديها نص هذه الاتفاقية، وأننا قد لجأنا للاستعانة بكتاب

أمريكي للحصول على النسخة المتاحة والتي لم تكن كاملة، وأننا لم نقصد أن ننشرها مجتزأة عن مقدمتها.

أديس أبابا: الاثنين، ٢٢ فبراير ١٩٨٨

وصلتُ للعاصمة الإثيوبية منذ يومَيْن. زارني صديقي ناتان شامورا ريبرا وزير خارجية زيمبابوي الذي ذكّرني بود بأنني مَدين بزيارة لبلده. تعرفتُ عليه في سنة ١٩٦٨ أثناء مهمة كنتُ أقوم بها في تنزانيا موفدًا عن اليونسكو. في ذلك الوقت، كان يشغل منصب أستاذ في جامعة دار السلام.

الجلسة الافتتاحية لقمة منظمة الوحدة الأفريقية. انتُخبتْ مصر في منصب النائب الثاني لرئيس المنظمة. عشاء مع السفير روبير إسكندر وزوجته دنيس. روبير ودنيس يُشرِّفان الديبلوماسية المصرية ونجحا في أن يجعلا السلطات الإثيوبية تثق فيهما، وهذا شيء صعب بسبب سوء التفاهم الذي أصاب علاقات مصر بإثيوبيا.

أديس أبابا: الثلاثاء، ٢٣ فبراير ١٩٨٨

أخبرني وزير خارجية إثيوبيا أن علاقات بلاده مع السودان قد وصلت إلى نقطة الصفر. أثناء العشاء الذي أقامه سفيرنا، قال لي وزير خارجية السودان الشيء نفسه. أعتقد أن الديبلوماسية المصرية تستطيع القيام بدور فعَّال للتقريب بين هاتَيْن الدولتَيْن الأفريقيتَيْن الكبيرتَيْن. بالإضافة إلى ذلك، فالنيل يمكن أن يكون عاملا مشتركا لقيام شراكة ثلاثية بين القاهرة والخرطوم وأديس أبابا. النيل، أبدًا ودومًا إنه رمز وصورة يسيطران على ذهني دائمًا.

أديس أبابا: الأربعاء، ٢٤ فبراير ١٩٨٨

تصالحتُ مع طالب الإبراهيمي، وزير خارجية الجزائر. تبادلنا عناقًا أخويًّا وحديثًا مثمرًا. قررتُ أن أترك الديبلوماسيين المرافقين لي يتابعون أعمال المؤتمر. أنوي الذهاب غدًا لرؤية منابع النيل الأزرق التي أعتبرها أسطورة، إن هذه الفكرة مسيطرة تمامًا على ذهني لأن ٨٥٪ من مياه النيل تأتينا من بحيرة تانا.

أديس أبابا: الخميس، ٢٥ فبراير ١٩٨٨

في الفجر، أخذتُ الطائرة لمدينة بحر دار برفقة السفير إسكندر والعقيد أحمد الحفناوي، حارسي الشخصي. بحر دار هي مدينة صغيرة ساحرة تقع على بحيرة تانا، وبها فندق ساحر يكاد يكون مُنشأً في وسط البحيرة. مشينا سيرًا على الأقدام لمدة ساعة كاملة للوصول إلى حيث تصب بحيرة تانا مياهها في النيل الأزرق. عبرنا جسرًا حجريًا بناه البرتغاليون منذ عدة قرون. مجرى النيل ضيِّق في هذه المنطقة ومحصور بين جبال صخرية.

عندما أفكر أن تاريخ مصر ومصيرها ومستقبلها مرتبط بهذا النهر المقدس، الذي ينبع من هنا، من تلك البقعة التي أقف فيها، يغمرني إحساس عميق ولا أستطيع أن أحَوِّل ناظريَّ عن تلك المياه التي تحمل معاني الحياة لمصر وتتدفق بقوة لكي تروي أراضيها الواقعة على بُعد مئات الكيلو مترات وتجلب الخير الذي سمح للحضارة المصرية بأن تتطوَّر.

عندما عدتُ لأديس أبابا، عرفتُ أن فرنسيس دينج وجون جارانج الزعيم السوداني الجنوبي يُقيمان في الفندق نفسه وفي الطابق ذاته الذي أنزل فيه.

أديس أبابا: الجمعة، ٢٦ فبراير ١٩٨٨

فرانسيس دينج رجل ذكي ورصين. قدَّم لي تحليلًا رائعًا عن الوضع في السودان؛ لكن، لسوء الحظ، فالمثقفون ليسوا هم الذين يقومون بتسوية الصراعات الدولية. في نهاية الأمر، فإن الوضع مُعَرَّض لمزيد من التدهور، بل إن جون جارانج ينوي إقامة حكومة مؤقتة في جنوب السودان، وهذه هي الخطوة الأولى على طريق الانفصال بين شمال السودان وجنوبه. ومن المحتمل جدًا وقوع هذا الانفصال نظرًا لهيمنة الغفلة والعنصرية والتعصُّب الديني على الخرطوم، بالإضافة للإهمال الذي تُبديه القاهرة حيال ما يحدث هناك.

القاهرة: الاثنين، ٢٩ فبراير ١٩٨٨

تحدثتُ مع الرئيس مبارك حولَ النقاط الأساسية لمهمتي في أديس أبابا. يبدو أنه قد اتخذ قرارًا بمساعدة الخرطوم في الحرب ضد الجنوبيين. أما أنا، فإنني أُؤيد اتخاذ

موقف محايد تمامًا بين الطرفَيْن مع المساهمة في حل الصراع. إن إثيوبيا وأوغندا وكينيا، بل والدول الأفريقية كلها، تؤيد الجنوبيين. فإذا ساعدنا الخرطوم، فإننا سنُخاطر بإثارة عداء هذه الدول كلها ضدنا.

استمع الرئيس إلى ما قلته بدون أن يُعلِّق. يبدو أنه قد اتخذ قراره هذا بناءً على معلومات قدمتها له أجهزة المخابرات. إن أجهزة المخابرات تعمل بالفعل على الأرض في السودان، ولكنها لا تستوعب كافة تفاصيل الصراع هناك. ومن المؤكد أن الدعم الذي ستقدمه مصر للخرطوم سيكون دعمًا سريًا، لكن الخطأ سيكون قد وقع بالفعل فور تقديمه؛ لأن في مثل هذه الصراعات، لا توجد أسرار. علينا أن نسعى للتوفيق بين وجهتي نظر طرفي النزاع، والمصالحة بينهما، وكسب ثقتهما، والتفاوض ثم التفاوض باستمرار لتجنُّب وقوع مواجهات عسكرية.

القاهرة: الثلاثاء، الأول من مارس ١٩٨٨

كتبتُ مقالة بمناسبة صدور العدد رقم ألف من مجلة الأهرام الاقتصادي. لقد أصدرتُ هذه المجلة في سنة ١٩٥٩ وأردتُ لها أن تحظى بالمكانة نفسها التي تحظى بها مجلة الإيكونوميست البريطانية، ولا تزال مجلة الأهرام الاقتصادي حتى الآن تحتل المركز الأول بين المجلات الاقتصادية في العالم العربي، وما تزال ذائعة الصيت. وبالنسبة لي، لقد كان إصدار هذه المجلة بمثابة الخطوة الأولى للخروج من الانخراط في النظريات وهو الأمر الذي يتسم به الوَسَط الجامعي حيث تتداعى الأفكار بكثافة، وحيث لا تنضب الآراء وإن كانت هذه الأفكار والنظريات تبقى إلى حد كبير قاصرة على السياق النظري وغير منفتحة بما يكفي على الواقع المُعاش.

القاهرة: الأربعاء، ٢ مارس ١٩٨٨

ألقيتُ محاضرة عن سياسة مصر الخارجية أمام أكثر من ٢٠٠ ضابط بالقوات المسلحة. كان من بينهم عسكريون أفارقة. بعد المحاضرة وقف ضابط زائيري بزيه الرسمي وسألني:

«ـ معالي الوزير، إذا نشبت حرب بين بلد عربي وبلد أفريقي، فماذا سيكون موقف مصر؟».

«ـ إن سياستنا ترتكز على مبادئ ميثاق الأمم المتحدة. إذن، فإننا سنحاول تسوية الصراع بطريقة سلمية. وعلى المستوى العملي يوجد حاليًا صراع ناشب بين تشاد وهي بلد أفريقي وليبيا وهي بلد عربي؛ وأعلنت مصر أنها تؤيد تشاد. وفي الوقت نفسه، فإنها تعمل على إيجاد حل سلمي».

القاهرة: الجمعة، ٤ مارس ١٩٨٨

لقاء بين الرئيس مبارك وجورج شولتز، وزير الخارجية الأمريكي. حضر اللقاء كل من: عاطف صدقي رئيس الوزراء وزميلي الوزير عصمت عبد المجيد. يبدو أن شولتز يهتم بالسودان، وهذا من دواعي سروري بشرط أن يكون هذا الاهتمام حقيقيا وليس مجرد افتراض من جانبي.

القاهرة: الأحد، ٦ مارس ١٩٨٨

استقبلتُ الأستاذ الجامعي الروسي شرباتوف الذي يترأس وفدًا سوفييتيًا. حصلتُ على موافقة الرئيس لإعادة فتح المركز الثقافي السوفييتي في القاهرة. أنا مقتنع بضرورة تعزيز العلاقات مع موسكو لإقامة نوع من التوازن مع الوجود الأمريكي في مصر. إن سياسة عدم الانحياز تتطلب وجود حد أدنى من الوقوف على مسافة واحدة بين الدولتَيْن العظميين.

القاهرة: الاثنين، ٧ مارس ١٩٨٨

عشاء مع فرانسين هاينريتش، ممثلة المفوضية الأوروبية التي تعمل بفاعلية وكفاءة، وهي ناشطة في الدفاع عن حقوق العالم الثالث والقضية الفلسطينية. تقارُبنا مع الاتحاد السوفييتي يُثير الاهتمام البالغ لضيف الشرف، كلود شيسون. أخطأتُ عندما صرَّحتُ له بأنني المسئول الأساسي عن هذا الموضوع فالديبلوماسي الجيد يجب عليه أن يعرف كيف يظل كتومًا. كان ينبغي عليَّ أن أدعه يكتشف بنفسه مَنْ صنع هذا التقارب. عند عودتي للمنزل، تساءلتُ مجددًا:

«ـ كيف ارتكبتُ مثل هذا الخطأ الجسيم؟».

ربما كان سبب ذلك يرجع إلى الإرهاق أو التسرُّع.

لستُ أدري.

القاهرة: الثلاثاء، ١٥ مارس ١٩٨٨

كُلِّفتُ بأداء مهمة حساسة لدى فيرجينيا أوبريجون، سفيرة كولومبيا حيث طلبتُ منها سحب أحد معاونيها من مصر لأنه يدعو إلى اعتناق الديانة البوذية، وهو الأمر الذي يتعارض مع القوانين المصرية. إن مصر لا تعترف إلا بالأديان السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام فقط.

هذه المواقف تبدو لي عبثية كما تجعلني أشعر أننا ما نزال نعيش في القرون الوسطى. إن أكثر من نصف سكان العالم يعتنقون ديانات أخرى ويمارسون طقوسها. ومع ذلك، فقط طلبتُ سحب هذا الديبلوماسي البوذي.

لوساكا: الجمعة، ١٨ مارس ١٩٨٨

اقترح عليَّ وزير خارجية زامبيا موانا نشيكو إنشاء لجنة مشتركة تُكلَّف بتنفيذ التعاون الوثيق بين بلدينا، والتوقيع على اتفاقية بين حزب الاستقلال الزامبي والحزب الوطني الديموقراطي في مصر. وذكَّرني بأن القاهرة كانت واحدة من العواصم الأفريقية التي شهدت نشأة حركة تحرير زامبيا وتطورها.

بعد ذلك، تناولنا ملف رئاسة منظمة الوحدة الأفريقية. يجب أن يترأس أحد الناطقين باللغة البرتغالية القمة المقبلة، وستكون هذه هي المرة الأولى منذ إنشاء المنظمة.

وفي نهاية الحديث تطرقنا للمشكلة التي تمر بها المؤسسات المكلَّفة بتنشيط التعاون بين أفريقيا والعالم العربي. أرى أن ذلك يرجع إلى انضمام الجمهورية الصحراوية إلى منظمة الوحدة الأفريقية، في حين أن أغلب الدول العربية تُؤيد موقف المغرب الرافض للاعتراف بهذه الجمهورية.

وطالما أن الخلاف حول المشكلة الصحراوية لم يُحَل، سيكون من الصعب علينا تنفيذ هذا التعاون. إذن، يجب علينا أن نكتفي بالعلاقات الثنائية بين الدول العربية والدول الأفريقية. ووافقني مُحدثي على هذا الرأي.

وأهم ما ناقشناه في هذا اللقاء هو موضوع مكافحة العزل العنصري في جنوب أفريقيا. شعرت بالسعادة عندما قارن الوزير الزامبي بين النضال ضد

نظام الآبارتايد في جنوب أفريقيا وبين النضال الذي يمارسه الفلسطينيون ضد الآبارتايد الصهيوني. لستُ أدري ما إذا كان قد أجرى هذه المقارنة لمجاملة مصر أم أنه مقتنع فعلًا بما يقول.

قبل أن ينتهي اللقاء تطرق الحديث إلى اختيار البلد الذي سيستضيف القمة القادمة للدول غير المنحازة. لم يُكن متحمسًا لترشيح نيكاراجوا.

لوساكا: السبت، ١٩ مارس ١٩٨٨

رأستُ اجتماعًا ضم سفراءنا المعتمدين في أنجولا وزيمبابوي وتنزانيا وملاوي وزامبيا وبوتسوانا وموزمبيق وسوازيلاند وليسوتو. كان عندي ثلاثة أهداف هي تقييم نوعية العمل الذي يؤديه هؤلاء السفراء وتمكينهم من تبادل وجهات النظر مع بعضهم البعض وإعلام الدول الأفريقية بأننا ملتزمون تمامًا بالنضال ضد نظام الفصل العنصري.

بعدما استمعتُ للسفراء بعناية، ركَّزتُ على أهمية وجود الخبراء المصريين في أفريقيا. والمطلوب من السفراء هو:

التعرُّف على الاحتياجات الفعلية لكل بلد من الأطباء والمهندسين والأساتذة الجامعيين... إلخ، وإقناع السلطات المصرية بإرسال خبراء من الشبان قادرين على الاستقرار على نفقتهم الخاصة في تلك البلاد بعد انتهاء مهمتهم، إلى جانب جذب رجال الأعمال المصريين للتعامل مع تلك البلاد، ومنح دورات تدريبية قصيرة في مصر لأبناء هذه البلاد. مع الاهتمام بطبيعة المنح الدراسية ومدتها لكي لا يُطيل الطلاب مدة إقامتهم في مصر بلا فائدة؛ ولكي يحصلوا على شهادة تفيدهم في خدمة بلدهم.

هؤلاء السفراء جعلوني أشعُر بالسعادة فمن النادر أن نجد لدى ديبلوماسيينا رغبة في العمل في أفريقيا لأن الأغلبية تحلُم بالعمل في الغرب.

لوساكا: الأحد، ٢٠ مارس ١٩٨٨

سلمتُ الرئيس كينيث كاوندا رسالة صداقة وتضامن من الرئيس مبارك. امتدح كاوندا الرئيس مبارك ووصفه بأنه «رجل المصالحة والسلام»، وامتدح حكمته

ومزاياه بصفته وسيطًا للسلام، وأثنى على قيادته للعالم العربي وأفريقيا. عندئذ، شعرتُ بضرورة الرد بالمثل فامتدحتُ مزايا الرئيس كاوندا، ودوره كرئيس لأفريقيا كلها.

إن تبادل هذه المجاملات التي جاءت في عبارات ودودة ومقنعة يُسهِّل تمامًا سير المباحثات التي تليها.

اتسمت المباحثات بالصراحة وناقشنا سياسة إسرائيل العنصرية التي أدانها كاوندا؛ والعلاقات بين مصر وليبيا، ومصر وسوريا، والحرب الأهلية في لبنان، والصراع في الصحراء الغربية مع الأخذ في الاعتبار ما ذكرته تقارير سفرائنا من أن كاوندا يؤيد الجزائر، والحرب بين العراق وإيران، وقرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ الخاص بإنهائها. اندهشتُ لمعرفته العميقة بتفاصيل هذه الملفات كلها.

بعد ذلك، انتقلنا لمناقشة نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، والحرب الأهلية الدائرة في أنجولا حيث إن كاوندا يخشى من انقسام أنجولا كما حدث في كوريا. وفيما يتعلق بقمة منظمة الوحدة الأفريقية المقبلة، وعدني بعرض فكرتي؛ أي أن تكون الرئاسة لبلد ناطق بالبرتغالية، على اجتماع رؤساء «دول المواجهة» الذي سيُعْقَد في لوساكا في الأيام المقبلة.

لوساكا: الاثنين، ٢١ مارس ١٩٨٨

حضرتُ اجتماع الخمسة عشر وزيرًا الأعضاء في مجموعة الاتصال المكلَّفة بتسوية مشكلة الديون الأفريقية حتى نهاية سنة ١٩٨٨، وبالإعداد لمؤتمر دولي كبير.

كلَّفتني المجموعة بالرد باسمها على خطبة الرئيس كاوندا، رئيس منظمة الوحدة الأفريقية. ألقيتُ خطبتي بعبارات رنَّانة وبليغة، بدأت - أولًا - بتهنئة الرئيس كاوندا على دوره كزعيم للمنظمة. وقلتُ إن اتخاذ الدول الأفريقية لموقف موحد بخصوص هذا الملف لا يتعارض مع إجراء المباحثات الثنائية. وهدف هذا المؤتمر هو حشد الرأي العام العالمي وجعله يُدرك مدى خطورة الوضع. ومن هنا جاءت أهمية دعوة ممثلي المنظمات غير الحكومية والدول غير الدائنة التي قد تقدم حلولًا لتخفيف ديون أفريقيا أو حتى لإلغائها. وأضفتُ أن اختيار العاصمة التي سيُعقد فيها هذا

المؤتمر لا يقل أهمية عن مضمون المناقشات، وأنه يُمكن تأجيل عقد هذا المؤتمر إلى سنة ١٩٨٩ إذا لم تنته المباحثات التمهيدية في سنة ١٩٨٨.

وفي نهاية الاجتماع، تم تكليف كل دولة من الدول الخمس عشرة بمهمة، وكانت مسؤولية السودان ترتبط بالتشاور مع هولندا والاتحاد السوفييتي ودول مجموعة الكوميكون. وعندما قدَّمت تقريري للقاهرة، قمتُ بتطوير هذه الفكرة، فمصر تتلقى مساعدات مالية كبيرة من الولايات المتحدة وأوروبا، وليست لديها مصلحة في عقد مؤتمر، هو مؤتمر أفريقي بالأساس، لمناقشة مشكلة الديون. لكن من المهم أن تبرهن مصر على تضامنها مع الدول الأفريقية، وتتحرك لاتخاذ موقف جماعي. وستكمُن المشكلة في إقناع الدول الدائنة والمنظمات الدولية بالاشتراك في هذا المؤتمر.

أقام الرئيس كاوندا حفل عشاء. جلس وزير خارجية زامبيا عن يميني أسقط بعض صلصة الطعام على بذلتي، فعلَّق وزير خارجية تنزانيا مازحًا:

«ـ إن بطرس قد اقترب كثيرًا من زوجة زميلنا الزامبي، وبقعة الصلصة هو الإنذار الأول».

نهض كينيث كاوندا وملأ فنجان كل مدعو بالقهوة أو الشاي. يا له من تواضع! يا لها من بساطة! قليل من رؤساء الدول قادرون على اتخاذ موقف مماثل في حفل عشاء رسمي.

لوساكا: الأربعاء، ٢٣ مارس ١٩٨٨

توقيع اتفاقية لإنشاء لجنة مشتركة. لقاء مع أوليفييه تيمبو، زعيم منظمة المؤتمر الوطني الأفريقي. إنه يعرف أنني لم أدخر وسعًا، وإن كان بدون فائدة، لعقد مصالحة بين منظمته ومنظمة مؤتمر التآخي الأفريقي، وهما المنظمتان اللتان تناضلان لإنهاء نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا. لقد تدهورت العلاقات بينهما. عرضتُ عليه استعداد مصر للمساعدة في تكوين كوادر أفريقية في المجالات التي يختارها. اقترحتُ عليه أيضًا عقد مؤتمر في القاهرة لمناقشة مشاكل جنوب أفريقيا واقتلاع جذور نظام الفصل العنصري.

مابوتو: الخميس، ٢٤ مارس ١٩٨٨

قررتُ الإقامة في السفارة المصرية لأن الفندق الذي اقترحوه عليَّ للمبيت فيه سيِّئ للغاية.

توقيع اتفاقية ثقافية مع وزير الخارجية، باسكال موكامبي. علمتُ منه شخصيًّا بوجود بعثة عسكرية لبلاده في القاهرة للحصول على أسلحة. طبعًا، ستكون وزارة الخارجية في القاهرة هي آخر مَنْ يعلم بوجود هذه البعثة في مصر.

ظهرًا، أقام سفيرنا حفل استقبال. قابلتُ القاصد الرسولي الذي ذكَّرني بأنه كان أحد طلابي في دورة أقامتها أكاديمية السلام في مونتون.

لقاء مثمر مع رئيس الوزراء ماريو ماشوجو نظرًا لغياب الرئيس شيسانو الذي غادر مابوتو فجأة للتشاور مع رؤساء «دول خط المواجهة».

مابابن: الجمعة، ٢٥ مارس ١٩٨٨

عند نزولي من الطائرة، احتضنتُ رئيس إدارة المراسم ظنًّا مني أنه وزير الخارجية. هذا خطأ يُغتَفَر ويساهم في زيادة شعبيتي في أفريقيا. مملكة سوازيلاند الصغيرة تذكِّرني بسويسرا، والفندق الذي نزلتُ فيه يُضاهي الفنادق السويسرية.

بعد الظهر، استقبلني ملك سوازيلاند؛ إنه شاب خجول صغير السن جدًّا ومُحاط بعدد كبير من الوزراء الذين يجلسون حوله على الأرض وهم حفاة. أمَّا الوزير ومساعِديّ وأنا، فقد جلسنا على كراسي متواضعة. تحدثتُ طويلًا بدون أن يُقاطعني الملك. انتظرتُ بلا جدوى أن يُوَجِّه إليَّ بعض الأسئلة، لكنه لم يفعل.

سلمتُه رسالة من الرئيس مبارك، وقدمتُ له هدية، طبق من الفضة. عندئذ، تحدث الملك ليخبرني أنه في يوم ٦ سبتمبر المقبل، ستحتفل بلاده بالذكرى العشرين لاستقلالها، وأنه لمن دواعي سروره أن يحضر الرئيس مبارك الاحتفال بهذه المناسبة. وعدته بأنني سأوصِّل دعوته هذه للرئيس الذي سيُقدرها تمامًا.

عند خروجنا من القصر الملكي إلى الشارع، رأينا أحد خدم الملك وهو يحمل على رأسه الإناء الفضي الذي أهديناه توًّا لملك سوازيلاند.

القاهرة: السبت، ٢ إبريل ١٩٨٨

استقبلت مع رئيس الوزراء عاطف صدقي رئيسَ جمهورية كينيا، آراب مُوي، الذي يصحبه وزير خارجيته، روبيرت أُوكو. كنتُ قد أعددتُ بيانًا مشتركًا حتى قبل لقاء الرئيسَيْن. عرضته لوزير الخارجية الكيني الذي وافق عليه بدون إضافة أي تعديل، وقال لي:

«ـ يا بطرس، إننا نفهم بعضنا بسرعة».

الأمر ليس صعبًا، فهذا البيان المشترك يكُرِّر ما سبق وأن قررته منظمة الوحدة الأفريقية، والنص عبارة عن تكرار للبيانات الأخرى التي سبق توقيعها مع باقي الدول الأفريقية.

القاهرة: السبت، ١٦ إبريل ١٩٨٨

مباحثات مع الهادي البكوش رئيس وزراء تونس والوفد المرافق له. تحدثتُ عن المشاكل الأفريقية، وتحدث زميلي عصمت عبد المجيد عن المشاكل الفلسطينية.

القاهرة: الجمعة، ٢٢ إبريل ١٩٨٨

طلب الكولونيل ميجا بجول وسفير لبنان الصلح دعمنا لانتخاب الجنرال ميشيل عون رئيسًا للبنان. كان الجنرال عون أحد طلاب الكولونيل ميجابجول الذي يعتقد بأنه إذا أصبح عون رئيسًا للجمهورية، فسيكون بمقدوره التوفيق بين مختلف الفرقاء اللبنانيين.

بعد الظهر، قابلتُ الناشر خليل صايغ الذي يعتقد هو أيضًا بأن الجنرال ميشيل عون سيكون قادرًا على تفعيل حركة المصالحة الوطنية في لبنان. بعد ذلك، قابلتُ الجنرال الإسرائيلي آبراشا تامير إنه متشائم مثلي فيما يتعلّق بمستقبل السلام في لبنان والشرق الأوسط.

دار السلام: السبت، ٢٣ إبريل ١٩٨٨

عدتُ إلى أفريقيا. رئيس جمهورية تنزانيا الجديد علي حسن مويني ذكَّرني بأنني كنتُ أول من استقبله عندما كان سفيرًا معتمدًا في القاهرة.

دار السلام: الثلاثاء، ٢٦ إبريل ١٩٨٨

الاحتفال بمرور ٢٤ عامًا على الوحدة بين تنجانيقا وزنزبار. قابلتُ رئيس بوروندي بيير بويويا وهو ضابط شاب، خجول ومتحفظ، ويتحدث بصوت منخفض. حضر معنا العرض العسكري. جلستُ بجوار وزير إيراني وكنا نحن الاثنان الممثلَيْن الوحيدَيْن لدول العالم الإسلامي. نشاط الدبلوماسية الإيرانية يدعوني للتأمل.

تم التوقيع التقليدي على البيان المشترك مع وزير الخارجية في مبنى خال لأن اليوم يوم عطلة رسمية.

موريشيوس: الأربعاء، ٢٧ إبريل ١٩٨٨

توقفت الطائرة التي أستقلُّها إلى موريشيوس في موروني. جاء وزير الخارجية ومعه عشرة مُعارين من الأزهر لتحيتي في المطار.

انتهزتُ هذه الفرصة للتحدث هاتفيًّا مع صديقي عبد الله، رئيس جمهورية جزر القُمُر. اتفقنا على اللقاء في مؤتمر قمة فرنسا ـ أفريقيا المقبل.

بعد الظهر، وصلتُ الطائرة. المطار يختلف تمامًا عن المطارات الأفريقية. استقبال ذو طابع مَحَلِّي تمامًا. وَضَعَت شابات عقودًا من الزهور حول أعناقنا. أجريت لقاء تلفزيونيًّا. شعرتُ بأنني لستُ في أفريقيا. فندق «ترو أو بيش» (حفرة الغزالات) مكوَّن من مجموعة من المباني المنفصلة والصغيرة التي تطل على شاطئ البحر مباشرةً. هذا المجمَّع الفخم يُذكرني بفنادق جُزر الكاريبي التي يرتادها أصحاب الملايين من الأمريكيين. أدركتُ الآن لماذا تجذب هذه الجزيرة البعيدة السياح من العالم أجمع.

موريشيوس: الخميس، ٢٨ إبريل ١٩٨٨

مباحثات مع رئيس الوزراء السير آنيروود جونجنوث تلاها افتتاح الدورة الأولى للجنة المشتركة بين البلدين. مناقشات رفيعة تلتها مجموعة من الزيارات لأغلب أعضاء الحكومة. أقام جايتان دوفال وزير الشباب حفل استقبال. كنتُ قد التقيتُ به في عدة مؤتمرات دولية. قابلتُ أعضاء السلك الدبلوماسي. سفير الاتحاد السوفييتي هنا سبق له وأن خدم العالم العربي، سفير فرنسا كان أحد معاوني كلود

سيشون، وبالمقارنة بنظرائهما الذين يبدون منعزلين عن الواقع إلى حد ما فإن هذين الدبلوماسيين بديا في حالة واضحة من التألق.

لاهاي: الاثنين، ٢ مايو ١٩٨٨

وصلتُ إلى لاهاي مرهقًا بعد قضاء ٢٠ ساعة من الطيران. استقبلني السفير عزت عبد اللطيف وزوجته الساحرة في مطار أمستردام. ألقيتُ محاضرة عن المشاكل والديون الأفريقية. على الرغم من الإرهاق، كنتُ في حالة ذهنية جيدة وأجبتُ عن الأسئلة الكثيرة التي طرحها عليَّ جمهور الندوة الذي تابع المحاضرة باهتمام والذي يبدو على علم بالمشاكل الأفريقية.

لاهاي: الثلاثاء، ٣ مايو ١٩٨٨

نَسَّقتُ مع صديقي البروفيسير جان ديبوي لمشروع إنشاء الجامعة الفرانكوفونية في الإسكندرية. سيُعلن صديقي يوم ١٩ مايو الحالي عن تكوين مجموعة الدراسات المكلَّفة بإعداد لوائح هذه الجامعة. هذا الملف يتقدم بشكل مضطَرِد. نأمل في افتتاح هذه الجامعة في العام المقبل. ستكون رمزًا للتعاون بين مصر وفرنسا.

لاهاي: الأربعاء، ٤ مايو ١٩٨٨

لقاء مع السفراء الأفارقة المعتمدين في لاهاي، بيَّنتُ لهم هدف زيارتي لهولندا: بِناءً على اجتماع مجموعة الخمس عشرة، فقد جئتُ للحصول على دعم من حكومة هولندا لإيجاد حل لمشكلة الديون الأفريقية. يرافقني في هذه الزيارة السكرتير العام لوزارة الخارجية السودانية.

بعد ذلك، قابلنا وزير التعاون الهولندي الذي استمع إلينا بانتباه. يبدو أن فكرة عقد مؤتمر دولي ـ يُخصص لمشكلة الديون الأفريقية ـ لا تستهويه وطلب استشارة باقي الدول الأوروبية.

جنيف: الخميس، ٥ مايو ١٩٨٨

استكملتُ جولتي الخاصة بالديون الأفريقية. لقاء مع السكرتير العام لمؤتمر التجارة والتنمية وبرفقتي نائب وزير مالية زيمبابوي لكي نخبره بمهمتنا في إطار

مجموعة الخمس عشرة. عشاء مع الأمير صدر الدين أغاخان. تحدثت معه عن الجامعة الفرانكوفونية التي سنقيمها في الإسكندرية لتكوين القيادات الأفريقية. أمَّا الأمير، فقد تحدث معي عن حماية الأفيال في أفريقيا. إبداء الاهتمام بالشئون الأفريقية يمكن أن يكون من خلال المدخل الاقتصادي أو المدخل الديني وكلاهما يكمل بعضهما البعض.

القاهرة، الأحد، ١٥ مايو ١٩٨٨

وافق الرئيس مبارك على إنشاء الجامعة الفرانكوفونية في الإسكندرية. هاتفني سفيرنا سمير صفوت من باريس ليُخبرني أن فتحي سرور، وزير التعليم العالي، يُعارض هذا المشروع. إنه بالتأكيد لا يُدرك مدى أهمية هذه الجامعة لرفعة مكانة مصر في الدول الأفريقية الناطقة بالفرنسية.

القاهرة، الاثنين، ١٦ مايو ١٩٨٨

عشاء مع الجنرال فيرنون والتر وسفير الولايات المتحدة. الجنرال والتر يتمتع بقدرات استثنائية في مجال العلاقات العامة، فهو يعرف كيف يأسر محدثه ويكسب ثقته، وهو أيضًا موسوعة حَيَّة فيما يختص بالعلاقات الدولية. تحدثنا عن سياسة جورباتشوف الجديدة، ومزايا وعيوب أهم رؤساء الدول الأفريقية. انصرفتُ في منتصف الليل وأنا مستمتع للغاية بالحديث مع الجنرال والتر.

أديس أبابا، الأربعاء، ١٨ مايو ١٩٨٨

ها أنا ذا أغوصُ مجددًا في قلب المشاكل الأفريقية. لقاء مع السكرتير العام لمنظمة الوحدة الأفريقية إيديه أومارو الذي يقود حملة لإعادة انتخابه. وعدته بالمساندة لأنه يؤيد دائمًا السياسة الخارجية المصرية.

أديس أبابا، الخميس، ١٩ مايو ١٩٨٨

الجلسة الافتتاحية «لمؤتمر وزراء منظمة الوحدة الأفريقية». مباحثات مع وزراء خارجية: غانا ونيجيريا وزيمبابوي وموريتانيا. الأمر يتعلَّق بالحفاظ على علاقات الصداقة بين بلادنا وتطويرها لتكون علاقات مثمرة.

مناقشات طويلة مع جمال الصوراني، المناضل الفلسطيني الكبير، الذي اشتكى لي من موقف مصر السلبي إزاء المشاكل الفلسطينية الحديثة. إنه رجل حيوي وتلقائي وأحيانًا ما يكون نافد الصبر. حاولتُ تهدئته بقولي:

«ـ سنحاول الحصول على قرار من القمة لصالح فلسطين».

ابتسم ابتسامة مرهقة وهو يقول:

«ـ هذا قليل، ولكننا سنبني فلسطين رويدًا رويدًا».

أديس أبابا: الاثنين، ٢٣ مايو ١٩٨٨

تلقيتُ ثلاث مكالمات هاتفية: الأولى، من أسامة الباز من صنعاء؛ الثانية من علي ماهر من تونس، والثالثة من الرئيس حسني مبارك من القاهرة يطلب فيها استقبال الرئيس التونسي بن علي بحفاوة في أديس أبابا. أخبرتُ السلطات الإثيوبية والسكرتارية العامة للمنظمة بأهمية هذه الزيارة.

جلسة مسائية استمرت طويلًا. إننا نُحب الكلام ونحب سماع أنفسنا ونحن نتكلم لدرجة مَرَضية.

أديس أبابا: الثلاثاء، ٢٤ مايو ١٩٨٨

وصل الرئيس مبارك إلى أديس أبابا لحضور القمة وهو ممتلئ بالحيوية. بدأ جولته بزيارة موسى تراوري الذي يريد أن يُنتخب لرئاسة القمة. وعده مبارك بدعم مصر له.

أديس أبابا: الأربعاء، ٢٥ مايو ١٩٨٨

الاحتفال بمرور ٢٥ سنة على إنشاء منظمة الوحدة الأفريقية. أزحنا الستار عن تمثال، وزرعنا أشجارًا، وذلك كله في إطار سلسلة لا تنتهي من الخطب الحماسية الرنانة. على كل حال، فإن مجرد النجاح ـ سنويا ـ في حشد ٤٠ رئيس دولة من الدول النامية والتي تواجه بكافة أنواع المشاكل يُعتبر مكسبًا عظيمًا.

في الساعة التاسعة مساءً، ذهب الرئيس مبارك لغرفته. فوجئنا بزيارة غير متوقعة من ياسر عرفات وجمال الصوراني للرئيس. الرئيس مبارك وعرفات تبادلا الأحضان

الأخوية والمشاعر الودية. اقترح عرفات طرح مبادرة دولية جديدة لدفع القضية الفلسطينية للأمام. إنه مقتنع بانتصار الشعب الفلسطيني. شاهد مبارك بصبر هذا الفيض من التفاؤل. تابعت هذا اللقاء دون أن أتكلم وإن كان هناك الكثير من الأسئلة بلا أجوبة واضحة تدور في ذهني حول ما طرح خلال هذا اللقاء.

أديس أبابا، الخميس، ٢٦ مايو ١٩٨٨

حضر الرئيس مبارك انتخاب موسى تراوري لرئاسة القمة، ثم غادر أديس أبابا متوجهًا إلى القاهرة. تم الإعلان في المؤتمر عن إعادة العلاقات الدبلوماسية بين تونس وإثيوبيا، وهذا انتصار للسياسة المصرية التي بَذلَت الكثير لإتمام هذه المصالحة.

أديس أبابا، الجمعة، ٢٧ مايو ١٩٨٨

جلسة صاخبة. تم اتهام سيشل وموريشيوس وجزر القُمُر بعدم تنفيذ قرار المقاطعة المفروض على جنوب أفريقيا. هذه الدول الصغيرة تحتاج للمعونة التي تقدمها لها جنوب أفريقيا، وتُعتبَر بمثابة كبش فداء للجماعة الأفريقية التي تتحدث كثيرًا وتعمل قليلًا لتحرير جنوب أفريقيا.

لقاء مع وزير خارجية الأرجنتين دانتي كابوتو الذي يحضر المؤتمر بصفة مراقب. أشعر. بالامتنان لحضوره ورَكزتُ مرة أخرى على أهمية التعاون بين أمريكا اللاتينية وأفريقيا لتكوين جبهة من دول العالم الثالث، هذا الحلم ما يزال يسيطر عليَّ.

مكالمة هاتفية لليا الموجودة حاليًا في نيويورك لرعاية والدتها المريضة. لقد تناولت ليا الغداء مع سيروس فانس وزوجته. صحة حماتي تتحسن، ولذلك، فإن ليا تنوي العودة للقاهرة في الأيام القادمة.

أديس أبابا، السبت، ٢٨ مايو ١٩٨٨

الجلسة الختامية للقمة. أغلب رؤساء الدول غادروا أديس أبابا ولم يتبق منهم سوى أربعة فقط: كيريكو رئيس بينين وكاوندا رئيس زامبيا وموسى تراوري رئيس

مالي ومنجستو رئيس إثيوبيا. غادر مندوب موريشيوس القاعة احتجاجًا على القرار الذي يُدين بلاده «لتعاونها» مع جنوب أفريقيا. انتهت هذه القمة نهاية سيئة للغاية.

سَحَب الرئيس مبارك ترشيحه لرئاسة المجلس العام للأمم المتحدة لصالح الجنرال جاربا من نيجيريا. عصمت عبد المجيد مُحبَط تمامًا.. كانت رئاسة المجلس العام ستئول إليه في غياب الرئيس مبارك.

القاهرة: الاثنين، ٦ يونيو ١٩٨٨

وصل إلى القاهرة رئيس جمهورية أفريقيا الوسطى الجنرال كوليمبا بصحبة زوجته وأطفاله. عشاء في القصر الجمهوري، ثم توجهتُ لإثبات وجودي في البرلمان الذي يعقد جلسة مسائية. نصف الأعضاء غائبون والقليلون الحاضرون ينعسون. تساءلتُ عن جدوى المجهود الذي بذلتُه لكي أنتخب في البرلمان.

القاهرة: الثلاثاء، ٧ يونيو ١٩٨٨

أعددتُ مع جورج شولتز اللقاء القريب الذي سيُعقد في القاهرة بخصوص ناميبيا وجنوب أفريقيا. ستحضر هذا اللقاء كل من:

أنجولا وكوبا والولايات المتحدة وجنوب أفريقيا.

مباحثات مع الرئيس كوليمبا الذي وافق على البيان المشترك الذي أعددناه وسيوقعه غدًا مع الرئيس مبارك. إنه بيان مثل غيره من البيانات التي تصدر عن هذه اللقاءات.

القاهرة: الاثنين، ١٣ يونيو ١٩٨٨

تُرهقني الزيارات المستمرة التي يقوم بها رؤساء الدول لمصر. في الصباح، استقبلتُ رئيس جمهورية فنزويلا في المطار ومعه وزير خارجيته الذي كنتُ قد قابلته أثناء رحلتي الأخيرة لكاراكاس. حينذاك، كان نائب وزير. في قصر القبة، استعرض الرئيسان حرس الشرف وعُزف النشيدان الوطنيان. عشاء رسمي تقليدي تلته مباحثات. الموضوع المفضَّل لدى الرئيس مبارك حاليا هو الحديث عن الأعمال الحقيرة التي يرتكبها القذافي.

القاهرة: الأربعاء، ١٥ يونيو ١٩٨٨

ذهبتُ في الصباح الباكر لقصر القبة لحضور مراسم توديع رئيس فنزويلا، ثم رافقتُ الرئيس مبارك للمطار لوداع ضيفنا مرة ثانية. هذه اللقاءات البروتوكولية هي الخطوة الأولى لتفعيل العلاقات بين بلدينا، وبين أمريكا اللاتينية والعالم العربي ـ الأفريقي. والأهم من ذلك، فإنها تُتيح للرأي العام في القارتَيْن أن يتعرف على القارة الأخرى.

القاهرة: السبت، ١٨ يونيو ١٩٨٨

أغلب الوقت أقضيه في الإعداد لمؤتمر الأربعة حول ناميبيا وجنوب أفريقيا. لقاء مع فرانك وايزنر، سفير الولايات المتحدة الأمريكية، مكالمة هاتفية لموسى تراوري رئيس منظمة الوحدة الأفريقية لكي أخبره عن عقد هذا المؤتمر. كتابة بيان للإعلان عن هذا الحدث تطلَّب مني مجهودًا أكبر بكثير من المجهود الذي بذلتُه للإعداد للمؤتمر نفسه.

لم يكن الرئيس مبارك مؤيدًا لعقد هذا المؤتمر في القاهرة، فقد كان يكره فكرة استقبال ممثلي النظام العنصري على أرض مصر، لدرجة أنه قد اشترط عقد المؤتمر في فندق يقع في ضواحي القاهرة وليس في أحد مقار وزارة الخارجية.

القاهرة: الأربعاء، ٢٢ يونيو ١٩٨٨

اجتماع في رئاسة مجلس الوزراء للاتفاق على أفضل طريقة للتنسيق بين جهود مختلف الوزارات بخصوص ملف مياه النيل. رئيس الوزراء يؤيدني، لكن بعض الوزراء، خصوصًا وزير الري، يعتقدون أن وزارة الخارجية لا ينبغي لها الاهتمام بمشكلة تقنية إلى هذا الحد. إنه مخطئ. فهناك عدة دول تستخدم مياه النيل، وهذه مشكلة سياسية في المقام الأول وتتطلب نشاطًا ديبلوماسيا وتقنيا على المدى الطويل.

قابلت الأنبا باخوم في مقر الوزارة. اشتكى من إغلاق كنيسة قبطية في سوهاج. إن مشكلة بناء الكنائس أو حتى ترميمها ما تزال تُسمِّم العلاقات بين الأقباط والمسلمين، وذلك بسبب التنافس البدائي بين الفلاحين، فإذا بنى الأقباط في

إحدى القرى كنيسة، يجد المسلمون أنفسهم كما لو كانوا مطالبين بالعمل فورًا لبناء مسجد، بل ربما يشعرون أن عليهم أن يجعلوا مئذنة هذا المسجد أعلى من برج أجراس الكنيسة.

في الوقت نفسه فإن الشرطة وأجهزة وزارة الداخلية تُعارض بصورة تكاد تكون تلقائية بناء الكنائس، ليس من مُنطَلَق ديني بالذات بل لأسباب أمنية حيث إن أجهزة الأمن عادة ما ترى أن وجود كنيسة في قرية ما سيزيد من أعباء رجال الشرطة الذين سيُضطرون غالبًا لحراستها ضد أي هجوم محتمل قد يشنه عليها المتعصبون، وما قد يعقب ذلك من خلافات محتملة بين الأقباط والمسلمين، تضطر الشرطة للتعامل معها.

غداء مع يوسف ابن أخي الذي كان لديه شكوى أيضا، ولكن شكوى يوسف تتعلق بالتفكك الذي أصاب وزارة التعاون. شرحتُ له أن هذه المشكلة كثيرًا ما تواجه أغلب الوزارات في بلاد العالم الثالث.

القاهرة: الخميس، ٢٣ يونيو ١٩٨٨

رأستُ اجتماع مجلس إدارة جمعية الصداقة المصرية ـ السوفييتية. بعد ذلك، ذهبتُ للترحيب بوزير خارجية جنوب أفريقيا بيك بوتا، ووزير الدفاع الجنرال مالون اللذين وصلا للتو إلى القاهرة ونزلا في فندق بعيدًا عن وَسط المدينة وتحت حراسة مُشَدَّدة.

القاهرة: الجمعة، ٢٤ يونيو ١٩٨٨

أطلعني تشيستر كروكر على وجهة النظر الأمريكية بخصوص المؤتمر الرباعي الذي سيفتتح أعماله غدًا. لقاء مع الوفد الكوبي الذي يحمل رسالة من كاسترو يشكو فيها مصر لاستضافتها للمؤتمر.

القاهرة: السبت، ٢٥ يونيو ١٩٨٨

افتتاح المؤتمر الرباعي. أحضر بيك بوتا حقيبة يد هدية لليا، كما أحضر وسامًا كان يود أن يسلمه بنفسه للرئيس مبارك، غير أن الرئيس رفضَ استقباله. عُقد المؤتمر في جو هادئ. على الرغم من أن المرء عندما ينظر إلى بيك بوتا يجد نفسه أمام شخص

مفتول البنيان، إلا أن بوتا هو في الوقت نفسه شخص يتمتع بالقدرة على بناء علاقات شخصية بسهولة وإدارة الحوار بيُسر مع محدثيه. اتفقنا على أن المداولات ستبقى مغلقة، ولن يسمح للصحافة بالاطلاع على ما يدور في المؤتمر.

القاهرة: الأحد، ٢٦ يونيو ١٩٨٨

الإفطار مع فرانك وايزنر وتشستر كروكر اللذين عرضا عليَّ نتائج المؤتمر وأشارا إلى حدوث تقدم فيما يتعلق بموضوع استقلال ناميبيا قريبًا وأنجولا. لكنهما أشارا إلى أن حل المشكلة الأنجولية يتطلب إجراء مُصالحة بين حركتي الانفصال الرئيسيتين مع الإشارة إلى أن موبوتو سيكون له دور أساسي في تفعيل هذه المصالحة.

وفي المحصلة النهائية، فإن عقد هذا المؤتمر في القاهرة تحديدًا يُعتبر انتصارًا للدبلوماسية المصرية. لقد أحسنتُ فعلًا بالإلحاح على الرئيس مبارك لقبول حضور ممثلي جنوب أفريقيا للقاهرة. وحتى اللحظة الأخيرة، كان الرئيس يُصر على الحصول على موافقة موسى تراوري رئيس منظمة الوحدة الأفريقية لكننا لم نكن أبدًا بحاجة لهذه الموافقة فقد كان يكفي إبلاغه على سبيل المجاملة.

الطريف في الموضوع، هو أن بيك بوتا قد نجح في تجاوز الحراسة المشددة التي فرضناها عليه في مقر إقامته، على بُعد عدة كيلو مترات من القاهرة، فقد ذهب إلى منطقة الأهرامات في الجيزة وأخذ صورًا له وهو يمتطي ظهر جمل. واهتمت الصحافة العالمية بهذه الصورة في حين أن الصحافة المصرية لم تذكُر الكثير عن هذا المؤتمر.

عند الظهر، ركبتُ الطائرة مع المشير أبو غزالة للقيام بزيارة قصيرة لكينشاسا. تحدثتُ طويلًا معه، لديه مشاريع كبرى، من بينها عقد تحالف مع زائير وضمان وجود تجمعات من المزارعين المصريين لزراعة الأراضي الأفريقية وكذلك تولي ضباط مصريين مهمة تدريب الجيش الزائيري. حاولتُ تهدئة حماسه وذكَّرتُه بأن زائير دولة غير متقدمة وأن الماريشال موبوتو لديه أحلام وميول الحكم المتفرد. غير أن ذلك لم يكن ليغير من الطموحات الكبرى للمشير أبو غزالة.

وصلنا كينشاسا مع غروب الشمس. استقبال عسكري. عشاء مع ٢٤٠ مدعوًّا.

قدموا لنا شرائح لحم التمساح الذي يشبه مذاق السمك. وأعقب ذلك إلقاء خطب حماسية رنانة.

كينشاسا: الاثنين، ٢٧ يونيو ١٩٨٨

تحدث معي السفير المصري مطولًا عن المشاكل التي يُلاقيها من البعثة العسكرية المصرية، فالقليل من ضباطنا يجيد اللغات الأجنبية، والقليل منهم أيضًا يقدر على تقديم المساعدة التقنية. يوجد فارق كبير بين المشاريع التي تدور في ذهن المشير أبو غزالة وحقيقة الوضع المصري في زائير. حكى لي السفير بالتفصيل عن حادث السيارة الذي راح ضحيته اثنان من الضباط المصريين.

توقيع اتفاقية للتعاون مع كاماندا، وزير خارجية زائير. كُنا متفاهمَيْن تمامًا لدرجة أننا أجرينا مناقشة صريحة وموضوعية بعيدًا عن اللغة الدبلوماسية المعتادة التي تتجاوز الأخطاء وتذكُر ما هو إيجابي فقط، ورغم ذلك فإن التعاون بين مصر وزائير ليس فعَّالًا.

كينشاسا: الثلاثاء، ٢٨ يونيو ١٩٨٨

غادرنا كينشاسا في الفجر للحاق بسفينة الرئيس موبوتو على بُعد ٦٥كم من كينشاسا. الرئيس موبوتو ـ وهو الرئيس المؤسس لزائير فيما بعد الاستعمار ـ زاد وزنه وترهل قوامه، وأصبح مُسنًّا ويبدو عليه الإرهاق. عرضتُ عليه نتائج الاجتماع الرباعي، وطلبتُ منه باسم الرئيس مبارك أن يتوسَّط في أنجولا بين منظمتَي مبالا ويونيتا. وكذلك أن يتوسط في السودان بين الصادق المهدي وجون جارانج. شعر موبوتو بالفخر لهذا الطلب وأعلن استعداده للقيام بهذه المهمة المزدوجة، وصَرَّح بأنه سيُحيط الرئيس مبارك علمًا بما سيحدث.

وفي سياق آخر، أعلن موبوتو أنه قَرَّر وضع عشرة آلاف فدان من الأراضي الصالحة للزراعة تحت تصرُّف الحكومة المصرية، مما أثار حماس المشير أبو غزالة الذي رأى جزءًا من أحلامه يتحقق. وكان ذلك ممكنًا لولا الطبيعة الكسولة لعمل الإدارة المصرية وعدم كفاءة أداء الإدارة الزائيرية.

عدنا إلى كينشاسا حيث حضرنا مناورة للحرس الخاص بموبوتو. لا أعرف ما

هو الدور الذي تقوم به البعثة العسكرية المصرية في هذه العملية. يجب عليَّ ألا أطرح أسئلة إذا أردتُ أن أبقى على علاقة طيبة بالعسكريين الزائيريين والمصريين. تسلَّم المشير أبو غزالة وسامًا في حفل استقبال أقيم في نادي ضباط الجيش. وقال لي المشير بصورة تلقائية:

«ـ لقد جئت مرات عديدة لزائير ولم يقلِّدوك أي وسام؛ أمَّا أنا، فتكفيني زيارة واحدة للحصول عليه».

«ـ عليك أن تمنحني رتبة عميد أو لواء، وهذا ما سَبَق لي وأن طلبتُه من السادات لكي أحصُل على الوسام».

وعندما تمت ترجمة هذا الحوار المجامل للعسكريين الزائيريين، وعدوني بمنحي وسامًا في الزيارة القادمة. لكن المشير أصرَّ على أن تقلدني السلطات المدنية وليست العسكرية مثل هذا الوسام.

هراري: السبت، ٢ يوليو ١٩٨٨

عند وصولي لمطار هراري، استقبلني وزير الخارجية، ناتان شاموا ريبرا، وأعضاء الجالية المصرية. ناتان صديق قديم وأصرَّ على أن أزور فيلّته الجديدة ورؤية مكتبته. إنه يعرف كافة أسرار الصراع بين سافيمبي وحكومة لواندا، وكافة أسرار الصراع بين رينامو ومابيوتو في موزمبيق. تحدثنا عن الضعف الذي انتاب حركة عدم الانحياز بسبب التقارب بين الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي.

حفل عشاء على شرف جوليوس نيريري. الرئيس التنزاني ما يزال متمتعًا باليقظة والذكاء، ومُحبًا للنقاش المفتوح ومناظرة الآراء المتعارضة، على عكس أغلب رؤساء الدول الذين يتحملون معارضتهم على مَضَض.

هراري: الأربعاء، ٦ يوليو ١٩٨٨

قرأ الرئيس موجابي ـ بعناية ـ الرسالة التي وجهها مبارك إليه، ثم استحضر ذكرى نكروما الذي كان يحب مصر والذي تزوج من مصرية. وفيما يتعلَّق بموجابي نفسه، فإنه يشعُر بالضعف إزاء غانا، فقد تزوج من غانا عندما كان منفيًّا هناك.

ثم انتقل بشكل مفاجئ من ذكريات شبابه للحديث عن المشاكل الحالية بنبرة رسمية فخيمة تتناقض مع رقة المشاعر التي كان يتحدث بها توًّا.

هراري/القاهرة: الأحد، ١٠ يوليو ١٩٨٨

عدتُ من هراري للقاهرة بالطائرة عَبْر أديس أبابا. وعلى متن الطائرة التقيت وزير خارجية السودان الجديد الذي سألتُه:

«ـ هل تقبلون أن يتولى أحد الجنوبيين منصب رئيس الجمهورية؟».

لم يتردد في الإجابة ولو للحظة واحدة:

«ـ سيدي الوزير، إن الرد هو لا.. ثم لا».

صَمَتُّ ولم أقُل له إنهم بذلك غير مستعدين لعقد مصالحة حقيقية مع الجنوب، وإنهم سيواجهون الانفصال. ذكرتُ شيئًا عن حكمة الزعماء وعن أهمية المصالحة لمستقبل السودان. إن التحليل النهائي للوضع يُظهر أننا أمام صراع يدور بين زنوج يريدون أن يكونوا عربًا وزنوج يريدون أن يكونوا أفارقة، في الوقت نفسه فإن كلا الجانبين ممزق داخليًا بين عشرات القبائل والفصائل.

موسكو: السبت، ٢٣ يوليو ١٩٨٨

وصلتُ إلى موسكو بعد ظهر أمس لحضور جمعية الصداقة المصرية ـ السوفييتية. قمتُ بجولة سياحية، فزرت مدينة كليمت الواقعة على بعد ٨٠ كم من موسكو وكذلك المنزل الذي قضى فيه تشايكوفسكي سنواته الأخيرة.

قابلتُ سفير أستراليا وزوجته الكورية أوكشي، وقد كان لهما نشاط كبير وشعبية واسعة أثناء فترة عملهما في مصر سابقًا. يعيش السفير الأسترالي وزوجته هنا في منزل فخم كان مملوكا لمليونير روسي قبل الثورة البولشفية. كانت زوجة ـ أو بالأحرى عشيقة ـ هذا المليونير مغنية؛ ولذلك، فإن كل الحوائط مغطاة بالخشب لتوفير أقصى قَدْر من دقة سماع الصوت.

موسكو: الاثنين، ٢٥ يوليو ١٩٨٨

في الصباح، لقاء مع الرئيس فلاديمير فينوجرادوف برفقة السفير المصري. بعد ذلك، لقاء مع السفير دوبرينين الذي صَرَّح قائلًا:

«ـ طالما أن الدول العربية تؤيد إريتريا، فلن يحدث أي تعاون محتمل بين دول حوض نهر النيل».

قال لي دوبرينين بهدوء وديبلوماسية: «إن الدول العربية تؤيد إريتريا بهدف إضعاف إثيوبيا التي يعتبرونها دولة مسيحية في حين أن إريتريا أكثر مسيحية من إثيوبيا».

بعد ذلك، تحدثنا عن إمكانية إصدار كتاب في سنة ١٩٩٣ للاحتفال بمرور ٥٠ سنة على إقامة العلاقات الديبلوماسية بين مصر والاتحاد السوفييتي.

إنني مولع بالقراءة والكتابة في حين أن أغلب المصريين لا يميلون كثيرًا للقراءة ويفضلون مشاهدة التلفزيون.

القاهرة: الاثنين، ٢٢ أغسطس ١٩٨٨

مكالمة هاتفية من الرئيس مبارك. إنه غاضب لأن إدارة الشئون الأفريقية في وزارة الخارجية أصدرت بيانًا للصحافة يفيد بأن مصر ستُزَوِّد السودان بطائرات هليوكوبتر. هذا التصريح مخالف تمامًا لسياستنا إزاء السودان. أجريتُ تحقيقا تبَيَّن منه أن السفير فتحي رزق هو الذي ارتكب هذا الخطأ الديبلوماسي الذي أتحمَّل أنا مسئوليته.

القاهرة: الخميس، ٢٥ أغسطس ١٩٨٨

السفير عبد الملواي الصُّلح جاءني يشكو، حيث علم أن مصر ستُسلِّم لسلطات مقديشيو أربعة ضباط فروا من الجيش؛ وإذا أُعيدوا لبلادهم، فسوف يُعدمون. اتصلت بمصطفى الفقي، وهو واحد من ألمع ديبلوماسيينا ومُلْحَق برئاسة الجمهورية. تَدَخّل لدى السلطات العسكرية لكي لا تُسلِّم الضباط الصوماليين الفارين.

كيجالي: الثلاثاء، ٦ سبتمبر ١٩٨٨

فرانسيس مادينج دينج، وزير خارجية رواندا، حكى لي بحزن وتأثر عن مذبحة التوتسي والهوتو. كان سفير فرنسا هنا زميلًا لي في كلية الحقوق بباريس في سنة ١٩٤٦. يرى ضرورة تشجيع الرئيس الرواندي على التحرك لكي نتجنَّب وقوع مثل هذه الصراعات العرقية مجدَّدًا.

كيجالي/بوجومبورا: الأربعاء، ٧ سبتمبر ١٩٨٨

قَدَّم رئيس رواندا جوفينا هابيا ريمانا ـ تحليلًا للوضع يتسم بالوضوح والحيادية، مشيرًا إلى أن السبب الأساسي في وقوع هذه الصراعات العرقية يرجع إلى عدم التوازن العرقي بين التوتسي وهم أقلية والهوتو الذين يمثلون الأغلبية. قلتُ له إننا مستعدون لتقديم العون اللازم لإيجاد حل لهذه الأزمة العرقية.

سافرتُ إلى بوجومبورا. كان وزير الخارجية غائبًا، فاستقبلني وزير الأشغال العامة من التوتسي، وهو رجل مثقف وموضوعي للغاية. بعد الظهر، لقاء مع الرئيس بيير بويايا، وهو رجل حساس جدًا وتأثر تمامًا بالاهتمام الذي تُبديه مصر إزاء بوروندي. وقال لي:

«ـ إننا نواجه عناصر مصممة على زعزعة أركان النظام. في الواقع، فإن عملية التحوُّل إلى الديموقراطية تُسبب بعض المشاكل، فأغلبية السكان تنتمي للهوتو الذين يخضعون لحكم الأقلية من التوتسي».

كمبالا: الجمعة، ٩ سبتمبر ١٩٨٨

سافرتُ إلى عنتيبي حيث استقبلني الرئيس موسيفيني. أجريتُ معه لقاءً طويلًا استغرق أكثر من ثلاث ساعات على انفراد. تحدثنا عن كل شيء: عن السلام وتسوية الصراعات، وعن النمو. إنه رجل دولة ذكي وبراجماتي وله رؤية للمستقبل بها الكثير من المشاريع الطموحة. تحدَّث معي بحماس عن جعل نهر النيل ممرًّا للملاحة النهرية من أوغندا حتى الإسكندرية. لكن، تنقصنا الإمكانيات والفنيون التقنيون لتحقيق هذا المشروع العظيم. وعلى كل حال، فإن أحلام الحاضر التي قد تبدو مغرقة في المثالية قد تتحول إلى واقع في المستقبل.

قمتُ برحلة إلى منابع النيل الأبيض في جينجا. هذا الموقع التاريخي لم يؤثِّر فيَّ، فلم ينتابني نفس الأحاسيس التي شعرتُ بها أمام منابع النيل الأزرق، ربما لأن ٨٥٪ من المياه التي تغذِّي نهر مصر تأتي من النيل الأزرق بينما لا يقدم النيل الأبيض لها سوى ١٥٪.

القاهرة: الجمعة، ١٦ سبتمبر ١٩٨٨

مثل كل أعضاء وزارة الخارجية، أنتظر بفارغ الصبر والقلق نتيجة قرار لجنة التحكيم الخاص بطابا، بل إنني قضيتُ جزءًا من الصباح أعد فيه خطبة عندما تفوز مصر في التحكيم.

روما: الاثنين، ١٩ سبتمبر ١٩٨٨

تأخَّر صدور قرار التحكيم فتزايد قلقي. حديث مع الرئيس جوليو آندريوتي بخصوص يوغوسلافيا وفلسطين وصندوق النقد الدولي. إن هذا الرجل يتمتع بذكاء لافت ودراية كاملة بتفاصيل الملفات! كنتُ قد أعددتُ مذكرات مكتوبة كنتُ أراجعها من وقت لآخر أثناء حديثي معه؛ لكن جوليو آندريوتي لم ينظر إلى أي ملف أمامه، لم يحتج لمراجعة أي ورقة مكتوبة فيما كان يشير إليه من أرقام ومعلومات.

القاهرة/بلجراد: الخميس، ٢٢ سبتمبر ١٩٨٨

غادر الرئيس مبارك متوجهًا إلى يوغوسلافيا في زيارة رسمية. اشتركتُ في الوفد المرافق. أثناء رحلة الطيران، أتيحت لي فرصة التحدث معه عن الجامعة الفرانكوفونية التي نود إنشاءها في الإسكندرية لإعداد القيادات الأفريقية. وافق الرئيس على المشروع بل وأبدى استعداده لحضور حفل الافتتاح إذا نجحتُ في إقناع الرئيس ميتران بالحضور.

مشاورات مع كبار الشخصيات اليوغسلافية. وضع باقة زهور على قبر الماريشال تيتو.

حفل عشاء رسمي. جلستُ بين زوجة رئيس الوزراء ـ التي لا تتحدث أية لغة أجنبية ـ وزوجة وزير الخارجية. التي تتحدث بكل اللغات ـ كنتُ أكتفي بالابتسام للأولى وأجريتُ حديثًا مهمًا مع الثانية. شرحَت لي بصراحة غير معهودة المشاكل التي تمر بها بلادها منذ وفاة تيتو، ومنها: اشتعال الجذوات القومية لدى كل شعب من شعوب يوجوسلافيا، والصراعات العرقية، والصراعات الدينية... إلخ.

بلجراد: الجمعة، ٢٣ سبتمبر ١٩٨٨

تناقشتُ مع كل من رئيس الوزراء ووزير الخارجية حول الموضوعات نفسها:

مستقبل حركة عدم الانحياز في ضوء التقارب الأمريكي السوفييتي، وأزمة الشرق الأوسط، والمشاكل الأفريقية. تَوَلّد لديَّ الانطباع ـ ربما يكون مجرد انطباع ـ بأن الديبلوماسية اليوجوسلافية قد فَقَدَتْ حيويتها منذ وفاة تيتو. يبدو أنني سأقتنع في النهاية بأن قائد الأوركسترا أهم من الموسيقيين، وهذا عكس ما كنت أظنه دومًا.

لندن: الأحد، ٢٥ سبتمبر ١٩٨٨

غيَّر الرئيس رأيه ولن يذهب إلى بلجيكا. لحسن الحظ، فالإدارات الحكومية الأساسية تُغلق أبوابها في عطلة نهاية الأسبوع مما سيُتيح لسفيرنا في بروكسل فرصة لصياغة تبرير تغيير البرنامج.

يقدم سفيرنا في لندن محمد شاكر وزوجته صورة جميلة جدًّا عن مصر. يجب أن يظلَّا دائمًا في لندن. أعتقدُ أنه لكي يكون الشخص ديبلوماسيًا جيدًا، يجب أن ينتمي في الأساس للطبقة البرجوازية، طبعا توجد استثناءات، فالشخص الذي لا ينتمي للطبقة البرجوازية قد يكون ديبلوماسيًا ممتازًا؛ وفي الوقت نفسه، قد ينتمي الشخص للبرجوازية ويكون ديبلوماسيًا سيئًا جدًا.

لندن/باريس: الاثنين، ٢٦ سبتمبر ١٩٨٨

مباحثات مثمرة في وزارة الخارجية البريطانية. بعدها، استقبلتني مارجريت ثاتشر في مكتبها في ١٠ داوننج ستريت.

التُقطت الصور وأُلقيت الخطب. بعد ذلك، سافرنا بالطائرة إلى باريس. الإقامة بفندق الكريون. زرتُ آلان دوكو، المسئول عن ملف الفرانكوفونية لكي أحصُل على دعمه لإنشاء الجامعة الفرانكوفونية في الإسكندرية.

باريس: الثلاثاء، ٢٧ سبتمبر ١٩٨٨

ذهبنا من فندق الكريون إلى قصر الإليزيه سيرًا على الأقدام. مزاج الرئيس ممتاز. استقبلنا فرنسوا ميتران. غداء فخم. جَلَسَتْ مدام ميتران عن يساري. عندما تحدث الرئيس مبارك عن القذافي، هَمَسَت في أذني:

«ـ إنه موضوعه المحبَّب».

بعد الغداء، استقبل الرئيس مبارك على التوالي: شيفينمان، روكار، شيراك. الجو هادئ وودي. تتصف العلاقات المصرية ـ الفرنسية بأنها دائمًا في غاية الحرارة.

القاهرة: الخميس، ٢٩ سبتمبر ١٩٨٨

عند عودتنا للقاهرة، علمنا بالخبر السعيد: جاءَت نتيجة التحكيم لصالح مصر. وحسب ترسيم خط الحدود، فإن الأرض التي بنى الإسرائيليون فندقهم عليها هي جزء من الأراضي المصرية.

تلقيتُ مكالمات هاتفية من صحفيين من إسرائيل يسألونني:

«ـ ما هو تعليقكم بخصوص الفوز المصري في موضوع طابا؟».

«ـ لا يوجد لا فائز ولا مهزوم لأن الفائز الحقيقي هو القانون الدولي وتوطيد علاقات السلام بين مصر وإسرائيل».

القاهرة: الأحد، ٢ أكتوبر ١٩٨٨

صديقي بونا موالوال الزعيم السوداني الجنوبي يشكو لي من الصادق المهدي. العلاقات بين جنوب السودان وشماله لن تتحسن على المدى القريب، بل إنها قد تتدهور أكثر. أخشى على مستقبل السودان، هذا البلد الشقيق الذي يهمنا في المقام الأول ـ وإن كنا لا نعطيه الاهتمام الكافي.

القاهرة: الاثنين، ٣ أكتوبر ١٩٨٨

حضرتُ جنازة صديقي وزميلي محمد خيري عيسى، تعاونّا معًا طوال ثلاثين سنة واشتركنا معًا في إصدار عدد من الكتب في العلوم السياسية. كنتُ عادةً ما أنشُر مقالتَين في العدد نفسه من مجلة «الأهرام الاقتصادي»، فكان أحد مساعديّ يقول لي في كل مرة:

«ـ يجب التوقيع على كل المقالات، وأنت لا تستطيع أن تضع اسمك على المقالتَيْن».

«ـ إذن، ضع اسم خيري عيسى».

وفي اليوم التالي، كان خيري عيسى يلومني بطريقة ذكية قائلًا:

«ـ عندما تستخدم اسمي، كُن لطيفًا، على الأقل أخبرني مقدمًا بذلك لكي أخبر زوجتي فتقرأ مقالتي».

لقاء مع الإسرائيليين. لن يتم تغيير الحدود في طابا إلا بعد إجراء الانتخابات الإسرائيلية. إننا نتصف بالعظمة والكرم فقبلنا هذه المهلة الأخيرة.

القاهرة: الاثنين، ١٠ أكتوبر ١٩٨٨

لقاء مع الأنبا باسيليوس، الأسقف المصري في القدس. كان قد استقبلنا أثناء زيارة السادات التاريخية للقدس في سنة ١٩٧٧، وألقى كلمة قويه جدًا وشجاعة اتهم فيها الإسرائيليين بسلب كنيسة دير السلطان القبطية من مصر وإعطائها للكنيسة الإثيوبية.

لن أنسى موقف السادات الذي استمع بكل هدوء لخطبة الأنبا باسيليوس للمطالبة باسترداد دير السلطان، وانتقاداته العنيفة الموجهة ضد الإسرائيليين، ولومه للحكومة المصرية التي اعتبرها سلبية للغاية. ذكّرني الأنبا باسيليوس أنه يحضر للقائي سنويًا منذ ١١ عامًا لكي يطلب مني تنفيذ حكم المحاكم الإسرائيلية برد دير السلطان للكنيسة القبطية المصرية. وفي كل مرة، كنتُ أعده بمضاعفة جهودي.

حفلة ساهرة بمناسبة افتتاح دار الأوبرا الجديدة في القاهرة بحضور الرئيس مبارك. مبنى دار الأوبرا الجديد منحة قدمتها الحكومة اليابانية. كنتُ موجودًا عندما جاء اليابانيون لمقابلة عاطف صدقي رئيس الوزراء واقترحوا عليه تقديم عرض «كابوكي» في حفل الافتتاح. سألتُ رئيس الوزراء باللغة العربية:

«ـ هل سَبَقَ لك وأن حضرتَ عرضًا «للكابوكي»؟».

«ـ لا. هل هي مسرحية؟».

«ـ نعم. لكنها ليست بالعمل المسرحي الذي يمكن أن يتقبله بسهولة الجمهور المصري».

«ـ ما هو البديل الذي تقترحه؟».

«ـ لا يوجد عندي أي بديل في الوقت الحالي».

«ـ إذن، علينا قبول الاقتراح الياباني».

استمر العرض ساعة كاملة كنتُ خلالها أشعُر بالرعب خوفًا من أن ينفجر الجمهور بالضحك أو أن يضج تعبيرًا عن شعوره بالضيق، مما سيُعد إهانة للثقافة اليابانية. لحسن الحظ، فقد تم كل شيء بهدوء. كنتُ أجلس بجوار الموسيقار والمغني محمد عبد الوهاب الذي كان ينفخ بصوت مسموع طوال مدة العرض مُرددًا:

«ـ الصبر، الصبر، ...».

القاهرة: الثلاثاء، ١١ أكتوبر ١٩٨٨

في الصباح، نشرت جريدة «الأخبار» اليومية واسعة الانتشار رسمًا كاريكاتوريا يُبيِّن امرأة تقدم شكوى في قسم الشرطة قائلة:

«ـ زوجي يُريد أن يعمل لي كابوكي».

إن إقامة حوار بين الحضارات ليست بالمهمة السهلة، فهو يتطلب طاقة إبداعية كبرى والتحلي دومًا بالصبر والإرادة.

الجلسة الافتتاحية لمؤتمر الطرُق في أفريقيا الذي تنظمه شركة عَلَّام للمقاولات بالتعاون مع وزارة الخارجية. السفير نبيل التلاوي هو واحد من أكثر المهتمين بالقضايا الأفريقية، وهو الذي بادر بعقد هذا المؤتمر. في هذه المرة، وَجَّهنا الدعوة لشركات المقاولات الكبرى. يجب تنشيط التضامن الأفريقي بواسطة القطاع الخاص.

القاهرة: الأربعاء، ١٢ أكتوبر ١٩٨٨

حدثني أبو غزالة ـ القائد الفلسطيني عن تصاعد المد الأصولي في غزة بتشجيع من إسرائيل ولإضعاف منظمة التحرير الفلسطينية. بهذا التصرُّف يرتكب الإسرائيليون خطأ جسيمًا في التقييم لا يُمكن إدراك أبعاده، فهم يخلقون السلاح الذي سيرتد عليهم؛ وهذا السلاح أكثر خطورة على إسرائيل ذاتها أكثر من كوْنه خطرًا على ميليشيات عرفات.

القاهرة: الاثنين، ١٧ أكتوبر ١٩٨٨

رأستُ الاجتماع الرابع للجنة الأفريقية لحقوق الإنسان. كيف يتسنى لنا تنمية ثقافة حقوق الإنسان بينما تقع أغلب البلاد الأفريقية في قبضة أنظمة استبدادية كما

أن أغلب شعوبها تعاني من الأمية والجوع؟ إنه تحد حقيقي يهدف أولًا إلى تحسين صورة أفريقيا في العالم أكثر من كوْنه يهدف لتحسين الوضع البائس الذي يعاني منه الأفارقة.

لأول مـرة تُدعـى المنظمـات غير الحكومية. همس أحد مسـاعديّ الشـبان في أذني قائلًا:

«ـ إذا فشلنا في إصلاح المضمون، فعلينا الاهتمام بالشكل».

لم أزجُره لكي يستمر في الحديث معي بصراحة مُطلقة. وافق أعضاء اللجنة على اختيار مدينة بانجول ـ عاصمة جامبيا ـ لكي تكون مقرًا للجنة الأفريقية لحقوق الإنسان. أعتقد أن هذا الاختيار خطأ، فقد كان ينبغي اختيار عاصمة أفريقية كبيرة لكي تضفي على هذه اللجنة الجديدة المزيد من المكانة والتألُّق.

شاركتُ في جنازة الملكة فريدة،الزوجة الأولى للملك فاروق. كانت قد طَلَبَت مساعدتي لكتابة مذكراتها باللغة الفرنسية التي تتقنها أكثر من اللغة العربية. أجهلُ مصير الخمسين صفحة التي تحكي عن السنوات الأولى لحياتها مع الملك الشاب؛ فاروق.

القاهرة: الجمعة، ٢١ أكتوبر ١٩٨٨

غداء مع عالمة الآثار إليزابيث كارنو، وهي زوجة أحد رجال البنوك السويسريين. كانت قد أجْرَت حفائر في منطقة «القللية»، وهو دير قبطي قامت حوله قرية فيما بعد. تنوي عرض القطع التي اكتشفتها في متحف جنيف. اقترحتْ عليَّ افتتاح هذا المعرض. قبلتُ هذا التكريم، خصوصًا وأنني أشعر بالذنب لأنني أهمل تقاليد العائلة في الاهتمام بمشاكل الكنيسة القبطية، مثل إدارة الكنيسة البطرسية، أو إدارة جمعية الآثار القبطية، أو علاقة الكنيسة القبطية المصرية بالكنيسة القبطية الإثيوبية ...إلخ.

القاهرة: السبت، ٢٢ أكتوبر ١٩٨٨

ألقيتُ محاضرة عن «سياسة مصر الخارجية» في مقر جامعة الدول العربية، وعلى عكس ما كنتُ أتوقَّع فقد كان الحضور متابعًا باهتمام للمحاضرة وطرح المشاركون

عليَّ أسئلة وثيقة الصلة تمامًا بالموضوع. كانت إجاباتي ديبلوماسية للغاية. أشعُر بالإرهاق وليست لديَّ أية رغبة في الاستمرار فيما أقوم به.

القاهرة: الاثنين، ٣١ أكتوبر ١٩٨٨

الاجتماع الخامس لمجموعة «الأوندوجو». حضرت جمهوريات: وسط أفريقيا ورواندا والسودان وأنجولا وزائير ومصر؛ أمَّا تنزانيا وبوروندي، فقد حضرتا بصفة مراقبتَيْن.

إن مشاركة برنامج الأمم المتحدة للتنمية وكذلك لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية من أجل أفريقيا، وغيرهما من المنظمات التقنية الأفريقية، يضفي قدرًا من الأبهة والفخامة على هذا اللقاء. قدمتُ عرضًا لاتصالاتي ببرنامج الأمم المتحدة للتنمية لتنفيذ التعاون في موضوع النقل النهري والبري والجوي بين البلدان المشاركة في الاجتماع. وذكرتُ أيضًا الاتفاقية التي عقدتها مصر مع زائير في مجال الطاقة الكهربائية.

خُصصت جلسة بعد الظهر لمناقشة المشاكل السياسية، خصوصًا الصراع بين شمال السودان وجنوبه، والوضع في فلسطين، والحرب بين العراق وإيران. وافقنا على اقتراح قدمته جمهورية وسط أفريقيا لعقد الاجتماع المقبل في بانجي.

القاهرة: السبت، ٥ نوفمبر ١٩٨٨

زيارة مجاملة لوزير خارجية الكاميرون، جاك بوبو، الذي يحمل رسالة للرئيس مبارك من رئيس الكاميرون. إننا نعرف ونُقدِّر بعضنا البعض جيدًا. جاك بوبو لا يتحدث كثيرًا ويحسن ترتيب أوراقه ودراسة الملفات الموكلة إليه، وكذلك الإعداد للقاءات التي يجريها، على العكس من أغلب نظرائه الأفارقة. إنه نتاج ممتاز للثقافة الفرانكوفونية.

القاهرة: الأحد، ٦ نوفمبر ١٩٨٨

سلم جاك بوه بوه للرئيس مبارك رسالة الرئيس بول بيا. تم اللقاء في جو ودّي. ركز الرئيس مبارك على السياسة الضارة التي تمارسها ليبيا.

القاهرة: الاثنين، ٧ نوفمبر ١٩٨٨

استقبلتُ عبدول كوراما وزير خارجية سيراليون وبرفقته الوزير المسئول عن الحزب الحاكم. كوراما رجل قانون ممتاز يضفي على محادثاته منطقًا يتيح لنا حصر المشاكل وتطويقها بشكل أفضل وحلّها.

قررنا التوقيع على اتفاقية بين الحزب الوطني الديموقراطي في مصر وحزب مؤتمر الشعب في سيراليون.

القاهرة: الاثنين، ١٤ نوفمبر ١٩٨٨

سيرأس عبده ضيوف المؤتمر الثاني للأحزاب السياسية الأفريقية. وصل الرئيس ضيوف إلى القاهرة واستُقبل في قصر القبة استقبالًا عسكريًا. انتهزتُ الفرصة لأحدثه عن الجامعة الفرانكوفونية التي نريد إنشاءها في الإسكندرية. وافق على المشروع ووعدني بالمساعدة.

القاهرة: الثلاثاء، ١٥ نوفمبر ١٩٨٨

افتتاح المؤتمر بأبهة. الرئيسان ضيوف ومبارك ألقيا خطبتيْن ناجحتَيْن طرحتا جملة من الأفكار المتكاملة. تحدث حسني مبارك عن الدور الذي لعبته مصر في تحرير الدول الأفريقية، وضرورة إنشاء سوق مشتركة قبل عام ٢٠٠٠. وركَّز عبده ضيوف على أهمية حركة عدم الانحياز.

رأستُ جلسة بعد الظهر التي دُعيت إليها أحزاب المعارضة المصرية، خصوصًا حزب الوفد وحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي؛ وهو الحزب اليساري في مصر. بلغ عدد الأحزاب المشتركة أكثر من ٤٠ حزبًا أفريقيا يمثلون ٥٥ دولة. نجحت الخطوة الأولى.

القاهرة: الأربعاء، ١٦ نوفمبر ١٩٨٨

رأستُ الجلسة الثالثة للمؤتمر. أعطيت الكلمة للوفود حسب الترتيب اللغوي والعملي وليس حسب الترتيب الأبجدي المعتاد. تناوبت الخطب باللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية، والمداخلات الطويلة بالمداخلات القصيرة.

اختتم عبده ضيوف المؤتمر ووَجَّه عددًا من الرسائل القوية حول أزمات التنمية، وعدم الانحياز، ومكافحة نظام الفصل العنصري، والمصالحة في السودان، وإقامة دولة فلسطينية.

أديس أبابا: الأربعاء، ٢٣ نوفمبر ١٩٨٨

غداء عمل مع إيديه آمارو السكرتير العام لمنظمة الوحدة الأفريقية الذي أتفاهم معه بشكل جيد جدًا. السفير أحمد حجاج السكرتير العام المساعد، وروبيز إسكندر سفيرنا المعتمد في أديس أبابا حضرا اللقاء. سفيرانا يؤديان مهمتهما على أكمل وجه: إنهما يُمثلان مصر ويُدافعان عنها بكفاءة.

بعد الظهر، استشرتُ الدكتور أمين، الطبيب المعتمد في منظمة الوحدة الأفريقية. لأن ضغط دمِّي يرتفع بشدة فور وصولي لأديس أبابا بسبب ارتفاع المدينة عن سطح البحر.

أديس أبابا: الخميس، ٢٤ نوفمبر ١٩٨٨

شرحتُ أهداف مجموعة الأوندوجو للدكتور آديجيجي، مدير «اللجنة الاقتصادية للأمم المتحدة الخاصة بأفريقيا»، وهي تتعلق بخلق تضامن بين الدول الواقعة على ضفاف النيل، والسعي للانضمام للجنة الاقتصادية لأفريقيا ثم الحصول على مساندة الأمم المتحدة لها.

أعجبه هذا المشروع.

أبدى وزير خارجية إثيوبيا بوضوح تحفظاته إزاء أنشطة مجموعة الأوندوجو. أي موضوع يمس منابع النيل فى الأراضي الإثيوبية يثير لديه الريبة. وفي الوقت نفسه، هو غير مقتنع بأهمية إنشاء دولة فلسطينية بالنسبة لأفريقيا.

أديس أبابا: الجمعة، ٢٥ نوفمبر ١٩٨٨

قَدَّم الرئيس منجستو عرضًا مطولًا حول الوضع الدولي. التحليل له طابع ماركسي. لم أكُن أعرف أنه مثقف ثقافة ماركسية، ربما يكون قد أخذ دروسًا خصوصية فيها بعد وصوله للسلطة. التزمت الصمت وكذلك فعل وزير الخارجية الإثيوبية والسفير روبير

إسكندر في انتظار أن يُنهي الرئيس منجستو تحليله لكي ندلي بتعليقات مجاملة. إن إطراء رئيس دولة ما بطريقة ذكية وغير مباشرة هو أول درس ينبغي على الديبلوماسي الجيد أن يتعلمه.

زرتُ موقع العمل الذى سيُبنى فيه مقر سفارتنا الجديد. لم نحصُل على تصريح بالبناء، بل حصلنا فقط على تصريح بتجديد المقر القديم، خصوصًا وأن الحكومة الإثيوبية تنتظر استعادة الأرض التي نشغرها حاليًا. وعندما لاحَظَت السلطات المحلية هذه المخالفة، كان الوقت قد فات. لقد اتخذت هذا القرار على مسئوليتي التامة وأتحمل كل نتائجه. سعدتُ برؤية تقدُّم الإنشاءات بشكل جيد وأنها ستنتهي في خلال بضعة أشهر.

اجتماع لمجموعة الاتصال المكلَّفة بالإعداد للمؤتمر الدولي حول الديون الأفريقية. حصلتُ على موافقة الأعضاء لعقد الاجتماع القادم في القاهرة. إننا نتقدم ببطء على الرغم من مساعدة خبراء اللجنة الاقتصادية للأمم المتحدة من أجل أفريقيا.

أديس أبابا: السبت، ٢٦ نوفمبر ١٩٨٨

كنتُ سأسافر اليوم إلى باريس، لكن شركة الطيران ألغت رحلتها وهو ما اضطررت معه لتغيير مسار رحلتي. صباح اليوم، عرفتُ أن واشنطن رفضت منح تأشيرة دخول لياسر عرفات. إن الولايات المتحدة تنحاز لإسرائيل بشكل صارم. علينا أن نسعى لدى وزارة الخارجية الأمريكية ولدى تل أبيب. هذا الموقف الإسرائيلي الأمريكي هو أفضل ما يُمكنهما تقديمه كهدية لمساعدة الأصوليين العرب. لقد كان ينبغي عليهما أخذ العبرة من اغتيال الرئيس السادات وتعديل سياستهما.

باريس/مكسيكو: الثلاثاء، ٢٩ نوفمبر ١٩٨٨

أشعر بالإرهاق بعد رحلة الطيران التي استغرقت ١٤ ساعة متصلة. مؤتمر صحفي، يريد الصحفيون معرفة رد فعلي إزاء رفض واشنطن منح تأشيرة دخول لياسر عرفات.

«ـ إنه مجرد عمل مضاد لأهداف عملية السلام في الشرق الأوسط».

مكسيكو: الأربعاء، ٣٠ نوفمبر ١٩٨٨

قدمتُ تحياتي لرئيس جمهورية المكسيك السابق ميجل دي لا مدريد هورتادو ووزير خارجيته، سيبولفيدا.

مكسيكو: الخميس، الأول من ديسمبر ١٩٨٨

الاحتفال بتنصيب رئيس المكسيك الجديد، كارلوس ساليناس. جلستُ بجوار رئيس مجلس الشيوخ الكندي. استمعتُ للخُطب المترجمة إلى اللغتَيْن: الفرنسية والإنجليزية. كنتُ أغيِّر بانتظام موجات سماعات الأذن لكي أستمع للترجمة الفرنسية ثم الإنجليزية ثم الفرنسية مرة أخرى، وهكذا بالتوالي لكي أبقى مستيقظًا. هذه الرحلات الطويلة تتعبني.

مكسيكو: الجمعة، ٢ ديسمبر ١٩٨٨

لقاء مع جيسوس كونتراس، أحد طلابي السابقين في جامعة باريس في سنة ١٩٦٧. أصبح أستاذًا بجامعة مكسيكو وسكرتير الرئيس إيتشيفيريا، وهو مكلَّف بالإعداد لعقد المؤتمر الخامس أفريقيا ـ أمريكا اللاتينية الذي سيُعقد في القاهرة في العام القادم. إنه رجل لامع ونشط وينتمي تمامًا للعالم الثالث، ومُقتنع بأن لبلاده دورًا مهمًا يجب أن تقوم به من أجل التوازن مع هيمنة دول الشمال. يذكرني كونتراس، بطريقة مؤثرة، بمناقشات دارت بيننا في باريس منذ ٢٠ عامًا مضت. قال لي:

«ـ لقد أصبحتَ وزيرًا عظيمًا».

«ـ وأنتَ أصبحتَ أستاذًا عظيمًا».

هافانا: الجمعة، ٢ ديسمبر ١٩٨٨

استقبلني راءول خوري، أحد نواب وزير الخارجية. قابلتُ جان لويس مارفينج سفير فرنسا في هافانا وزوجته كيتي. كان يشغل منصب الملحق الثقافي الفرنسي في القاهرة لسنوات عديدة. كم من سهرات لطيفة قضيناها معًا. إنهما يُشكلان جزءًا من مجموعة أصدقاء من بلدان مختلفة تربطهما الصداقة والاهتمامات المشتركة، بل والثقافة المشتركة.

كلمني وزير الخارجية بحماس عن أهمية «حركة عدم الانحياز» وعن صحوة العالم الثالث. حاولت أن أشرح له أن هذه السياسة تحتاج للتجديد نظرًا لظهور عاملَيْن جديدَيْن هما تحرر أفريقيا من الاستعمار الغربي التقليدي، وسياسة الاسترخاء الحالية بين الشرق والغرب.

يبدو أنه لم يستحسن تعليقاتي.

هافانا: السبت، ٣ ديسمبر ١٩٨٨

استكملت مباحثاتي في مقر الحزب. تحملتُ لمدة ساعتَيْن هذيان المسئول الثالث في الحزب. الاعتقاد السائد في الجنوب أنه كلما طالت الخطبة كلما كانت مؤثرة ومفيدة.

اشتركتُ في حفل استقبال بمناسبة التضامن مع فلسطين.

روما/ الدار البيضاء الثلاثاء، ١٣ ديسمبر ١٩٨٨

لقاء مع المونسنيور كاسارولي، وزير خارجية الفاتيكان، ثم لقاء مع البابا الذي سلمته رسالة من الرئيس مبارك. قرأها بصعوبة. يبدو متعَبًا لكنه أنصت باهتمام لدفاعي عن القضية الفلسطينية ولشرحي للجهود التي نبذلها لحل مشكلة ديون أفريقيا. التقاط الصور. منحني الهدية التقليدية: ميدالية فضية في علبة حمراء.

بعد الظهر، سافرت بالطائرة إلى الدار البيضاء حيث سأقوم بتمثيل الرئيس مبارك في مؤتمر فرنسا ـ أفريقيا. حظيت باستقبال شرف عسكري لدى نزولي المدينة المغربية. نزلتُ في فندق «رويال منصور» الذي تم تجديده مؤخرًا. ما تزال رائحة الدهان الحديث عالقة في الجو.

الدار البيضاء: الأربعاء، ١٤ ديسمبر ١٩٨٨

اجتماع على مستوى الوزراء. طلبتُ الكلمة لأذكّر الحاضرين بأهمية الحوار بين الشمال والجنوب، خصوصًا بعد حدوث التقارُب بين الكتلتَيْن الشرقية والغربية.

اجتماع ثان على مستوى رؤساء الدول. خُطبة لملك المغرب ثم لفرنسوا ميتران

وبعده هوفو بيت ـ بواني. ثلاثة أصوات عظيمة تُشيد بالعلاقات الأساسية التي تربط أفريقيا بفرنسا.

الدار البيضاء: الخميس، ١٥ ديسمبر ١٩٨٨

أخبرتُ آلان ديكو وزير الفرانكوفونية بآخر تطورات مشروع إنشاء «الجامعة الفرانكوفونية» في الإسكندرية. تعهد بإيجاد الأموال اللازمة لتمويل المشروع.

بعد الظهر، أخذتُ الكلمة لأشكر ميتران للمساعدة التي تقدمها فرنسا لمصر كما شكرتُ ملك المغرب لكرَم ضيافته.

الدار البيضاء: الجمعة، ١٦ ديسمبر ١٩٨٨

الجلسة الختامية لقمة فرنسا ـ أفريقيا ألقى كل من ملك المغرب وموبوتو خطبة ثم عُقد مؤتمر صحفي. استمعتُ باهتمام لخطب القادة ولم أتوصَّل أبدًا لفهم الهدف الحقيقي لهذه اللقاءات على مستوى القمة.

زرت مسجد الحسن الثاني. وهو بناء لا مثيل له ويمكن وصفه بأنه ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ حسبما جاء في سورة قرآنية (سورة النمل: ٤٤).. إنه مشروع هائل: الأسمنت المستخدم في بنائه يكفي لبناء سد عالٍ جديد في أفريقيا.

أثناء الزيارة، جاء رسول ليخبرني بأنني مدعو للعشاء على مائدة الملك. انتظرتُ أن يأتي أحد ليأخذني لحفل العشاء. انقضت الساعة التاسعة مساءً، ثم العاشرة... اعتقدتُ أنهم قد نسوني أو أن الدعوة الملكية قد ألغيت. في الساعة الحادية عشرة مساءً، جاء ضابط برتبة كولونيل إلى الفندق ليأخذني في خلال لحظات إلى فيلّا حيث وجدتُ نفسي أمام ملك المغرب وموبوتو وبونجو والبكوش.

ساد الاسترخاء والود جو المأدبة. استمر العشاء حتى الساعة الثانية صباحًا. كان الملك هو الذي يُدير المناقشات. بدا التعب على موبوتو، فكان يهمهم أحيانًا معلنًا عن موافقته؛ أمَّا بونجو، فكان يُلقي بالحِكَم والمواعظ في عبارات رنانة. التزمتُ الصمت في حضرة الموجودين.

القاهرة: الأحد، ١٨ ديسمبر ١٩٨٨

استقبلتُ رئيس وزراء إثيوبيا وهو شخص رصين وصامت.

في المساء، عشاء مع ياسر عرفات في القصر الجمهوري. إنه ما يزال متفائلًا. لستُ أدري من أين يأتيه هذا التفاؤل الضروري لنجاح القضية الفلسطينية.

القاهرة: الاثنين، ١٩ ديسمبر ١٩٨٨

لقاء بين رئيس وزراء إثيوبيا ومصر. طَلَبَ رئيس الوزراء الإثيوبي من نظيره المصري تدخُّل مصر لدى المملكة العربية السعودية والدول العربية لكي تكُف عن إرسال الأسلحة للإريتريين. أبدى استعداده للنقاش معنا حول مشاكل مياه النيل. وفي النهاية، أعلن اعتقاده بأن الاتفاق بين الخرطوم والجنوبيين لن يستمر وأن الانفصال وشيك الحدوث. قال ذلك كله بطريقة ديبلوماسية جدًا وبلياقة كبيرة.

القاهرة: الاثنين، ٢٦ ديسمبر ١٩٨٨

رأستُ الجلسة الافتتاحية لندوة الصين ـ مصر. مستوى الديبلوماسيين المصريين الشبان جيد، لكن مستوى المناقشة لم يكن على درجة عالية. وربما كان السبب في ذلك يرجع إلى أن الصينيين والمصريين لا يتقنون تمامًا اللغة الإنجليزية وهي لغة العمل المفروضة علينا. كان ينبغي الاستعانة بمترجمين فوريين.

هذه الندوة لها أهمية قصوى لأنها تتيح لديبلوماسيينا التعَرُّف بشكل أفضل على قوة عظمى قادمة في المستقبل.

القاهرة: الأربعاء، ٢٨ ديسمبر ١٩٨٨

جاك آتالي يمر بالقاهرة. اقترحتُ عليه تنظيم لقاء قمة بين ميتران ومبارك وعرفات. لم تعجبه الفكرة.

الفصل الثامن

□ محور القاهرة ـ لاجوس □ جنازة إمبراطور اليابان □ لقاء سري في جنيف بين عزرا وايزمان وممثل منظمة التحرير الفلسطينية □ انقلاب جديد في السودان □ زيارة لمنزل سعد زغلول في سيشل □ مبارك يتوسط بين السنغال وموريتانيا □ حادث تقني لطائرة السيدة سوزان مبارك في أبوجا.

القاهرة: الاثنين، ٢ يناير ١٩٨٩

زارني المونسنيور حكيم مثلما يفعل في كل عام. طلب مني تجديد جواز سفره الديبلوماسي. إنه يثق في المستقبل، ومقتنع بأن المسيحية ستظل ساطعة على مصر ولبنان والعراق وسوريا؛ وبذلك فإنها ستُساهم في تحديث العالم العربي ـ الإسلامي.

بعد الظهر، ترأست مجلس إدارة جمعية الصداقة المصرية ـ السوفييتية. أنشطتنا تتقدم بطريقة مرضية. أعددنا سلسلة من الفاعليات الثقافية التي ستتم في القاهرة وموسكو.

القاهرة: الثلاثاء، ٣ يناير ١٩٨٩

مجلس الوزراء يُؤجل اتخاذ القرارات. الوزراء من اليوم يشعرون بالتعب كما لو كانوا مواجهين بالفعل بالمشاكل القادمة خلال ١٢ شهرًا. قَدَّم لنا وزير السياحة غداءً غير شهي وتم توزيعه في أطباق ورقية.

حديث صحفي ودي ولطيف مع الصحفي الفرنسي رالف بنتو.

القاهرة: الخميس، ٥ يناير ١٩٨٩

عشاء مع أحمد بهاء الدين. حَضَرَت اللقاء الصحفية الأمريكية جوديث ميللر التي

كانت تبدو شديدة التوتر والانفعال. كانت ترثي ضعف الوجود المصري والعربي في الولايات المتحدة. نَصَحَت بما يلي:

«ـ يجب إعداد الرأي العام الأمريكي لكي يقبل منظمة التحرير الفلسطينية؛ ولكي تستطيع هذه المنظمة أن تتواصل مع مختلف السلطات التي تُدير الولايات المتحدة».

القاهرة: الأحد، ٨ يناير ١٩٨٩

ندوة في مبنى جريدة الأهرام حول السياسة الخارجية العربية. اخترتُ موضوع نهاية الحرب الباردة، ونتائج مؤتمر يالطا جديد، هذه المرة بين موسكو وواشنطن، والآثار المتوقعة للتقارب الأمريكي الروسي على العالم الثالث وعدم الانحياز.

القاهرة: الاثنين، ٩ يناير ١٩٨٩

استقبل الرئيس مبارك وفدًا برلمانيًّا أمريكيًّا برئاسة السفير فرانك ويزنر الذي كان أكثر حيوية من المعتاد.

ألححتُ على الرئيس مبينًا له أهمية الاشتراك في جنازة إمبراطور اليابان التي ستتم يوم ٢٤ فبراير في طوكيو. شعرتُ بأنه غير مستعد للقيام بهذه الرحلة الطويلة.

سهرة مع ابن أخي يوسف الذي يشغل منصب المستشار الاقتصادي لرئيس الوزراء. قدم لنا صورة قاتمة للغاية عن الوضع المالي في مصر، وعن عجز الإدارة عن التعامل مع هذا الوضع.

باريس: الجمعة، ١٣ يناير ١٩٨٩

ندوة في «الكوليج دي فرانس» حول منظمة الوحدة الأفريقية. الحضور يتابع المحاضرة باهتمام ويطرح الكثير من الأسئلة. لا سبيل لحساب الوقت ولا الجهد اللذيْن بذلتُهما لمحاولة تحسين أداء هذه المنظمة الدولية، بل لا سبيل لحصر الأوراق التي كتبتها حول هذه المنظمة باللغات الفرنسية والإنجليزية والعربية. وفي التحليل النهائي، فإنني أعتقد أن هذه المنظمة تمثِّل قوة الرمز أكثر من كَوْنها تمثل فاعلية الأداء.

غداء مع السفير آلان ديجاميه وزوجته ذات الأُصول الأُوراسية. ديجاميت

سيكون سفير فرنسا القادم في مصر. إنه شاب ملتزم، وسيقوم بتفعيل التعاون بين مصر وفرنسا.

باريس: الأحد، ١٥ يناير ١٩٨٩

ذَكَّرتُ جاك آتالي بمشروعي الخاص بعقد لقاء ثلاثي بين ميتران ومبارك وعرفات. يبدو أنه قد استشار الرئيس الفرنسي، وأنه غير موافق على هذا اللقاء. يا للخسارة!

بانجي: الثلاثاء، ١٧ يناير ١٩٨٩

نزلتُ في غرفة بالطابق الثالث عشر في الفندق الوحيد في بانجي. الجناح جميل ويتيح لي رؤية بانورامية للمدينة ـ أشرعة وزوارق الصيادين تبدو ماثلة في الأفق. المشهد هادئ ومريح للأعصاب، على عكس الاجتماع الثاني للجنة المصرية ـ الوسط أفريقية الذي ترأسته.

بانجي: الخميس، ١٩ يناير ١٩٨٩

قبل بداية المحادثات، استقبلني الرئيس كوليمبا استقبالًا حارًّا للغاية. يشعُر الرئيس كوليمبا بالقلق بسبب تدهور الوضع في جنوب السودان، فالأعراق الموجودة على جانبي الحدود المصطَنَعَة التي تفصل ما بين جمهورية وسط أفريقيا وجنوب السودان لا تعترف مطلقًا بهذه الحدود المصطَنَعَة التي تُقسمها إلى دولتَيْن.

إن القاهرة لا تتفهم أن الدول الأفريقية تؤيد الجنوبيين، وتُعادي حكومة الخرطوم التي يعتبرونها حكومة مكَوَّنَة من العرب؛ هؤلاء «النخاسين القُدامى» كما يطلق عليهم الجنوبيون. ولن تُبدي الدول الأفريقية ارتيابها علانية إزاء الدول العربية ـ الأفريقية؛ مصر وليبيا وموريتانيا والمغرب والجزائر وتونس، لكن هذه الحقيقة يجب الأخذ بها؛ لكي نفهم خلفيات العلاقات بين الدول الأفريقية وبعضها البعض.

التوقيع على بيان مشترك يذكُر لقائي بموريس مينو رئيس البرلمان وباقي الوزراء الذين يؤيدون مجموعة الأُوندوجو والتعاون الأفريقي ـ العربي وسياسة عدم الانحياز، مع الإشادة بتحسُّن العلاقات بين تشاد وليبيا.

التوقيع أيضًا على اتفاقية بين الحزب الوطني الديموقراطي في مصر وحزب

التجمع الديموقراطي في أفريقيا الوسطى. أهدفُ لإنشاء علاقات وثيقة بين الدول الأفريقية من خلال الأحزاب السياسية والمنظمات غير الحكومية.

تونس: الجمعة، ٢٠ يناير ١٩٨٩

نزلتُ في فندق «أبو نُواس» على شاطئ البحر. الجو بارد وممطر. حضرتُ حفل عشاء رسميًّا. ارتجلتُ خطبة ذكرتُ فيها حكمة هندية قديمة تقول بأن «علاقاتنا مع جيران الجيران أهم من علاقاتنا بالجيران» وتونس تجاور جارة مصر.

تونس: السبت، ٢١ يناير ١٩٨٩

طلبتُ من وزير الخارجية ورئيس الوزراء دعمهما لانتخاب مبارك لرئاسة منظمة الوحدة الأفريقية. نجحتُ في الحصول على موافقتهما.

تونس: الأحد، ٢٢ يناير ١٩٨٩

اصطحبني البروفيسير بن عاشور لزيارة منزل جده، وأطلعني على مخطوطاته. قلتُ له:

«ـ إنك تمثِّل الجيل الثالث من المثقفين العظام».

«ـ لكنني لستُ سوى أحد طلابك».

«ـ لكنك أصبحت رجل قانون عظيمًا».

تونس: الاثنين، ٢٣ يناير ١٩٨٩

في كلية الحقوق بجامعة تونس، أعَدتُ إلقاء محاضرتي عن منظمة الوحدة الأفريقية، تلك المحاضرة التي سَبَقَ لي أن ألقيتُها في الكوليج دي فرانس في باريس منذ بضعة أيام.

لا أُحب إعادة إلقاء المحاضرة نفسها، خصوصًا في فترات زمنية متقاربة.

بعد المحاضرة، دارت مناقشة برهَنَتْ على أن الشبان التونسيين يتابعون جيدًا العلاقات بين الدول الأفريقية وبعضها البعض، وبشكل أفضل من الشبان الفرنسيين.

أعرفُ جيدًا سفير المملكة العربية السعودية في تونس. زوجته السيدة أُم تميمة

صديقة لليا، وكانت ابنتهما إحدى طالباتي في جامعة القاهرة. أخبرني السفير السعودي بأن بلاده ستُعيد عضويتها في جامعة الدول العربية في شهر مارس المقبل، وتنبأ بعودة مقر الجامعة العربية مُجددًا إلى القاهرة، وانتخاب أمين عام مصري.

مَرَّت في ذهني أسماء المرشَّحين المحتملين لشغل هذا المنصب. أرجو ألَّا يكون المرشَّح ضابطًا على المعاش؛ فالجامعة العربية مريضة ومتهالكة وتحتاج إلى علاج جاد لاستعادة شبابها.

تونس: الثلاثاء، ٢٤ يناير ١٩٨٩

استقبلني رئيس الجمهورية زين العابدين بن علي في قصر قرطاج. وعدني بتأييد انتخاب مبارك لرئاسة منظمة الوحدة الأفريقية. إنه عسكري شاب يقظ يختلف تمام الاختلاف عن بورقيبة المُسن، وهو يتعامل بحسم شديد مع الأصوليين الإسلاميين. ولذلك؛ تنتقد المنظمات غير الحكومية نظامه بشدة. هل سينجح في إعادة استقرار الأمن والسلام إلى بلاده؟

القاهرة: الأربعاء، ٢٥ يناير ١٩٨٩

قابلتُ بعض زملائي الوزراء في احتفال أُقيم بكلية الشرطة، خصوصًا وزير التعليم العالي - فتحي سرور - الذي غيَّر رأيه، وأصبح يؤيد إنشاء الجامعة الفرانكوفونية في الإسكندرية.

القاهرة: الخميس، ٢٦ يناير ١٩٨٩

طَلَبَ منا الرئيس مبارك دراسة إمكانية قيام وحدة اقتصادية تضم العراق والأردن واليمن ومصر. أُصبت بدهشة بالغة من هذا المشروع؛ لأن مستقبل مصر مرتبط بأفريقيا أكثر من ارتباطه بالمشرق العربي.

القاهرة: الجمعة، ٢٧ يناير ١٩٨٩

انشغلنا في إعداد الاتفاقية التجارية الرباعية التي طلبها الرئيس منا. إنها اتفاقية شكلية، ولا نعرف، في حدود مستوانا، الدوافع الحقيقية وراءها. لدينا بالفعل اتفاقية تكامل اقتصادي مع السودان، فلماذا لا ينضم السودان إلى هذا «التحالف» الجديد؟

القاهرة: الأحد، ٢٩ يناير ١٩٨٩

استقبلتُ رئيس نيجيريا إبراهيم بابانجيدا في المطار. إنه رجل عسكري مهيب المنظر، وله صوت جهوري. حفل استقبال في القصر الجمهوري. لطالما حلم المثقفون الأفارقة بقيام «محور» بين أكبر قوتَيْن أفريقيتَيْن: مصر ونيجيريا. إنه واحد من المشاريع المثالية التي تدور في خلد الأفارقة ولكن تنفيذه ليس بالأمر السهل لأن إنشاء هذا المحور يتطلَّب مجهودًا مستمرًّا بلا هوادة، ووضع الأسس، والحصول على تأييد القوى السياسية في كل من البلدَيْن.

القاهرة: الاثنين، ٣٠ يناير ١٩٨٩

المباحثات المصرية ـ النيجيرية تتم على مستويَيْن: ففي إحدى القاعات، يجري اجتماع منفرد بين الرئيسَيْن؛ وفي قاعة أُخرى، يجتمع خمسون وزيرًا. وفدنا يضم ثلاثين وزيرًا، ويرأسه المشير أبو غزالة الذي يُريد إضفاء بُعد عسكري على العلاقات بين الدولتَيْن العُظميَيْن في أفريقيا.

البيان النهائي المشترك تحدث بالتفصيل عن أشكال التعاون بين البلدَيْن في مجالات: الري والزراعة والطيران والنقل البحري؛ لكن التعاون العسكري وحده هو الذي تم تناوله في إطار مشاريع ملموسة.

القاهرة: الأربعاء، الأول من فبراير ١٩٨٩

الزعيم السوداني محمد عمر البشير متشائم للغاية بخصوص مستقبل بلاده، وذكر لي:

«ـ إن الصادق المهدي أُصولي في قرارة نفسه. ووجوده سيساعد على انقسام وحدة السودان؛ فالسودان بلد إسلامي في جزء منه، لكنه أيضًا مسيحي ووثني في جزء آخر».

طلب مني سكرتير محكمة العدل الدولية مساعدته لتنظيم مؤتمر ـ في لاهاي ـ يضم وزراء الخارجية لكتابة إعلان يُطالب كل الدول بالالتزام بأحكام هذه المحكمة.

القاهرة: الخميس، ٢ فبراير ١٩٨٩

اجتماع في مجلس الوزراء لبحث طريقة انسحاب إسرائيل من طابا. شعرتُ كما لو كنتُ أحضر إعادة عرض مسرحية سبق لي أن مثلتُها في سنة ١٩٨٢ عند انسحاب إسرائيل من سيناء.

القاهرة: الاثنين، ٦ فبراير ١٩٨٩

درستُ مع صديقي وزميلي وشريكي، رينيه-جان دوبوي، ومعاونيه ملف الجامعة الفرانكوفونية في الإسكندرية. قابلنا رئيس الوزراء الذي أبدى تحمسًا شديدًا لهذا المشروع. حديث صحفي عن المشروع مع الصحفية الذكية والنشيطة هدى توفيق، زوجة الصحفي الكبير حمدي فؤاد.

القاهرة: الأربعاء، ١٥ فبراير ١٩٨٩

يوسف بن علوي، وزير خارجية سلطنة عُمان، شاب مثقف لامع، كان يناضل في صفوف المعارضة. لكن سلطان عُمان نجح في ضمه إلى جانبه، وأصبح جزءًا من فريقه. تحدث العلوي معي بكل صراحة. السلطان قابوس ينظر بقلق إلى مشروعنا الخاص بالوحدة الاقتصادية مع العراق والأردن واليمن:

سألني لماذا اليمن تحديدًا وهي التي لها حدود مشتركة مع عُمان؟ وما الأهداف غير المعلَنَة لهذه «الوحدة»؟ هل هذه الوحدة مُوَجَّهة ضد المملكة العربية السعودية التي لم تكُن أبدًا على علاقات طيبة مع اليمن؟ لماذا لم تُدْعَ «مسقط» إلى الانضمام لهذه الوحدة؟

ذَكَّرتُه بأنها ليست المرة الأُولى التي نسعى فيها لإقامة وحدة محدودة في العالم العربي، وبأنه يجب مقارنتها بالمحاولات السابقة، وبأنها ليست ذات صفة هجومية ضد أحد، وبأن الأمر يتعلَّق فقط بإنجاز مرحلة على طريق إنشاء اتحاد فيدرالي يضم الدول العربية كلها، من المحيط إلى الخليج.

لم أُصارحه بأنني لا أُشارك بعض زملائي حماسهم تجاه هذه الوحدة التي أعتقد بأنها لن تستمر؛ لكنني في المقابل، أتفهم موقفه.

القاهرة: الاثنين، ٢٠ فبراير ١٩٨٩

هنأني شيفارنادزه وزير الخارجية السوفييتي وشكرني على الدور الذي لعبته في التقارب بين الاتحاد السوفييتي ومصر، واقترح عقد اتفاقية تعاون بين الحزب الشيوعي السوفييتي والحزب الوطني الديموقراطي في مصر. يوسف والي نائب رئيس الحزب لا يبدو مؤيدًا بشدة لهذه الفكرة. قلتُ إن حزبنا سيُقبَل قريبًا في الدولية الاشتراكية، وهذا الموضوع لن يُمثِّل أي عَقَبَة أمام عقد هذه الاتفاقية مع الحزب الشيوعي السوفييتي.

أبو ظبي: الثلاثاء، ٢١ فبراير ١٩٨٩

رافقتُ الرئيس مبارك في زيارته لـ«أبو ظبي» بصحبة وزراء آخرين. نزلتُ في جناح فخم في فندق «إنتركونتيننتال». في زيارتي الأخيرة لـ«أبو ظبي» سنة ١٩٧٢ لم يكن هذا الفندق قد تم بناؤه بعد. لقد تغيَّرت المدينة تمامًا. في السابق كان يوجد فندق رديء يديره يوناني من الإسكندرية. الآن، حَلَّت محله ناطحات سحاب رائعة.

لقاء ودي بين الرئيس مبارك والشيخ زايد، رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة. الإمارات هي أرض المستقبل التي ستُوفِّر فُرص عمل عظيمة للنخبة المصرية، وأيضًا للعمال المصريين.

طوكيو: الخميس، ٢٣ فبراير ١٩٨٩

استخدمتُ كل ما أملكه من القدرة على الإقناع والمثابرة للحصول على موافقة الرئيس بالمشاركة في جنازة هيروهيتو، إمبراطور اليابان. كافأني الرئيس بأن طَلَبَ مني مرافقته. نزلنا في فندق «نيو أوتاني».

قام تاكيشيتا رئيس الوزراء الياباني ووزير خارجيته بزيارة مجاملة للرئيس مبارك، وعبَّرا له عن شكر الشعب الياباني لاشتراكه في جنازة الإمبراطور. أثرنا معهما مشكلة الشرق الأوسط، وهو موضوع لا نهاية له. وأشار الرئيس إلى المساعدات التي تقدمها مصر لأفريقيا، ولإمكانية قيام تعاون مصري ـ ياباني مشترك في هذا المجال. بعد ذلك بقليل، لاحظ الرئيس أنني متعَب ووجهي شاحب، فشجعني على شرب كأس من الكونياك قائلًا:

«ـ لا أُريد أن أصطحب شخصًا مريضًا عند عودتي إلى القاهرة».

بعد الظهر، لقاء بين مبارك وميتران تحدثا فيه عن موضوع واحد: فلسطين. كان الرئيس الفرنسي متشائمًا للغاية.

أُقيم حفل استقبال ضم كل ـ أو مُعظم ـ حكام دول العالم ورؤسائه. لاحظ الرئيس ذلك، فشكرني بقوله:

«ـ لقد أحسنتَ صُنعًا بإصرارك على أن أقوم بهذه الرحلة. نَصائحك تكون مفيدة أحيانًا».

عدنا إلى الفندق. تقاسمتُ مع الدكتور محمد عطية طبيب القلب الخاص بالرئيس والديبلوماسييْن الشابَّيْن: مصطفى الفقي ومحمود مرتضى، نصف زجاجة من الويسكي لمقاومة البرد القارس.

طوكيو: الجمعة، ٢٤ فبراير ١٩٨٩

في الساعة التاسعة تمامًا، تركت سيارة الرئيس متجهة إلى مكان الجنازة. طَلَبَت الحكومة اليابانية من المواطنين عدم استخدام سياراتهم الخاصة، وسَمَحَت فقط بسير سيارات الوفود. تساقط مطر خفيف طوال اليوم؛ كان الجو مكفهرًا، والسماء ملبَّدة بالغيوم، وكأنها تبكي وتشارك طوكيو الحداد لوفاة هيروهيتو.

توالى وصول رؤساء الدول والحكومات في كل دقيقة. بدا الأمر وكأنه رقصة باليه ضَبَطَت الساعات اليابانية إيقاعه ـ والساعات اليابانية لا تقل دقة عن مثيلاتها السويسرية. توجَّه الرؤساء إلى خيمة خاصة بهم، بينما توجَّه الوزراء إلى خيمة ثانية. جاءت جلستي بين وزير خارجية الفلبين الذي كان يتحاشى الحديث تمامًا بأن وضع منديلًا على فمه ووزير خارجية كينيا الذي استغرق في نوم عميق.

بدأت الجنازة بعد الساعة العاشرة بقليل. تقدَّم الكهنة على أنغام المزامير ودقات الطبول الصغيرة. تابعتُ مراسم الجنازة بقراءة كُتَيب كان موضوعًا على الكرسي: حملَت مجموعة من الرجال على ظهورهم مِحَفَّة وُضعت عليها جثة الإمبراطور، وكان يتبعهم أحد الحُجاب وهو يمد يديْه عارضًا الحذاء الأبيض للإمبراطور. حسب التقاليد اليابانية، فإن هذا الحذاء سيكون مع المتوفى في السماء. توقّف الموكب

الجنائزي لأن الإمبراطور الجديد آكيهيتو يريد تحية جثمان والده. آكيهيتو هو الإمبراطور رقم ١٢٥ لليابان.

وحسب المعتقد الياباني فإن الإمبراطور المتوفى هيروهيتو ينحدر مباشرة من نسل إلهة الشمس، الإلهة آماتيراسو، وكان الملايين من أفراد الشعب الياباني يبجلون هيروهيتو بصفته إلهًا.

حاولت إيقاظ وزير خارجية كينيا الذي غمغم باللغة الإنجليزية وهو نصف نائم: «بَرْد. بَرْد».

وقف بودوان ملك البلجيك وزوجته الملكة فابيولا وتقدما نحو المنصة الموضوع عليها النعش، ثم انحنيا أمام جثة الإمبراطور المتوفى؛ وبعد ذلك، انحنيا أمام الإمبراطور الجديد. أدَّى كل رئيس دولة هذا الطقس الرسمي.

انتهت مراسم الجنازة، وشعَرتُ بالفَزَع خوفًا من احتمال ألا أتمكن من العثور على الرئيس مبارك وسط هذا الخضم من البشر. لكن، تقدم مني شاب ياباني ولحسن الحظ أوصلني حتى سيارة الرئيس. عدنا إلى فندق «نيو أُوتاني».

عقد لقاء عاصف بين الرئيس مبارك وميشيل كامديسوس، مدير صندوق النقد الدولي الذي نَبَّه الرئيس إلى أن دَيْن مصر قد بلغ حدًّا مرتفعًا جدًّا أكثر من ثلاثين مليار دولار، وقدم له الأرقام مكتوبة على ورقة صغيرة. رد الرئيس بغضب قائلًا:

«ـ أنا لا أعترف بأرقامك. إنها تختلف عن الأرقام التي يقدمها لي المساعدون».

لكن كامديسوس أصر على موقفه قائلًا:

ـ أرقام صندوق النقد الدولي هي الأرقام الصحيحة.

وهو ما كان يعني ضمنًا أن الأرقام التي بحوزة الرئيس هي أرقام غير سليمة؛ فازداد ضيقه. انتهى اللقاء بوعد من الرئيس بدراسة المشكلة. انسحب كامديسوس ورافقته حتى المصعد، وطلبتُ منه أن يتجاوز سوء الفهم الذي وقع. رجعتُ إلى جناح الرئيس الذي وَجَّه إليَّ اللوم؛ لأنني حاولتُ التدخل في النقاش قائلًا:

«ـ إن صديقك كامديسوس جاء يُطاردني حتى في طوكيو».

كان أسامة الباز حاضرًا في هذا اللقاء، ولامني هو الآخر لأنني أوصلتُ

كامديسوس حتى المصعد. لم يقتنع الاثنان بضرورة أن تكون لنا علاقات طيبة مع مدير «صندوق النقد الدولي» بالضبط كما يجب أن تكون الحال مع أي رئيس دولة صديقة. لم أجرؤ على أن أقول للرئيس إنه قد ضايَقَ كامديسوس عندما تحدث إليه بصوت عالٍ.

بعد الظهر، استقبلنا إمبراطور اليابان الجديد. القصر الإمبراطوري عبارة عن جزيرة خضراء في قلب طوكيو. بعدما اجتزنا العديد من الحواجز، وصلنا إلى سلم كبير من الرخام الأبيض.

أوصلنا الحاجب إلى غرفة صغيرة خالية، وتركنا بمفردنا.

انتظرنا عدة دقائق فتضايق الرئيس. لا يُحب الحكام الانتظار، لأنهم يرون أن على الآخرين انتظارهم. وعندما يلتقي اثنان من الحكام، فإن كلاهما يرفض أي تأخير من قبل الآخر. أوصلونا أخيرًا إلى الإمبراطور آكيهيتو وزوجته اللذيْن استقبلانا وهما واقفان.

كان اللقاء وديًّا. وَجَّه مبارك الدعوة إلى الإمبراطور الجديد لزيارة مصر. وافق آكيهيتو بسرور. تبادل الاثنان عبارات المجاملة القصيرة، ثم انتهى اللقاء. عبرنا عددًا لا يُحصى من الأروقة وقاعات الاستقبال قبل أن نخرج لجو طوكيو البارد الرطب.

طوكيو: السبت، ٢٥ فبراير ١٩٨٩

وهيب المنياوي ـ سفيرنا المعتمد في طوكيو ـ دعا الرئيس والدكتور محمد عطية وأنا لمطعم ياباني، حيث شربنا الساكي للتدفئة. الخدمة تولَّتها يابانيات جميلات. لامني الرئيس بود بسبب نظراتي إليهن. دافع الدكتور محمد عطية عني. كان الجو وديًا ومسترخيًا.

بعد الظهر، تباحث الرئيس مع السير جيفري هاو. بخصوص فلسطين والسودان. كان المسئول البريطاني متشائمًا للغاية؛ بالضبط مثلما كان ميتران.

في المساء، أخذنا الطائرة إلى مدينة الكويت مع التوقف في بانجوك. أثناء الرحلة، نسي الرئيس غضبه ومازحني قائلًا:

«ـ إن صديقك كامديسوس، الذي يُعطيني أرقامًا مزيفة ...».

مدينة الكويت: الأحد، ٢٦ فبراير ١٩٨٩

نزلنا في القصر الأميري، أخذتُ غرفة مساحتها ١٢٠ مترًا مربعًا وبها حَمَّام هائل من الرخام الأبيض.

مدينة الكويت: الاثنين، ٢٧ فبراير ١٩٨٩

لقاء مع الأمير، قدموا لنا هدايا: كرافتات فرنسية وأقمشة إنجليزية. كان باديًا من اختيار الهدايا أن العلاقات المصرية الكويتية على خير ما يرام.

القاهرة: الأحد، ٥ مارس ١٩٨٩

حضرتُ جلسة البرلمان المخصَّصة للتصويت على إسقاط العضوية البرلمانية عن نائب وفدي.

«ـ لقد تشاجر مع وزير العدل».

على الأقل، هذا ما فهمتُه من الشرح الذي قدمه لي زميلي الذي يجلس بجواري. إنه عادةً ما ينام أثناء انعقاد الجلسات؛ لكنه، في هذا اليوم، كان مستيقظًا تمامًا. إنه هو الآخر لا يكن الكثير من الود للنائب الوفدي.

القاهرة/أديس أبابا/عنتيبي/كمبالا: الاثنين، ٦ مارس ١٩٨٩

في الساعة السابعة صباحًا، توجهت إلى أديس أبابا مستقلًا طائرة صغيرة من طراز ميستير وضعَتْها القوات المسلحة تحت تصرفي. رافقني اثنان من الدبلوماسيين الشبان: محمود مرتضى ونبيل السلاوي. عند وصولنا إلى أديس أبابا، استقبلنا السفير روبير إسكندر الذي يضمن موافقة إثيوبيا على ترشيح الرئيس مبارك لرئاسة منظمة الوحدة الأفريقية. سافرنا فورًا إلى عنتيبي، حيث كان وزير الخارجية في انتظارنا. الرئيس موسيفيني في صحة جيدة واستقبلنا استقبالًا وديًا وحارًا. تحدثنا عن مجموعة الأُوندوجو والسودان وترشيح مبارك. بعد ذلك، عقدنا اجتماعًا منفردًا. أبدى الرئيس موسيفيني ارتيابه إزاء رئيس وزراء السودان، الصادق المهدي، وقال إنه مقتنع بأن الصراع بين شمال السودان وجنوبه سيزداد وأن الانفصال وارد.

عدنا في المساء إلى أديس أبابا.

أديس أبابا: الثلاثاء، ٧ مارس ١٩٨٩

انشغلتُ بأعمال اللجنة المصرية ـ الإثيوبية. طلب الإثيوبيون أن تقوم مصر بدور أكثر فاعلية لإيجاد بديل للحرب الأهلية المندلعة في السودان. نجحتُ في إشراك رجال الأعمال في اجتماعاتنا لكي نُشجعهم على الاستثمار في إثيوبيا. في المساء، أقمنا حفل استقبال على شرف رجال الأعمال.

أديس أبابا: الأربعاء، ٨ مارس ١٩٨٩

لقاء مع الرئيس منجستو ومعي رجال الأعمال. اللقاء كان ممتازًا. أعطينا بعدًا أهليًا، غير حكومي، للعلاقات بين مصر وإثيوبيا، بشرط أن تؤتي ثمارها.

أديس أبابا: الخميس، ٩ مارس ١٩٨٩

مسئول العلاقات الخارجية في حزب العمال الإثيوبي اقترح إنشاء علاقات تعاون مع الحزب الوطني الديموقراطي في مصر، فقلتُ له:

«ـ أنا عضو في المكتب السياسي للحزب منذ ١٢ عامًا، ومسئول عن العلاقات مع الأحزاب السياسية في الدول الصديقة. عند عودتي للقاهرة، سأعرض مشروع الاتفاقية على قيادات الحزب لأخذ الموافقة عليه».

أديس أبابا: الجمعة، ١٠ مارس ١٩٨٩

سهرة إثيوبية حافلة بالشراب والرقص. توصلتُ لأول مرة لفهم مناخ الريبة الذي يسود العلاقات بين إثيوبيا ومصر. تطلب ذلك مني عشر سنوات من العمل المستمر. سألني وزير الخارجية عما إذا كنتُ أعرف أسماء زعماء المعارضة في إريتريا، وعدتُ بأنني سأحاول الحصول على هذه المعلومة.

أديس أبابا: السبت، ١١ مارس ١٩٨٩

في احتفال رسمي، تم التوقيع على اتفاقية للتعاون بين الحزبَيْن الحاكمَيْن في إثيوبيا ومصر. بعد الظهر، زيارة لمنزل أكبر رسَّام محلي في إثيوبيا. أعرفُ أنه ينبغي عليَّ اقتناء إحدى لوحاته لكنني أخشى من رد فعل لِيَا. وعدتُه بأنني سأعود في المرة القادمة ومعي زوجتي لكي تختار هي إحدى لوحاته الرائعة.

أديس أبابا ـ الخرطوم: الأحد، ١٢ مارس ١٩٨٩

توقفت الطائرة في الخرطوم. سفيرنا المعتمد في السودان يتوقع وقوع انقلاب عسكري إذا سقطت مدينة جوبا في أيدي الجنوبيين. هذا التحليل يُبيِّن مدى تدهور الوضع في السودان. مرة أُخرى، يبدو غياب الدبلوماسية المصرية عن الشأن السوداني أمرًا جليًّا.

القاهرة ـ طابا: الأحد، ١٩ مارس ١٩٨٩

الاحتفال باسترداد طابا. في اللحظة نفسها التي تم فيها رفع الراية المصرية عليها، شعرتُ بفخر لأن المعركة التي خُضناها لاستعادة أرضنا قد انتهت أخيرًا. عند عودتي للقاهرة، حضرتُ حفل عشاء على شرف عزرا وايزمان، بمشاركة عصمت عبد المجيد وماهر أباظة ويوسف والي. هذا الحفل تعبيرًا عن المصالَحة.

القاهرة: الاثنين، ٢٠ مارس ١٩٨٩

اجتماع المائدة المستديرة في فندق مينا هاوس بين عزرا وايزمان ومصطفى خليل حول مستقبل العلاقات المصرية ـ الإسرائيلية. مناخ الثقة المتبادلة بين الطرفَيْن ساعدنا على إجراء نقاش صريح للغاية. إنها أول نتيجة من نتائج السلام، وهي نتيجة تكاد تكون غير واضحة للعيان ولا يُقَدّرها الرأي العام حق قدرها.

نواكشوط: الخميس، ٢٣ مارس ١٩٨٩

أُنشئَت مدينة نواكشوط في عام ١٩٥٧، وأطلقوا عليها اسم «برازيليا الرمال»، لكن لا يُوجد أي وجه للمقارنة بينها وبين العاصمة الحديثة للبرازيل، فنواكشوط ليست سوى قرية كبيرة. رئيس الجمهورية سيدي ولد محمد ما يزال يرتدي الزي العسكري، وهو ضئيل الحجم ونحيف ويتحدث العربية مع أنه يُتقن الفرنسية على ما أعتقد. تحدث معي عن «مشكلة الصحراء الغربية التي تُسَمِّم علاقات المغرب بالجزائر وما لها من عواقب تقع على كاهل موريتانيا. طلب مني أن يضغط الرئيس مبارك على ملك المغرب لكي يجدا معًا حلًا لهذه المشكلة. حصلتُ على تأييده لانتخاب مبارك لرئاسة منظمة الوحدة الأفريقية.

داكار: الجمعة، ٢٤ مارس ١٩٨٩

غادرتُ نواكشوط في الصباح متوجهًا إلى داكار حيث استقبلني إبراهيم فال والسفراء العرب المعتمدين في داكار. يا له من فارق كبير يبدو ظاهرًا للعيان بين نواكشوط العاصمة الفقيرة والتي تحتاج الكثير من التنمية وداكار العاصمة الغنية والمليئة بالحيوية.

داكار: السبت، ٢٥ مارس ١٩٨٩

البروفيسير سَيْدو سي وإبراهيم فال حضرا المحاضرة التي ألقيتُها في الجامعة عن منظمة الوحدة الأفريقية. كان الحاضرون أذكياء ومنتبهين ومهتمين بموضوع المحاضرة وطرحوا أسئلة لها علاقة وثيقة بالموضوع، وكلها تُبرهن على مدى الوعي الذي يتمتع به شباب السنغال.

بعد المحاضرة بقليل، غادرتُ داكار لمقابلة عبده ضيوف الذي يقضي عُطلة نهاية الأُسبوع مع أُسرته في فيلَّا تقع على بُعد ١٠٠ كم من العاصمة. حصلتُ على تأييده لانتخاب مبارك لرئاسة منظمة الوجدة الأفريقية.

باماكو: الاثنين، ٢٧ مارس ١٩٨٩

ذكّرني موديبوكيتا رئيس مالي بالمعركة التي خُضتُها، في عام ١٩٧٩، في مؤتمر قمة دول عدم الانحياز الذي عُقد في كوبا للدفاع عن مصر التي كانت مهددة بالطرد من هذه المنظمة. حصلتُ على تأييده لانتخاب مبارك لرئاسة منظمة الوحدة الأفريقية.

باريس: الخميس، ٣٠ مارس ١٩٨٩

انعقاد مؤتمر فرنسا ـ أفريقيا. اشتركتُ بمداخَلَة طويلة لتحليل المشاكل التي تهدد مستقبل قارتنا والتي تتطلَّب اتخاذ إجراءات اقتصادية واجتماعية فورية. وبالرغم من التصفيق الذي أبداه الحضور فلم أشعر باهتمامهم كثيرًا بالقضية محل الحديث.

في الغداء، جلستُ بين السنغالي إبراهيم فال والجابوني مارتن بونجو، وهما صديقان حميمان. انسحبتُ قبل نهاية جلسة بعد الظهر لكي ألحق بالطائرة المتجهة إلى القاهرة. استطعتُ أن أجد بعض الوقت من أجل التحدث مع رينيه جان دوبوي وموريس دوبون، وكلاهما داعمان لجهود إنشاء الجامعة الفرانكوفونية في الإسكندرية

والتي يُنتَظَر أن تُفْتَحَ في غضون بضعة أشهر بعد جهد كبير لإقناع كل الأطراف المعنية بأهمية هذه الجامعة وفائدتها.

القاهرة: السبت، الأول من إبريل ١٩٨٩

غادرتُ القاهرة إلى واشنطن في طائرة الرئاسة ومعي لِيَا.

انسحب الرئيس والسيدة قرينته إلى الصالون الخاص بهما في الطائرة. توقفنا في لندن، ثم تم استئناف الطيران المتواصل لمدة ٩ ساعات مَرَّت بسرعة لأننا أمضينا الوقت في مشاهدة ثلاثة أفلام للتسلية الواحد تلو الآخر. هذه النوعية من الأفلام التي تفتقر لأي عمق فني أو فكري لها تأثير مهدئ حقيقي يشبه إلى حد ما تأثير الفاليوم.

واشنطن: الاثنين، ٣ إبريل ١٩٨٩

مباحثات في البيت الأبيض. ألقى مبارك خطبة رائعة أعدها له أُسامة الباز. ألقى الرئيس الأمريكي بوش بدوره خطبة. اللقاء ناجح. بعد الظهر، استقبل نائب الرئيس الأمريكي وفدنا، ثم حضرنا حفل استقبال أقامته غرفة التجارة المصرية ـ الأمريكية. من المصريين، حَضَرَت ميكي شاروبيم وهي صديقة عزيزة وأخوها فايز وهو مَصْرفي ومليونير وفاروق الباز شقيق أسامة.

واشنطن: الثلاثاء، ٤ إبريل ١٩٨٩

غداء في مجلس الشيوخ. أجاب الرئيس على أسئلة أعضاء المجلس ببساطة ومودة. مباحثات في وزارة الخارجية مع بيكر الذي نصحنا قائلًا:

«ـ عليكم بالتفاوض مع مسئولي وزارة الخزانة...».

وافَقَت وزارة الخزانة الأمريكية أخيرًا على الإفراج عن مبلغ ٢٣٠ مليون دولار لصالح مصر. كُنا قد أعددنا الملفات بشكل جيد.

بعد الظهر، لقاء في مجلس النواب. تناول الرئيس الخطوط العريضة نفسها التي تناولها في هذا الصباح. تلقائيته أثارت إعجاب ومودة أعضاء الكونجرس، وهم المشهورون بالريبة والعدوانية.

عشاء رسمي في البيت الأبيض. جلستُ بين وزير الخزانة نيكولاس برادي ووزير

الدفاع ديك تشيني. تحدثنا قليلًا. ربما لأن النهار كله كان مشحونًا باللقاءات أو ربما لأنه لا يوجد شيء مهم نقوله.

واشنطن/نيويورك: الأربعاء، ٥ إبريل ١٩٨٩

استقلينا طائرة هليوكوبتر حتى القاعدة العسكرية التي توجد بها طائرة الرئاسة التي أخذناها إلى نيويورك. توقف قصير في فندق «والدورف آستوريا» قبل حضور حفل استقبال ألقى فيه الرئيس خطبة جديدة ورد على أسئلة الحاضرين. ذَهَبَت قرينة الرئيس ولِيَا إلى المسرح بينما غفونا نحن في فترة القيلولة.

في المساء، طرنا إلى لندن. أعطاني الدكتور محمد عطية مُنومًا جعلني أنام حتى وصلنا لندن.

القاهرة: السبت، ٨ إبريل ١٩٨٩

حضرتُ احتفالًا أقامته كلية الشرطة تكريمًا للضباط الأفارقة الشباب الذين حصلوا على منح دراسية في مصر. حضر وزير الداخلية زكي بدر الذي شكرتُه لمساهمته في رفعة اسم مصر في أفريقيا. لا يقتصر برنامج مساعدتنا التقنية لأفريقيا على مجرد إعداد ضباط الشرطة، بل إنه يشتمل أيضًا على تقديم دورات تدريبية لضباط الجيش وربابنة السفن والديبلوماسيين. وتقدر الكوادر الأفريقية هذه المنح الدراسية قصيرة الأمد والتي تتم في بلد لا يعتبرونه بلدًا غريبًا عنهم وفي أجواء مناسبة بالنسبة لهم.

القاهرة: السبت، ١٥ إبريل ١٩٨٩

في الصباح، علمنا بإقالة المشير أبو غزالة وتعيينه في منصب مستشار الرئيس للشئون العسكرية. إنه حادث مفاجئ تمامًا هزَّ الدائرة السياسية. لم يتوقع أحد هذه الإقالة. ارتدى المشير الزي المدني وتظاهر بالابتسام رغما عنه. لن نعرف أبدًا أسباب إقالته.

القاهرة: الاثنين، ١٧ إبريل ١٩٨٩

حضرتُ جلسة برلمانية مسائية. نصف القاعة خالٍ. معظم أعضاء الحزب

الوطني الديموقراطي غائبون. في المقابل، كان إبراهيم شكري والنواب المعارضون حاضرين. مناقشة باهتة للغاية بخصوص حماية مدن الصعيد من فيضانات النيل. حضرتُ الجلسة حتى نهايتها على الرغم من أنني كنتُ متعبًا تمامًا.

القاهرة: الأربعاء، ١٩ إبريل ١٩٨٩

أحطتُ أعضاء جمعية الصداقة المصرية ـ السوفييتية عِلمًا بالاتفاقية التي عقدتُها مع وزير الخارجية السوفييتي بخصوص نشر كتاب في عام ١٩٩٣ للاحتفال بالذكرى الخمسين لإقامة العلاقات الديبلوماسية بين بلدَينا.

دلهي: الأحد، ٢٣ إبريل ١٩٨٩

وصلتُ فجرًا إلى عاصمة الهند. في المساء حضرتُ عرضًا للصوت والضوء في «القلعة الحمراء». كان العرض مُخيبًا للآمال، لا وجه للمقارنة بينه وبين عرض الصوت والضوء في منطقة أهرامات الجيزة. هل تنقصني الموضوعية؟

دلهي: الاثنين، ٢٤ إبريل ١٩٨٩

وضعتُ باقة من الزهور على قبر غاندي. كنتُ أود أن أؤكد خلال هذا الاحتفال على التواجد المصري في الهند. لسوء الحظ، لم يُدع أي صحفي للحضور! إن أداء بعض ديبلوماسيينا يفتقر لحسن التصرف.

عقدتُ اجتماعًا ناجحًا مع السفراء الأفارقة المعتمدين في دلهي. بعد الاجتماع، زرتُ نائب رئيس الجمهورية، وهو رجل قانون شاب عقدنا مقارنة بين القانون الروماني والقانون الإنجليزي. سألني عن مكانة «الشريعة الإسلامية» في مصر. يوجد في الهند أكثر من مائة مليون مسلم.

اقترحوا عليّ زيارة مدينة بانجالور. يبدو أن توقيت زيارتي لدلهي يتزامن مع توقيت زيارة وزير الخارجية السوري. لا يجب أن أعطي الصحافة فرصة لكي تُلَمح إلى أن الهند تتوسط بين مصر وسوريا. ولوضع حد لهذه الإشاعات، كان عليَّ الابتعاد عن العاصمة الهندية حتى رحيل الوزير السوري عنها. على الأقل، هذا هو التفسير الذي قدموه لي تبريرًا لفراري إلى بانجالور.

بانجالور: الثلاثاء، ٢٦ إبريل ١٩٨٩

الرحلة بالطائرة دامت ثلاث ساعات حتى بانجالور، عاصمة ولاية كارناتاكا التي يعيش فيها ٥٠ مليون نسمة، وهي أيضًا عاصمة الهند للتكنولوجيا الحديثة. انتقلتُ من بانجالور إلى ميسوري، حيث زرتُ «النافورات المضيئة» أسفل السد العظيم هناك، وزرتُ قصر المهراجا، وهو يضاهي قصر عابدين في اتساعه.

قضيتُ يومَين في سياحة ممتعة بعيدًا عن برنامج العمل الذي كنتُ قد وضعته.

دلهي: الخميس، ٢٧ إبريل ١٩٨٩

قابلتُ صديقي بناري الذي أصبح حاكم دلهي. تباحثتُ بعد ذلك مع نائبة رئيس مجلس الشيوخ التي تنتمي للأقلية المسلمة وتتحدث اللغة العربية بطلاقة. قَدرتُ الأهمية التي ستجنيها الهند بتوثيق علاقاتها بمصر، أكبر بلد عربي وإسلامي.

دلهي: الجمعة، ٢٨ إبريل ١٩٨٩

بمرور الوقت، نَشَأت صداقة وثيقة ومتبادلة بيني وبين ناراسيم راو، وزير خارجية الهند. أتاحت هذه الصداقة لنا مناقشة أكثر المواضيع حساسية بصراحة؛ لأننا نعرف أن مناقشاتنا لن يطلع على ما جرى فيها سوانا. إنه لا يرى حلًا قريبًا للمشكلة الفلسطينية خصوصًا مع انقسام العالم العربي وقوة اللوبي اليهودي الأمريكي، ولا يتوقع إيجاد حل سريع لمشكلة كشمير، كما أنه يشعر بالقلق على مستقبل حركة عدم الانحياز التي كانت قد بَلَغَت أوج عظمتها في القمة التي جمعت ناصر ونهرو وتيتو في القمة الثلاثية الأولى التي عُقدت في بلجراد.

بعد الظهر، قابلتُ راجيف غاندي. إنه مستمع جيد، وطرح عليّ أسئلة كثيرة بخصوص ما ينبغي عمله لتقوية «حركة عدم الانحياز». إنه شاب جذاب وواثق من نفسه، ويُعبر عن أفكاره بوضوح ودقة بلغة إنجليزية راقية. من حُسن طالع الهند أن تحظى بزعيم مثله.

حفل عشاء في السفارة المصرية مع صحفيين وأساتذة جامعات هنود. النخبة الهندية متأثرة بالثقافة الغربية أكثر بكثير من النخبة المصرية. ربما كان ذلك التباعد الثقافي من بين الأسباب التي لم تسهل توطيد العلاقات بين القاهرة ودلهي. ومع

ذلك، فلمصر والهند مصلحة مشتركة تقتضي إقامة تحالف حقيقي بينهما، فمن مصلحة الهند ذات الأقلية المسلمة أن تتحالف مع مصر المسلمة. وفي الوقت نفسه، فمن مصلحة مصر التحالف مع أكبر بلد آسيوي احتلته بريطانيا العظمى التي احتلت مصر أيضًا. لكن، مرة أخرى، سنصطدم بتركيز علاقات مصر الخارجية على أوروبا، مما جعلنا نُهمل نيودلهي، بل يوجد ما هو أخطر فمنذ انعقاد مؤتمر بريوني، تراجعت مصر وتقدمت الهند.

جنيف: الثلاثاء، ٢ مايو ١٩٨٩

تباحثتُ مع مندوب منظمة الصليب الأحمر بخصوص السجناء المصريين في العراق. شاركتُ في أعمال لجنة القانون الدولي التابعة لمنظمة الأمم المتحدة. إنها تجربة جديدة تتطلب مني جهدًا هائلًا.

جنيف: الأربعاء، ٣ مايو ١٩٨٩

لقاء المدير العام لمنظمة الصحة العالمية، وهو ياباني يتحدث اللغة الإنجليزية بصعوبة شديدة تجعل كلامه غير مفهوم. ومما زاد الطين بلة، أنه كان مصابًا بزكام شديد فلم يكف عن التمخط والعَطْس طول مدة اللقاء، لقد كان مدير المنظمة المسئولة عن المشاكل الصحية في حالة صحية سيئة. كان هدف زيارتي له هو تدعيم طلب منظمة التحرير الفلسطينية للانضمام إلى منظمة الصحة العالمية، والمطالبة بترقية زميلة مصرية وهي علية البنداري.

جنيف: السبت، ٦ مايو ١٩٨٩

عشاء مع السفير نبيل العربي وزوجته. حضر العشاء آردشير زاهدي وزير خارجية إيران الأسبق في عهد الشاه وزوج كبرى بناته. نبيل العربي واحد من ألمع سفرائنا وكان والده زميلًا لي.

القاهرة: السبت، ١٣ مايو ١٩٨٩

حضرتُ حفل زفاف صادق وهبة على هيلين عوض اللذين أعتبرهما بمثابة ابن وابنة لي. تم حفل الزفاف في حي الزيتون في ضواحي القاهرة في كنيسة صغيرة

تبرعت أسرة وهبة بنفقات بنائها منذ عدة سنوات، منذ «ظهور» السيدة العذراء، أَصْبَحَت هذه الكنيسة بالفعل مزارًا يحج الناس إليه، فقد تَدَفق عليها الملايين من المسيحيين والمسلمين ينتظرون في كل ليلة التجلي المقدس لِطَيف العذراء.

أمي سيدة متدينة جدًّا، ولذلك فقد ذَهَبت مرتَيْن، بلا جدوى، لكنيسة الزيتون بصحبة ليا. ومع ذلك، أكد لنا جيراننا أنهم قد رأوا تجلي السيدة العذراء في هاتين الليلتَيْن بالذات.

القاهرة: الثلاثاء، ١٦ مايو ١٩٨٩

مكالمة هاتفية من السفير روبير إسكندر من أديس أبابا. أبلغني بوقوع انقلاب عسكري في إثيوبيا ويبدو أن الرئيس منجستو قد اعتُقِل.

في المساء، طرتُ إلى نيروبي. انتظرني السفير في المطار وبصحبته الملحقة الصحفية الجديدة هناك. إنها سيدة عَبُوسَة تتشح بملابس سوداء، وهي أرملة لديها أولاد كبار. من المؤكد أن هذه هي أول مهمة لها في أفريقيا، وهي بالطبع لا تتحدث اللغة السواحيلية ولا تتقن الإنجليزية. هذا هو السبب في ضعف الوجود الثقافي المصري في الخارج وخصوصًا في أفريقيا؛ لأن اختيار مستشارينا الثقافيين وملحقينا الصحفيين لا يتم حسب الكفاءة، بل يتم بناءً على معايير غامضة تتدخل فيها العلاقات الشخصية. وطالما استمر الوضع على ما هو عليه، فإن نوعية ممثلينا في الخارج ستظل دونْ المستوى المطلوب وسيظل أداؤهم أيضًا دون المستوى المطلوب.

داكار: الاثنين، ٢٢ مايو ١٩٨٩

حضرتُ مؤتمر قمة رؤساء الدول والحكومات الفرانكوفونية. اقترحتُ اتخاذ قرارَيْن: الأول، بخصوص فلسطين، والثاني، بخصوص الجامعة الفرانكوفونية في الإسكندرية.

داكار: الثلاثاء، ٢٣ مايو ١٩٨٩

طلب مني هنري لوبيز نائب مدير اليونسكو التدخل لدى عرفات لكي يتراجع مؤقتًا عن طلب انضمام منظمة التحرير الفلسطينية لليونسكو. وافقتُ، وفي المقابل طلبتُ منه دعم القرار الخاص بفلسطين.

داكار: الأربعاء، ٢٤ مايو ١٩٨٩

الاحتفال بافتتاح قمة رؤساء الدول والحكومات الفرانكوفونية في قاعة كبيرة بمعرض داكار. الصوت سيئ والخطب طويلة. في الغداء، جلستُ بجوار رئيس وزراء المغرب وهو شخص لطيف ومرح.

في جلسة بعد الظهر، تدخلتُ لكي تتبنى القمة قرارًا لصالح فلسطين. أيدتني تونس والمغرب وجيبوتي. الرئيس عبده ضيوف يميل للتوفيق والمصالحة وبدا غير متحمس لإصدار هذا القرار الذي اعترض عليه الوفد الكندي.

تناولتُ العشاء برفقة جان كريستوف ميتران وجاك آتالي. على الرغم من أن لهما خلفية دراسية مختلفة إلا أنهما يبديان الاهتمام نفسه إزاء مشاكل أفريقيا الاقتصادية.

داكار: الخميس، ٢٥ مايو ١٩٨٩

مُداخلة من هوفوييت ـ بوانيي الذي بدأ حديثه مُعلنًا أنه يبلغ ٨٣ سنة، وتحدث عن عدم المساواة في التبادل التجاري. تدخلتُ بدوري وطالبتُ بضرورة عمل توازن بين محور الجنوب ـ الجنوب ومحور الشمال ـ الجنوب.

غداء في سفارة المغرب. الهادي البكُّوش رئيس وزراء تونس صديقي منذ زمن طويل، وبناءً عليه، فإنه يشاركني التشكك في إمكانية إيجاد حلول للعديد من المشاكل الأفريقية.

في المساء، حفل ساهر على شاطئ البحر. العرض يُمثل سفينة تُفرغ شحنة من العبيد. كان الجو باردًا جدا. وبينما نحن نتابع العرض علقت تعليقًا ساخرًا على شيء ما فيه، في إشارة إلى ما نعانيه من برودة وإلى احتياجنا لنوع من التدفئة، لكن هذا التعليق لم يجد اهتمامًا من الرؤساء المشاركين.

داكار: الجمعة، ٢٦ مايو ١٩٨٩

اختتام لأعمال المؤتمر. لاحظتُ عدم الإشارة إلى القرار الذي يؤيد إنشاء الجامعة الفرانكوفونية في الإسكندرية. رجوتُ عبده ضيوف أن يتدخل. بمنتهى اللطف، أعلن عن إنشاء الجامعة، وطلب بصفته رئيسًا للمؤتمر الحصول على تفويض من

الحاضرين لتوقيع اتفاقية بين مصر والمنظمة الفرانكوفونية لإنشاء هذه الجامعة. كان ميتران يتابع جهودي لتمرير القرار وسألني:

«ـ يا بطرس، هل أنت مسرور الآن؟».

عشاء لدى ليوبولد سنجور بصحبة موريس دروون ومصطفى نياسيه. احتفلنا بميلاد الجامعة واقترحتُ على ليوبولد سنجور إطلاق اسمه عليها. بعد ذلك، تحدثنا عن النزاع بين السنغال وموريتانيا. يرى مصطفى نياسيه أن كلّا من الحكومتَيْن لديها مصلحة في استمرار التوتر كحل لمشاكلهما الداخلية وتوقع استمرار الخلاف حتى حلول فصل الشتاء.

جنيف: الخميس، الأول من يونيو ١٩٨٩

أخبرتُ عيزرا وايزمان بوجود شخصية فلسطينية في الفندق متنكرة في هوية صحفي. أعطيتُه رقم الغرفة وطلبتُ منه انتظار مكالمة هاتفية من هذه الشخصية الفلسطينية. يوجد قانون إسرائيلي يحظر على الإسرائيليين الاتصال بممثلي منظمة التحرير الفلسطينية. لا أستطيع التدخل بطريقة أكثر مباشرة لترتيب اللقاء. شكرني وايزمان ووعد بالتفكير في اقتراحي.

جنيف: الجمعة، ٢ يونيو ١٩٨٩

مكالمة هاتفية من السفير نبيل العربي، في حقيقة الأمر، فإن الصحفي الذي كان سيُقابل وايزمان ـ بناءً على اقتراحي ـ كان أحد الزعماء الفلسطينيين... سألني السفير عما يجب عليه أن يُصرح به للصحافة. فأجبته قائلًا:

«ـ لا أتذكر أنني قد نظمت لقاء ما بين أحد الصحفيين ووايزمان».

القاهرة: الثلاثاء، ٦ يونيو ١٩٨٩

زارني فرانك وايزنر سفير الولايات المتحدة في مكتبي. قال لي إنه مُكَلف بإبلاغي قلق حكومته وعدم رضاها بسبب التقارب بين مصر وليبيا. كانت المقابلة سيئة جدا. تجنبتُ مجادلته أو توجيه اللوم لحكومته لتدخلها في الشئون الداخلية

لبلدي. اكتفيتُ بالاستماع إليه وأخبرته بأنني سأنقل رسالته للسلطات المختصة. ولم أعلق بشيء.

في المساء، حرصتُ على حضور حفل استقبال في السفارة الأمريكية خشية أن يُفسر غيابي على أنني غاضب. وجدتُ هناك كل الوزراء السابقين، محمد رياض وزكريا محيي الدين ومحمد حسنين هيكل وعزيز صدقي. كنتُ الممثل الوحيد للحكومة الحالية. قَدر فرانك وايزنر حضوري واعتذر عن الرسالة التي كان مُجبرًا على نقلها لي في هذا الصباح. هنأني على الحكمة الديبلوماسية التي تلقيتُ بها هذه الرسالة.

جنيف: الجمعة، ٩ يونيو ١٩٨٩

الحصار الذي نفرضه على جنوب أفريقيا يمنعنا من منح تأشيرة دخول لمسلمي هذا البلد الراغبين في تأدية فريضة الحج في مكة. تباحثتُ حول هذا الموضوع مع الرئيس مبارك ثم اتصلتُ بسفارتنا في نيروبي لكي تستثني الحجاج المسلمين، وهم متحالفون معنا في النضال ضد سياسة الآبارتايد.

القاهرة/تل أبيب: الأحد، ١١ يونيو ١٩٨٩

وصلتُ إلى تل أبيب وقابلتُ زعماء حزب «المابام». مناقشة بناءة مع إسرائيل جات، السكرتير العام للحزب. سافرت إلى القدس حيث تغذيت مع شيمون بيريز ومساعديه. نمتُ القيلولة في فندق «الملك داوود» الذي يُذكرني بأول زيارة لي للقدس مع السادات في سنة ١٩٧٧.

بعد الظهر، قابلتُ عيزرا وايزمان. تناولتُ العشاء مع آرينز. هذه اللقاءات مهمة للغاية بالنسبة للرأي العام الإسرائيلي والمسئولين السياسيين لأنها تدعم وجود السلام، حتى لو كان «سلاما باردًا». ومع ذلك، فإن هذه الزيارات لا تُغَير أبدًا لا من مواقف ولا من مفاهيم الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني فبالنسبة للإسرائيليين، فإنه لا اعتراف بوجود الفلسطينيين مع الاعتقاد بأن الأمر سينتهي بهم للاستقرار في مكان آخر في العالم العربي الفسيح. وبالنسبة للفلسطينيين، فالوجود الإسرائيلي وضع مؤقت وعابر وسينتهي به الأمر بالتلاشي كما حدث لممالك الفرنجة أثناء الحروب الصليبية. وحتى يتم ذلك، فإن المواجهات مستمرة بين الطرفَيْن.

تل أبيب ـ القدس ـ القاهرة: الاثنين، ١٢ يونيو ١٩٨٩

لقاء مع الفلسطينيين الموجودين بداخل إسرائيل. إنهم يُطالبون مصر بتقديم عون مكثف لهم. قابلت إسحق شامير في القدس. إنه يحب الحديث معي باللغة الفرنسية. اقترحتُ عليه أن يقوم بدور الوسيط بين حكومته والفلسطينيين لكنه رفض. أخبرته بأن السلطات المصرية تقترح تسليم جثة ضابط درزي مطلوبة من قبل الجيش الإسرائيلي مقابل إطلاق سراح تسعة فلسطينيين. قال إنه سيدرس هذا الاقتراح.

غداء مع آرينز قبل لقائي مع حاييم هيرتزوج، رئيس الجمهورية. حديث مع التلفزيون الإسرائيلي.

القاهرة: الثلاثاء، ٢٧ يونيو ١٩٨٩

أخبرني آداماش الذي يعد بمثابة الموجه الخفي للسياسة السوفييتية، أن إسرائيل تساعد جون جارانج والجنوبيين عَبْر كينيا.

القاهرة: الأربعاء، ٢٨ يونيو ١٩٨٩

إدمون رزق النائب اللبناني عَبر لي عن يأسه، فلبنان يتفكك، حسبما قال لي. طالب رزق بتدخل مصر قائلًا:

«ـ اخرجوا من سلبيتكم، تحركوا وابعثوا لجنة للمساعي الحميدة».

تدخلنا لن يغير شيئًا في الوضع اللبناني. ومع ذلك ينبغي علينا أن نحاول. سأنقل رسالته للرئيس.

القاهرة: الجمعة، ٣٠ يونيو ١٩٨٩

انقلاب عسكري في السودان. اجتماع عاجل مع رئيس الوزراء عاطف صدقي ووزير الدفاع اللواء يوسف صبري أبو طالب وعصمت عبد المجيد ورؤساء أجهزة المخابرات. هل يجب إصدار بيان رسمي؟ إذا كان الرد بالإيجاب، فماذا سنقول فيه؟ أم هل ينبغي علينا الانتظار؟ بالإجماع، قررنا الانتظار.

القاهرة: السبت، الأول من يوليو ١٩٨٩

اجتماع جديد مع رئيس الوزراء لتحليل الوضع الذي ما يزال مضطربًا في السودان. تم وضع الصادق المهدي تحت الإقامة الجبرية.

القاهرة: الأربعاء، ٥ يوليو ١٩٨٩

اشتركتُ في جلسة البرلمان المنعقدة للتصديق على الاتفاقية التي عَقَدَتها الحكومة المصرية مع جامعة سنجور في الإسكندرية. ضمنتُ تأييد بعض النواب لعقد هذه الاتفاقية. في نهاية المداخلة الثانية، خشي رئيس البرلمان رفعت المحجوب حدوث معارضة لبعض بنود الاتفاق، فقرر أن يكون التصويت على النص. النواب الذين طلبتُ منهم تأييدها أبدوا سُخْطَهم، فالتصويت بهذه الطريقة حَرَمَهم من متعة إلقاء الخطب التي أعدُّوها لتأييد الاتفاقية.

القاهرة: الخميس، ٦ يوليو ١٩٨٩

افتتاح مؤتمر المرأة الأفريقية بحضور السيدة سوزان مبارك والقس جيسي جاكسون، وهو خطيب مُفَوَّه يثير حماس مستمعيه.

اتصلتُ هاتفيًّا بسفير فرنسا لأُبشره بموافقة البرلمان المصري على منح جامعة سنجور في الإسكندرية الحصانة التي تتمتع بها جامعة الأمم المتحدة في طوكيو.

يبدو أن وزارة الخارجية الفرنسية لديها بعض الشكوك بخصوص هذا المشروع العظيم الذي تم إنجازه بدون أن يتم دراسته من قبل الإدارات المختصة بالوزارة.

القاهرة: الجمعة، ٧ يوليو ١٩٨٩

مفاجأة سارة. بعث الرئيس ميتران برسالة يخبرني فيها أنه عثر على طبعة نادرة ومرقَّمة لكتَاب ألفه عمي واصف بطرس غالي بعنوان «اللآلئ المبعثرة»، وبعث لي مع رسالته تلك ذلك الكتاب النادر.

علمتُ أن صديقة طفولتي نادية مَقَّار أُصيبت بالسرطان وأن أيامها في الحياة أصبحت معدودة. شعرتُ باليأس. إن المحن السياسية التي نمر بها تصبح تافهة إذا ما قارناها بالاضطرار لمواجهة الموت.

القاهرة: السبت، ٨ يوليو ١٩٨٩

استقبل الرئيس القس جيسي جاكسون، الزعيم الزنجي الذي يلعب دورًا مؤثرًا في سياسة أمريكا الداخلية. حديثه جدير بالإعجاب فعلًا فهو يتكلم بعبارات قصيرة وبليغة مما يزيد من قوة الإقناع لديه. الصورة التي يُقدمها عن بلده لا تقل بهاءً عن الصورة التي يقدمها عنها أفضل السفراء الأمريكيين المحنكين.

القاهرة: الأحد، ٩ يوليو ١٩٨٩

حضرتُ اللقاء بين الرئيس مبارك وسام نوجوما الذي أعرفه منذ سنوات. سيكون هو رئيس جمهورية ناميبيا المقبل. يجب علينا معرفة كيف نكَرِّس وقتًا للاهتمام بالزعماء الذين يقتربون يومًا بعد يوم من الوصول إلى السلطة. وكذلك، يجب علينا معرفة كيف نستغل عرفانهم بالجميل في بداية سنوات عهدهم لأنه كلما مَرَّت السنون، نسوا المشاكل والإهانات التي اضطروا لمواجهتها، ونسوا أيضًا المساعدات التي تلقّوها. حصلتُ على وعد من الرئيس مبارك بأنه سيضع طائرة تحت تصرُّف سام نوجوما لكي يستقلها للكويت.

باريس: الخميس، ١٣ يوليو ١٩٨٩

وصلتُ باريس برفقة الرئيس مبارك الذي دُعي لحضور الاحتفالات بالعيد الوطني الفرنسي في ١٤ يوليو. الغداء. سهرة في الأوبرا. عشاء في مقر وزارة الخارجية. قررنا تكوين مجموعة الأربعة التي تجمع مصر والهند وفنزويلا والسنغال بناءً على مبادرة من جاك آتالي وتأييد فرنسوا ميتران. هذه المبادرة جريئة وتهدف إلى تمثيل الجنوب وإقامة توازن مع مجموعة السبعة التي تمثل الشمال.

باريس: الجمعة، ١٤ يوليو ١٩٨٩

جلسنا في المنصة الرسمية لمتابعة العرض العسكري في ميدان الكونكورد. بعد ذلك توجهنا إلى حفل في مكان مفتوح حيث التقيت الزعيم الهندي ناساريم راو، والزعيم البرتغالي ماريو سواريس، وهيلموت كول زعيم ألمانيا، وجوليوس ماريو سانجينيتي من أُورجواي، وبريان مولروني من كندا... وغيرهم من النجوم الساطعة في سماء السياسة الدولية. قَررتُ عدم المشاركة في الحفل الكبير الذي يُقام

احتفالًا بذكرى مرور ٢٠٠ عام على قيام الثورة الفرنسية. سأُشاهد الحفل على شاشة التلفزيون في غرفتي بالفندق. أعطيتُ بطاقة الدعوة لأحد مساعديَّ. أعلم أن ذلك يخلق حساسيات حول اختيار الشخص الذي منحته الدعوة، ولكنني لا أتدخل في هذه الأمور.

باريس: السبت، ١٥ يوليو ١٩٨٩

في الصباح، قابلتُ إيديم كودجوا الذي يعمل في مجلة «جون آفريك». اقترح عليَّ توقيع عقد قيمته مليونَيْن من الدولارات مقابل حملة إعلانية لمدة سنة كاملة على صفحات المجلة لتأييد ترشيح مبارك لرئاسة منظمة الوحدة الأفريقية. فقلتُ له إن مثل هذا الموضوع من اختصاص وزير الإعلام، خصوصًا وأن لمصر مُلحقين صحفيين ومُلحقين إعلاميين في العواصم الرئيسية بأفريقيا، وأن دورهم بالتحديد هو تلميع صورة مصر ورئيسها.

إن هذا الرد قد يُغضب بشير بن يحمد، صاحب المجلة، وقد يجعل علاقاتي به تتدهور. كان ينبغي عليَّ أن أكون أكثر حصافة وأقول له إننا سندرس هذا الاقتراح.

أديس أبابا: الاثنين، ١٧ يوليو ١٩٨٩

مؤتمر قمة منظمة الوحدة الأفريقية. أديس أبابا تبدو حزينة فالسماء ملبدة بالغيوم والأمطار تهطل بلا توقُّف. أشعر بالتعب خصوصًا مع إحساسي بآلام النقرس؛ ومع ذلك، حضرتُ حفل الاستقبال الذي أُقيم بمناسبة الاحتفال بالعيد الوطني للعراق، ثم حضرتُ حفل استقبال آخر أقامته السكرتارية العامة للمنظمة. هذه هي أعباء الدبلوماسية التي يجب على الدبلوماسي القيام بها دون إبداء أي تذمر.

أديس أبابا: الثلاثاء، ١٨ يوليو ١٩٨٩

محادثات مع إبراهيم فال، وزير الخارجية السنغالي، حول الصراع الناشب في الصحراء الغربية، والنزاع بين السنغال وموريتانيا. تكلمنا عن الدور الذي يجب أن تقوم به مصر للمساعدة في إيجاد حل. تحدثنا بالتأكيد عن الانتخابات المقبلة لاختيار السكرتير العام لمنظمة الوحدة الأفريقية.

أديس أبابا: الأربعاء، ١٩ يوليو ١٩٨٩

مقابلات متتالية مع ثلاثة وزراء للخارجية، سالم أحمد سالم من تنزانيا، وهو مرشح لشغل منصب السكرتير العام لمنظمة الوحدة الأفريقية؛ وسيميون آكي من كوت ديفوار الذي ازداد وزنه ويبدو في حالة متفاقمة من الإحساس بالأبهة؛ ووزير خارجية غينيا بيساو الذي يريد تأكيد موعد زيارة رئيس جمهوريته لمصر.

بعد الظهر، حفل استقبال حضره ٥٠٠ مدعو بمناسبة العيد الوطني لمصر. تحيات وأحضان والتقاط صور فوتوغرافية. كانت آلام النقرس أقوى من قدرتي على المقاومة.

أديس أبابا: الجمعة، ٢١ يوليو ١٩٨٩

بدأتُ المفاوضات مع وفدَي السنغال وموريتانيا على هامش أعمال اجتماعات المنظمة. لا أعتقدُ بأننا نتقدَّم لكن يجب أن نسعى للحفاظ على الوضع الراهن كما هو، وتجنُّب تدهور الوضع؛ لذلك، لا بد من التفاوض ثم التفاوض... ثم التفاوض باستمرار.

أديس أبابا: السبت، ٢٢ يوليو ١٩٨٩

استمرت المفاوضات الثلاثية طوال الفترة الصباحية. ذكَّرتني بالمفاوضات التي تمت بين مصر وإسرائيل والولايات المتحدة في مدينة هيرتزيليا بإسرائيل. في تلك المفاوضات، قام السفير الأمريكي سول لينوفيتش بدور الوسيط، وهو الدور نفسه الذي أُؤديه اليوم.

نجحت في إقناع السنغال وموريتانيا بالاتفاق على نَص قرار سيتم عرضه خلال الاجتماع الوزاري الذي سيُعقد في مساء اليوم لكي يتبناه بعد ذلك رؤساء الدول والحكومات أثناء انعقاد القمة. انتهى الاجتماع الوزاري في الساعة الخامسة فجرًا، وتمت الموافقة بالإجماع على نص القرار. حتى اللحظة الأخيرة، كُنتُ أخشى من أن يتسبب خلاف صغير في إفشال التوصل إلى اتفاق.

أديس أبابا: الأحد، ٢٣ يوليو ١٩٨٩

وصل الرئيس مبارك إلى أديس أبابا. التقى أولًا برئيس جمهورية النيجر الذي

يريد إعادة ترشيح إيديه أُومارو لمنصب السكرتير العام للمنظمة. بعد ذلك، قابل رئيس جمهورية تنزانيا الذي قَدَّم مرشحًا منافسًا هو سالم أحمد سالم. تصرَّف الرئيس بحكمة فلم يلتزم بتأييد أحد منهما بل اكتفى بأن صَرَّح بأنه سيتشاور مع باقي الرؤساء.

أديس أبابا، الاثنين، ٢٤ يوليو ١٩٨٩

حققتُ انتصارًا شخصيا كلفني مجهودًا هائلًا: فقد التقى الرئيس مبارك سرًّا بجون جارانج في منزل السفير المصري. قَدَّم الرئيس طبقًا مليئًا بالبسكويت لجارانج الذي تناول منه وهو يعلِّق قائلًا:

«ـ شكرًا يا سيادة الرئيس لأنك تُطعم ثورة الجنوب...».

أبدى الرئيس استعداده للتوسُّط بهدف الوصول لحل سلمي، لأن الحل السلمي هو السبيل الوحيد لضمان الاستقرار الذي يحتاجه السودان لكي ينمو ويتطور. هذا الاقتراح لن ينجح إلا إذا صاحبته إجراءات عملية. بدأت في التفكير في المبعوث الشخصي الذي سيقوم بالرحلات المكوكية بين الخرطوم وجوبا ونيروبي وكمبالا، وفي فريق المفاوضين الذي سيتولى مهمة التفاوض.

بعد ذلك، التقى مبارك بعلي سايبو، وزير خارجية الجزائر. عاتبه مبارك لغياب رئيس الجزائر لأنه كان يريد التباحث معه.

بدأت الجلسة الافتتاحية في الساعة الثالثة ظهرًا. على التوالي، تحدث كل من: سام نوجوما وموسى تراوري وبيريز دي كوييار وياسر عرفات. لم يتطرَّق أحد منهم لموضوع رئاسة القمة. بدأتُ أشعر بنفاد صبري، وأصبحتُ عصبيا عندما تخيلتُ المشاكل أو المكائد التي قد تظهر في الدقيقة الأخيرة. أخيرًا، عرض رئيس جيبوتي ترشيح مبارك الذي انتُخب بالإجماع وَسط عاصفة من التصفيق. شعرتُ برضاء عميق: فقد تكلَّلَت بالنجاح مجهودات سنة كاملة.

حفل استقبال في القصر الرئاسي. تسابق رؤساء الدول والوفود لتهنئة الرئيس مبارك. كان من بينهم: جان ـ بيير هوكيه، المفوض الأعلى الجديد لشئون اللاجئين. أجرى حديثًا قصيرًا مع الرئيس. فور انصرافه، همستُ في أذن الرئيس قائلًا:

«ـ هذا هو الذي أخذ مني منصب المفوض الأعلى للأمم المتحدة لشئون اللاجئين».

ضحك الرئيس وقال مازحًا:

«ـ لم أكُن أعرف مَنْ هو، وإلا لكنتُ قد شكرتُه بحرارة لأنه منعك من أن تتركنا».

استخدم الرئيس هذا الأسلوب اللبق لكي يشكرني على الحملة الدعائية التي قمتُ بها لكي يفوز برئاسة «منظمة الوحدة الأفريقية». الرئيس مبارك لا يُوجِّه أبدًا الشكر مباشرةً لمعاونيه: فلديه دائمًا أسلوب غير مباشر يستخدمه لكي يعبِّر لهم عن امتنانه.

أديس أبابا: الثلاثاء، ٢٥ يوليو ١٩٨٩

مباحثات مطوَّلة مع الرئيسَيْن: مومو من سيراليون، وبن علي من تونس لتشكيل لجنة لمتابعة مشكلة الصحراء الغربية.

أديس أبابا: الأربعاء، ٢٦ يوليو ١٩٨٩

أجريتُ مكالمة هاتفية لليا في القاهرة. أخبرتني أن عاطف صدقي، رئيس الوزراء، موجود حاليًا في كليفلاند بالولايات المتحدة لإجراء جراحة في القلب وأن يوسف ابن أخي يرافقه.

تباحثتُ مع وزيري خارجية السنغال وموريتانيا حول تشكيل لجنة خاصة لمساعدة الرئيس مبارك في مهمة الوساطة بين بلديهما.

بعد الظهر، رأس مبارك جلسة لانتخاب سكرتير جديد لمنظمة الوحدة الأفريقية. فاز سالم أحمد سالم مرشح تنزانيا بـ ٢٧ صوتًا مقابل ٢٣ صوتًا حصل عليها إيديه أومارو مرشح نيجيريا. ألقى الفائز خطبة رنانة تليق برئيس دولة. لم يُخفِ سالم أبدًا طموحه في رئاسة جمهورية تنزانيا.

ذهبتُ لمواساة إيديه أُومارو الذي تقبَّل الخسارة بطريقة فلسفية. تربطني به علاقات ممتازة، وكان دائمًا يدعوني لتناول العشاء في منزله برفقة زوجاته الأربع. في المرة الأُولى، تساءلتُ عن الهدية المناسبة التي سأقدمها لكل منهن. وفي كل مرة

تالية، كنتُ أختار مفرشًا مزركشًا وأُقدمه كهدية جماعية. كانت التقاليد تحتم أن تتولى أقدم الزوجات تقديم الطعام.

ألقى الرئيس مبارك خطبة الختام ثم سافر فورًا إلى القاهرة.

أديس أبابا: الخميس، ٢٧ يوليو ١٩٨٩

الرئيس الأمريكي الأسبق، جيمي كارتر، مهتم بالتوسط بين إثيوبيا وإريتريا. ينوي تنظيم الاجتماع القادم للمصالحة في أطلانطا، لكنني اقترحتُ عليه تنظيمه في القاهرة وبررتُ ذلك قائلًا:

«ـ هذا النزاع أفريقي، ومن الواجب تسويته في عاصمة أفريقية لكي نبرهن على أن أفريقيا تتكفَّل بحل المشاكل التي تخصها».

لم ينبس الرئيس كارتر ببنت شفة.

القاهرة: الجمعة، ٢٨ يوليو ١٩٨٩

عشاء مع الشاهبانو التي جاءت إلى القاهرة للاحتفال بذكرى وفاة زوجها، شاه إيران السابق. إنها إمبراطورة حقيقية، فهي سيدة ذكية ومُرَفهة وكتومة. ظلت تشعر بالعرفان بالجميل لمصر وللرئيس السادات لاستقبالهما للشاه المخلوع والذي كان يحتضر، بينما رفضت كافة الدول الكبرى استقباله خوفًا من إغضاب النظام الجديد في طهران. وعندما كان الشاه في الحكم، كانت هذه الدول كلها تحتفي به وتتملقه وتظهر له الود.

القاهرة: الأربعاء، ٢ أغسطس ١٩٨٩

الندوة الخامسة لتجمع أفريقيا ـ أمريكا اللاتينية. وفد أمريكا اللاتينية كان برئاسة روزنتال نائب وزير خارجية المكسيك.لقد كان وفدًا به أعضاء من بلدان مختلفة من أمريكا اللاتينية كما كان أيضًا يضم خبراء ممتازين، بينما كان الوفد الأفريقي أقل تأثيرًا. كان موضوع الندوة الرئيسي هو «ديون أفريقيا وأمريكا اللاتينية»، أبدى روزنتال رضاءه التام عن اجتماعنا هذا قائلًا:

«ـ منذ الآن، يجب علينا إعداد ندوة العام القادم التي ستُعقد في مكسيكو سيتي».

القاهرة: السبت، ٥ أغسطس ١٩٨٩

تلقيتُ رسالة من بيك بوتا، وزير خارجية جنوب أفريقيا، يقترح عليَّ فيها أن نلتقي أثناء زيارتي المقبلة لمابوتو. حصلتُ على موافقة الرئيس مبارك لعقد هذا اللقاء.

القاهرة/نيروبي: الأربعاء، ٩ أغسطس ١٩٨٩

طرتُ إلى نيروبي، في الطريق توقفت الطائرة في أسوان ثم في أديس أبابا حيث قابلتُ السفير روبير إسكندر وإيديه أُومارو. في نيروبي، استقبلتُ السفير حسن جاد الحق والمعارين المصريين من أطباء ومهندسين وخبراء. نجاح باهر للبرنامج. منحني هذا النجاح أعظم شعور بالرضاء منذ أن خدمتُ في أفريقيا.

نيروبي: الخميس، ١٠ أغسطس ١٩٨٩

سلمتُ الرئيس آراب موي رسالة من الرئيس مبارك. كان يبدو عليه التعب وشرود الذهن، لكنه كان حريصًا على تقديم تلك المجاملات التي يتميز بها رؤساء الدول الأفارقة.

شاركتُ مع روبير أوكو، وزير الخارجية، رئاسة الدورة الثانية للجنة المصرية ـ الكينية المشتركة المكوَّنة من لجنتين فرعيتين:

الأُولى مختصة بتنشيط التعاون التجاري والسياحي؛ والثانية مكلفة بمتابعة المساعدة التقنية التي تستطيع مصر تقديمها.

نيروبي: الجمعة، ١١ أغسطس ١٩٨٩

في الصباح، التوقيع على بيان مشترك. بعده، زرتُ الكنيسة القبطية في نيروبي. كانت الكنيسة في حالة سيئة وتحتاج إلى الكثير من أعمال الترميم. أقباط الشتات في أفريقيا يعانون فقرًا أقسى من ذلك الموجود في الأحياء الفقيرة في القاهرة.

حفل استقبال في السفارة حيث التقيتُ بزميل الدراسة آلكسندر كيريازي، وهو أشقر وأزرق العينين. كَوَّن ثروته من زراعة الشاي في كينيا.

نيروبي/سيشل: السبت، ١٢ أغسطس ١٩٨٩

طرتُ إلى جزر سيشل، وتوقفت الطائرة في مومباسا حيث التقيت مع العميل اليوناني الذي سَهَّل تنظيم علاقتنا السرية الأولى مع مسئولي جنوب أفريقيا. استقبلتني دانييل دوسان جور، وزيرة خارجية سيشل؛ وهي امرأة جميلة وذكية ونشيطة وتمثل بلدها تمثيلًا مشرفًا.

سيشل: الأحد، ١٣ أغسطس ١٩٨٩

زُرتُ المنزل الذي أقام فيه زعيمنا الوطني سعد زغلول عندما نَفَته السلطات البريطانية إلى سيشل. كنت أريد تحويله إلى متحف. مالكه الحالي مستعد لأن يبيعه. ينبغي على القاهرة الاهتمام بالنضال الذي قاده سعد زغلول لتحرير بلدنا.

سيشل /موروني: الاثنين، ١٤ أغسطس ١٩٨٩

آلبير رينيه رئيس جمهورية سيشل ازداد وزنًا وفقد شيئًا من حيويته. اقترحتُ عليه قيام تعاون سياحي بين بلدينا بمقتضاه يتوقف المسافرون إلى سيشل في مصر.

استقليت الطائرة بعد الظهر إلى جزر القُمُر حيث استقبلني فورًا الشيخ عبد الله استقبالًا حارًّا وتحدث معي لمدة ساعة بلغة فرنسية ركيكة. قال لي إنه طلب من «صديقه مبارك» زيادة المساعدة التقنية لبلده، وألحَّ على أن تتوسط مصر لدى دول الخليج الغنية لمساعدته في تسديد ديونه. رغمًا عني، لم أستطع منع نفسي من عقد مقارنة بين سيشل وجُزُر القُمُر. فسيشل قد اختارت تحديث نفسها والانفتاح على العالم الخارجي بينما ظلت جُزُر القُمُر بعيدة عن سبل التقدم ومنغلقة على نفسها دينيًّا وعِرقيًّا.

موروني: الثلاثاء، ١٥ أغسطس ١٩٨٩

ألقيتُ محاضرة في «قصر الشعب» عن العلاقات بين الدول الأفريقية. تحدثتُ ببطء وكانت كل كلمة واضحة. بدا الاهتمام على المستمعين.

حضرتُ حفل استقبال أقامه الرئيس عبد الله الذي كان في حالة مزاجية ممتازة. قال لي:

«ـ إنهم يَدَّعون بأنني أتحدث أكثر من اللازم. لكن انظر إلى الحاكم، إنه لم يكُف عن الكلام».

المنافسة بين الرئيس والحاكم واضحة، لكن يبدو أنها ما تزال منافسة ودية.

موروني ـ مابوتو: الأربعاء، ١٦ أغسطس ١٩٨٩

لقاء حار ثان مع الرئيس عبد الله الذي كرَّر ما سبق وأن طالَب به في اللقاء الأول: مشاكله المالية مُلحة وأمله في الحصول على المساعدة من الدول العربية ـ الإسلامية.

استغرقت الرحلة بالطائرة أربع ساعات للوصول إلى مابوتو حيث نزلتُ في السفارة لأن الفنادق في غاية السوء.

مابوتو: الخميس، ١٧ أغسطس ١٩٨٩

تحدث معي وزير الخارجية عن المشاكل السياسية الداخلية وعن مباحثاته مع جبهة الصمود الوطنية الموزمبيقية التي لم تؤد إلى شيء.

استقبلتُ سفيرة الولايات المتحدة وهي سيدة تتسم بقوة الشخصية، والحماس، وتدافع بشدة عن القضايا التي تؤمن بها وتعمل بنشاط واضح.

مكالمة هاتفية للرئيس مبارك في القاهرة. سيصل الرئيس إلى هراري يوم الأحد بعد الظهر. قدمتُ له تقريرًا مختصرًا عن رحلتي لنيروبي وسيشل وجزر القُمُر. حدثته عن المنزل الذي عاش فيه سعد زغلول أثناء نفيه في سيشل. اهتم الرئيس بفكرتي لتحويله إلى متحف. إن مصر لا تهتم بتاريخها الحديث.

مابوتو: الجمعة، ١٨ أغسطس ١٩٨٩

لقاء مع بيك بوتا ومعاونيه. استمعتُ أكثر مما تكلمتُ. يبدو أنه يفكِّر جديًّا في إلغاء نظام الفصل العنصري. مصر لديها القليل الذي تستطيع تقديمه لبلد أكثر تطورًا منها. نستطيع أن نتخيَّل أنه عندما يزول نظام الفصل العنصري، فإن جنوب أفريقيا ستكون قادرة على القيام بدور قيادي في جنوب الصحراء الكبرى.

قابلتُ الرئيس سيشانو الذي بدا منشغلًا. لستُ أدري، هل السبب في ذلك يرجع للقائي ببيك بوتا أم لا، لكن الرئيس سيشانو بدا حذرًا وكتومًا بخصوص هذا اللقاء.

هراري: السبت، ١٩ أغسطس ١٩٨٩

عشاء مع صديقي ناتان شاموياريها، وزير الخارجية، وزوجته. إنهما أُستاذان جامعيان أعرفهما منذ زمن طويل. أُقَدِّر تذوقهما للكتب الجيدة، واهتمامهما بمشاكل بلدي، والجهود التي يبذلانها لحل مشاكل أفريقيا.

هراري: الأحد، ٢٠أغسطس ١٩٨٩

قابلتُ زعيم منظمة إحدى المنظمات السياسية بجنوب أفريقيا الذي وافق ـ مبدئيًّا ـ على لقاء مسئولي منظمة سياسية مناوئة. حضر اللقاء ناتان شامورياريها. إذا أردنا الإسراع في تحرير جنوب أفريقيا من الاستعمار، يجب أن تحل الخلافات بين هاتين المنظمتين بل يجب أن يتفاهما ويكوِّنا جبهة مشتركة. كَرَّرت أن مصر مستعدة تمامًا لتفعيل هذه المصالحة.

وصل أُسامة الباز الذي يُعد خطب الرئيس مبارك. النص مكتوب بخط اليد. الفقرات الأكثر أهمية كُتبت بالحبر الأحمر. إنه كاتب أصيل يؤدي مهمته بشغف ومقدرة وجدية.

هراري. الاثنين، ٢١ أغسطس ١٩٨٩

افتتاح مؤتمر مخصص لمناقشة ديون أفريقيا التي تبلغ ٢٤٠ مليار دولار. ألقى الرئيس موجابي كلمة ثم تلاه أحد قيادات جنوب أفريقيا الرافض للفصل العنصري والرئيس مبارك.

بلجراد: الخميس، ٣١ أغسطس ١٩٨٩

وصلتُ بلجراد للاشتراك في قمة دول عدم الانحياز. لقاء مع إبراهيم فال وزير خارجية السنغال وناتان شامورياريها وزير خارجية زيمبابوي.

أخبرنا أحمد صدقي هاتفيًا بتوقيع اتفاقية بين تشاد وليبيا برعاية ديبلوماسية من الجزائر. لقد كان ذلك إنجازًا هامًا، لقد انتهى أحد الصراعات، لكن ينبغي الاهتمام بإدارة مرحلة ما بعد الصراع.

بلجراد: الجمعة، الأول من سبتمبر ١٩٨٩

لقاء بين أعضاء الاتحاد الاقتصادي الجديد الذي يجمع مصر والعراق واليمن والأُردن. الأمر يتعلَّق باتخاذ موقف مشترك عند انعقاد المؤتمر، لكن يبدو أنه لم يتم الاتفاق بعد على هذا الموقف.

بلجراد: السبت، ٢ سبتمبر ١٩٨٩

اجتماع للجنة منظمة الوحدة الأفريقية المكلَّفة بتسوية النزاع بين السنغال وموريتانيا. ناقشنا مشروع اتفاق التحكيم الذي اقترحه إبراهيم فال.

بلجراد: الأحد، ٣ سبتمبر ١٩٨٩

فور وصول الرئيس مبارك إلى بلجراد، تباحث مع الملك حسين، ملك الأردن، والرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد.

الوفاق الودي يتزايد بين الزعماء الثلاثة.

بلجراد: الاثنين، ٤ سبتمبر ١٩٨٩

الافتتاح الرسمي للقمة التاسعة لدول عدم الانحياز. خطبة الرئيس مبارك كانت رائعة وأنصت لها جميع المشاركين باهتمام. خَصَّص نيريري خطبته للحديث عن التعاون بين دول الجنوب. الخطبة مهمة لكنها كانت طويلة. في المؤتمرات الدولية، يكون المستمعون معتادين على سماع الخُطب لكنهم مع ذلك يكونون غير قادرين على متابعة خطبة تتجاوز العشرين دقيقة. لكن هذا العائق لا يمنع بعض رؤساء الدول من الإصرار على إلقاء خطب طويلة قد تستمر لأكثر من ساعة حيث إنهم يتصورون خطأً أنه بقدر ما تطول الخطبة بقدر ما تكون مؤثرة.

بلجراد: الثلاثاء، ٥ سبتمبر ١٩٨٩

حضرتُ لقاءات الرئيس مبارك بعدد من الرؤساء المشاركين في القمة: سيشانو الذي بدا بحالة جيدة، وعمر بونجو الذي اعتنق الإسلام، ومنذ ذلك الحين، يحب الحديث مع مبارك في المواضيع الدينية، وكينيث كاووندا الذي أبدا تفاؤلًا بخصوص

تطورات الأوضاع في جنوب أفريقيا، وسوهارتو الذي ازداد وزنه لكنه ما يزال يحتفظ بابتسامته السمحة.

لقاء جمع الرؤساء مبارك وبونجو وساسو ـ نجيسو في المساء، وكان اهتمامهم منصبًا على مشكلة أنجولا، لكن خطبة القذافي «المميَّزة» ظلت هي موضوع تسليتهم الأساسي.

تقرر انضمام يوغوسلافيا لمجموعة الأربع التي تضم مصر والهند والسنغال وفنزويلا؛ وبذلك، ستصبح مجموعة الخمس.

بلجراد ـ نواكشوط ـ داكار: الأربعاء، ٦ سبتمبر ١٩٨٩

في الفجر، طرنا من بلجراد إلى نواكشوط. درجة الحرارة عالية إلى درجة لا تُحتمل. المباحثات تبشِّر بأنها ستكون سهلة بخصوص نص القرار التحكيمي بين موريتانيا والسنغال. تجنبنا ذكر موضوع ترسيم الحدود بين البلدَيْن. أصر الموريتانيون على ذكر هذه النقطة. وَعَد الرئيس مبارك بتسوية هذه المشكلة مع عبده ضيوف.

وصلنا إلى داكار. نزل الرئيس مبارك في القصر الجمهوري. تفاوضتُ مع السنغاليين الذين أصروا على ضرورة الإشارة إلى موضوع ترسيم الحدود.

تبادلتُ المكالمات الهاتفية مع الموريتانيين حتى منتصف الليل. ما يزال هذا الموضوع مصدرًا للخلاف بين الدولتَيْن.

داكار ـ الجزائر: الخميس، ٧ سبتمبر ١٩٨٩

الرئيس مبارك في حالة مزاجية طيبة. استدعاني واقترحتُ عليه الاتصال هاتفيًّا بالرئيس الموريتاني معاوية لإقناعه بإرجاء موضوع ترسيم الحدود إلى وقت لاحق، ويقبول البيان المشترك. هذه أول خطوة على طريق المصالحة. اتصل مبارك هاتفيًا بالرئيس الموريتاني الذي تمسَّك بموقفه. فَشَلَت جهود الوساطة.

لامني المقربون من الرئيس لحدوث هذا الفشل قائلين:

«ـ لقد ورَّطتَ الرئيس. لم يكُن ينبغي أن ينتقل أو يتدخَّل لحل هذه المشكلة طالما أن طرفَي النزاع لم يتوصَّلا لاتفاق تحكيمي. لقد أسأتَ لصورة مصر».

أجبتهم بضيق قائلًا:

«ـ كم مرة جاء الرئيس كارتر إلى الشرق الأوسط قبل أن ينجح في الحصول على التوقيع على اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل؟ إذا أردنا النجاح، فيجب على الرئيس أن يسافر إلى هناك مرة أو اثنتَيْن قبل التوصُّل لعقد اتفاقية نهائية».

انفجر الوفد المرافق للرئيس بالضحك، إنهم يعتقدون بأن هذه هي المرة الأولى والأخيرة التي يتدخل فيها الرئيس لحل هذه المشكلة.

وصلنا إلى مدينة الجزائر بعد الظهر. عشاء مع الرئيس بن جديد الذي كان متمسكًا تمامًا برأيه فيما يتعلَّق بمشكلة الصحراء الغربية فقد اشترط انسحاب القوات المغربية، ووضع تشريع خاص لسكان الصحراء من المغاربة. استمع مبارك بدون إبداء أي تعليق، فالعلاقات بين مصر والجزائر تتحسن وتلاشت توابع اتفاقية كامب ديفيد.

تونس: الجمعة، ٨ سبتمبر ١٩٨٩

مدينة تونس هي المرحلة الأخيرة في هذه الجولة. بحثنا عن ياسر عرفات حتى وجدناه. تم لقاء منفرد بين مبارك وعرفات. لقاء بين مبارك وبن علي تحدثا فيه بشكل أساسي عن سياسة القذافي. الاتفاق بين الرئيسَيْن على إلغاء تأشيرات الدخول بين تونس ومصر.

القاهرة: الأربعاء، ٢٠ سبتمبر ١٩٨٩

اجتماع عسير مع ممثلي جهاز المخابرات العامة الذين يتحدثون باسم رئيسهم، اللواء نَمَّر، الذي كان أخوه الأصغر زميلًا لي في الكلية. عاتبوني لأنني صَرَّحتُ بأن المجموعة العسكرية التي استولَت على السلطة في الخرطوم هي من الأصوليين، بينما تشير مصادرهم إلى أنها تتكوَّن من ضباط وطنيين مسلمين. أما فيما يتعلق بمصادر معلوماتي، فإنها تأتي من كينيا التي تتابع عن قُرب شديد الوضع في السودان، والصراع المندلع بين الخرطوم ومتمردي الجنوب بقيادة جون جارانج. تمسكتُ بموقفي فانصرفوا مستائين. إنهم يعرفون تمامًا أنني قد سبق لي وأن أخبرتُ الرئيس مبارك بأنني أختلف معهم.

أُرافق نائب السكرتير العام للأُمم المتحدة، عبد الرحمن أبي فَرَح وهو صومالي الجنسية. استقبله الرئيس. أخبرناه بآخر تطورات أزمة الصحراء الغربية. الرئيس مبارك يهتم اهتمامًا كبيرًا بالعلاقات بين المغرب والجزائر.

باريس: الجمعة، ٢٢ سبتمبر ١٩٨٩

مباحثات في قصر الإليزيه مع هوبير فيديرين وجاك آتالي حول الديون الأفريقية، والعلاقات بين الشمال والجنوب.

غداء مع رولان دوما وزير الخارجية ومدير مكتبه، السفير جاك آندرياني. تركَّز الحديث حول النزاع الموريتاني ـ السنغالي. وزارة الخارجية الفرنسية تتابع بعناية وساطة الرئيس مبارك نظرًا لتعقُّدها، وتخشى من إطالة أمَد هذا الصراع.

واشنطن: الاثنين، ٢٥ سبتمبر ١٩٨٩

محاضرة أمام نواب الكونجرس عن مشكلة المياه. صادق وهبة هو ابني بالمعمودية ويقول رأيه بصراحة مطلقة وبلا أي حساسية، كما ينبغي لشاب في مثل سنه، لكنه بدا راضيًا عن المحاضرة التي ألقيتها وقال لي إن المحاضرة كانت واضحة ودقيقة وممتازة. إنني أُقَدِّر تمامًا مجاملات الجيل الجديد بقدر ما أرتاب من مجاملات كبار السن.

حفل استقبال في سفارة مصر حيث تحدثت قليلًا مع إبراهيم شحاتة، وهو من ألمع القانونيين في مصر، ويعمل حاليًا في البنك الدولي.

إنه متشائم جدًّا بخصوص المستقبل الاقتصادي لمصر.

واشنطن: الثلاثاء، ٢٦ سبتمبر ١٩٨٩

قابلتُ بسرور القس جيسي جاكسون، وهو تقدمي يساري، حضر إلى هنا لكي يذكِّرَني بأن أمريكا تهتم بالشعوب التي تعاني.

اشتركتُ مع جويس ستار في إعداد جدول أعمال مؤتمر دولي سننظمه في القاهرة حول مشكلة المياه في أفريقيا.

عشاء مع شيمون بيريز في الدور الحادي عشر بفندق ماديسون الذي تمَّت فيه

مباحثات السلام بين مصر وإسرائيل. بدا عليه التعب، وبعدما شرب كأسًا من النبيذ، بدا عليه أنه غير قادر على مواصلة الحديث.

نيويورك: الأربعاء، ٢٧ سبتمبر ١٩٨٩

غداء مع السفير عبد الحميد بدوي، ثم لقاء مع ديفيد كوهين، المتخصِّص في المشاكل الأفريقية، وهو على علاقة وثيقة بالرئيس كارتر. تحدثنا عن إريتريا التي يستخدمها الوهابيون كقاعدة ينشرون منها نفوذهم في أفريقيا.

قابلتُ إبراهيم فال في محاولة لتشجيع تقدُّم فُرص الحل السلمي للصراع الناشب بين السنغال وموريتانيا.

قضيتُ السهرة مع مكرم محمد أحمد ومحفوظ الأنصاري وغيرهما من الصحفيين المصريين الذين شاركوني القلق إزاء الأزمة الاقتصادية التي تهدد مصر.

نيويورك: الجمعة، ٢٩ سبتمبر ١٩٨٩

الرئيس مبارك يلقي كلمة أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة بصفته رئيس جمهورية مصر وأيضًا بصفته رئيس منظمة الوحدة الأفريقية. قبل الخطبة، كان قد التقى بالسكرتير العام للأمم المتحدة، بيريز دي كويبار. كان اللقاء لقاءً ديبلوماسيًّا عاديًا. الصورة التي تسجِّل المصافحة بين الاثنين ستبقى بالتأكيد أهم للتاريخ من اللقاء ذاته.

اجتماع مع ممثلي مجموعة الخمس التي تضم الهند ويوغوسلافيا والسنغال وفنزويلا لاتخاذ موقف مشترك أثناء المؤتمر الذي سيُعقد في باريس في شهر نوفمبر المقبل بمناسبة الاحتفال بمرور ٢٠٠ عام على الثورة الفرنسية.

نيويورك: السبت ٣٠ سبتمبر ١٩٨٩

استئناف المفاوضات بين موريتانيا والسنغال. قدَّم لي الموريتانيون اتفاق مبادئ يقضي بالاعتراف بعدم المساس بالحدود المرسومة بين البلدين خلال سنوات الاستعمار الفرنسي لكل منهما.

نيويورك: الأربعاء، ٤ أكتوبر ١٩٨٩

حوار تلفزيوني لمدة ساعة. كان الموضوع عن فلسطين، فلسطين دائمًا،

وعن المشاكل الأفريقية. تجنبتُ ذكر المباحثات التي أجريتُها هذا الصباح مع الموريتانيين والسنغاليين.

غداء عمل في مجلس الشئون الخارجية حيث قدمني السفير روي آثرتون. تحدثت في الموضوعَيْن نفسَيْهما اللذَيْن تناولتهما هذا الصباح في الحوار التلفزيوني. أرجو ألا يكون المستمعون قد شاهدو البرنامج صباحًا، فتكرار الموضوع يحول الحديث السياسي إلى ما يشبه درسًا يقدم لطلاب المدارس.

نيويورك: الخميس، ٥ أكتوبر ١٩٨٩

اجتماع اللجنة الوزارية المكلَّفة بتسوية الصراع بين السنغال وموريتانيا.

أشعر بأن الوزراء الأفارقة يميلون أكثر للأخذ بوجهة نظر السنغال. ولم أكن واثقًا ما إذا كان السبب في ذلك هو براعة ممثل السنغال بالمقارنة بنظيره الموريتاني أم لأن الوزراء الأفارقة ينظرون إلى موريتانيا بوصفها بلدًا عربيًّا، واعتبروا السنغال بلدًا أفريقيًّا. قَرَّرت اللجنة عقد اجتماع ثانٍ غدًا صباحًا.

نيويورك: الجمعة، ٦ أكتوبر ١٩٨٩

اجتماع جديد للّجنة الوزارية الأفريقية. إن الجهود الهادفة لحل النزاع بين السنغال وموريتانيا أصبحت شبه ميتة.

تجولتُ في شوارع نيويورك مع السفير بدوي. لم أشعر بهذه المتعة منذ أن كنتُ أُقيم هنا منذ ٣٠ سنة عندما كنتُ أستاذًا جامعيًّا شابًّا في جامعة كولومبيا.

بعد الظهر، قابلتُ الصحفي حمدي فؤاد وزوجته هدى توفيق، صحفيان ذكيان نشيطان ويقدمان صورة إيجابية لبلدنا.

جنيف: الأربعاء، ١١ أكتوبر ١٩٨٩

في معرض جنيف لافتتاح «معرض آثار صوامع الرهبان الأقباط في القللية»، التي اكتشفتها السيدة إليزابيث كارنو، عالمة الآثار وزوجة أحد رجال البنوك. إن تاريخ مصر المسيحية كما تاريخ مصر الإسلامية لا يحظى أبدًا بنفس القدر من الاهتمام الذي يتمتع به تاريخ مصر الفرعونية وآثارها.

القاهرة: السبت، ١٤ أكتوبر ١٩٨٩

يريد الأغاخان إنشاء حديقة تحت سفح القلعة. السلطات المصرية ترفض بمكر. أعتقدُ بأن الدافع وراء هذا الرفض له أبعاد دينية، بل مذهبية. فالأغاخان هو الرئيس الروحي لإحدى طوائف الشيعة، والسلطات تخشى من التبشير بالمذهب الشيعي. إن غياب الاستنارة من التعليم في مصر له دور كبير في التَّخلف الاقتصادي والاجتماعي في بلدي.

القاهرة: الثلاثاء، ١٧ أكتوبر ١٩٨٩

غداء مع الأغاخان وعمه صدر الدين أغاخان وزوجتَيْهما وليا والسيدة سوزان مبارك التي ستساعدنا في التغلُّب على العقبات النفسية والدينية التي تعترض سبيل مشروع حديقة الأغاخان.

القاهرة: الأحد، ٢٢ أكتوبر ١٩٨٩

حفل توزيع الشهادات على ضباط شباب من عشرين دولة أفريقية الذين أنهوا دورة تدريبية في الكلية الحربية. أشعُر برضاء حقيقي لأن السياسة الأفريقية بدأت تؤتي ثمارها.

القاهرة: الاثنين، ٢٣ أكتوبر ١٩٨٩

زيارة مجاملة للقس ديزموند توتو، وهو زعيم كبير في جنوب أفريقيا تربطني به صداقة وثيقة. إنه متفائل ويؤمن بأننا سنرى قبل نهاية هذا القرن تحرُّر ناميبيا ونهاية سياسة الفصل العنصري. إنه قادر على بث ما لديه من تفاؤل وحيوية إلى مَنْ حوله. سأرى في حياتي تحرير أفريقيا لكني لن أرى تحرير فلسطين؛ وهما الهدفان الأساسيان للسياسة الخارجية المصرية.

حفل استقبال على شرف ديزموند توتو. دعوتُ الوزراء والصحفيين لكنهم لم يحضروا، إنهم لا يهتمون بأفريقيا. ورغم ذلك كانت السهرة ناجحة جدًّا. ألقى ديزموند توتو خطبة قصيرة جيدة جدًّا ومؤثرة للغاية. بلغ بي التأثُّر لدرجة أنني لم أستطع الرد عليه بخطبة مماثلة، فاكتفيتُ بشرب نخب في صحته.

القاهرة: الثلاثاء، ٢٤ أكتوبر ١٩٨٩

النهار كله مُخصَّص لأفريقيا. غداء ومحاضرة عن السياسة المصرية في أفريقيا ألقيتُها على أعضاء نادي الروتاري في فندق هيلتون. بعد الظهر، أعدتُ المحاضرة نفسها في جامعة القاهرة. أبدى الطلاب اهتمامًا كبيرًا بمشاكل أفريقيا أكثر من أعضاء نادي الروتاري، وأظن أن هذا أمر يدعو للتفاؤل لأن الشباب هم الذين سيتولون المسئولية في المستقبل. في نهاية النهار، حضرتُ حفل استقبال أقامه سفير زامبيا على شرف ديزموند توتو الذي سيستقل الطائرة هذا المساء متوجهًا إلى السودان ثم إلى إثيوبيا.

القاهرة: الثلاثاء، ٣١ أكتوبر ١٩٨٩

تمكنت من إقناع السيدة سوزان مبارك بالمشاركة في مؤتمر تستضيفه أبوجا لمناقشة القضايا الاجتماعية. يجب أن تتضافر كل الجهود لمواجهة التصور السائد بأن الدبلوماسية المصرية لا تهتم كثيرًا بأفريقيا.

القاهرة: الأربعاء، الأول من نوفمبر ١٩٨٩

استقبل الرئيس مبارك إبراهيم فال. بعد المقابلة تحدث فال إلى الصحفيين وانتقد موريتانيا انتقادًا مريرًا وعنيفًا. طلبتُ من صفوت الشريف أن تمنع الرقابة نشر هذا التصريح في الصحافة المصرية فقد يعتقد الموريتانيون أن مصر تؤيد السنغال وتتخذ موقفًا معاديًا لموريتانيا.

غداء مع الرئيسَيْن: مبارك ونيريري. محادثة مهمة. يجب تشجيع العلاقات بين جون جارانج والخرطوم. العلاقات بين مصر وليبيا تتحسَّن، ويومًا بعد يوم، سيُصبح القذافي أكثر تعقُّلًا. ما تزال جهود مصر مستمرة لإحداث تقارُب بين منظمتَي النضال وإنهاء الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، واللتين يوجد لكل منهما ممثلون في القاهرة.

القاهرة ـ أبوجا: الأحد، ٥ نوفمبر ١٩٨٩

أُرافق السيدة سوزان مبارك، ومساعدتها ليلى عمارة، في رحلتها إلى العاصمة النيجيرية. ركبنا الطائرة في الصباح ووصلنا بعد ست ساعات. لامتني السيدة سوزان

مبارك بلطف لأنني ورطتُها في هذه المغامرة، وقالت لي إنها ستطلُب من الرئيس أن ينفيني إلى جُزُر سيشل، كما حدث مع زعيمنا الوطني العظيم سعد زغلول.

آبوجا: الاثنين، ٦ نوفمبر ١٩٨٩

الافتتاح الرسمي للمؤتمر. ألقت السيدة سوزان مبارك خطبة جيدة. لقاء مع الرئيس بابا نجيدا المهتم بالنزاع بين السنغال وموريتانيا وبالحرب الأهلية في جنوب السودان. اقترح تنظيم لقاء يجمع ما بين اللواء البشير وجون جارانج برعاية مصرية ـ نيجيرية مشتركة. مبادرة ممتازة ستعطي مزيدًا من التأثير لعملية الوساطة.

استمر حفل العشاء فترة طويلة للغاية. أعتقد أن السيدة سوزان مبارك على حق تمامًا بخصوص رغبتها في نفيي إلى سيشل.

آبوجا: الثلاثاء، ٧ نوفمبر ١٩٨٩

قبل إقلاع الطائرة، لفتت السيدة سوزان مبارك نظري إلى أن الطائرة غير مستقرة، لقد كان ذلك صحيحًا، فقد انفجر أحد الإطارات واشتعلَت فيه النيران. غادرنا الطائرة فورًا خوفًا من انفجارها. يشك الجميع في أن ما حدث كان مدبرًا، لكن لا يجرؤ أحد على التصريح بذلك.

عدنا جميعًا إلى الفندق وبرفقتنا السيدة ميريام بابا نجيدا، قرينة الرئيس النيجيري. تناولنا غذاء من المكرونة في محاولة لتجاوز الاضطراب الذي أصابنا جراء ما حدث في الطائرة. بعد الظهر، وضع الرئيس بابا نجيدا تحت تصرفنا طائرة صغيرة أوصلتنا حتى كادونا حيث كانت تنتظرنا طائرة الرئاسة. وصلنا سالمين إلى القاهرة في الساعة الثانية صباحًا.

القاهرة: الأربعاء، ٨ نوفمبر ١٩٨٩

لم أعرف إلى النوم طريقًا طوال الليل، ومع ذلك، ذهبتُ إلى مكتبي ظهرًا وتحدثتُ هاتفيًّا مع الرئيس مبارك الذي بدأ حديثه مازحًا:

«ـ سأجعلك تدفع ثمن إصلاح الطائرة التي أتلفتَها».

قدمتُ له تقريرًا عن لقائي مع رئيس نيجيريا وعن اقتراحه بتنظيم لقاء بين

حكومة الخرطوم ومتمردي الجنوب. أبلغتُ رئيس جهاز المخابرات العامة اللواء نمَّر الذي بدا غير متحمس تمامًا لهذه المبادرة. من المؤكد أنه يخشى من أن يفقد سيطرته على هذا الملف فهناك منافسة مكبوتة بين وزارة الخارجية وجهاز المخابرات العامة لأن كلًّا منهما يعتبر نفسه أفضل من يتعامل مع الصراعات الناشبة بين جيراننا وبعضهم البعض.

القاهرة: الخميس، ٩ نوفمبر ١٩٨٩

طلب سفير لبنان من مصر أن تهنئ رسميًّا رينيه معوض بمناسبة انتخابه رئيسًا للجمهورية اللبنانية، وتمنى أن نعمل على إجراء مُصالحة بين رينيه معوض والجنرال ميشيل عون. يجب استشارة الرئيس.

القاهرة: الأربعاء، ١٥ نوفمبر ١٩٨٩

محاضرة في المعهد الديبلوماسي موجهة لمجموعة مشتركة من شباب الديبلوماسيين المصريين والإسرائيليين حضرها السفير الإسرائيلي. كان مناخ المحاضرة غريبًا جدًّا، حيث كان يبدو على الديبلوماسيين من على الجانبين الشعور بالرهبة والحيرة. لا بد من تكرار هذه التجربة إذا أردنا تدعيم السلام. وفي نهاية الأمر، فإن هذه الجهود لن تستمر إذا لم تُحَل القضية الفلسطينية.

محادثات مع سالم أحمد سالم، السكرتير العام لمنظمة الوحدة الأفريقية. المشاكل والأزمات تهز أفريقيا هزًّا، وهي كثيرة لدرجة أننا لا نعرف بأيها نبدأ. عند نهاية اللقاء، اكتشفنا أننا لم نتطرق إلى كافة المشاكل الواجب تدارسها.

القاهرة: الخميس، ١٦ نوفمبر ١٩٨٩

التقى الرئيس مبارك تباعًا بوزير خارجية غانا، والسكرتير العام لمنظمة الوحدة الأفريقية. المقابلة الثانية كانت مهمة جدًّا جدًّا، حيث بدا الرئيس مقتنعًا بأن مجموعة اللواء البشير في الخرطوم ليست بمجموعة أصولية، لكن رأيي يختلف لأنني أرى أن هذه المجموعة غير راغبة في التعايش المشترك ولا المشاركة في السلطة مع المسيحيين وأتباع الديانات الأفريقية في جنوب السودان. وهناك ما هو أكثر من ذلك، فهي تسعى لأسلمة الجنوب وتعريبه لكي يتوحَّد السودان حسب وجهة نظرها.

روما: الاثنين، ٢٠ نوفمبر ١٩٨٩

أصبتُ بحمى شديدة شخَّصها الأطباء الإيطاليون على أنها نزلة أنفلونزا ثم على أنها ملاريا.

روما ـ القاهرة: الأحد، ٢٦ نوفمبر ـ الأحد، ٣ ديسمبر ١٩٨٩

ما زلتُ مصابًا بالحمى. قررتُ العودة للقاهرة. اختلفَت آراء الأطباء الإيطاليين حول سبب هذه الحمى. حصل صديقي محمد عطية طبيب الرئيس على موافقته على إرسالي للعلاج في باريس. أمر عاطف صدقي رئيس الوزراء بأن يُرافقني يوسف، ابن أخي. سافرتُ بطائرة الرئاسة إلى باريس برفقة ليا ويوسف والعقيد الحفناوي. انتظرني السفير المصري في مطار بورجيه في حين أننا قد هبطنا في مطار أُورلي. نقلوني إلى مستشفى «بيجن» التابع لمستشفى «فال دي جراس».

باريس: الاثنين، ٤ ديسمبر ١٩٨٩

عالجني الجنرال رooيه ومساعده الكولونيل ديبور. كانا صريحَيْن وقالا لي إن لديَّ خُرَّاجًا في الكبد، ويجب أن أُعالج بالبنسيلين، وسيكون العلاج طويلًا.

باريس: الثلاثاء، ٥ ـ الجمعة، ١٥ ديسمبر ١٩٨٩

زارني الدكتور بيزموت لمراجعة الحالة بناء على طلب الرئيس مبارك لقصر الإليزيه. اهتم جاك آتالي بهذه المشكلة بمنتهى الكتمان نظرًا لأن مستشفى فال دي جراس لا يقبل بوجود أطباء مدنيين به.

باريس: الأربعاء، ٢٠ ديسمبر ١٩٨٩

بدأ الخُرَّاج يتلاشى. سأُغادر المستشفى خلال بضعة أيام.

باريس: السبت، ٢٣ ديسمبر ١٩٨٩

في الصباح ، غادرتُ مستشفى «بيجن». تعافيتُ تمامًا وشعرتُ كما لو كنتُ

أغادر السجن. لكن، في الوقت نفسه، كنت متوجسًا لأنني سأغادر المستشفى الذي وجدت فيه الرعاية الطبية الكاملة والصارمة كما وجدت معه الصداقة والرعاية من قِبل الجنرال روويه ومساعده الكولونيل ديبور. يجب أن أقضي أسبوعًا على الأقل للنقاهة في الفندق.

قررتُ الاستفادة من وجودي في فرنسا لإجراء مباحثات سرية مع الموريتانيين والسنغاليين.

باريس: الثلاثاء، ٢٦ ديسمبر ١٩٨٩

أخبرني وزير خارجية موريتانيا بأنه سيكون مستعدًّا للقائي في يوم ٢ يناير في باريس بفندق الكريون لإجراء مباحثات سرية. أما إبراهيم فال وزير خارجية السنغال فسيحدد لي الموعد غدًا. بدأتُ أقرأ مُجددًا في ملف هذا النزاع وشعرتُ بالفرحة لعودتي للعمل.

باريس: الخميس، ٢٨ ديسمبر ١٩٨٩

تلقيت مكالمة من إبراهيم فال الذي اقترح مشاركة وزير خارجية توجو في المفاوضات. لم أكن أحبذ هذا الاقتراح، ولكن كان يجب التشاور مع الرئيس مبارك الذي شاركني نفس التقدير.

باريس: الجمعة، ٢٩ ديسمبر ١٩٨٩

تلقيت مكالمة هاتفية من إبراهيم فال لمعرفة رأي مبارك. قلت له:

«ـ لقد رفض رفضًا باتًّا».

هاتفني للمرة الثانية، أخبرني بأنه لن يستطيع الاشتراك في المحادثات السرية بفندق «الكريون» وذكر لي أسبابًا كاذبة ومخادعة.

الفصل التاسع

□ بحثًا عن حسن الطالع، حارسي الشخصي يضع البخور في فندق الكريون قبيل المباحثات بين موريتانيا والسنغال □ استقلال ناميبيا □ البحث عن تسوية للخلاف الناشب بين ليبيا وتشاد □ نيلسون مانديلا يزور مصر زيارة المنتصر □ غزو العراق للكويت □ حشد تأييد المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية لصالح الكويت □ احتجاز رؤساء ثلاث دول وولي عهد في مصعد مُعطل بالإسكندرية.

باريس: الاثنين، الأول من يناير ١٩٩٠

قَدَّم لي إبراهيم فال تبريرًا مطولًا لشرح أسباب عدم اقتناعه بجدوى المفاوضات مع موريتانيا في الوقت الحالي: فحكومة نواكشوط تستفيد من حالة التوتر الراهن مع السنغال لكي تحتفظ بالسلطة؛ وبالتالي، فإن لها مصلحة تامة في الإبقاء على حالة التوتر على ما هي عليه. وفي الوقت نفسه، فإنها تحافظ على هيمنة عنصر المور العربي على العناصر الأفريقية في التركيبة السكانية بموريتانيا. لم أُعلق بشيء على ما قاله؛ لأنني كوسيط لم يكن ينبغي لي أن آخذ طرف جانب على حساب الجانب الآخر.

باريس: الثلاثاء، ٢ يناير ١٩٩٠

أعلن وِلد بابا وزير خارجية موريتانيا استعداده للاشتراك في مفاوضات غير رسمية. مكالمة هاتفية من الرئيس مبارك لعبده ضيوف. سيشارك إبراهيم فال أيضًا في المفاوضات الثنائية.

إن الاتصالات المباشرة بين رؤساء الدول تؤدي إلى إنجاز أشياء تعجز عن تحقيقها الاتصالات التي تتم على مستوى أقل. ولكن في الوقت نفسه، فإن عقد الاتفاقيات التي يتم إنجازها بعد تدخل الرؤساء لا يكون دومًا أمرًا سهلًا لأن التفاصيل الدقيقة عادة ما تتسبب في إثارة الخلافات الحادة.

باريس: الأربعاء، ٣ يناير ١٩٩٠

حارسي الشخصي العقيد أحمد الحفناوي رجل متدين جدًّا. فهو يؤدي الصلوات الخمس يوميًّا، ويمضي وقته في قراءة القرآن. أخبرني باعتقاده أن هناك أرواحًا شريرة تحوم في غرف فندق الكريون، ولصرف هذه الأرواح، التي قد تعوق سير المفاوضات، لا بد من تبخير غرفة الاستقبال التي سألتقي فيها الوزيرَيْن. قلت له بأن يفعل ما يشاء لأنني بالتأكيد بحاجة لتواجد الأرواح الطيبة لكي أنجح في التوفيق بين طرفَي النزاع.

وبالإضافة إلى ما سبق، فقد تَرَسَّخ في ذهني منذ طفولتي ما سمعته عن فوائد البخور. فعندما كنا نُقيم في بيت جدي، كانت أمي تُبَخِّر المنزل كل يوم جمعة، وبعد ما انتقلت إلى منزلي الخاص لم تتخل عن هذه العادة.

استقبلتُ الوزيرَيْن اللذيْن لم يلتقيا ببعضهما البعض منذ بداية الصراع. في البداية، كان جو اللقاء باردًا، ثم سريعًا ما تحسنت الأجواء. كنتُ أرتدي الروب دي شامبر. وبدأت الحديث متعمدًا بالإشارة إلى مشاكلي الصحية قبل الدخول في صلب الموضوع. بعد فترة قليلة، شعرتُ بتعب شديد؛ فانسحبت إلى حجرة نومي وتركت الوزيرين بمفردهما.

بعد مرور فترة طويلة، أخبرهما العقيد الحفناوي بأنني لستُ في حالة طيبة، وأن الطبيب سيحضر لفحصي. شَعر الوزيران بالارتباك فبقيا بُرهة، ثم انصرفا.

قال لي العقيد الحفناوي منتشيًا:

«ـ أرأيتَ تأثير البخور؟ عندما جاء الوزيران، كانا لا يتبادلان الحديث، وها هما ينصرفان وهما يثرثران بود».

بعد الظهر، أمليتُ على السفير أحمد صدقي مذكرة عن هذا اللقاء المبدئي في المفاوضات.

ما العناصر الأساسية في هذا الصراع؟

أولا: تكمُن خلفية هذا الصراع في أن سكان موريتانيا يتكونون من عرقَيْن هما: المور؛ وهذه قبائل عربية وتبلغ نسبتها ٦٠٪ من إجمالي السكان، ثم القبائل الأفريقية بنسبة ٤٠٪.

ويحكُم المور البلاد، ويعتبرون الأفارقة مواطنين من الدرجة الثانية. وغداة حصول موريتانيا على الاستقلال، بدأت عمليات التعريب فازداد الانقسام حدة، خصوصًا أن النُّخبة الأفريقية تتحدث الفرنسية مع عدة لغات محلية، ولا تتحدث العربية.

العامل الثاني في الصراع يرتبط بنهر السنغال وهو الحد الفاصل بين موريتانيا والسنغال. وبالنسبة إلى السنغاليين، فإن الحدود مع موريتانيا تقع على الضفة اليُمنى للنهر؛ وهذا يعني أن النهر بأكمله يصبح جزءًا لا يتجزأ من أرض دولة السنغال، خصوصًا أن السكان الأفارقة الذين يزرعون الأرض على ضفتَي النهر ينتمون إلى نفس القبيلة الأفريقية.

أمَّا الموريتانيون، فإنهم يعتبرون أن الحد الفاصل بين الدولتَيْن يمر في منتصف مجرى النهر، ويقولون إن الرئيس ليوبولد سنجور قد أقر هذا الرأي والتزم به.

ومن المؤكَّد أن السكان الأفارقة الذين يعيشون على ضفتَي مجرى النهر يفضلون حكم السنغال على الحكم الموريتاني.

أما العامل الثالث فيتعلق بالعلاقات الاقتصادية حيث كان التجار المور، أصحاب الأصول العربية، يحتكرون أسواق التجارة الصغيرة في داكار، وكانوا يبيعون بضائعهم ويحصلون على أموالهم لاحقًا مقابل زيادة في سعر البضائع. وتتهمهم السلطات السنغالية بأنهم كانوا يجلبون تلك البضائع غالبًا بواسطة مهربين ينتمون لنفس قبائل المور العربية.

وعندما نشب الخلاف بين البلدَيْن، تعرض التجار المور لعمليات ذبح في داكار، كما تعرضت محالهم التجارية لأعمال نهب وسرقة. وفي موريتانيا، لقي مواطنوها من ذوي الأصول الأفريقية، الذين يزرعون على ضفاف النهر، المصير نفسه، كما أن ملكية أراضيهم قد تم انتزاعها. وأدَّى ذلك إلى نزوح جماعي في الاتجاهَيْن:

فآلاف الموريتانيين العرب لجأوا إلى موريتانيا، كما لجأ آلاف المزارعين الأفارقة إلى السنغال. وبدأ كل طرف يطالب الآخر بدفع التعويضات له.

ولم يذكُر أي من الطرفَيْن في أي بيان أو أي مفاوضات أن هذه الأزمة هي خلاف عربي ـ أفريقي، لكن هذا الشرح العرقي والسياسي ما يزال هو لب الصراع، مع أن البلدَيْن يدينان بدين واحد، هو الإسلام.

إن الحديث عن ترسيم الحدود وعودة اللاجئين وتعويض الضحايا هي المصادر الرئيسة لهذا الصراع الذي يدور على خَلْفية عِرْقية.

باريس: الخميس، ٤ يناير ١٩٩٠

أجريتُ مفاوضات مُطَوَّلة مع ولد بابا وإبراهيم فال. طلب كل منهما الرجوع إلى رئيسه، واقترحا عقد لقاء جديد بتاريخ ٢٢ يناير. بدوري، قمتُ بإبلاغ الرئيس مبارك بالوضع. وافق الرئيس على هذا التأجيل.

باريس: الجمعة، ٥ يناير ١٩٩٠

تحوَّل فندق الكريون إلى فرع لوزارة الخارجية المصرية. زارني رولان دوما الذي أراد الاطمئنان على صحتي وآلان دوكو الذي جاء لمعرفة رأيي في مسألة قبول رومانيا في تجمع الفرانكوفونية. وافقتُ بالطبع لأن ذلك سيشجع دول وسط وشرق أوروبا على الاهتمام بالمشاكل الأفريقية.

أشعر بقلق دائم من فكرة أن أفريقيا أصبحت معزولة، أو يمكن أن تصبح معزولة عن العالم؛ وأخشى ما أخشاه هو أن تركِّز أوروبا جهودها حصريًّا على تحقيق التكامل بين الدول الأوروبية، وأن تفعل الولايات المتحدة الشيء نفسه بالنسبة لمشاكل الشرق الأوسط وآسيا. وفي كلتا الحالتَيْن، سيتم إهمال أفريقيا، وستقع بين براثن عبودية من نوع جديد وهي عبودية الديبلوماسية.

محادثات مع جويس ستار الناشطة الأمريكية حول إعداد مؤتمر دولي كبير يُعقد بالقاهرة في العام القادم عن مشكلة موارد المياه.

باريس: الثلاثاء، ٩ يناير ١٩٩٠

بعد استشارة الجنرال روييه، قررتُ تأجيل عودتي إلى القاهرة وقضاء أسبوع للنقاهة في سويسرا. حَصلتُ على موافقة الرئيس مبارك. طلبتُ من السفير نبيل العربي في جنيف أن يحجز لي غرفة في أحد فنادق المدينة. ليس لديَّ أي حل آخر سوى مغادرة باريس؛ لكي لا أتعرَّض لإغراءات مواصلة أنشطتي الدبلوماسية.

جشتاد: السبت، ١٣ يناير ١٩٩٠

انعزلتُ عن العالم، وقضيتُ فترة نقاهة حقيقية لم تقطعها سوى المكالمات الهاتفية التي تصلُني من مختلف العواصم.

تلقيتُ مكالمة هاتفية من باريس حيث قرأ عليَّ السفير أحمد صدقي رسالة وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر لتهنئة مصر على دورها في التوفيق بين السنغال وموريتانيا.

باريس: السبت، ٢٧ يناير ١٩٩٠

عدتُ إلى باريس. حيث تم استئناف المفاوضات بين السنغال وموريتانيا. في هذه المرة، دارت المفاوضات في مقر إقامة السفير المصري. حيث كنت أريد أن يلتقي المفاوضون في أجواء أقل رسمية. عُقدَت جلسة صباحية لم يقطعها سوى تناول وجبة غداء في جو ودي. في نهاية النهار، وجدتُ أننا ما زلنا بعيدين عن التوصل إلى أي حل، حتى ولو كان حلًا جزئيًا.

القاهرة: الخميس، الأول من فبراير ١٩٩٠

وجد الرئيس أنني أتمتع بصحة ممتازة فسمح لي بالقيام برحلة إلى اليابان.

استقبلتُ في بيتي الداعية المشهور الشيخ الشعراوي وهو رجل لديه القدرة على إثارة حماس الجماهير واجتذاب ثقتها، سواء في مصر أو غيرها من الدول العربية. قال لي إنه دعا لي بالشفاء، وإنه حرص على زيارتي لتهنئتي بالعودة إلى القاهرة. العقيد الحفناوي هو صاحب فكرة هذا اللقاء.

القاهرة: الاثنين، ٥ فبراير ١٩٩٠

طلب سفير بلجيكا تدخُّل مصر من أجل إطلاق سراح اثنَيْن من مواطنيه كانا بصحبة منظمة أطباء بلا حدود وتم اختطافهما من قِبل متمردي جون جارانج في مدينة مالاكال. وأضاف قائلًا:

«ـ إن جارانج يثق فيكم، ويمكن لكم ضمان عملية إطلاق سراحهما بسهولة».

لم أُشاركه تفاؤله، لكنني التزمتُ بالاتصال بالوسطاء الذين يستطيعون إيصال رسالتي لجون جارانج.

القاهرة: الأربعاء، ٧ فبراير ١٩٩٠

أثناء انعقاد جلسة مجلس الوزراء، رحب عاطف صدقي رئيس المجلس بعودتي. عَبَّر كل زملائي عن تمنياتهم الطيبة بصورة جعلتني أشعر أنني في فصل مدرسي.

القاهرة: الأحد، ١١ فبراير ١٩٩٠

عُقدت جلسة مفاوضات مُطوَّلة بين أحمد ولد بابا وإبراهيم فال. دارت المفاوضات في حلقة مفرغة. لم أعد أشعر بنفس القدر من الثقة إزاء مصير هذه المفاوضات، مع أنني أعرف تمامًا أن المفاوضات تعني الصبر وطول الوقت.

القاهرة: الأربعاء، ١٤ فبراير ١٩٩٠

التقى الرئيس مبارك بطرفَي النزاع. تحدث الرئيس حديثًا مقنعًا، وطلب منهما تحكيم العقل. لا أعتقد أن هذا الصراع يمكن حسمه على مستوى الوزراء، بل ينبغي تدخُّل رئيسَي الدولتيْن مباشرة.

بعد ذلك، استقبل الرئيس أعضاء لجنة التحرير التابعة لمنظمة الوحدة الأفريقية التي أنهت أعمال دورتها الثالثة والخمسين في القاهرة. والآن، وبعد حصول ناميبيا على استقلالها، يجب تركيز الأضواء على مشكلة جنوب أفريقيا وسياسة الأبارتايد.

القاهرة: الثلاثاء، ٢٠ فبراير ١٩٩٠

قدم تسعة سفراء جُدُد أوراق اعتمادهم للرئيس مبارك. سفير تشاد انتحى بي جانبًا ليشكو من السودان الذي يساعد ليبيا في سياستها العدوانية إزاء الدول الأخرى.

القاهرة: الخميس، ٢٢ فبراير ١٩٩٠

طرتُ إلى أديس أبابا. قررت ليا مرافقتي. كانت تعترض على قيامي بهذه الزيارة؛ لأن نقاهتي لم تكتمل بَعْد حسب رأيها، مع أن الجنرال روييه سمح لي بالقيام بهذه الرحلة.

توقفت الطائرة في عنتيبي حيث قابلنا الرئيس موسيفيني وزوجته. كلفني الرئيس مبارك بإبلاغه بأن اللواء البشير معتدل، وبأن مصر تلتزم بتشجيع هذا الاعتدال ودعمه. قال موسيفيني إنه مستعد للتعاون مع مبارك، ودعوة البشير إلى كمبالا.

أديس أبابا: الجمعة، ٢٣ فبراير ١٩٩٠

لامني أعضاء «اللجنة الدولية» المكلَّفة بتسوية النزاع بين السنغال وموريتانيا؛ لأنني لم أخبرهم بأمر المفاوضات السرية غير الرسمية التي دارت في باريس، فقد كانوا يتمنون الاشتراك فيها.

مبارك المهدي الذي أزيح عن السلطة مؤخرًا في السودان كَرر لي أن مجموعة اللواء البشير هي مجموعة ضباط أصوليين «إنهم فعلًا إخوان مسلمون»، ثم وجَّه اللوم إلى الحكومة المصرية لتعاونها مع هذه المجموعة قائلًا:

«ـ أنتم يا مصريون تجهلون التيارات السياسية الحقيقية التي تعمل في بلدي».

أديس أبابا: السبت، ٢٤ فبراير ١٩٩٠

الاجتماع الثاني للجنة الوزارية السنغالية ـ الموريتانية من دون إحراز تقدم حقيقي. استفدتُ من تواجدي في أديس أبابا لعقد اجتماع غير رسمي مع مجموعة الأوندوجو برئاسة أوغندا. ما تزال المناقشات قاصرة ومُحبِطة.

أديس أبابا: الاثنين، ٢٦ فبراير ١٩٩٠

قابلتُ الرئيس منجستو الذي كان يرتدي الزي العسكري الرسمي. كان عصبيًّا، ويدخن السيجارة تلو السيجارة. تحدث عن الوضع في الشمال والصراع مع إريتريا وهو الحديث الذي جعله أكثر عصبية. راقبت يديْه اللتيْن كان يُلوِّح بهما،

بديا لي في تلك اللحظة أنهما يدا سفاح. حضر وزير الخارجية هذا اللقاء، لكنه التزم الصمت.

أديس أبابا: الأربعاء، ٢٨ فبراير ١٩٩٠

توني رولاند الذي يقوم بدور غير معلن في صياغة السياسة البريطانية في أفريقيا قَدَّم لي معلومات دقيقة عن التطور المتوقَّع في جنوب أفريقيا، فسياسة الفصل العنصري توشك على الزوال.

رفض جون جارانج مقابلتي. توني رولاند لم يقدم لي تبريرًا لهذا الرفض الذي يتسبب في إحباطي؛ لأنني كنتُ قد بذلتُ جهدًا كبيرًا لتحسين علاقات مصر بالسودانيين الجنوبيين.

القاهرة: الأحد، ٤ مارس ١٩٩٠

وصل عبده ضيوف إلى القاهرة ومعه زوجته ووزراؤه. حالته المزاجية ممتازة، وبدا عليه أنه قَرَّر إيجاد حل للصراع بين السنغال وموريتانيا.

لكن وزراءه بدوا أكثر تحفظًا. لم أستطع أن أُبرِّر لنفسي وجود هذا الاختلاف بين الموقفَيْن، على الرغم من معرفتي الجيدة بهذا الملف.

القاهرة: الاثنين، ٥ مارس ١٩٩٠

نجح مبارك في الحصول على موافقة عبده ضيوف على: استعادة العلاقات الدبلوماسية بين السنغال وموريتانيا، وإعادة تشغيل الخطوط الجوية بين داكار ونواكشوط، وكذلك على عقد لقاء بين رئيسَي الدولتيْن على هامش مؤتمر القمة.

أبلغ الرئيس مبارك المقترحات السنغالية إلى الرئيس معاوية الذي أُصيب بالدهشة ولم يقدم ردًا واضحًا أو محددًا.

القاهرة: الأحد، ١١ مارس ١٩٩٠

قابلتُ أمس مبعوثًا من موريتانيا جاء حاملًا رسالة من رئيسه. استقبله مبارك الذي بدا حاسمًا جدًّا، فالمقترحات السنغالية كل لا يتجزَّأ، فإمَّا أن تُقبَل كلها، وإما أن تُرفَض كلها.

ويندهوك: الثلاثاء، ٢٠ مارس ١٩٩٠

حضر جميع كبار الشخصيات للاحتفال باستقلال ناميبيا. كانت فرصة للقاء مبارك برئيس وزراء جنوب أفريقيا فريدريك دي كليرك ووزير خارجيته بيك بوتا. حديث ودي مع تبادل التهاني.

نتمنى أن تشهد المرحلة القادمة المصالحة بين بريتوريا وأفريقيا.

أشعر بالفخر الشديد لإتمام هذا اللقاء. إنه ثمرة جهد شاق وطويل، قمت فيه بحذر بالكثير من العمل السري، وتعاملت خلاله مع الرئيس مبارك ومع المسئولين في جنوب أفريقيا. في هذا المساء، أيقنتُ بأننا سنشهد نهاية نظام الفصل العنصري قبل نهاية هذا القرن.

المباحثات بين الرئيس مبارك وسام نوجوما رئيس ناميبيا كانت مثمرة للغاية. يجب عليَّ أن أذكُر أن هذا اللقاء كان قد سبق الإعداد له من قِبل بعثتين للمساعدة التقنية.

الأقصر ـ القاهرة: الخميس، ٢٢ مارس ١٩٩٠

في طريق العودة، قرَّر الرئيس أن تهبط الطائرة في الأقصر بسبب الضباب الكثيف الذي يُغطِّي القاهرة. هذه الزيارة المفاجئة كانت بمثابة ثورة أيقظت الإدارة النائمة: فقد أُصيب جميع المسئولين بالفزع؛ المحافظ ورجال الشرطة والموظفين.

توقَّف الرئيس في فندق «ونتر بالاس» الذي كنتُ أنزل فيه خلال سنوات طفولتي، لكنه أصبح خربًا الآن. قَرّر الرئيس بعد ذلك زيارة البر الغربي حيث توجَد مقابر الفراعنة. قبل أن يدخل في إحداها، توقف وسأل:

«ـ أين بطرس؟».

«ـ حاضر يا سيادة الرئيس».

«ـ لماذا لا تقف بخشوع أمام أسلافك الفراعنة؟».

«ـ كنتُ أنتظر الإذن منكم يا سيادة الرئيس».

باريس: الاثنين، ٢٦ مارس ١٩٩٠

زيارة لمستشفى «بيجن» للمراجعة الصحية. طمأنني الجنرال روييه:

« ـ لقد عدتَ إلى حالتك الطبيعية تمامًا».

القاهرة: الأربعاء، ١١ إبريل ١٩٩٠

علمتُ أن موبوتو يحاول تنشيط محاولات التوفيق بين البشير وجارانج. إن تعدُّد عمليات الوساطة يُعقِّد الصراع ولا يحله. هذه المحاولة للتوفيق يجب أن تكُون هي الهدف الأساسي للدبلوماسية المصرية. وحسبما ذكر لي وزير الأمن في زائير، فإن موبوتو تأثر إيجابيًّا باللواء البشير. ها هو ذا حاكم أفريقي آخر يُخطئ في الحكم على نوعية نظام الحكم في السودان.

القاهرة: السبت، ٢١ إبريل ١٩٩٠

اقترح عليَّ البابا شنودة عقد اجتماع للكنائس الأفريقية في مصر. هذه الفكرة جديرة بالدراسة. هذا الاجتماع قد يُساعد على تقارب الكنيسة القبطية في مصر مع نظيرتها في إثيوبيا. وفي الوقت نفسه، فقد يُفَسَّر على أنه تأييد للمتمردين المسيحيين التابعين لجون جارانج ضد الحكومة الإسلامية في الخرطوم.

سأستشير السفيرَيْن حسن جاد الحق وأحمد حجاج اللذين يعرفان جيدًا خفايا السياسة الأفريقية.

القاهرة: الأربعاء، ٩ مايو ١٩٩٠

اقترحتُ على أحمد قذاف الدم المبعوث الخاص للعقيد القذافي إصدار تسوية مبدئية لتسوية الصراع الحدودي بين ليبيا وتشاد: يفرج بمقتضاها التشاديون عن الأسرى الليبيين مقابل موافقة ليبيا على قيام محكمة العدل الدولية بتسوية هذا النزاع.

أخبرت سفير فرنسا في القاهرة وجان كريستوف ميتران بهذا الاقتراح. إذا تلقيت ردًّا إيجابيًّا، فسأَكون مستعدًّا للذهاب إلى آندجامينا وطرابلس لضمان عقد الاتفاقية وعلى وجه الخصوص ـ ضمان تنفيذها.

موسكو: الاثنين، ١٤ مايو ١٩٩٠

وصل الرئيس مبارك إلى موسكو بعد الظهر وبرفقته عاطف صدقي وعصمت

عبد المجيد والدكتور محمد عطية، طبيبه الخاص. بدا الرئيس في حالة جيدة بينما كان الإرهاق باديًا على الوزراء أعضاء الوفد المرافق له.

موسكو: الثلاثاء، ١٥ مايو ١٩٩٠

وضع الرئيس باقة من الزهور على النُّصُب التذكاري للشهداء وعلى قبر لينين. محادثات والتوقيع على اتفاقية تقنية باحتفال كبير. في المساء، زيارة للمعرض المصري. حفل عشاء رسمي أقامه جورباتشوف. جلستُ بجوار صديقي بريماكوف عضو المكتب السياسي الذي كان عينَ موسكو على القاهرة لسنوات عديدة. نحن الاثنان متوافقان وتجمعنا صداقة مخلصة.

موسكو: الأربعاء، ١٦ مايو ١٩٩٠

لقاء مع الكُتَّاب السوفييت. التقيتُ بصديقي شارباتوف الذي ألقى بنجاح كبير قصيدة باللهجة العامية المصرية. قَدَّم الرئيس مبارك بيانًا أمام مجلس السوفييت الأعلى، ثم شارك بعد ذلك في جلسة طرح المشاركون فيها عليه أسئلتهم. الجو ودي واللقاء حار. العلاقات تترسَّخ بين القاهرة وموسكو.

لندن: الخميس، ١٧ مايو ١٩٩٠

أقامت السيدة ثاتشر حفل عشاء ممتاز. جلستُ بين الليدي وير والليدي ولدجريف. النبيذ الأحمر والنبيذ الأَبيض كانا ممتازَيْن، واستمتعت بتناولهما.

لندن: الجمعة، ١٨ مايو ١٩٩٠

طلب الزعيم السوداني مبارك المهدي مقابلة الرئيس. لسوء الحظ فقد كان الرئيس على وَشَك السفر فورًا للقاهرة. أرجو ألا تُسيء المعارضة السودانية تفسير هذه المشكلة المتعلقة بترتيب المواعيد.

القاهرة: السبت، ١٩ مايو ١٩٩٠

وصل نيلسون مانديلا وزوجته، ويني، لزيارة مصر على متن طائرة ليبية. في

المطار، استقبله رئيس إدارة المراسم كما كنت في استقبالهما مع زوجتي ليا. سيقيمان في حي مصر الجديدة في فيلَّا تابعة لرئاسة الجمهورية كانت تُخَصَّص غالبًا لإقامة ياسر عرفات. قدمنا للزوجَيْن هديتَيْن من وزارة الخارجية. يبدو أن الهدية لم تعجب السيدة ويني مانديلا.

القاهرة: الأحد، ٢٠ مايو ١٩٩٠

احتفلت جامعة القاهرة بمنح درجة الدكتوراه الفخرية لنيلسون مانديلا. جَلَسَت ليا مع ويني مانديلا في مقصورة في قاعة الاحتفالات الكبرى في الجامعة. بعد الاحتفال طلب مني مانديلا زيارة مقر الجمعية الأفريقية في حي الزمالك الذي تردَّد عليه في أول زيارة قام بها للقاهرة منذ سنوات طويلة قبل دخوله السجن.

احتشد الآلاف من الطلاب الأفارقة أمام مقر الجمعية. لقد نَظَّم الشبان الأفارقة هذا الاستقبال التلقائي للاحتفاء ببطلهم، وكان الاستقبال مؤثرًا للغاية. اضطررتُ لطلب تدخُّل قوات الأمن لإفساح الطريق أمام موكب مانديلا لكي يستطيع العودة إلى حي هليوبوليس حيث ينتظره الرئيس مبارك.

طلب مانديلا مساعدة مالية لتدبير نفقات الانتخابات المقبلة في بلده، وافق الرئيس قائلًا:

«ـ بطرس لديه اعتمادات خاصة وسيهتم بطلبك».

كان مانديلا قد سبق له وأن حصل بالفعل على مساعدة مالية من الهند وليبيا. لكنه، لسوء الحظ، طلب خمسة ملايين دولار بينما لم يكن لديَّ سوى مليونَيْن فقط. أحسستُ باليأس لعدم قُدرتي على تلبية ما يريد.

لم أستطع مرافقة أسرة مانديلا للمطار لأنني سأستقبل على العشاء أعضاء الدولية الاشتراكية ووزير خارجية شيلي، فاعتذرت لمانديلا قائلًا:

«ـ سيكون من دواعي سرور زوجتي أن ترافقكما إلى المطار».

لكن إقلاع الطائرة تأخَّر لعدة ساعات، فقد ذهب الطيارون الليبيون للتسرية عن أنفسهم في المدينة وتطلَّب الأمر وقتًا طويلًا للعثور عليهم وإعادتهم للمطار. وإزاء هذا التأخير، بدا مانديلا صبورًا ولطيفًا مع ليا وأَخَذَ يعتذر لها عن التأخير؛

لكن زوجته تصرَّفت على العكس من ذلك، لم تُخف نفاد صبرها أو تعكير مزاجها بسبب التأخير.

القاهرة: الثلاثاء، ٢٢ مايو ١٩٩٠

هذه أول مرة تعقد فيها الاشتراكية الدولية اجتماعًا لها في مصر. ألقى مبارك وفيلي برانت خطبتَي الافتتاح. فيلي برانت هو الرئيس التنفيذي للاشتراكية الدولية. شارك كلٌّ من بيتينو كراكسي وشيمون بيريز، أعضاء الاشتراكية الدولية بمداخلة. بدوري، أخذتُ الكلمة وركَّزتُ على وجود ستار حديدي يفصل الشمال الذي يزداد ثراءً عن الجنوب الذي يزداد فقرًا.

اقترح فيلي برانت تعييني نائبًا لرئيس الدولية الاشتراكية. صفق الحاضرون تأييدًا لتعييني. شعرتُ برضاء شخصي عظيم لأن هذا التعيين جاء تكليلًا لجهودي: فمنذ عدة سنوات فقط، رفضت الاشتراكية الدولية انضمام الحزب المصري الحاكم لعضويتها.

أقام الرئيس مبارك وحرمه حفل استقبال على شرف المشاركين. حضر باباندريو رئيس وزراء اليونان وزوجته الشابة ميمي التي كانت ترتدي ثوبًا أبيض يبرز جمالها مما لفت انتباه زملائي فألحوا عليَّ لكي أقدمهم لهذه السيدة اليونانية الجميلة. وقد نزلت عند طلبهم ـ في إطار ما يجمعنا من اهتمام بالاشتراكية.

القاهرة: الأربعاء، ٢٣ مايو ١٩٩٠

في الصباح، كتبت الصحافة المصرية القليل من التعليقات على اجتماع الأمس وعن انتخابي نائبًا لرئيس الاشتراكية الدولية لأنها لا تُقدِّر أهمية هذا التجمع الاشتراكي ولا ما يُمثله هذا الانفتاح بالنسبة للسياسة المصرية. إن من شأن هذا الانفتاح أن يُساعدنا على الخروج من حالة الانفصال عن التواصل مع التيارات السياسية والثقافية والدينية المختلفة.

إننا بحاجة لكل الوسائل لكي نكون حاضرين على المستوى العالمي، فالأحزاب السياسية والبرلمانات وعالم الأعمال والمنظمات غير الحكومية ونوادي الروتاري هي أسلحة تفيدنا في مواجهة الرغبة في الانطواء على الذات والأصولية الدينية، وهذه المواجهة مستمرة ولا تنتهي.

كوالا لامبور: الجمعة، الأول من يونيو ١٩٩٠

افتتاح مؤتمر مجموعة الدول الخمس عشرة للدول النامية. جلستُ بين نيريري ووزير خارجية الجزائر. أخذتُ الكلمة لكي أشرح الدور الذي تقوم به الدبلوماسية المصرية لتدعيم الحوار بين دول الجنوب، خصوصًا بعقد الاجتماعات بين أفريقيا والعالم العربي، وبين أفريقيا وأمريكا اللاتينية.

حضرتُ حفل عشاء أقامه السلطان أصلان شاه وصاحب الجلالة يانج ديبركوان آجونج وملكة ماليزيا. جلستُ بجوار نيريري وبعد كأسَيْن من الويسكي، سمحتُ لنفسي بأن أطرح عليه سؤالَيْن صريحَيْن:

«ـ لماذا تركتَ السلطة بكامل إرادتك؟ كيف تقضي فترة ما بعد الحكم؟».

نيريري رجل مثقف وبدا عليه أنه يُقدر هذا النوع من الحديث فأجابني:

«ـ يجب أن نترك المكان للجيل الجديد. لكن هذا لا يجعل الإنسان كسولًا: إن السياسي لا يتقاعد أبدًا».

كوالا لامبور: السبت، ٢ يونيو ١٩٩٠

اقترحتُ أن تُعقد القمة التالية في داكار لأنها عاصمة أفريقية. عَبَّر لي عبده ضيوف عن امتنانه لتقديم هذه المبادرة بدون استشارته مسبقًا. اندهش مساعداي لأنني لم أقترح انعقاد القمة القادمة في القاهرة، لكن قواعد الدبلوماسية تفضل أن يأتي هذا الاقتراح من دولة أخرى غير مصر.

كوالا لامبور: الثلاثاء، ٥ يونيو ١٩٩٠

ألقيتُ محاضرة في معهد العلاقات الدولية عن الموضوع الذي لا نكف عن الحديث حوله: أزمة الشرق الأوسط. كان الحضور يتفاعل باهتمام مع المحاضرة. أخطأتُ خطأ دبلوماسيا بقولي إن الفلسطينيين يلجئون اليوم لمبادرة الرئيس السادات للسلام بعد مرور عشرة أعوام من إطلاقها.

طلب سفير فلسطين الكلمة وأخذ يوضِّح بغضب وعصبية أن العمل الفلسطيني يقوم على مبادرة مختلفة عن تلك التي طرحها السادات. طلبتُ الكلمة لكي أقول إنني لن أدلي بأي تعليق على ما أثاره أخي الشاب.

إن التواصل الذهني بين الأجيال المختلفة ليس بالأمر السهل عادة.

طوكيو: الخميس، ٧ يونيو ١٩٩٠

أعَدَّ لي السفير وهيب المنياوي برنامجا حافلا جدًّا. ألقيتُ محاضرة عن مشاكل المياه في أفريقيا بجامعة الأمم المتحدة، وهو مبنى ضخم وضعته السلطات اليابانية تحت تصرُّف المنظمة الدولية. مشيرًا في معرض حديثه لجامعة سنجور التي أقيمت في الإسكندرية من أجل الأفارقة. من المفيد إقامة علاقات بين هاتَيْن المؤسستَيْن.

بعد الظهر، محاضرة ثانية في وزارة الخارجية عن سياسة مصر الخارجية.

طوكيو: الجمعة، ٨ يونيو ١٩٩٠

استقبلني نائب رئيس الدولية الاشتراكية في مقر الحزب الاشتراكي الياباني، وهو زميل لي حيث انتخب لمنصبه مثلما انتخبت في القاهرة وفي نفس التوقيت. تحدثنا عن دور الدولية الاشتراكية في التقريب بين القوتَيْن العظميَيْن، وعن الدور الذي يمكنها القيام به في تعريف أفضل بمشاكل الدول.

أوزاكا: السبت، ٩ يونيو ١٩٩٠

زيارة لمعرض الزهور. إذا كانت هناك دولة ما يحتل فيها الاهتمام بالبيئة مكانة أساسية في المجتمع، فستكون هذه الدولة هي اليابان: حيث تحظى الطبيعة هناك باحترام الجميع، وحيث يقدس الجميع الأشجار المعمرة وآجام الزهور. إن طوكيو وأوزاكا أقل تلوُّثا بكثير من القاهرة والإسكندرية.

نارا: الأحد، ١٠ يونيو ١٩٩٠

جولة سياحية في مدينة نارا التي توجد بها آثار كثيرة، منها أعظم تمثال لبوذا في اليابان. كانت نارا عاصمة لليابان بين سنتي ٧١٠ و ٧٨٤ ميلادية، ثم هجرها الإمبراطور كامّو ونقل العاصمة إلى طوكيو. رافقني في هذه الجولة كاتو سفير اليابان السابق في القاهرة وهو متزوج من سيدة أيرلندية متخصصة في الأدب الياباني. إنه مرشد سياحي ممتاز ومثقف ولطيف.

طوكيو: الخميس، ١٤ يونيو ١٩٩٠

أنهيتُ زيارتي لليابان بالقيام بالزيارة التقليدية لمعبد الديانة الشنتاوية والذي أُقيم تخليدًا لذكرى الأميرال توجو الذي حقق لليابان انتصاره على روسيا في أول انتصار لدولة مشرقية على دولة أوروبية. شاركتُ في احتفال ديني رأسه الكاهن الأكبر الذي أصبح صديقي على الرغم من حاجز اللغة. في طفولتي، قرأتُ كتابًا عرفت من خلال قصته الأميرال توجو. بحثتُ عن هذا الكتاب طويلًا لكنني لم أجده حتى الآن. دفعني هذا الكتاب ـ فيما بعد ـ لمحاولة قياس مدى تأثُّر النخبة المصرية بانتصار الأميرال توجو.

باريس: الجمعة، ١٥ يونيو ١٩٩٠

زرتُ مستشفى بيجن. طمأنني الجنرال رooيه بأنني في صحة ممتازة.

التقيتُ برئيس مجلس الشيوخ آلان بوور الذي سيزور القاهرة قريبًا لإهداء جائزة للرئيس مبارك.

باريس: السبت، ١٦ يونيو ١٩٩٠

مفاوضات بين السنغال وموريتانيا في مقر إقامة السفير المصري حضرها وزير خارجية السنغال الجديد الذي كان يحمل رسالة للرئيس مبارك. إنه ذكي ومتزن ويتحدث برصانة ولا يرفع صوته أبدًا. كما حضرها أيضًا وزير الخارجية الموريتاني، الذي عُيِّن حديثًا في منصبه هو الآخر. كنتُ آمل أن يُؤَدِّي هذا التغيير في دفع المفاوضات قُدُمًا، لكن يبدو أن الموريتانيين لا يسعون لتهدئة الأمور فقد اعترضوا على إعلان بيان يُفهَم منه أن المفاوضات التي ترعاها مصر تسير في الطريق الصحيح.

لابول: الثلاثاء، ١٩ يونيو ١٩٩٠

مَثّلتُ الرئيس مبارك في مؤتمر قمة فرنسا ـ أفريقيا الذي يُعقَد هذا العام في مدينة لابول. أثرتُ مع عبد اللطيف الفيلالي موضوع المفاوضات التي تَمَّت يوم السبت الماضي في باريس، فعلى الرغم من تغيير أفراد فريقي المفاوضات إلا أنها

ما تزال راكدة. أشعُر بأن موريتانيا ترتاب في نفوذ السنغال على القبائل الأفريقية فيها، خصوصًا تلك المقيمة عند ضفاف نهر السنغال.

قابلتُ رئيس توجو الجنرال إياديما وهو أيضًا ممَّنْ يهتمون بالمفاوضات بين السنغال وموريتانيا. وكانت نصيحة الرؤساء الأفارقة أنه:

«ـ يجب على الرئيس مبارك أن يُثابر».

عُقدت جلسة وزارية تمهيدية برئاسة رولان دوما. بعدها، غداء في مطعم ممتاز على شاطئ البحر. قرَّرتُ أن أعود يومًا لزيارة هذا المطعم مع ليا.

لابول: الأربعاء، ٢٠ يونيو ١٩٩٠

الاحتفال بافتتاح المؤتمر. ملك المغرب يُقيم في فندق عائم يرسو في مدينة سان نازير، فوصل متأخرًا بمقدار ساعة عن موعد الافتتاح، وهذا الأمر أثار ضيق الرئيس ميتران لكنه أخفى ضيقه. خُطب، ثم صور جماعية.

لابول: الخميس، ٢١ يونيو ١٩٩٠

رئيس وزراء تونس له وجهة نظر محابية لموريتانيا ويُبرِّر ذلك بوقوع مذابح ضد صغار التجار من ذوي الأصول العربية المقيمين في داكار. الصراع كامن بين المور والأفارقة الذين تدعمهم السنغال. خصوصًا القبائل التي تعيش على ضفتَي نهر السنغال. لم أعرِض عليه وجهة النظر السنغالية المعارضة لكي لا أُخل بالحياد المطلوب توافره في الوسيط.

دعا ملك المغرب ١٢ حاكمًا أفريقيًّا على متن سفينته. طلب رؤيتي بعد المؤتمر، فقمتُ بإلغاء تذكرة سفري بالقطار إلى باريس. طلب ميتران لقائي. إنه مُهتم بعمي واصف الذي كان قد نشر في بداية القرن الحالي كتبًا باللغة الفرنسية عن الأدب العربي. تحدث معي عن رحلته المقبلة إلى مصر.

عودة إلى مدينة سان نازير برفقة ملك المغرب الذي كان يريد معرفة آخر تطورات المفاوضات بين السنغال وموريتانيا. ألَحَّ عليَّ أن تستمر مصر في الوساطة بين البلَديْن. وضع طائرته الخاصة تحت تصرفي لكي تُقلُّني إلى مطار بورجيه في باريس.

القاهرة: الأحد، ٢٤ يونيو ١٩٩٠

أخذتُ الطائرة في الصباح الباكر ووصلتُ إلى برج العرب حيث سيستقبل الرئيس مبارك وزير خارجية غينيا، جان تراوري. فور عودتي إلى القاهرة، هرعتُ إلى فندق الميريديان حيث يعقد المؤتمر الدولي حول مشاكل المياه بتنظيم من جويس ستار.

القاهرة: الأربعاء، ٢٧ يونيو ١٩٩٠

الجلسة الختامية للمؤتمر. جويس ستار تشاجرت مع كل مساعديَّ. أنا المسئول عن كل هذه الخلافات الناتجة عن سوء الفهم لأنني كنتُ غائبًا في معظم الوقت نظرًا لوجود وزيرَيْ خارجية غينيا وأُوروجواي في القاهرة. ألقى المؤتمر الضوء على مشكلة المياه، وهي مصدر نادر وسيزداد نُدرة في السنوات القادمة.

القاهرة: الخميس، ٢٨ يونيو ١٩٩٠

قرأت رسالة الرئيس مبارك في افتتاح اجتماع مجموعة الأُوندوجو الذي يرأسه ماهر أباظة وزير الطاقة. أثناء حفل الكوكتيل الذي أقامه بعد جلسة بعد الظهر طلب مني أن ألقي كلمة. فوجئت بهذا الطلب لكنني ارتجلتُ خطبة قصيرة كانت الرسالة الرئيسية لها أن حل الخلافات حول المياه لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال إقرار وتنفيذ مشاريع للتعاون الإقليمي. بعد ذلك، حضرتُ حفل عشاء أُقيم على شرف وزير خارجية أُوروجواي.

إن هذه اللقاءات المتتالية مع الوزراء الأجانب والنقاشات التي تدور معهم حول العديد من القضايا المختلفة أمر هام جدًا للمصلحة الوطنية العليا، على الرغم من كونه مرهقًا جدًا بالنسبة لي.

القاهرة: الجمعة، ٢٩ يونيو ١٩٩٠

رئيس رواندا جوفينال هابيا ريمانا وزوجته وصلا إلى القاهرة. التوتر شديد بين القوات الحكومية الرواندية التي تتكوَّن أغلبيتها من الهوتو و الجبهة الوطنية الرواندية المكوَّنَة من التوتسي والتي تتخذ من أُوغندا مقرًا لها. يبدو أن الرئيس الرواندي قد جاء إلى مصر لطلب المساعدة العسكرية، أو لشراء الأسلحة. رافقتُ الرئيس الرواندي

الذي وضع باقة زهور على قبر الجندي المجهول. بعد ذلك، أقام الرئيس مبارك حفل عشاء على شرف الرئيس الرواندي. رافَقَتْ ليا السيدة هابيا ريمانا.

القاهرة: السبت، ٣٠ يونيو ١٩٩٠

عقد الرئيس مبارك لقاء مع وزير خارجية أُوروجواي ثم لقاءً آخر مع وزراء الطاقة في مجموعة الأُوندوجو. شاركت مع ماهر أباظة في اللقائين. تركتُ زميلي ماهر أباظة يعرض على الرئيس توصيات المجموعة بخصوص التعاون في مجال الطاقة.

أديس أبابا: الاثنين، ٢ يوليو ١٩٩٠

عشية افتتاح قمة منظمة الوحدة الأفريقية. اجتماع عمل مع اثنين من معاونيَّ وهما أحمد حجاج وروبير إسكندر حول ملف العلاقات بين تشاد وليبيا، وملف العلاقات بين موريتانيا والسنغال. هناك صراعات كامنة لكنها قد تندلع في أية لحظة. واجب المفاوضات هو أن تُحَذِّر من احتمالات اندلاع هذه الصراعات المكبوتة خوفًا من عدم إمكانية حلها بعد اندلاعها.

أديس أبابا: الثلاثاء، ٣ يوليو ١٩٩٠

اجتماع تمهيدي لوزراء منظمة الوحدة الأفريقية. سلسلة خُطب لا تنتهي. سلسلة حفلات استقبال بلا نهاية. البداية كانت بحفل استقبال أقامه سفير إيطاليا على شرف بتينو كراكسي، رئيس وزراء إيطاليا السابق المكلَّف بإجراء دراسة عن الوضع الاقتصادي في أفريقيا.

كم من الأموال تُهدَر على كتابة تقارير لن يقرأها أحد وستتراكم في ملفات الحفظ لدى هذه الوزارة أو تلك المنظمة. ومع ذلك، فهذا أفضل ما يُمكن القيام به لتنبيه الرأي العام بالمشاكل الخطيرة التي تهدِّد قارتنا.

أديس أبابا: الأربعاء، ٤ يوليو ١٩٩٠

قَدَّم بيتينو كراكسي تقريره باللغة الفرنسية أمام مجلس نائم. الترجمة الإنجليزية كانت غير مفهومة. ربما يكون ذلك تفسيرًا لسقوط المشاركين في النعاس.

أديس أبابا: الجمعة، ٦ يوليو ١٩٩٠

مناقشة حادة بين مندوبَي موريتانيا والسنغال، كان المندوب الموريتاني عدوانيًّا وعنيفًا. أمَّا المندوب السنغالي، فقد كان أهدأ وأكثر إقناعًا من نظيره الموريتاني، من الواضح أن وساطة مصر لم تُعط نتائج حاسمة.

مكالمة هاتفية من الرئيس مبارك. مصر ترفض استئناف وساطتها بين السنغال وموريتانيا نظرًا لعدم توافُر الإرادة السياسية لدى الطرفَيْن للوصول إلى اتفاق.

أديس أبابا: الاثنين، ٩ يوليو ١٩٩٠

أثناء جلسة الافتتاح الرسمية، اقترح الرئيس مبارك اختيار الرئيس الأُوغندي موسيفيني لرئاسة منظمة الوحدة الأفريقية. انتهز مبارك فرصة وجوده في حفل الاستقبال الذي أُقيم في قصر الرئاسة للتباحث مع منجستو واللواء البشير. حاولتُ إقناعه بعدم انسحاب مصر من الوساطة في الصراع بين السنغال وموريتانيا دون أن أنجح. اشتكى الرئيس مبارك أمام نظيريه من الموقف السلبي للرئيس الموريتاني.

أديس أبابا: الثلاثاء، ١٠ يوليو ١٩٩٠

لقاء ثان بين مبارك ومنجستو الذي أبدى استعداده لإجراء مفاوضات ثنائية مع مصر حول مياه النيل. هذه الخطوة التمهيدية مهمة إلا أنها قد تضايق السودان.

في جلسة بعد الظهر، عرضتُ الجهود التي قدَّمتها مصر بناءً على التفويض الذي تلقَّته لتسوية الصراع بين السنغال وموريتانيا. فوجئتُ بمداخلة من مندوب موريتانيا تتسم بعدوانية شديدة وأعقبها مندوب السنغال بردٍّ ممتاز لكنه اتصف أيضًا بالعدوانية. تساءلت إذا ما كان الرئيس مبارك مُحقًّا في سحب وساطته.

أديس أبابا: الأربعاء، ١١ يوليو ١٩٩٠

لأول مرة يحدُث نقاش علني لأزمة الثقة بين العرب والأفارقة في منظمة الوحدة الأفريقية. بدأ الرئيسان منجستو وموسيفيني هذا الجدل. تناول وزير خارجية تونس الموضوع ببراعة. ولدهشتي الشديدة، تحدث باللغة الإنجليزية. ثم تدخَّل الصوراني، ممثل فلسطين. أخذتُ الكلمة وقلتُ إن أفريقيا قد عانت بما فيه الكفاية من الضعف بسبب هذه المنازعات بين العصبيات القَبَلِيَّة، فلا داعي إذن لإضافة عامل فُرْقَة عِرقية

جديد. إن الإسلام وأسلمة أفريقيا، والدور الذي قامت به مصر لتحرير أفريقيا من الاستعمار قد أسهمت إلى حد ما في تجاوز هذه التفرقة العِرقية.

أديس أبابا: الخميس، ١٢ يوليو ١٩٩٠

غادر الرئيس مبارك العاصمة الإثيوبية. تلقيتُ منه مكالمة هاتفية، كلفني بإبلاغ منجستو بفحوى حديثه مع الملك فهد ملك المملكة العربية السعودية الذي نفى تمامًا أن تكون بلاده قد قدمت أسلحة للإريتريين.

القاهرة: الاثنين، ١٦ يوليو ١٩٩٠

وزير خارجية كولومبيا يؤيد قيام تعاون قوي بين أمريكا اللاتينية والعالم العربي. وقال لي:

«ـ لا بُد من إيجاد مواضيع تدفع شعوب القارتَيْن للاهتمام بهذا التعاون وتحشُدها لتأييده».

أعرفُ الوزير الكولومبي منذ عشر سنوات، وتُشارك بلاده في «القوات المتعددة الجنسيات» الموجودة في سيناء.

القاهرة: الجمعة، ٢٠ يوليو ١٩٩٠

كتبتُ افتتاحية العدد الذي سيصدُر في الأول من أكتوبر القادم من مجلة السياسة الدولية التي ما زلتُ أتولّى إدارتها. اخترتُ الكتابة عن الأزمة بين أفريقيا العربية وأفريقيا السوداء. الموضوع حساس لكن يجب أن يتم النقاش حوله بصورة مفتوحة.

القاهرة: الاثنين، ٢٣ يوليو ١٩٩٠

محاضرة عن سياسة مصر الخارجية في أفريقيا أمام وفد من رجال الأعمال اليابانيين. أكدت على أهمية وجود تعاون ثلاثي يجمع بين مصر واليابان وأفريقيا لتقديم مساعدة تقنية أفضل للبلاد الأفريقية.

القاهرة: الخميس، ٢٦ يوليو ١٩٩٠

عشاء مع الشاهبانو، إمبراطورة إيران السابقة. إنها امرأة جَذّابة ومشرقة وذكية،

وتهتم بمجريات الأحداث العالمية. على المائدة، جلس آردشير زاهدي وزير الخارجية الإيراني الأسبق، وسفير الشاه المفضَّل والسفير سمير صفوت سفيرنا المعتمد الأسبق في طهران. من رأي زاهدي أن نهاية «الحرب الباردة» أصبَحَت وشيكة، مما سيُعطي فرصة لدول العالم الثالث لكي تقوم بدور جديد على المستوى الدولي. لم أُوافقه الرأي فيما يتعلق بدور دول العالم الثالث في حال انتهاء الحرب الباردة، فأنا أظن أن نهاية الحرب الباردة تعني تهميش دور دول العالم الثالث، التي لن تستطيع الاستفادة من التنافس الذي كان موجودًا بين القوتَيْن العظميَيْن.

القاهرة، الخميس، ٢ أغسطس ١٩٩٠

حَلَّت كارثة جديدة بالعالم العربي الذي لا يكُف عن التمزق: لقد غزا العراقُ الكويتَ، إنه تصرُّف جنوني من صدام حسين.

القاهرة، الأحد، ٥ أغسطس ١٩٩٠

وصل السفير فاروق بركة قادمًا من مونتفيديو. تحدَّث معي طويلًا بخصوص غياب مصر عن أمريكا اللاتينية. إنه مُحِق. ومع ذلك، هل لدينا إمكانية أن نكون حاضرين في كل مكان؟ ألا يجب علينا إعطاء الأولوية لبعض المناطق ولبلاد معينة؟ ألا يجب علينا الاهتمام أكثر بعلاقاتنا بالهند والصين عن الاهتمام بالبرازيل والأرجنتين؟

إن حالة الاكتفاء بالهوية الوطنية والدينية في مصر تنال من فرص البلاد في التواصل مع العالم الخارجي، وأنا لا أستطيع أن أتوقف عن القلق إزاء نتائج هذا الانطواء على الذات. ولذلك، فإنني أؤَيد إقامة علاقات ديبلوماسية مع الجميع؛ ومن خلال تَعدُّد وتنوُّع علاقاتنا الدولية سنستطيع فتح النوافذ على الحداثة.

القاهرة، الاثنين، ٦ أغسطس ١٩٩٠

كمال أدهم المستشار السياسي غير الرسمي في المملكة العربية السعودية يعتقد بأن بريطانيا العظمى ما تزال تلعب دورًا مستمرًّا في العالم العربي، وصَرَّح لي بأن بلده مُستعدة لدعم مصر ماليًّا. وهو مقتنع بأن مصر ستساعد الكويت وبأن العراق سيخرُج خاسرًا من هذه المغامرة المحزنة.

القاهرة: الجمعة، ١٠ أغسطس ١٩٩٠

اجتماع طارئ لجامعة الدول العربية لاتخاذ قرار مشترك في مواجهة العدوان العراقي على الكويت. لم يدعني أحد للاشتراك في هذه القمة. هل هي دسائس الدوائر السياسية؟ هل هو إهمال من الرئاسة؟ أم هل أفتقر للكفاءة اللازمة للتعامل مع مشاكل العالم العربي؟

القاهرة: الأربعاء، ٢٢ أغسطس ١٩٩٠

مكالمة هاتفية من الرئيس مبارك. كلفني بكتابة رسالة باللغة الفرنسية للرئيس ميتران وتسليمها له. بالتأكيد، ستكون عن العدوان العراقي.

باريس: الاثنين، ٢٧ أغسطس ١٩٩٠

يعتقد رولان دوما أن الأمر سيتطلب أشهرًا عديدة من المفاوضات قبل أن يُغَيِّر صدام حسين من سياسته وينسحب من العراق. بدا فرنسوا ميتران مُتعَبًا للغاية. لم يُكلِّف نفسه عناء قراءة رسالة مبارك إليه نظرًا لطولها. لا ألوم سوى نفسي على هذا. ميتران يؤيد سياسة مصر الحازمة وسيؤيد أي تدخُّل محتمل لأمريكا.

عقدتُ مؤتمرًا صحفيًّا على دَرَج مدخل مقر الإليزيه أوضحتُ فيه سياسة مصر إزاء العدوان العراقي، وذكرتُ اهتمام فرنسا بمشاكل العالم العربي.

باريس: الثلاثاء، ٢٨ أغسطس ١٩٩٠

غداء مع السفير أحمد صدقي. لقاء مع آلان دوكو وزير الفرانكوفونية والأمير سعود الذي أبدى قلقه على مستقبل العالم العربي.

باريس: الأربعاء، ٢٩ أغسطس ١٩٩٠

جان دانييل يريد تجنُّب التدخُّل الأمريكي في العراق. شرحتُ له أن صدام حسين كما أعرفه لن ينسحب من الكويت إلا باستخدام القوة العسكرية ضده.

فور عودتي للقاهرة. توجهتُ مباشرة لمجلس الوزراء وهناك قدمتُ عرضًا موجزًا عن مهمتي في فرنسا.

القاهرة: السبت، الأول من سبتمبر ١٩٩٠

رافقتُ سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي وجابر الصباح وزير خارجية الكويت لبرج العرب، المقر الصيفي للرئيس مبارك. دار اللقاء حول الغزو العراقي. عند عودتي للقاهرة، تلقيتُ مكالمة هاتفية من سفير المغرب ليخبرني أن الملك ينتظرني في الرباط يوم الاثنين بعد الظهر.

القاهرة-الرباط: الاثنين، ٣ سبتمبر ١٩٩٠

قَدَّم لي السفير المصري تقريرًا شاملًا عن موقف المملكة المغربية إزاء عدوان العراق على الكويت، وهو موقف مماثل لموقف مصر. قابلني الملك وهو مُحاط بوزرائه في قصر الصُخيرات، على بعد ٣٠ كم من الرباط. قدمتُ له عرضًا تفصيليًّا للموقف المصري، وأحطتُه علمًا بما تم في لقائي بفرنسوا ميتران في باريس. المملكة المغربية تُدين العدوان العراقي وتؤيِّد أي عمل مشترك يهدف لتحرير الكويت.

تناولتُ العشاء مع وزير الخارجية المغربي عز الدين العراقي في منزله الريفي. استكملنا مناقشة الموقف. على الرغم من المسافة البعيدة التي تفصل الملكة المغربية عن الكويت، وعلى الرغم من الانقسام التقليدي بين دول المغرب ودول المشرق، إلا أنه يُوجَد تضامن حقيقي في العالم العربي. وعلى الرغم من غياب المؤسسات المشترَكة، ووجود حركات قومية مُصَغَّرَة في السياسة العربية، إلا أن ذلك كله لا يمنع وجود هذا التضامُن الذي يرتكز على اللغة الواحدة، والثقافة الواحدة، والدين الواحد، والنضال المشترَك للتحرر من رِبْقَة الاستعمار الغربي، ومحاولة تحقيق الوحدة العربية.

الرباط: الثلاثاء، ٤ سبتمبر ١٩٩٠

لقاء مع عبد الرحمن بن عابد، رئيس حزب الاتحاد الاشتراكي المغربي، وعضو الاشتراكية الدولية التي نتمنى تفعيل دورها وتشجيعها على القيام بدور أكثر حيوية في العالم العربي. تحدثنا أيضًا عن مشاركة الأحزاب السياسية الأفريقية التي ينبغي لها العمل على تسهيل العلاقات بين الشعوب.

بعد ذلك، قابلتُ أحمد الشرقاوي وزير الدولة ثم أحمد عثمان رئيس مجلس النواب المغربي، وكانا متفقين تمامًا مع وجهة النظر المصرية فيما يتعلّق بالعدوان العراقي.

عقدتُ مؤتمرًا صحفيًّا لشرح الموقف المصري في هذه الأزمة.

القاهرة: الخميس، ٦ سبتمبر ١٩٩٠

تحدثتُ مع سفير إيطاليا في الصومال حول إمكانية تنظيم مؤتمر مائدة مستديرة بخصوص مشكلة الصومال. لا يجب أن تُهَمَّش علاقاتُنا بأفريقيا بسبب أزمة العراق.

القاهرة: الجمعة، ١٤ سبتمبر ١٩٩٠

تريد السلطات المصرية منع الديبلوماسيين العراقيين وأُسرهم من مغادرة مصر. بالأمس، جاءني السفير العراقي لبحث هذه المشكلة. حصُلتُ على موافقة الرئيس لكي يتمكنوا من المغادرة.

بعد الظهر، جلستُ مع موسى صبري وسليم عيسى حول حمام سباحة فندق هيلتون. فكَّرنا في عدة سيناريوهات مختلفة للخروج من هذه الأزمة. إن صدام حسين شخص سريع الانفعال ويتصرف دون روية، وقد اختار الغزو العسكري للاستيلاء على الكويت. لو كنتُ مكانه، لكنتُ قد نفذتُ ذلك على مراحل:

المرحلة الأولى: تدبير انقلاب عسكري في الكويت بمساندة عراقية، واستيلاء عقيد كويتي شاب على السلطة في بلاده، وإعلان قيام «جمهورية الكويت».

المرحلة الثانية: الحصول على اعتراف الدول العربية والمجتمع الدولي بهذه الجمهورية.

المرحلة الثالثة: إعلان عَقْد تحالُف بين العراق وجمهورية الكويت.

المرحلة الرابعة: إعلان قيام وحدة فيدرالية بين الجمهوريتَيْن.

المرحلة الخامسة والأخيرة: إعلان اندماج الكويت في الجمهورية العراقية.

اعتبر موسى صبري أن هذا السيناريو سيناريو أكاديمي ونظري لأن الأمريكيين سيتدخلون منذ المرحلة الأولى، وهو مقتنع بأن واشنطن ستُرسل قواتها لتحرير الكويت.

أمَّا سليم عيسى، فقد تخيَّل سيناريو أكثر بساطة: يقدِّم العراق مليارات الدولارات

للأُسرة الحاكمة في الكويت لكي تُسلِّم له البلد، مع تهديدها بالتصفية الجسدية في حالة الرفض.

القاهرة: الأحد، ١٦ سبتمبر ١٩٩٠

سيستقبل الرئيس مبارك في الإسكندرية وزيرَيْ خارجية بلجيكا وزائير. في الطائرة، انهمك الاثنان في مجادلة ودية حول تاريخ الاستعمار الأوروبي لأفريقيا. قابلهما الرئيس في قصر رأس التين. تحدث وزير خارجية بلجيكا باللغة الإنجليزية وَذكَرَ أن حكومته كَلَّفَته بمعرفة موقف مصر إزاء الأزمة الكويتية. وبإبلاغ مصر بدعم بلجيكا لتحرير الكويت.

أمَّا وزير خارجية زائير، فقد كان يحمل رسالة من موبوتو وكان أكثر براجماتية من نظيره البلجيكي، وطلب تَوَسُّط مبارك لدى الملك فهد ملك السعودية لتسهيل تصدير البترول السعودي لزائير.

القاهرة: الثلاثاء، ٢٥ سبتمبر ١٩٩٠

الرئيس مبارك في حالة مزاجية جيدة جدًّا. حضرتُ تقديم أوراق اعتماد ١٣ سفيرًا جديدًا. شيء مرهِق: فكل سفير يشعر أنه مُلزَم بإلقاء كلمة قصيرة، لكن فعليًا فإن بعض هذه الكلمات تكون طويلة أحيانًا.

تحدث الرئيس معي بخصوص المذكرات التي يكتبها يوسف ابن أخي والذي يشغل منصب مستشار رئيس الوزراء، والتي ينتقد فيها بشدة الوزراء والحكومة. قلت للرئيس إن حكم الشباب تجاه الأجيال السابقة لهم أحيانًا ما يتسم بالقسوة. وأضفتُ قائلًا:

«ـ سيدي الرئيس، أنا أيضًا أكتب يومياتي، لكنني أتجنَّب انتقاد زملائي الوزراء، وأتجنَّب على وجه التحديد انتقاد رئيسي الذي لا يمكن أن يخطئ أبدًا».

انفجر الرئيسي بالضحك وهو يقول:

«ـ أنت انتهازي مُتَملِّق».

نيويورك: الخميس، ٢٧ سبتمبر ١٩٩٠

رافقتُ السيدة سوزان مبارك التي تشارك في مؤتمر عن حماية الطفولة. إنها تقوم بدور أساسي على المستوى الاجتماعي، وتبرهن في المقام الأول على أن المرأة المسلمة لها دور مهم تقوم به على المستويَيْن: الاجتماعي والسياسي؛ وفي الوقت نفسه، فإنها تؤكِّد على أن مصر من خلال دور المرأة ستتصدى للأصولية وستنفتح على العالم.

نيويورك: الاثنين، الأول من أكتوبر ١٩٩٠

رأستُ اجتماع المؤتمر الإسلامي. اصطحبتُ الشيخ جابر الصباح، الذي كان في حالة بدنية ضعيفة للغاية، حتى جلس على مقعده. الموضوع الأساسي للنقاش هو مأساة الكويت. تبنَّى المؤتمر قرارًا لصالح الكويت.

في المساء، نَظَّم عمرو موسى حفل استقبال في سفارة مصر على شرف السيدة سوزان مبارك. حضر سايروس فانس، الذي أُكن له إعجابًا حقيقيًّا منذ أن تفاوضنا معًا في واشنطن في سنة ١٩٧٧ لعقد «معاهدة السلام» بين مصر وإسرائيل.

نيويورك: الأربعاء، ٣ أكتوبر ١٩٩٠

رأستُ اجتماع الجامعة العربية. عَبَّر القادة العرب ببلاغة عن تضامنهم مع الكويت. لسوء الحظ، لم أستطع حضور الاجتماع الخاص بالنزاع بين السنغال وموريتانيا: ففي هذه المرة، تغلَّبَت المشاكل العربية على مشاكل إخواننا الأفارقة وحَوَّلَت التركيز عنها.

التقيتُ بالأمريكي جيمس بيكر والباكستاني يعقوب خان. إنهما نموذجان للذكاء الحاد على الرغم من أنهما ينحدران من عالمَيْن مختَلفَيْن تمامًا. الذكاء صفة يمكن لأي إنسان أن يتمتع بها بغض النظر عن العِرق الذي ينتمي إليه.

التقيتُ أيضًا بأعضاء المركز الدولي للسلام وهي منظمة يهودية أنشأتها ريتا هاوزر المناضلة الأمريكية.

نيويورك: الخميس، ٤ أكتوبر ١٩٩٠

في الجمعية العامة للأمم المتحدة، كان ترتيبي رقم ٤٠ في قائمة المتحدثين بعد مندوبَي المغرب والسنغال. العرض الذي قدمتُه استغرق نصف ساعة. كنت أشعُر بأنني على سجيتي وبحالة جيدة. حضرت أسرتي بأكملها: بولين ـ والدة ليا ـ وأخي وزوجته، لكن القاعة كانت نصف خالية، لا بد أن ممثلي الدول يقضون فترة القيلولة.

نيويورك: الجمعة، ٥ أكتوبر ١٩٩٠

أخبرت الشيخ الصباح وزير خارجية الكويت بما قامت به مصر لدعم موقف الكويت في المؤتمر الإسلامي ومؤتمر جامعة الدول العربية؛ ثم طلبتُ منه أن يودع في البنك المصري مبلغ مليار دولار. كان هذا الطلب باسم الحكومة المصرية التي تُعاني في الوقت الحالي من مصاعب في السيولة المالية. نظر إليّ الشيخ قائلًا:

«ـ يا بطرس، أنا مستعد لتقديم عَيْنَيَّ لمصر، لكننا لم نَعُد نملك أية أموال».

«ـ يا صاحب السعادة، لقد نَشَرَت جريدة «النيويورك تايمز» خبرًا يقول بأن الأسرة الحاكمة الكويتية تمتلك ١٠٠ مليار دولار خارج الكويت، وأن المؤسسة التي أنشأتها تمتلك بدورها المبلغ نفسه. إنني أطلبُ منكم ـ باسم مصر ـ أن تودعوا نصف في المائة من هذا المبلغ في بنك مصري تختاروه أنتم».

«ـ يا أخي بطرس، لا تُصَدِّق ما تقوله الجرائد... ليست لدينا هذه الأموال».

ربما نكون قد أخطأنا بطلب معونة مالية من الكويت وهي تحت الاحتلال.. إن الدول العربية تطلب دعمنا لكنها ترفض الاستجابة عندما نطلب المعونة منها. طبعًا، لم أذكُر هذا اللقاء عندما أجريتُ حديثًا صحفيًا مع حمدي فؤاد وهدى توفيق.

تصالحتُ مع علي التريكي في حفل عشاء نظمه عمرو موسى. لسنوات عديدة، كنا نواجه بعضنا البعض في ملتقيات أفريقيا ومؤتمرات منظمة عدم الانحياز بسبب مبادرة السادات واتفاقية السلام.

نيويورك: الاثنين، ٨ أكتوبر ١٩٩٠

افتتاح مؤتمر الاشتراكية الدولية. كنتُ ثالث متحدث بعد بتينو كراكسي وبيير موروا.

تحدثتُ عن الشرخ الموجود بين دول الشمال والجنوب، والذي يجب أن نجعله أحد اهتماماتنا الأساسية.

رأست جلسة بعد الظهر. قدَّمتُ عرضًا عن أزمة الخليج وحصُلتُ على إدانة للغزو العراقي وعلى تأييد للكويت.

نيويورك: الثلاثاء، ٩ أكتوبر ١٩٩٠

إفطار ومحاضرة في مجلس السياسة الخارجية حول الأزمة الكويتية. أعتقدُ أن المفاوضات لن تؤَدِّي لانسحاب القوات العراقية من الكويت، وأن التدخُّل العسكري وحده هو الذي سيُنهي عدوان صدام حسين.

محاضرة ثانية بعد الظهر في مؤسسة فريدريك إيرت شتيفلنج حول الديموقراطيات الجديدة في العالم الثالث.

نيويورك: الأربعاء، ١٠ أكتوبر ١٩٩٠

السكرتير العام للأمم المتحدة بيريز دي كوييار ديبلوماسي محترف يفكِّر بعمق قبل أن يتحرك، مما يمكنه من الجمع بين العمل الإنساني والعمل الديبلوماسي في الأمم المتحدة. ما يزال دي كوييار يعتقد ويأمُل في إمكانية إيجاد حل ديبلوماسي للمشكلة الكويتية. وعلى كل حال، فالدور المطلوب من السكرتير العام هو أن يدعو لحل الصراعات بالطرق السلمية.

بعد ذلك، قابلتُ مجموعة من الناشطين اليهود الذين احتجوا على البيانات العدوانية التي أصدرها عمرو موسى. دافعتُ بشراسة عن المواقف التي يتخذها سفيري. انتهت المقابلة في جو عدائي.

بعد الغداء، قابلتُ وفدًا إسرائيليًا. لحسن الحظ، كان هذا الوفد معتدلا وأهدأ بكثير من مجموعة الناشطين اليهود الذين التقيتهم قبل الغداء. ذكرتهم بأنني قد ذهبتُ إلى القدس مع السادات وبأنني أحد صُنَّاع السلام.

القاهرة: الثلاثاء، ١٦ أكتوبر ١٩٩٠

في الصباح، استقبل الرئيس مبارك آلان دوكو. وفي المساء، تناولنا العشاء معًا

في جو ودي للغاية. تحدثنا عن الدور الذي ينبغي أن تقوم به جامعة سنجور في الإسكندرية، يجب أن تكون هذه الجامعة بمثابة حلقة الوصل بين مصر والفرانكوفونية وأفريقيا. إن الفرانكوفونية يمكن أن تتيح لمصر إمكانية توطيد وجودها في أفريقيا. في الوقت نفسه يجب أن يدرس في هذه الجامعة عدد كبير من المصريين.

القاهرة: الأحد، ٢١ أكتوبر ١٩٩٠

ببالغ الحزن، علمتُ باغتيال داني شمعون وأُسرته. قُبَيْل سفري إلى نيويورك، كنا قد تعشينا معًا في القاهرة. كنت منبهرًا بثقافة وتَحضُّر هذا السياسي اللبناني، إن لبنان لديه وزراء مثقفين ومنفتحين على العالم وقادرين على إدارة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، لكنهم عاجزون عن التفاهم فيما بينهم. وهذا هو التناقض الذي لا أستطيع أن أفهم أسبابه.

القاهرة: الثلاثاء، ٣٠ أكتوبر ١٩٩٠

وصل «الإمبراطور الأحمر»، منجستو، رئيس إثيوبيا، إلى القاهرة استقبله الرئيس مبارك في المطار. في قصر القبة، اصْطَفَّ الحرس الجمهوري واستعرض حرس الشرف مما جعله يبدو راضيًا. دام اللقاء المنفرد بين الرئيسَيْن أكثر من ساعة. يبدو أن مبارك قد نجح في إزالة الشك العميق الذي يُبديه «الشيوعيون الإثيوبيون» إزاء مصر «المعادية للشيوعية».

القاهرة: الخميس، الأول من نوفمبر ١٩٩٠

مكالمة هاتفية من السفير البلجيكي لكي أُرَشح له قائمة من المثقفين المصريين ليدعوهم لحفل عشاء سيُقيمه على شرف الأمير ألبرت ولي عهد بلجيكا.

قدمتُ له قائمة تضم كلًّا من منى مكرم عبيد، السفير الإبراشي، ومحمد سيد أحمد الصحفي والكاتب المرموق. تركتُهم يتبادلون الآراء دون تدخل مني بينما كان الأمير يستمع باهتمام إلى هذه النخبة المصرية التي تتحدث اللغة الفرنسية بإتقان. في نهاية حفل العشاء، تدخلتُ للحديث مُجددًا عن «الستار الحديدي» الجديد الذي سينشأ بين عالم الدول الغنية وعالم الدول الفقيرة.

الإسكندرية: الأحد، ٤ نوفمبر ١٩٩٠

افتتاح جامعة سنجور بحضور العديد من رؤساء الدول. على باب البناء والذي تشغل فيه الجامعة ثلاثة طوابق وقفت مع موريس درويون المقرر الدائم للأكاديمية الفرنسية والبروفيسير رينيه جان دوبوي لاستقبال فرانسوا متيران وليوبولد سنجور وعبده ضيوف وولي عهد بلجيكا وموبوتو ووزراء كنديين.

المبنى له مصعدان، غير أن واحدًا منهما فقط هو الذي كان يعمل، بينما كان الثاني متعطلًا. اهتم الرئيس مبارك الذي يعتني بالتفاصيل بأن يكون هذا المصعد يعمل بشكل جيد. أكدتُ له أن كل شيء على ما يُرام. بعد زيارة مقر الجامعة، كان من المفروض عقد اجتماع مهيب في مقر جامعة الإسكندرية الذي سبقنا الرئيس مبارك إليه.

تكدَّس رؤساء الدول وحُراسهم الشخصيون في المصعد الوحيد الذي يعمل؛ وبالطبع، فقد تعطل المصعد فجأة وتوقف بين طابقَيْن. حدث اضطراب شديد. تذَرَّع روساء الدول بالصبر وهم محبوسون في الظلام ومحشورون كما لو كانوا في علبة سردين. بعد عشر دقائق من الانتظار المخيف تم إعادة تشغيل المصعد.

وصل الرؤساء إلى مقر جامعة الإسكندرية حيث كان مبارك في انتظارهم. كان الرئيس قد علم بما حَدَث فصب جام غضبه عليَّ، حيث اعتبرني المسئول عن هذا الحادث نظرًا لأنني كنتُ من أكدت سلامة المصعد. ألقى كل من مبارك وعبده ضيوف وميتران كلمات، وفي كلمته أشاد الرئيس الفرنسي بالدور الذي قمتُ به لإنشاء جامعة سنجور.

لم تكن لديّ الفرصة للاحتفاء بهذا الإنجاز لأنني كنتُ منهمكًا في الحديث مع زكريا عزمي شارحًا له أن المصعد كان يعمل بشكل جيد، لكنه يتسع لعشرة أفراد فقط؛ وعندما يركب فيه عشرون شخصًا معًا، فلا بد له وأن يتعطل. من الواضح أن الجميع قد اعتقدوا لبُرهة أن الأمر يتعلّق بمحاولة اغتيال إرهابية.

روما: الثلاثاء، ٦ نوفمبر ١٩٩٠

في روما وجدتُ أن الرئيس أندريوتي يعرف موضوع «حادث المصعد» الذي يبدو أنه كان مدار حديث رؤساء الدول منذ ذلك اليوم. تحدثنا طويلًا عن أزمة الخليج.

في المساء، عشاء مع رئيس «طائفة فرسان مالطا» والكاردينال آشيل سيلفيستريني

القائم بأعمال الشئون الخارجية لهذه الطائفة. لم يفُتني أبدًا الحديث مع الحبرَيْن عن مشكلة القدس والدور المهم الذي يستطيع الفاتيكان القيام به لتدويلها. وبصفتهما ديبلوماسييْن محنكَيْن استمعا إليَّ في صمت، واكتفيا بإبداء بعض الإيماءات التي يُمكن تفسيرها على أنها قد تعني الموافقة، والتي قد يُفهم منها أن هذه النقطة أو تلك تهُمهما.

نيودلهي: الخميس، ٨ نوفمبر ١٩٩٠

عدت إلى جناح مبارك في فندق الأُوبروي، وفي المناخ الخاص جدًا الذي تتميز به الهند. إن الهند قوة عظمى يبلغ عدد سكانها مليار نسمة واستطاعت الحفاظ على وحدتها بالرغم من تعدد اللغات والأديان والأجناس والصراعات الداخلية فيها. كان من الممكن أن تُصبح الهند مثل أفريقيا، أي أن تتفتَّت إلى ٥٠ دولة صغيرة، لكن ذلك لم يحدُث. ومع ذلك، فمنذ اغتيال آنديرا غاندي، والضعف الذي أصاب حركة عدم الانحياز، أصبحت الهند لا تقوم بدورها السابق الذي كانت تقوم به في صياغة السياسة على المستوى العالمي.

نيودلهي: الجمعة، ٩ نوفمبر ١٩٩٠

قضيتُ وقتًا ممتعًا مع البروفيسير محمد آجوامي، زميلي وصديقي، قبل أن ألقي محاضرة في جامعة دلهي عن أزمة الخليج أمام مستمعين أذكياء ومثقفين. نوعية الأسئلة التي طرحوها عليَّ تُبرهن على أنهم يتابعون بعناية موضوع غزو العراق للكويت، كما تدل أيضًا على وجود نخبة هندية تتابع بدقة العلاقات الدولية.

استقبلني راجيف غاندي. إنه خير مَنْ يُمثِّل الجيل الثالث لأسرة عرفتُ منها، الجد والابنة والحفيد. إن أزمة الشرق الأوسط تستحوذ على اهتمامه.

قمتُ بزيارة ودية لناراسيماراو الذي أجرى مؤخرًا عملية في القلب. عَبَّر لي عن امتنانه قائلًا:

«ـ في العادة، لا يجد الناس وقتًا أبدًا لزيارة مَنْ تركوا السلطة».

هذه الجملة جعلتني أفكِّر في فترة ما بعد السلطة بالنسبة لي، وفي حالة النسيان التي يسطو فيها من كان في السلطة بعد أن كان دومًا محطًّا للمجاملات المبالغ فيها.

طوكيو: الاثنين، ١٢ نوفمبر ١٩٩٠

مثلتُ الرئيس مبارك في احتفالات تتويج إمبراطور اليابان الجديد. جلستُ بجوار ممثل إيران. كانت احتفالية جميلة جدًا. أذهلتني رشاقة وأناقة الحركات والصمت الذي يُخَيِّم على المكان والذي لا يقطعه سوى أصوات الطيور المختلفة.

قابلتُ ألبرت ملك بلجيكا، ورئيسَي رومانيا والسنغال، والسكرتير العام للأمم المتحدة، في حفل العشاء الذي أعْقَب الاحتفالية.

طوكيو: الثلاثاء، ١٣ نوفمبر ١٩٩٠

قابلتُ سوهارتو، رئيس أندونيسيا، الذي يعتقد بأن قمة عدم الانحياز المقبلة التي ستُعقد في جاكارتا ستكون نقطة انطلاق لتجديد وتحديث حركة عدم الانحياز وبعث قواها من جديد، في إطار وسياق نهاية الحرب الباردة. لم أُوافقه على تفاؤله هذا، بل إنني على العكس أعتقد بأن نهاية الحرب الباردة تُؤْذن بنهاية الحركة.

طوكيو: الأربعاء، ١٤ نوفمبر ١٩٩٠

احتفل السفير المنياوي بعيد ميلادي. اليوم، بلغتُ الثامنة والستين. كعكة لعيد الميلاد مزينة بالشموع وشمبانيا، وكلمات قصيرة. لقد نَظَّم هذا الدبلوماسي الكبير هذه السهرة برهافة حسّ وفطنة أثَّرتَا فيَّ وكذلك في ليا.

بكين: الخميس، ١٥ نوفمبر ١٩٩٠

استقبلني السفير بدر طمان. كانت زوجته إحدى طالباتي في قسم العلوم السياسية منذ ثلاثين عامًا. هذان الزوجان يُشَرِّفان الدبلوماسية المصرية.

توقف بعض رؤساء الدول مثل سوهارتو رئيس إندونيسيا وكارلوس منعم رئيس الأرجنتين وكبار الشخصيات العالمية في بكين قادمين من طوكيو. هذه الزيارات أخذت الأضواء من الزيارة التي كنت أقوم بها للعاصمة اليابانية.

بكين: الجمعة، ١٦ نوفمبر ١٩٩٠

يهتم نائب وزير الخارجية الصينية الذي يحب العربية، وكذلك نائب رئيس الوزراء الصيني، الذي كان سابقًا وزيرًا للخارجية، بأزمة الكويت. ويخشى كلاهما

أن الجهود الديبلوماسية لن تمنع التدخل العسكري للقوة العظمى: الولايات المتحدة الأمريكية.

ألقيتُ محاضرة في المعهد الديبلوماسي. الديبلوماسيون الصينيون الشبان رائعون، ونوعية أسئلتهم لا تقل امتيازًا عن أسئلة نظرائهم الهنود. هؤلاء الشبان هم الذين سيُديرون السياسة الخارجية لبلادهم في المستقبل، وسيتنافسون مع القوة العظمى الوحيدة، أي الولايات المتحدة الأمريكية: فأوروبا قد وَهَنَت قواها وروسيا قد تقلَّصَت.

كراتشي: الأحد، ١٨ نوفمبر ١٩٩٠

درجة الحرارة والرطوبة عاليتَيْن. لقاء مع رئيسة الوزراء بي نظير بوتو في مقر إقامتها، ثم غداء مع محافظ كراتشي في جو عائلي حميم حيث يحضر الأعيان للقاء المحافظ ويقدمون لك التحية باحترام.

القاهرة: الاثنين، ١٩ نوفمبر ١٩٩٠

استقبلني الرئيس مبارك الذي قَدَّمتُ له تقريرًا عن رحلتي في آسيا. كلفني بإعداد خُطبة سيُلقيها أمام بوش. معرفتي باللغة الإنجليزية لا تسمح لي بتدبيج خُطبة لائقة بهذه المناسبة. استعنتُ بمراد وهبة الابن الأكبر لمجدي وهبة لكي يُساعدني في إنجاز هذه المهمة.

القاهرة: الخميس، ٢٢ نوفمبر ١٩٩٠

كنتُ عضوًا في الوفد الذي استقبل الرئيس بوش عند وصوله لمطار القاهرة في المساء.

القاهرة: الجمعة، ٢٣ نوفمبر ١٩٩٠

لقاء بين بوش ومبارك في قصر القبة. أجريتُ نقاشًا مُطَوَّلًا مع مدير إدارة المراسم في البيت الأبيض السفير جوزيف ريد الذي سألني:

«ـ لماذا لا تُرشح نفسك لمنصب السكرتير العام للأمم المتحدة؟ إنني مستعد لمساعدتك».

«ـ لقد سبق لي وأن تقدمتُ لشَغل منصب المفوض الأعلى لشئون اللاجئين ولمنصب المدير العام لليونسكو، ولم أنجح في المرتَيْن. لستُ مستعدًّا لأن أفشل للمرة الثالثة».

القاهرة: الأحد، ٢ ديسمبر ١٩٩٠

محاضرة في المعهد الديبلوماسي. الديبلوماسيون المصريون الشبان لا يُبدون نفس القدر من الاهتمام والانتباه الذي وجدته لدى ديبلوماسيين شباب التقيتهم خلال زيارتي لكلٍّ من نيودلهي وبكين في الأسابيع الأخيرة. لم أُرجع هذا الفارق لا لتدنّي المستوى الثقافي ولا لنقص حب الاطلاع لديهم. أشعرُ بأنني مسئول عن هذا الوضع بصورة ما حيث إن معظم هؤلاء كانوا من طلابي في الجامعة. لا أعرف ما السبب في المشكلة التي نواجهها وإذا ما كانت تتعلق بنوعية التعليم العالي أو التعليم الثانوي.

القاهرة: الاثنين، ٣ ديسمبر ١٩٩٠

احتفال رسمي في القصر الجمهوري: فقد وصل آلان بوهر رئيس مجلس الشيوخ الفرنسي إلى القاهرة ليقدم للرئيس مبارك جائزة القانون الدولي لحقوق الإنسان. بدا الإرهاق الشديد على بوهر بينما بدا مبارك مستمتعًا بهذه الاحتفالية التي تجرى في أجواء غير تقليدية بالمرة، لكنها تُتيح لمصر توثيق علاقات المودة والصداقة بين مصر وفرنسا، وتوطيد الدور المصري في الفرانكوفونية.

القاهرة: الاثنين، ١٠ ديسمبر ١٩٩٠

محاضرة في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية حول حركة عدم الانحياز غداة التقارب بين القوتَيْن العُظميَيْن. إذا لم نجد أفكارًا جديدة لتنشيط الحركة ودفعها للأمام، فإنها ستتلاشى.

علمتُ بتعييني نائبًا في البرلمان. حسب الدستور المصري، يحق لرئيس الجمهورية تعيين عشرة نواب في البرلمان. كنتُ أفضِّل أن أحصُل على مقعدي هذا بالانتخاب، لكن لا يوجد لديّ الآن لا الوقت ولا الجَهد لكي أخوض معركة انتخابية جديدة. مكالمة هاتفية من الرئيس حول النزاع الناشب بين تشاد وليبيا. سأستقبل غدًا المبعوث الليبي، قَذّاف الدم.

القاهرة: الثلاثاء، ١١ ديسمبر ١٩٩٠

ينوي المبعوث الليبي ـ قَذَّاف الدم ـ أن يفتح غدًا مع الرئيس مبارك موضوع احتجاز أسرى الحرب الليبيين في تشاد. سيكون عليَّ القيام بزيارة لندجامينا.

القاهرة: الأربعاء، ١٢ ديسمبر ١٩٩٠

عشاء مع كريمة ملك المغرب وزوجها ابن صديقي الوزير المغربي عبد اللطيف الفيلالي وأختها ياسمينة التي ترأس مؤسسة خيرية. الجو لطيف والمناقشات راقية. إن امتزاج الثقافة الفرنسية بالثقافة العربية أمر مثمر للغاية.

القاهرة: الأربعاء، ٢٦ ديسمبر ١٩٩٠

قرأت كتابًا لفرانسيس دينج، ابن أحد زعماء القبائل في جنوب السودان. يوضح الكتاب حالة الهَلَع الشديد التي تُسيطر على المسيحيين وأصحاب الديانات الأفريقية في الجنوب خوفًا من أَسْلَمَتهم وتعريبهم. إن انقسام القارة الأفريقية بين عرب وزنوج أفارقة، ومسلمين من جهة ومسيحيين ووثنيين من جهة أخرى، لهُو أمرٌ أخطر بكثير مما كنتُ أتصوَّر، وفي الوقت نفسه، فإن انفصال جنوب السودان عن شماله بدعم من كينيا وأُوغندا وإثيوبيا يبدو أمرًا واردًا ولا يجب استبعاده من حساباتنا.

الفصل العاشر

□ التدخل العسكري المصري في العراق □ خلاف مع شيمون بيريز حول فلسطين □ كيف جاءت فكرة ترشيحي لمنصب السكرتير العام للأمم المتحدة؟ □ مفاجأة ليلية في بون.

القاهرة: الخميس، ٣ يناير ١٩٩١

مكالمة هاتفية من السفير الفرنسي ليخبرني بأن جيمس بيكر قد التقى طارق عزيز في سويسرا. أخشى أن يقبل الأمريكيون عقد تسوية ما مع العراق للحفاظ على مصالحهم البترولية فيه، أي أن يقبلوا إما بتعديل الحدود بين العراق والكويت لصالح العراق، أو بتغيير نظام الحكم في الكويت، أو باشتراك العراق في استخراج البترول من أرض الكويت، وإما بعقد أي تسويات أخرى تكون أكثر سرية وحذرًا.

المساعدون المقربون لي لا يوافقونني على مخاوفي، فمن وجهة نظرهم، أن مصلحة واشنطن الخالصة تدفعها للدفاع عن هذه الإمارة الصغيرة في منطقة الخليج؛ لكي تُسيطر عليها بشكل أفضل.

باريس: الأحد، ١٣ يناير ١٩٩١

أخبرني رولان دوما بأن فرنسا مستعدة للالتزام بتسوية الصراع في الخليج، ويعتقد بأن صدام حسين سيوافق على مبادرة فرنسية لمجرد مضايقة الأمريكيين.

القاهرة: الأربعاء، ١٦ يناير ١٩٩١

لحظة وصولي إلى القاهرة، علمتُ ببدء الحرب في العراق.

القاهرة: الخميس، ١٧ يناير ١٩٩١

اجتماع لمجلس الوزراء المصَغَّر لمناقشة ما إذا كان يجب إصدار بيان لتأييد التدخل الأمريكي، أو أن الانتظار أفضل؟ قررنا الانتظار وتهيئة الرأي العام المصري لتأييد التدخل العسكري؛ لأن المزاج العام أكثر تعاطفًا مع العراق عن الكويت.

القاهرة: الجمعة، ١٨ يناير ١٩٩١

أطلق العراق صواريخ سقطت على إسرائيل. الرأي العام المصري يشتعل حماسة لصالح العراق.

القاهرة: السبت، ١٩ يناير ١٩٩١

تعليمات الرئيس واضحة: «تجنبوا إصدار تصريحات». المعركة الإعلامية لن تقل أهمية عن المعركة العسكرية. يجب علينا أيضًا معرفة رد إسرائيل لهذا الصراع؛ لأنه إذا شَنَّت إسرائيل هجومًا مضادًا، فإن مجمل البلاد العربية ستكون مُجبَرة على مساندة العراق، وسيتراجع الاهتمام بحرب تحرير الكويت.

القاهرة: الاثنين، ٢١ يناير ١٩٩١

قابلتُ السفير الياباني للإعداد لندوة اليابان ـ أفريقيا التي ستُعقَد بالقاهرة في شهر نوفمبر المقبل. كان السفير الياباني قد اقترح عليَّ زيارة بلاده، فقبلتُ بكل سرور، اليابان تسحرني دائمًا على الرغم من معرفتي المحدودة بثقافتها.

القاهرة: الخميس، ٢٤ يناير ١٩٩١

استقبلتُ سفراء الدول الآسيوية، ثم سفراء دول أمريكا اللاتينية. عرضت عليهم موقف مصر في الصراع الدائر بين العراق والكويت، وتأييدنا للكويت ولتحرير أراضيها. شعرتُ بأن أغلبهم يؤيدون العراق، وبأنهم في الأساس معادون لأي تدخل عسكري أمريكي.

القاهرة: الجمعة، ٢٥ يناير ١٩٩١

حديث إذاعي مع رالف بينتو حول أزمة الخليج. يُمكن تلخيص موقف مصر في ثلاث نقاط:

* لا نريد إسقاط صدام حسين، ولا تدمير الجيش العراقي.

* لا نريد اشتراك إسرائيل في تحرير الكويت، فذلك سيضرب التحالف، وسيقلل من حقيقة أن ما نقوم به هو لصالح الكويت.

* منذ الآن، يجب الإعداد لمرحلة ما بعد الحرب بالنسبة إلى العراق والكويت معًا.

القاهرة: الاثنين، ٢٨ يناير ١٩٩١

طلب سفير الصومال من مصر إرسال طائرة إلى كيسمايو فورًا؛ لإجلاء الرئيس سياد بري الذي لجأ إلى هذه المدينة كما طلب أن تمنحه مصر حق اللجوء السياسي. أبلغتُ الرئيس مبارك بهَذيْن الطلَبيْن. كان مبارك حريصًا جدًّا، فقبل أن يتخذ قرارًا ما، طلب معرفة ما إذا كانت إيطاليا مستعدة لاستقبال سياد بري أو لا. تمت الاتصالات مع إيطاليا التي أبْدَت استعدادها التام لمنحه حق اللجوء السياسي.

فيينا: الجمعة، الأول من فبراير ١٩٩١

الطائرة التي أقلتني إلى فيينا كانت شبه خالية: فحرب الخليج قد أثنت الناس عن السفر. اجتماع رئاسة الاشتراكية الدولية.

شرحتُ موقف مصر؛ نحن نؤيد التحرير الفوري للكويت، ونخشى من أن يؤدي هذا الصراع إلى تهميش المشكلة الفلسطينية التي تنهش في جسم العالم العربي.

اقترح شيمون بيريز وبيير موروا إصدار بيان بإدانة منظمة التحرير الفلسطينية بسبب مساندتها للعراق. عارضتُ هذا الاقتراح. قَدَّم فيلي برانت حلًّا وسطًا يُرضي كل الأطراف يقوم بإدانة كل مَنْ يؤيدون العدوان العراقي من دون ذكر أسماء.

هراري: الأربعاء، ٦ فبراير ١٩٩١

لقاء مع نيلسون مانديلا الذي قال لي:

«ـ كان مبارك قد وَعَدَني بعون مالي لإجراء الانتخابات، ولم أتلقَّ شيئًا... لا تقابلْ بوتيليزي الذي يُشَكّل عقبة في طريق نضالنا لتحرير جنوب أفريقيا... زُرنا في بريتوريا. دعم مصر لنا سيقوِّي موقفنا... تناقَش مع دي كليرك... انشطوا...».

شعرتُ بالذنب لأنني لم أُكرِّس وقتًا لدراسة مشاكل جنوب أفريقيا. كل مرة ألتقي بمانديلا يزداد انبهاري بكاريزما رجل الدولة العظيم هذا وحكمته.

هراري: الخميس، ٧ فبراير ١٩٩١

أراد الرئيس كاوندا أن يعرف مني وجهة نظر مصر وأفريقيا إزاء أزمة الخليج. الجزائر تُدافع إلى حد ما عن صدام حسين، بينما تُعارض مصر العدوان العراقي. هذا قد يؤدي إلى المواجهة بين مصر والجزائر؛ وبالتالي، فإنه سيؤكِّد الصورة السيئة المنتشرة في أفريقيا عن عالم عربي منقسم على نفسه ومُتَحَجِّر.

هراري: الجمعة، ٨ فبراير ١٩٩١

الرئيس موجابي يؤيد موقف مصر في أزمة الخليج. أجريتُ مكالمة هاتفية للرئيس مبارك؛ قدمتُ له فيها تقريرًا عن مباحثاتي. الخط الهاتفي كان ممتازًا لدرجة أن الرئيس تصوَّر أنني أُهاتفه من القاهرة نفسها. أُفضِّل استخدام الهاتف بدلًا من البرقيات المشفرة فهو أسرع ومباشر مع أنه أقل تأمينًا وسرية.

أثينا: السبت، ٩ فبراير ١٩٩١

تناولتُ الغداء مع الوزير ميتسو تاكيس وإحدى صديقاتي منذ أيام الطفولة سارة، ابنة صليب سامي باشا. كان الغداء في أحد مطاعم المدينة في حراسة ١٢ حارسًا شخصيًّا. إذا أراد المرء تناوُل وجبته في جو هادئ، فعليه أن يتظاهر بتجاهُلهم. دار الحديث أساسًا عن أزمة الخليج.

بلجراد: الاثنين، ١١ فبراير ١٩٩١

مباحثات مع فلاديمير لانجار رئيس يوغوسلافيا، ووزراء خارجية كل من الهند وإندونيسيا وسريلانكا وفنزويلا على هامش مؤتمر الدول غير المنحازة. يتفق الجميع على ضرورة إيجاد حل سلمي للصراع بين العراق والكويت، لكن صدام حسين حسب معرفتي به ينوي ضم الكويت لأنه يعتبرها ولاية عراقية.

بلجراد: الثلاثاء، ١٢ فبراير ١٩٩١

افتتاح مؤتمر دول عدم الانحياز. أعاد وزير الخارجية إثارة المواضيع التي سبق

له أن أثارها في هراري. مُداخلتي كانت باللغة الفرنسية، وكانت أكثر اعتدالًا. بعد الظهر، عقدنا جلسة عمل كانت أكثر هدوءًا.

القاهرة: السبت، ١٦ فبراير ١٩٩١

قدمتُ تقريرًا لمجلس الوزراء المصَغَّر عن مؤتمرَي هراري وبلجراد. بصفة عامة، فإن الدول الأفريقية ودول عدم الانحياز تميل إلى اتخاذ موقف محايد في هذا الصراع باعتبار أن ما يجري هو «خلاف بين العرب وبعضهم البعض»، ويتناسون أن التدخل الأمريكي قد تم بناءً على طلب قدمته دولة عربية، وأن معظم الدول العربية الأخرى قد أيدته.

القاهرة: الأحد، ١٧ فبراير ١٩٩١

محاضرة في نادي الصيد عن أزمة الخليج. كان يوجد مؤيدون لصدام حسين من بين الحضور. جزءٌ من الرأي العام المصري يؤيد العراق.

نيروبي: الجمعة، ٢٢ فبراير ١٩٩١

وصلتُ إلى نيروبي فجرًا. الجو بارد وممطر. قمتُ بزيارة بروتوكولية للرئيس آراب موي. أثناء اجتماع الدبلوماسيين الذي عقد في فترة بعد الظهر أثَار القليل جدًّا من الحاضرين موضوع أزمة الخليج. يبدو أن الأفارقة لا يُبالون بالخلافات الناشبة بين الدول العربية وبعضها البعض.

نيروبي: السبت، ٢٣فبراير ١٩٩١

بدأ التدخل العسكري في العراق. يجب أن يتم بسرعة حتى نستطيع في أقرب وقت الاهتمام بمرحلة «ما بعد الحرب»، وهي دائمًا ما تكون أصعب في إدارتها عن الحرب ذاتها.

نيروبي: الأحد، ٢٤ فبراير ١٩٩١

استقبلتُ وفدًا جاء من الصومال، هذا البلد الذي تم اغتياله. سياد بري لن يرجع لمقديشيو، والحرب الأهلية مستمرة بين مختلف الفصائل المتحاربة. سفير

إيطاليا في نيروبي يعرف الصومال جيدًا، ويعتقد بأن هذه الحرب ستدوم لسنوات طويلة قادمة.

أَسَرَّ لي صديق أفريقي بأنه لابد من فرض الوصاية على الصومال. يبدو أن مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة ما يزال أمامه دور يمكن أن يلعبه.

أديس أبابا: الاثنين، ٢٥ فبراير ١٩٩١

اجتماع لوزراء خارجية دول منظمة الوحدة الأفريقية. حضر أكثر من ٢٠ وزيرًا. الكثير من الكلمات والقليل من النتائج. تأكدت من أن أفريقيا لا تهتم كثيرًا بأزمة الخليج. وكانت الحرب الأهلية في إثيوبيا هي محط الكثير من النقاشات، فقد استولى المتمردون على مدينة بحر دار، على ضفاف بحيرة تسانا.

أديس أبابا: الأربعاء، ٢٧ فبراير ١٩٩١

اجتماع مجموعة الأُوندوجو التي ترأسها زائير. هنا أيضًا تكثر الخطب وتغيب الأفعال. أعتقد أنه يجب عليَّ ألا أحضر هذه المؤتمرات المحلية. لم أحصُل على تأييد أي دولة منها. من الواضح أن مشاكل الأنهار الأفريقية، والمياه، والطاقة، لا تُعتبر أولويات لدى حكام دولنا.

في المساء، ألقيتُ محاضرة باللغة الإنجليزية في نادي الروتاري عن أزمة الخليج. كان الحاضرون خليطًا من رجال الأعمال والديبلوماسيين الذين لم يهتموا كثيرًا بهذا الصراع الدائر في قارة أخرى.

أديس أبابا: الخميس، ٢٨ فبراير ١٩٩١

يبدو أن أزمة الخليج ستنتهي بعد اندحار القوات المسلحة العراقية. تحدث الصوراني مندوب فلسطين باسم منظمة التحرير الفلسطينية. ألقيت بمداخلة ـ وتحدث كذلك كلٌّ من مندوب الجزائر ومندوب تونس ـ لصالح القضية الفلسطينية. في الحقيقة، فإن أفريقيا لا تهتم أيضًا بالمأساة الفلسطينية.

أديس أبابا: الجمعة، أول مارس ١٩٩١

لقاء طويل مع صديقي القديم ناتان شامو ياريها، وزير خارجية زيمبابوي. من

رأيه، أن بوتيليزي يمثِّل عقبة في طريق استقلال جنوب أفريقيا. يُضاف إلى ذلك، أن الصراع بين منظمتَي النضال من أجل الاستقلال يزيد من تعقُّد الأمور.

«ـ كيف يمكن لمصر تقديم المساعدة؟».

«ـ ادعوا دي كليرك لزيارة مصر، فالرجل الذي يحتاج فعلًا للمساندة هو رجل أبيض معتدل».

لُمتُ الصوراني بسبب عدم مرونة منظمة التحرير الفلسطينية:

«ـ اعترفوا بأخطائكم الاستراتيجية؛ فهذا سيعطيكم مرونة أكثر في علاقاتكم بالدول العربية وبإسرائيل...».

صداقتنا جعلته يسمعني بلا تذمُّر، لكنه بالتأكيد لم يستحسن ما قلتُه.

القاهرة: الأحد، ١٠ مارس ١٩٩١

وزير خارجية الصومال السابق في ورطة، لقد أصبح خارج السلطة كما أنه لا يستطيع حتى مجرد العودة إلى بلده، بل إنه يبحث عن عمل. وعدتُه بالمساعدة. وفي انتظار ذلك، نصحته بالقيام بجولة في إمارات الخليج التي تحتاج بشدة إلى الخبراء.

القاهرة: الأربعاء، ١٣ مارس ١٩٩١

طلب الصوماليون منى التوسُّط لدي الرئيس مبارك؛ لكي يُرسل بعثة عسكرية لإزالة الألغام من حول مدينة هيرجيسيا. رد الرئيس قائلًا:

«ـ عندما نُزيل ملايين الألغام المزروعة في أرضنا، سنرسل خبراءنا لإزالة الألغام من البلاد المجاورة».

القاهرة: السبت، ٢١ مارس ١٩٩١

في هذه المرة، كان الوزير الجديد لخارجية الصومال هو الذي زارني: صوته عال، ويبدو عليه الإعجاب الشديد بنفسه. شخصيته بغيضة لكنني بذلتُ مجهودًا كبيرًا لأتحمل الاستماع إلى ما يقوله ورغم ذلك فقد استطاع استثارة غضبي. اكتفيتُ بأن أذكِّره بأن سلطته لا تتجاوز حدود مقديشيو. إنه يلوم مصر لتقتيرها في تقديم المساعدات، ولعدم اهتمامها الكافي بمشاكل القارة الأفريقية.

الإسكندرية: السبت، ٢٣ مارس ١٩٩١

ألقيتُ محاضرة في جامعة سنجور بحضور عميدها الجديد ومحافظ الإسكندرية. إن هذه المحاضرة هي تعبير عن اهتمامي بالفرانكوفونية واستعدادي للعمل الدائم لدعمها.

القاهرة: الاثنين، ٢٥ مارس ١٩٩١

تناقشتُ مع م. إيفانز أحد ممثلي جنوب أفريقيا حول الوسائل الممكنة لإعادة علاقاتنا التجارية مع بلده. أبلغتُ الرئيس الذي غضب من حدوث هذا اللقاء وقال لي بحزم:

«ـ لا أُريد أية اتصالات مع جنوب أفريقيا إلا بعد صدور قرار من الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الأفريقية بفك الحصار عنها».

القاهرة: الثلاثاء، ٢٦ مارس ١٩٩١

عرض عسكري في المطار بحضور الرئيس مبارك للاحتفال بعودة الجنود المصريين الذين اشتركوا مع قوات التحالف الدولي في تحرير الكويت. حدث موقف مؤثر، فقد غافل أحد الأطفال أمه وجرى ناحية الجنود الذين كانوا يقفون في وضع الانتباه لكي يُقَبِّل والده.

القاهرة: الأربعاء، ٣ إبريل ١٩٩١

طلب وزير خارجية الصومال الجديد وساطتي لدى واشنطن لكي تستقبله. أخبرتُ السفير الأمريكي ـ فرانك وايزنر ـ فرفض طلبه قائلًا:

«ـ واشنطن لن تستقبله لأنه لا يمثِّل سوى فصيل واحد من الفصائل الصومالية».

القاهرة: الخميس، ٤ إبريل ١٩٩١

التقى الرئيس بالوفد الصومالي؛ وبعدها، كلفني بالتقريب بين الفصائل الصومالية المختلفة. الفصيل الشمالي، الحركة الوطنية الصومالية، يرفض لقاء الفصيل الذي ينتمي إليه رئيس الوزراء والحكومة المؤقتة. بعدما بذلتُ جهودًا كثيرة، تم الاتفاق على مبدأ عقد لقاء بين الفصيلَيْن في القاهرة.

القاهرة: الثلاثاء، ٩ إبريل ١٩٩١

أجريتُ مفاوضات مُطَوَّلة مع ممثلي فصيل الحركة الوطنية الصومالية. قالوا لي إنهم لم يتلقوا أية تعليمات للاشتراك في اجتماع القاهرة مع ممثلي الحكومة المؤقتة.

القاهرة: الخميس، ١١ إبريل ١٩٩١

لقاء مع سكرتير الدولة الإيطالي الذي أتعاون معه لإعداد اللقاء بين الفصائل الصومالية. لقد استعمرت إيطاليا الصومال؛ ولذلك، فإنها تعتبر نفسها مسئولة عن تفكك هذا البلد، وأبدَت إيطاليا استعدادها لمعاونة مصر في مساعيها للوساطة، وذلك على عكس باقي دول أوروبا والمجتمع الدولي الذين يهملون الصومال تمامًا.

الرباط. الاثنين، ٢٢ إبريل ١٩٩١

افتتاح الأكاديمية الملكية المغربية. بعدها أقام رئيس الوزراء عز الدين العراقي حفل عشاء. قابلتُ الرئيس ليوبولد سنجور وزوجته، وصديقي العظيم البروفيسير رينيه ـ جان دوبوي. العلاقات الخاصة جدًّا التي تربط المغرب بإسبانيا وفرنسا، والرغبة السياسية القوية التي يبديها الملك الحسن الثاني في الانفتاح هي التي تُيسِّر انفتاح المغرب على أوروبا.

القاهرة: الأحد، ٢٨ إبريل ١٩٩١

أخبرني موسى صبري بأنني سأُرَقَّى إلى منصب نائب رئيس الوزراء للشئون الخارجية؛ وبذلك، سأحل محل عصمت عبد المجيد الذي سيُعَيَّن في منصب الأمين العام لجامعة الدول العربية. الإشاعات تتحدث عن هذا الموضوع منذ أسبوع.

القاهرة: الاثنين، ٢٩ إبريل ١٩٩١

أثناء جلسات الدولية الاشتراكية، دافعتُ بشدة عن منظمة التحرير الفلسطينية التي لا تحظى بسمعة طيبة عند الأحزاب السياسية المحابية لإسرائيل.

استُدعيتُ للقصر الجمهوري. أخبرني الرئيس بتعييني في منصب نائب رئيس الوزراء للشئون الخارجية، وكلفني بتولي حقيبة وزارية إضافية وهي وزارة الهجرة. لم يُقَرِّر بعد مَنْ سيخلفني في المنصب الذي أشغله حاليًا.

جنيف: الخميس، ٩ مايو ١٩٩١

أوصاني توني رولاند بتكريس وقت أكثر لجنوب أفريقيا وللقاء حكامها. الوقت مناسب لإلغاء نظام الفصل العنصري. لا أستطيع أن أُحدِّثه عن المصاعب التي تمنعني من إقامة علاقات مع بريتوريا نظرًا للتعليمات التي تلقيتُها من الرئيس. ألَحَّ رولاند أيضًا على أهمية الاهتمام بالرئيس البشير، رئيس السودان، لكنني بقيتُ أكثر تحفظًا على هذه النقطة.

تناولت العشاء مع أردشير زاهدي في فندق «دولاك» في كوبيه. إنه يُحب تذكُّر دوره الديبلوماسي عندما كان وزيرًا للخارجية في عهد شاه إيران.

القاهرة: الاثنين، ١٣ مايو ١٩٩١

أقام الرئيس مبارك حفل عشاء تكريمًا لوزير خارجية الاتحاد السوفييتي. جلستُ على مائدة الرئيس؛ عن يساري، جلس السفير السوفييتي؛ وعن يميني، جلس المشير أبو غزالة. لم أشترك في المفاوضات المصرية ـ السوفييتية لأنني انشغلتُ مع الرئيس موسيفيني وزوجته، لكنني قمتُ بتوصيل الوزير السوفييتي حتى المطار. بدا راضيًا عن زيارته للقاهرة.

عدتُ للمطار مجددًا لأستقبل الرئيس موجابي الذي وصل متأخرًا ساعة عن موعده. إنه رجل مرح ويُتقن تمامًا فن الديبلوماسية تحت غطاء ظاهري من البساطة وطيبة القلب. إنه يعتقد بأن نظام الفصل العنصري على وشك الزوال؛ لكنني لا أُشاطره تفاؤله لأنني أُؤمن بضرورة مرور سنوات قبل أن تفتُر حدة الحقد والكراهية بين الأقلية البيضاء والأغلبية السوداء.

القاهرة: الخميس، ١٦ ـ الاثنين، ٢٠ مايو ١٩٩١

قرر الرئيس القيام بجولة سريعة في أوروبا: ١٦ مايو، في روما ١٧ مايو، في لوكسمبرج ١٨ مايو، في باريس ١٩ مايو، في أنقرة حيث التقى بكبار المسئولين في كل عاصمة من هذه العواصم. كان جوهر محادثاته ينصبّ على إدارة فترة ما بعد حرب الخليج وعلى القضية الفلسطينية.

أثناء هذه الجولة، طلب الرئيس مني ترشيح ثلاثة أسماء لكي يختار منها مَنْ سيخلفني في منصب وزير الخارجية. اقترحتُ عليه أسماء:

أشرف غربال: سفيرنا السابق في واشنطن الذي شارك في مفاوضات كامب ديفيد ومفاوضات السلام في فندق ماديسون بواشنطن، وعمرو موسى سفيرنا في نيويورك الذي اشترك في مفاوضات فندق ماديسون، ثم نبيل العربي الذي شارك هو أيضًا في مفاوضات كامب ديفيد، ويشغل حاليًا منصب سفيرنا في جنيف.

هؤلاء المساعدون الثلاثة كنت أعمل معهم بثقة كاملة. سألني الرئيس: «ـ مَنْ تختار مِنْ بين هؤلاء الثلاثة؟».

«ـ سيدي الرئيس، الثلاثة يصلُحون تمامًا لكي يكونوا وزراء ممتازين، واختيارك لأي منهم سيكون اختيارًا مُوَفَّقًا».

القاهرة: الثلاثاء، ٢١ مايو ١٩٩١

امتلأ مكتبي بالزهور وبرقيات التهنئة بمناسبة تعييني نائبًا لرئيس الوزراء الذي أعلن عنه رسميًّا. بدا مكتبي كما لو كان حجرة عروس تستعد للزفاف.

الهاتف لم يكُف عن الرنين. تَلَقَّتْ سكرتيراتي التهاني أكثر مني، وهي بالنسبة لهن تهانٍ مستحقة لأن العمل مع «نائب رئيس الوزراء» أهم من العمل مع مجرد وزير.

أخي الأصغر رءوف هو الذي يُدير شئون الأراضي التي أملكها. سألني:

«ـ هل سيزيد راتبك الشهري؟».

لم أستطع أن أرُد عليه. سؤاله جعلني أتذكَّر بأن والدي كان رافضًا لاختياري العمل بالتدريس في الجامعة، وكان يفضل لو التحقت بالعمل الديبلوماسي، وأتذكر أيضًا أنه سألَني:

«ـ كم سيكون مرتَّبك وأنت أستاذ جامعي؟».

«ـ أقل من عشرة جنيهات شهريًّا».

«يا سلام!! إنني أدفع للمُزارع الذي يُشاركني في زراعة أرضي ١٦ جنيه شهريًّا».

«ـ يا أبي، إن السمك الصغير سيكبر يومًا ما».

وجدتُ الوقت الكافي لكي أُعد مع سفير لبنان لقاءً مع ٣٠ من رجال الأعمال اللبنانيين الذين يرأسون مؤسسات تجارية مهمة في أفريقيا. هدفي هو تقوية الوجود المصري في أفريقيا من خلال الاقتصاد والتجارة.

القاهرة: الأربعاء، ٢٢ مايو ١٩٩١

استقبلتُ رجال أعمال لبنانيين. أخبرتُهم بأن كل سفراء مصر المعتمَدين في العواصم الأفريقية تلقّوا التعليمات لكي يكونوا تحت تصرفهم ويساعدوهم في مشاريعهم المختلفة. وأضفتُ قائلًا:

«ـ أنتم السفراء الحقيقيون للعالم العربي في أفريقيا. في الوقت الحالي، يجتاز لبنان فترة من عدم الاستقرار. ولذلك، اتفقتُ مع وزير خارجية لبنان على أن تتعاون الدبلوماسية المصرية معكم».

بعد ذلك، تكلَّم كل منهم الواحد وراء الآخر، ووجدتهم رجال أعمال ممتازين وأيضًا متحدثين يتمتعون بقدر كبير من اللباقة.

القاهرة: الأحد ، ٢٦ مايو ١٩٩١

الأخ الأصغر للرئيس سياد بري كان يشغل في فترة ما منصب وزير خارجية الصومال. أبدى استعداده لمعاونتي في تنظيم لقاء يجمع مختلف الفصائل الصومالية. اعترَفَ بالأخطاء التي ارتكبها نظام أخيه.

القاهرة: الاثنين، ٢٧ مايو ١٩٩١

اجتمعتُ مع مسئولي وزارة الهجرة بما أنني قد كُلِّفتُ أيضًا بهذه الحقيبة الوزارية. البناء الإداري لهذه الوزارة في حالة انهيار، فلا يوجد هناك أي برنامج عمل، ولا توجد معلومات عن عدد المهاجرين المصريين في أي بلد من البلدان، سواء في كندا أو أستراليا أو الولايات المتحدة أو أوروبا ولا في الدول العربية.

أمامي عمل شاق ينتظرني لا بُد من جذب اهتمام أكثر من ثلاثة ملايين مهاجر مصري بمشاكل وطنهم الأم، وإقامة علاقات معهم، ومساعدتهم في الاحتفاظ بجنسيتهم المصرية خصوصًا أن مصر قد أقرَّت مبدأ ازدواج الجنسية.

القاهرة ـ آبوجا: الأحد، ٢ يونيو ١٩٩١

وصلتُ إلى آبوجا العاصمة الجديدة لنيجيريا لأُمثِّل الرئيس مبارك في مؤتمر قمة الوحدة الأفريقية. وُضعَت تحت تصرُّفي طائرة رئاسية صغيرة من طراز ميستير. توقفنا في مطار طرابلس للتزود بالوقود الذي قدمته السلطات الليبية لنا مجانًا، في بادرة كريمة. التوقف الثاني جاء في آجاديز، الجيش والأعيان والمدينة كلها خرجت لاستقبالي في المطار. أفَضِّل هذه المحطة عن سابقتها.

في آبوجا، نزلتُ في الغرفة نفسها التي نزلت فيها في زيارتي الأولى.

آبوجا: الاثنين ٣ ـ الأربعاء، ٥ يونيو ١٩٩١

افتتاح مؤتمر القمة. خطب طويلة. غداء وعشاء ومراسم لا تنتهي. يرغب الرئيس إياديما في عقد القمة القادمة في لومي. أثناء الاجتماع المغْلَق، طُرحت مسألة الترشيح لشغل منصب السكرتير العام للأُمم المتحدة لأن الدور قد جاء على أفريقيا لكي تقدِّم مرشحًا عنها. اقترح البعض التقدم بمرشحين من غانا ونيجيريا وزيمبابوي.

لفتَ الرئيس عمر بونجو الانتباه إلى أنَّه لا يُوجد أي مرشح فرانكوفوني. كنتُ أجلس بجواره، فالتفتَ إليّ قائلًا:

«ـ يا بطرس، لماذا لا تتقدم للترشيح؟ أنت تتحدث الفرنسية والإنجليزية والعربية. ستكون سكرتيرًا ممتازًا للأمم المتحدة».

أيَّد الرؤساء: موبوتو وإياديما وبويويا اقتراح الرئيس بونجو. وَجَّهتُ كلمتي للرئيس بابا نجيدا، رئيس الجلسة، وقلتُ إن هذا الاقتراح يشرفني للغاية، لكن لا بُد أولًا من الحصول على موافقة الرئيس مبارك. رد الرؤساء تقريبًا في صوت واحد بأنهم سيحصُلون لي على هذه الموافقة.

القاهرة: الخميس، ١٣ يونيو ١٩٩١

مناقشة صعبة مع عمرو موسى الذي أصبح وزيرًا للخارجية حول صلاحيات كل منا. هو بوصفه وزير الخارجية وأنا بوصفي نائب رئيس الوزراء المكَلَّف بالشئون الخارجية. في رأيه أنه هو المسئول عن إدارة الوزارة بينما أقومُ أنا بدور مستشار الرئيس الذي يُكلِّفني بأداء مهام محددة.

تقسيم مهام العمل بهذه الطريقة كان سيُناسبني تمامًا لو لم أكُن مُكَلَّفًا بحقيبة وزارة الهجرة، وبالاهتمام بشئون ٣ ملايين مهاجر مصري بحاجة للمساعدة من الهيئة الديبلوماسية والهيئة القنصلية.

أدركتُ أن السُّلطة قد بَدأت تؤثر في رأس الشاب عمرو موسى حتى قبل أن ينهمك في تولي مهام منصبه.

القاهرة: الأحد، ١٦ يونيو ١٩٩١

حصلتُ أخيرًا على موافقة الرئيس مبارك على ترشيحي لمنصب السكرتير العام للأمم المتحدة. في البداية، كان الرئيس متحفظًا للغاية، وقال لأحد مستشاريه (السفير مصطفى الفقي):

«ـ إنه يُريد أن يتركَنا فور ترقيتي له».

القاهرة ـ باريس: الاثنين، ١٧ يونيو ١٩٩١

أتوجه إلى المكسيك للاشتراك في المؤتمر السادس لدول أفريقيا ـ أمريكا اللاتينية. توقفتُ في باريس حيث قابلتُ موسى صبري. إنه مريض جدًّا وفي غاية القلق. سيُسافر غدًا إلى واشنطن للحصول على رأي طبي ثانٍ حول حالته.

مكسيكو سيتي: الأربعاء، ١٩ يونيو ١٩٩١

افتتاح جلسات الدورة السادسة لدول أفريقيا أمريكا اللاتينية. التي أرأسُها بالاشتراك مع سولانا، وزير خارجية المكسيك. الحاضرون يمثلون إثيوبيا ونيجيريا والسودان ومصر عن أفريقيا، والبرازيل والأرجنتين وشيلي وفنزويلا والمكسيك عن أمريكا اللاتينية. حضر أيضًا السفراء الأفارقة. وسفراء أمريكا اللاتينية المعتمدين لدى المكسيك.

في خطبة الافتتاح، تحدثتُ ـ مجددًا ـ عن الستار الحديدي الجديد الذي يفصل الشمال الغني عن الجنوب الفقير. وتحدث آندرياس روزنتال وزير خارجية المكسيك عن النظام الاقتصادي والسياسي الجديد الذي لاح بعد حقبة الحرب الباردة.

حَدَثت مناقشات مهمة بين مندوبي القارتَيْن؛ أمَّا السفراء، فقد اكتفوا بدور المراقبين. أرجو أن يرفقوا تقارير إيجابية عن هذه المباحثات إلى رؤسائهم.

في المساء، ألقيتُ محاضرة عن أزمة الخليج. ممثل منظمة التحرير الفلسطينية تدخَّل بصورة تفتقر للذكاء والكياسة مما أثار ضيقي الشديد، وهذا دليل على أنني مُرهَق. في العادة لا أهتم بالانتقادات الموجَّهة للسياسة المصرية، فمنذ رحلتي للقدس برفقة السادات والهجوم الذي أعقبها، أصبح جلدي السياسي سميكًا مثل جلد التمساح الذي لا يؤثر فيه شيء.

مكسيكو سيتي: الخميس، ٢٠ يونيو ١٩٩١

أعلنتُ ختام جلسات المؤتمر بالاشتراك مع آندرياس روزنتال الذي قَدَّم عرضًا ممتازًا لأعمال المؤتمر. الاجتماع السابع سيُعقد بالقاهرة في سنة ١٩٩٢. لقاء مع البروفيسير ياسين العيوطي، زميل مصري يعمل بالتدريس في نيوريوك، وسافر من نيويورك لمكسيكو سيتي لكي يشارك في المؤتمر. قَدَّم لي نصائح ثمينة عن طريقة تنظيم حملتي للترشيح لمنصب السكرتير العام للأمم المتحدة.

قابلتُ أيضًا بونا موالوال الذي بدا راضيًا جدًّا عن هذا المؤتمر. إنه يؤيد وحدة السودان ويعتقد بأن جون جارانج سيُساهم في هذا الصراع ولن يحاول الاستيلاء على جوبا، عاصمة الجنوب.

مكسيكو سيتي: الجمعة، ٢١ يونيو ١٩٩١

تناولتُ الغداء مع لويس إيتشيفيريا، الرئيس السابق لجمهورية المكسيك. لقد كان يؤيد دائمًا إجراء حوار قوي بين أفريقيا وأمريكا اللاتينية، كما كان يشجعني دائمًا على الاستمرار فيه.

قابلتُ أحد طلابي السابقين في كلية الحقوق بجامعة باريس عندما كنتُ أدَرِّس هناك في سنة ١٩٦٨، إنه جيسوس كونترياس الذي أصبح حاليًا أستاذًا في جامعة مكسيكو سيتي، وهو أيضًا يؤمن بأهمية الحوار بين أفريقيا وأمريكا اللاتينية، ويقر بضرورة التعاون بين دول الجنوب.

مكسيكو سيتي: السبت، ٢٢ يونيو ١٩٩١

خصصتُ هذا الصباح للسياحة. زرتُ أهرامات المكسيك مع السفير نهاد عسقلاني، وهو واحد من ديبلوماسيينا اللامعين. صعدتُ حتى قمة أحد الأهرامات برفقة مرشدة سياحية جذابة.

بعد الظهر، التقيتُ بمجموعة من الصحفيين. عرضتُ عليهم أهداف السياسة المصرية: فلسطين، وأفريقيا التي تتقاذفها الأنواء، و«الستار الحديدي الجديد» بين الشمال والجنوب، وأهمية التعاون بين دول الجنوب.

كاراكاس: الاثنين، ٢٤ يونيو ١٩٩١

تشاور محمود مرتضى سفيرنا في برازيليا مع وزير خارجية البرازيل وحصل على تأييده لانتخابي في منصب السكرتير العام للأمم المتحدة. إن مرتضى يعَد أحد أقرب المساعدين الذين عملوا معي، كما أنه أيضًا أحد طلابي السابقين.

كاراكاس: الثلاثاء، ٢٥ يونيو ١٩٩١

تناولتُ الغداء مع كارلوس آندرياس بيريز رئيس الجمهورية الذي سلمتُه رسالة من مبارك. إنه مؤيد للفلسطينيين ومناضلي جنوب أفريقيا الذين يناضلون من أجل التحرر.

باريس: الخميس، ٢٧ يونيو ١٩٩١

تناولتُ العشاء في منزل جاك آتالي برفقة زوجته. وعدني بانتخابي في الأمم المتحدة وقال لي:

«ـ العلاقات بين القاهرة وباريس مهمة للغاية؛ ومصر عضو في منظمة الفرانكوفونية، وأنت فرانكوفوني عظيم؛ وهذه كلها أسباب تجعلني أؤيدك في حملتك».

باريس: الاثنين، الأول من يوليو ١٩٩١

وعدني رولان دوما وزير الخارجية الفرنسي بتأييد فرنسا لانتخابي وضمن لي دعم ميتران.

القاهرة: الثلاثاء، ٢ يوليو ١٩٩١

مكالمة هاتفية للسفير جون ريد الذي سيتحدث عن ترشيحي مع الرئيس بوش. حصلتُ أيضًا على تأييد بندر، سفير المملكة العربية السعودية، الذي سيُقابل بوش قريبًا. وعلى عكس ما كنت أسعى إليه من تأييد من كل الدول، فقد طلبتُ من آبراشا تامير أن تقبل بلده إسرائيل، بالتزام الحياد، وبألا تُعلن عن موقفها من ترشيحي أو عن طلب بحيادها وإلا خسرتُ تأييد الدول العربية التي سترتاب في أن إسرائيل ستستفيد من انتخابي في هذا المنصب.

القاهرة: الاثنين، ٨ يوليو ١٩٩١

افتتحتُ الأسبوع الأفريقي الذي تنظمه الأمم المتحدة حول حقوق الإنسان. تذكرت بسرور أمام الحضور المبارزة الكلامية التي دارت بين ليوبولد سنجور وسيكوتوري في أول قمة حضرتُها للمنظمة في سنة ١٩٧٨ حيث كان سنجور قد اقترح إعداد ميثاق أفريقي لحقوق الإنسان بينما اقترح سيكوتوري إصدار اتفاقية لحقوق الشعوب. استمرت المناظرة بينهما حتى وقت متأخر من الليل. وتأثرتُ كثيرًا بحماسهما وبقوة منطقيهما ثم اتُّفِقَ على حل وَسَط، فصدر «إعلان الشعوب والأفراد».

القاهرة: الجمعة، ١٢ يوليو ١٩٩١

قضيت النهار بجوار آندريوتي وجينشر وسول ليفونتش وسايروس فانس. أيّدوا كلهم ترشيحي، لكن عليهم أن يتبعوا هذا التأييد بحركة ديبلوماسية. أبدى جوزيف ريد في واشنطن، وجاك آتالي في باريس، ارتياحهما للأهمية التي اكتسبتها حملتي للترشيح وهما متفائلان للغاية.

القاهرة: الجمعة، ٢٦ يوليو ١٩٩١

أخبرني السفير أحمد صدقي أن الرئيس مبارك تباحث بشأن ترشيحي مع الرئيس ميتران الذي وعده بتأييد فرنسا لي بشرط ألا يُرَشِّح دي كوييار نفسه لدورة ثالثة.

القاهرة: الاثنين، ٢٩ يوليو ١٩٩١

حارسي الشخصي، العميد أحمد الحفناوي، الذي يقوم على حراستي منذ ١٤ سنة، تمت ترقيته إلى رتبة لواء في الشرطة. قلتُ له:

«ـ ستُضطر إلى تَرْكي».

«ـ كلا، فقد طلبتُ من القيادات مد فترة مهمتي لكي أظل بجوار «نائب رئيس الوزراء»، وتمت الموافقة. سأتركك عندما تصبح سكرتيرًا عامًّا للأمم المتحدة».

أجريتُ حوارًا طويلًا مع بول مارتن، من «B.B.C.». شرحتُ أسباب اهتمامي بالترشيح لمنصب السكرتير العام: لقد قضيتُ ٣٠ سنة في سلك التدريس الجامعي كرستُها لدراسة هذه المنظمة، ثم عملتُ بها لمدة ١٥ سنة.

أثينا: الأحد، ٤ أغسطس ١٩٩١

بدأتُ أتعلَّم كيف أُصبح وزيرًا للهجرة. في الصباح، استقبلتُ ممثلي المصريين المهاجرين في اليونان. لدينا هناك أكثر من ٥٠ ألف مهاجر بين عمال مطاعم وعمال ومقاولين ... قال لي شاب يعمل في مطعم بلهجة مليئة بالشك:

«ـ هذه أول مَرَّة يهتم أحد بنا».

«ـ يجب أن تساعدوني وتخبروني بمشاكلكم لكي تستطيع وزارتي مساعدتكم».

لكن هذا الشاب ابتسم بريبة فقد سَبَقَ له أن استمع لمثل هذه الأحاديث.

هراري: الاثنين، ٥ أغسطس ١٩٩١

الجو بارد. نحن في نصف الكرة الجنوبي وفي موسم الشتاء هنا. أُمثل الحزب الوطني الديموقراطي في منظمة الأحزاب السياسية الأفريقية التي أنشأتُها بالتعاون مع السنغال وتونس.

قابلتُ برنارد شيدزيرو، وزير الاقتصاد في زيمبابوي. إنه يسعى هو الآخر للفوز بمنصب السكرتير العام للأمم المتحدة. إنه منافس خطير للغاية، لقد كان موظفًا كبيرًا في الأمم المتحدة، وهو أيضًا اقتصادي كبير يحظى بتأييد بريطانيا العظمى ودول

مجموعة الكومنويلث، يضاف إلى ذلك كله ميزة كون أن بشرته سوداء وبشرتي لها لون القمح. نحن الاثنان نتفاهم بشكل جيد وزميلان طيبان.

حدثني برنارد شيدزيرو باللغة الفرنسية لكي يُثبت لي أنه يعرف قليلًا من هذه اللغة. إنني أفهمه جيدًا فحاولتُ مضايقته قائلًا: « ـ إذا كنتَ تريد الحصول على تأييد فرنسا والفرانكوفونيين، فيجب عليك ألا تكتفي بمجرد الحديث باللغة الفرنسية فقط، بل يجب عليك أيضًا أن تتحدث اللغة الإنجليزية بلكنة فرنسية».

لستُ متأكدًا من أنه لم يغضب من هذه المزْحة.

كان الاجتماع غير الرسمي للأحزاب السياسية الأفريقية إيجابيًّا للغاية، فالمناقشات كانت مهمة ومفيدة. ومع ذلك، فالسكرتارية تحتاج لزيادة قوتها وتوزيع مطبوعاتها بانتظام.

أعرَبَ ناتان شامورياريها عن عدم ارتياحه لترشيحي. شرحت له الظروف غير المتوقعة التي أدَّت بي للتقدم للترشيح، وأن مجلس الأمن هو الذي سيختارني أو سيختار برنارد شيدزيرو. أيًّا كانت النتيجة، فإن صداقتنا لن تتأثَّر.

هراري: الأربعاء، ٧ أغسطس ١٩٩١

مكالمة هاتفية من ليا التي شاهدت إعادة بث اللقاء مع بول مارتن واعتبرته رديئًا: فلُغتي الإنجليزية كانت ضعيفة وإجاباتي لم تكُن دقيقة بالمرة.

افتتاح رسمي مهيب لمؤتمر الأحزاب السياسية الأفريقية. خطبتان للرئيس عبده ضيوف رئيس الجمعية والرئيس موجابي رئيس البلد المضيف. وعدني الرئيس عبده ضيوف بتأييدي. سيكون في نيويورك بين يومَي ٩ و١٢ سبتمبر.

علمتُ أن عبد الرءوف الريدي سفيرنا في واشنطن أُصيب بأزمة قلبية. شعرتُ بالحزن فهو ديبلوماسي لامع وأنا بحاجة لاتصالاته في هذه المرحلة.

نيودلهي: الخميس، ١٥ أغسطس ١٩٩١

حضرتُ الاحتفالات بعيد الاستقلال. جلستُ بين رئيس الوزراء ورئيس الجمهورية في حدائق قصر الرئاسة. درجة الحرارة غير محتَمَلَة. حصلتُ على تأييد

صديقي ناراسيماراو الذي وعدني بأنه سيقود حملة من أجل تأييد انتخابي لمنصب الأمين العام للأمم المتحدة.

بيكين: الاثنين، ١٩ أغسطس ١٩٩١

غداء مع كيان كيشين، وزير الخارجية. لقاء مع لي بينج، رئيس الوزراء. الاثنان يؤيدان انتخابي. تأييد الصينيين مهم جدًّا؛ لأن لها مقعدًا دائمًا في مجلس الأمن. ومع تأييد فرنسا، أكون قد حصلتُ على تأييد عضوَيْن دائمين من أصل خمسة أعضاء.

بازل: الاثنين، ٢٦ أغسطس ١٩٩١

اشتركتُ في دورة معهد القانون الدولي، أقْدَم جمعية علمية تضم أشهر علماء القانون الدولي في العالم. حصلتُ على قرار من المعهد بتأييد انتخابي لمنصب السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة. وعدني القاضي الياباني أُودا بأن يحصُل لي على تأييد حكومته، وتعهد باقي الزملاء بالحصول على تأييد حكوماتهم لانتخابي، كما أن سكرتير المعهد سيرسل رسالة بهذا المعنى للسكرتير العام للأُمم المتحدة.

لندن: الاثنين، ٩ سبتمبر ١٩٩١

دوجلاس هيرد وزير الخارجية طرح عليَّ مجموعة من الأسئلة حول مشاريعي للإصلاح إذا تم انتخابي. كانت هذه الأسئلة بمثابة اختبار قبول لي قبل أن تُعلن بريطانيا أنها لم تتخذ بعد قرارًا بشأن الترشيح لمنصب السكرتير العام الجديد. أعرف أنها تؤيد برنارد شيدزيرو لأن زيمبابوي عضو في منظمة الكومنويلث بينما مصر عضو في الفرانكوفونية.

باريس: الثلاثاء، ١٠ سبتمبر ١٩٩١

طلب مني السفير ديجاميه أن أحافظ على سرية ما سيقوله لي: وزارة الخارجية الأمريكية تعارض ترشيحي. وعلى الرغم من ذلك، فإن الوزير رولان دوما ما يزال متفائلًا:

«ـ سنقاتل من أجل انتخابك».

باريس: الخميس، ١٢ سبتمبر ١٩٩١

قابلتُ إسحق شامير وأخبرتُه ـ عرضًا ـ بترشيحي، لكن النقاش دار أساسًا حول علاقاته الصعبة بالرئيس مبارك، وسألني:

«ـ لا أفهم لماذا يرفض الرئيس مبارك لقائي».

لم يكن هذا الوقت مناسبًا لكي ألومه على سياسة التمييز العنصري التي تمارسها إسرائيل بحق الفلسطينيين نظرًا لنفوذ إسرائيل على الإدارة الأمريكية.

واشنطن: الجمعة، ١٣ سبتمبر ١٩٩١

في الصباح، قابلت مستشار الأمن القومي الجنرال برنت سكوكروفت الذي كان مقتنعًا بأن الرئيس بوش سيمر لتحيتنا.

«ـ إذا استقبلك الرئيس رسميًّا في المكتب البيضاوي، فسيكون مُلْزَمًا باستقبال باقي المرشحين كما فعل معك».

جاء الرئيس بوش. بدا أنه مهتم بالوضع في الشرق الأوسط وبالقذافي وصدام حسين أكثر من اهتمامه برسالة الرئيس مبارك إليه والتي كنتُ أمسكُها في يدي. أخبرتُه عن لقائي بإسحق شامير، وفي النهاية سلمتُه رسالة الرئيس مبارك إليه والخاصة بترشيحي. غادر الرئيس بوش المكتب واستكملتُ مناقشتي مع سكوكروفت.

بعد الظهر، لقاء مع هيرمان كوهين، سكرتير الدولة المساعد للشئون الأفريقية. بدا أنه مهتم بسياسة مصر الأفريقية أكثر من اهتمامه بترشيحي. وهذه التصرفات يُستَشَفُّ منها أن الولايات المتحدة ترفض ترشيحي.

واشنطن: الاثنين، ١٦ سبتمبر ١٩٩١

قال لي لورانس إيجلبرجر إن هناك ديبلوماسيين في وزارة الخارجية الأمريكية يؤيدون ترشيحي، لكن الولايات المتحدة لم تتخذ قرارها بعد.

واشنطن: الأربعاء، ١٨ سبتمبر ١٩٩١

تلقيتُ مكالمة هاتفية من صديقي آرنو دي بورشجراف الذي أخبرني بأن البيت

الأبيض قرر تأييد ترشيح صدر الدين أغاخان. كان كليربون بيل رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ قد صَرَّح لي بأنه يؤيد ترشيح صديقي صدر الدين.

أوتاوا: الخميس، ١٩ سبتمبر ١٩٩١

بربارة ماك دوجال وزيرة خارجية كندا سيدة جميلة عيناها زرقاوان. استَمَعَت لي بصمت تام وأنا أحدثها عن ترشيحي. تنقصها الديبلوماسية فقد كانت تستطيع القول بأن حكومتها لم تقرِّر أي شيء بعد، أو أنها ستدرس الموضوع. فيما بعد، علمتُ بأنه كان لديها مرشح آخر. قابلتُ أيضًا رئيس الوزراء الكندي بريان مولروني الذي لم يُدْلِ بأي تعليق مؤيد لي.

شعرتُ بإحباط شديد بسبب لقاءاتي في أُوتاوا. اتصلتُ هاتفيًّا بصديقي البروفيسير ماك ويني لأُطالبه بالتدخُّل لدى الحكومة الكندية. وعدني بالتدخُّل لكنه لا يشعُر بجدوى ذلك لأن كندا قد اختارت فعلًا من ستنتخبه.

مونتريال: الجمعة، ٢٠ سبتمبر ١٩٩١

استفدتُ من وجودي في كندا للاهتمام بمشاكل المهاجرين المصريين. قابلتُ في القنصلية ممثلي المصريين في المهجر. ينتمي أغلبهم للبرجوازية الصغيرة فمنهم أطباء ومهندسون ومحاسبون، ومن الواضح أنهم منقسمون للغاية وعاجزون عن الاتحاد. إنهم قوة سياسية لا نعرف كيف نستخدمها.

نيويورك: الثلاثاء، ٢٤ سبتمبر ١٩٩١

مكالمة هاتفية من جوس وهبة من لندن، زوجها مجدي وهبة مريض جدًّا، تم إيداعه المستشفى لأنه يُعاني من سرطان الدم. شعرتُ بالحزن الشديد، لقد أفقدني هذا الخبر كل ما لديّ من طاقة. تمالكتُ أعصابي وقررتُ الإبقاء على موعدي مع آبي روزنتال ـ الصحفي الكبير في النيويورك تايمز، وهو مؤيد للصهيونية ولا يخفي ذلك. إنه رجل ضئيل الجسم، مُسِن، لامع وذكي وساخر أحيانًا، ويتعامل مع الأمور بقدر كبير من المباشرة، سألني:

«ـ هل تريد أن تُصبح سكرتيرًا عامًّا للأمم المتحدة؟».

«ـ طبعًا، وهذا هو سبب زيارتي».

فعلَّق مندهشًا بقوله:

«ـ أخيرًا، وجدتُ رجلًا صريحًا يقول ما يريد».

بدأ التفاعل الكيميائي بين شخصيتَيْنا، وبعد ساعة من الحوار حول العلاقات العربية الإسرائيلية تجاوزنا مرحلة التشكك في بعضنا البعض.

موسكو: الجمعة، ٢٧ سبتمبر ١٩٩١

عقد الرئيسان مبارك وجورباتشوف لقاءً منفردًا. بعد اللقاء، قال لي الرئيس مبارك إن جورباتشوف هو الذي بدأ بذكر اسمي مؤكدًا بأن الاتحاد السوفييتي سيُؤَيِّد انتخابي بحزم.

تناولتُ الغداء مع فلاديمير بيتروفسكي وإيفجيني بريماكوف اللذين أكدا لي بأنني سأفوز على الرغم من تردد بريطانيا وأمريكا.

القاهرة: السبت، ٢٨ سبتمبر ١٩٩١

فور عودتي للقاهرة، هاتفتُ السفير الأمريكي فرانك وايزنر لأُخبره بأننا حصلنا على تأييد موسكو لي. أخبرني بأن أربعة سفراء أمريكيين سابقين في القاهرة هم: لوسيوس باتل وهيرمان آيلتس ونيكولاس فليوتس وروي آثرتون قد وجَّهوا رسالة للرئيس بوش بخصوص انتخابي. وقرأ السفير عليَّ فقرةً منها: «إن بطرس بطرس غالي معروف على المستوى الدولي ويحظى باحترام الجميع ونعتقد بأنه تتوافر لديه الخبرة الواسعة، والقوة الذهنية، والإبداع، والمقدرة الديبلوماسية، وهي كفاءات ضرورية لإدارة منظمات الأمم المتحدة...»، وأضاف وايزنر أنه كان يود شخصيًّا التوقيع على هذه الرسالة لولا أن منصبه الحالي يمنعه من ذلك.

القاهرة: الأربعاء، ٢ أكتوبر ١٩٩١

استقبلتُ في مكتبي مجموعة برلمانيين إسرائيليين من حزب الليكود أقام لهم يوسف والي وزير الزراعة ونائب رئيس الحزب الوطني الديموقراطي حفل عشاء في مطعم بحديقة الحيوان ظل مفتوحًا ليلًا، بصفة استثنائية، لهذه المناسبة. حضر العشاء

أيضًا مجموعة من الشبان الإسرائيليين الأذكياء الذين درسوا ملفاتهم جيدًا، وهم منفتحون للمناقشة ومستعدون للحديث عن أكثر المشاكل حساسية. أعتقد أنني قد فهمتُ منهم أنهم يؤيدون دمج فلسطين بالمملكة الأُردنية؛ وبضم قطاع غزة إليهما، سيكون لهذا الاتحاد مَنْفَذًا على البحر المتوسط.

لقد عفا الزمن على هذا السيناريو المعروف باسم الخيار الأردني، فلا بُد أولًا من إقامة الدولة الفلسطينية؛ وبعد ذلك، ربما يُمكن لهذه الدولة أن تتحد اتحادًا فيدراليًّا مع الأردن. باستطاعة هؤلاء الشبان الإسرائيليين إيجاد حل لو توفرت لديهم الشجاعة والإرادة لعمل ذلك. إذا لم يتم التوصُّل إلى حل، فإن دولة إسرائيل ستكون مُهدَّدَة بانقسامات كبرى وستواجه مشاكل كثيرة تتعلق بملايين العرب الفلسطينيين المهجَّرين ومليار مسلم والأقلية الكبيرة من الفلسطينيين الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية ويعيشون في قلب دولة إسرائيل نفسها.

القاهرة: الجمعة، ٤ أكتوبر ١٩٩١

علمتُ بوفاة مجدي وهبة، الأخ والصديق، الأستاذ الجامعي وواحد من أعظم شخصيات النُّخبة المصرية. وافتة المنية بعد أن كان فقد كل ما لديه من رغبة في الحياة.

فاليتا (مالطا): الاثنين، ٧ أكتوبر ١٩٩١

وصلت إلى مالطا في الصباح للاشتراك في مؤتمر الحوار بين الأديان. أُعلن قيام جمهورية مالطا في سنة ١٩٧٤. ومنذ سنة ١٩٨٤، تَبَنَّى دوم منتوف رئيس الوزراء سياسة التقارُب مع البلاد العربية، خصوصًا مع ليبيا نظرًا لأنه يُعاني من مشاكل اقتصادية خطيرة بعد ما تم إخلاء القاعدة العسكرية البريطانية في سنة ١٩٧٩.

قابلتُ رئيس الجمهورية، وهو رجل جذاب، وطيب القلب؛ أمَّا رئيس الوزراء، فهو رجل مُعقَّد ومغرور؛ لكن وزير الخارجية شخص ودود ولديه الكثير من الحماس.

فاليتا (مالطا): الثلاثاء، ٨ أكتوبر ١٩٩١

الافتتاح الرسمي للمؤتمر. جلستُ بين الشيخ طنطاوي وهو عالم دين إسلامي مصري بارز، وآندريوتي رئيس جمهورية إيطاليا. حضر المؤتمر ١٢ من كبار رجال الدين، منهم المونسنيور حكيم بطريرك الروم الكاثوليك، وهو مصري. كانت

خطبتي هي أقصر الخطب فلم تستمر سوى ٢٠ دقيقة. ركَّزتُ على أهمية الحوار لإقامة السلام.

انتهزت هذه الفرصة لكي أطلب من الرئيس آندريوتي الاتصال مجُددًا بالرئيس بوش بخصوص انتخابي. وعدني بتلبية طلبي. لقد أصبح صديقي، والاتصالات الممتازة بيننا أتاحت توثيق العلاقات بين بلدينا.

روما - القاهرة: الأربعاء، ٩ أكتوبر ١٩٩١

توقفتُ في روما حيث قابلتُ الصحفي الإيطالي الكبير إيندو فريسكوبالدي. وعدني بكتابة مقال يدعو فيه لانتخابي، كما وعدني أيضًا بالتدخل لدى الحكومة الإيطالية لصالحي.

القاهرة: الخميس، ١٠ أكتوبر ١٩٩١

دعاني الرئيس مبارك لحضور حفل زفاف ابنه البكر. على مائدة الرئيس، جلس الرئيس القذافي وزوجته. قدمتُ لهما احتراماتي.

القاهرة: الجمعة، ١٨ أكتوبر ١٩٩١

عشاء في منزل سليم عيسى. كان الجنرال الإسرائيلي آبراشا تامير مدعوًّا. أخبرني بأن لديه من المعلومات ما يجعلنا نتفاءل بنجاحي في الحصول على منصب سكرتير عام الأمم المتحدة.

مدينة الكويت: الاثنين، ٢١ أكتوبر ١٩٩١

رافقتُ رئيس الوزراء عاطف صدقي للتفاوض مع الأمراء الكويتيين بخصوص عودة أُسر الفنيين والخبراء المصريين إلى الكويت بعدما خرجوا بسبب الغزو العراقي. والتزم الأمراء الكويتيون الصمت وتحفَّظوا إزاء طلبنا هذا، وأبدوا القليل من العرفان بالجميل تجاه المساعدات الدبلوماسية والعسكرية التي قدمتها مصر لهم أثناء الصراع. ومع ذلك، فقد استطعتُ الحصول منهم على الموافقة على عودة بضع مئات من تلك الأُسر.

القاهرة: السبت، ٢ نوفمبر ١٩٩١

قابل الرئيس مبارك رولان دوما في الإسماعيلية وتحدثا معًا بخصوص انتخابي. بعد هذا اللقاء لامني الرئيس على هذا التدخُّل قائلًا:

«ـ لستُ بحاجة لتوصيات فرنسية لكي أُساعدك».

أكّدتُ للرئيس أنني لم أطلب شيئًا من رولان دوما؛ وبالتحديد، لم أطلب منه التدخل في هذا الموضوع لديه.

القاهرة: الاثنين، ١١ نوفمبر ١٩٩١

الاقتراعات التمهيدية في مجلس الأمن تشير إلى وجود مرشحَيْن هما برنارد شيدزيرو وبطرس بطرس غالي اللذين تعادلا في كل مرة.

الإسكندرية: الأربعاء، ١٣ نوفمبر ١٩٩١

أُقيمت احتفالية في جامعة سنجور بحضور موريس درويان وجياني آنيللي وبول ديماريه. ومن الذكريات التي أحتفظ بها عن هذه الاحتفالية، عبارة موريس درويان التي قال فيها عن فن الحُكْم هو فن ملكي بطبيعته.

باريس: الاثنين، ١٨ نوفمبر ١٩٩١

وصلت إلى باريس لتمثيل الرئيس في القمة الثالثة للفرانكوفونية التي تُعقد في قصر شاييو. قابلتُ الرئيس الروماني إيون إيلييسكو في سفارة رومانيا. يبدو أن وزارة الخارجية الفرنسية أخبرته بزيارتي، فقد بدا ودودًا واستقبلني استقبالًا حارًّا، وأخبرني بأنه قد طلب من المندوب الروماني في مجلس الأمن أن ينتخبني.

باريس: الثلاثاء، ١٩ نوفمبر ١٩٩١

وصل الرئيس مبارك إلى باريس. ألححتُ عليه للمشاركة في قمة الفرانكوفونية ولو لفترة وجيزة بحيث يشعر الحضور بوجوده. لا أعرف بالضبط مَنْ في حاشيته يُعارض ذلك. من المؤكد أن الأصوليين يُكنون العداء لفرنسا، وربما يكون ذلك بسبب احتلال نابليون لمصر، والعدوان الأنجلو ـ فرنسي في سنة ١٩٥٦، وحرب

الجزائر وربما يكون السبب وراء هذا العداء هو الخوف من الاستعمار الثقافي الفرنسي، في كل الأحوال وباختصار فإن الأصوليين ينظرون إلى الفرنسيين على أنهم الصليبيون الجُدُد.

ومع ذلك كله، فقد نجحتُ في أن أجعل الرئيس يحضر حفل عشاء أُقيم في قصر شاييو وجلس على مائدة الشرف بجوار قرينة الرئيس ميتران، أما أنا، فقد جلستُ على مائدة رولان دوما وروبير بادينتر اللذين أبديا تفاؤلهما حول فرص نجاحي في الحصول على منصب سكرتير عام الأمم المتحدة.

باريس: الأربعاء، ٢٠ نوفمبر ١٩٩١

أخبرني الرئيس هوفويت ـ بوانيي (رئيس كوت ديفوار) بأنه أعطى تعليماته المحددة لمندوب بلاده لكي ينتخبني. ومع ذلك، فهمتُ من تلميحات مُعيَّنَة أن المندوب قد يُعارض انتخابي على الرغم من تعليمات رئيسه.

باريس: الخميس، ٢١ نوفمبر ١٩٩١

زارني جون بولتون مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشئون المنظمات الدولية في فندق الكريون. أكَّدتُ له اهتمامي بالموقف الأمريكي وقلتُ له:

«ـ لولا دعم الولايات المتحدة لأصيبَت الأمم المتحدة بالشلل. وبفضل تدخُّل الولايات المتحدة، لما استطعنا عقد اتفاقية السلام مع إسرائيل».

استمع إليَّ بدون تعليق مع أنه بدا مقتنعًا بما أقوله.

قابلت ميتران الذي قال لي: «لقد حصلنا لك على تأييد رومانيا وكوت ديفوار».

غادرتُ باريس مساءً إلى كولونيا ثم بون للقاء وزير خارجية ألمانيا، هانز ديتريش جينشر. يقول البعض إنه يستطيع التدخل للحصول على تأييد ـ أو حياد ـ لندن وواشنطن.

كنتُ مرهَقًا للغاية فنمتُ فورًا في الجناح الذي وضعَته الحكومة تحت تصرفي مع علمي بأن التصويت النهائي قد يتم في خلال بضع ساعات. في منتصف الليل، استيقظتُ على ضجة أبواب تُفتَح وتُغلَق وصيحات الفوز. تقريبًا، كاد اللواء أحمد الحفناوي أن يكسر باب غرفتي وهو يصيح:

«ـ فُزنا! فُزنا!».

بون. الجمعة، ٢٢ نوفمبر ١٩٩١

استيقظت مبكرًا لإجراء عدة اتصالات هاتفية لليا والرئيس مبارك والرئيس ميتران. اتصلوا بي من القاهرة ليقولوا لي إن المدينة تحتفل بفوزي، ويتبادل المارة التهاني في الشوارع، والسيارات تُطلق أبواقها بلا انقطاع كما لو كانت مصر قد فازت بكأس العالم لكرة القدم.

زُرتُ هانز ديتريش جينشر الذي استقبلني بحرارة قائلًا:

«ـ كنتُ متأكدًا أنك ستفوز. إنني أراهن دائمًا على الحصان الفائز». أبدى فضولًا شديدًا لمعرفة السياسة التي أنوي اتباعها في هذه المنظمة: في نيتي إصلاح المنظمة واضعًا في اعتباري الوضع العالمي الجديد الذي نشأ بعد انتهاء الحرب الباردة.

حضرتُ حفل غداء مع السفراء العرب المعتمدين في بون. إنهم يحتفلون بانتصار العالم العربي قائلين:

«ـ إنها المرة الأولى التي يُنتَخَب فيها عربي في منصب دولي بهذه الأهمية».

غادرتُ بون إلى فرانكفورت. فور وصولي للفندق، تلقيتُ مكالمة هاتفية من الرئيس بوش لتهنئتي. على الرغم من تحفظ الولايات المتحدة على انتخابي، إلا أنه يبدو أنها قد قبلت بالأمر الواقع.

فرانكفورت. كاراكاس: الأحد، ٢٤ نوفمبر ١٩٩١

مَثَّلتُ الرئيس مبارك في مؤتمر مجموعة الخمس عشرة في كاراكاس. أراد دوراتي وزير خارجية فنزويلا أن يجعل مشاركتي في المؤتمر بصفتي السكرتير العام للأمم المتحدة، لكنني رفضتُ لسببَيْن، الأول لأنني أُمثِّل الرئيس مبارك. والثاني، لأنني سأُمارس مهام منصبي سكرتيرًا عامًّا للأمم المتحدة بصورة رسمية مع بداية شهر يناير سنة ١٩٩٢.

كاراكاس: الاثنين، ٢٥ نوفمبر ١٩٩١

قابلتُ رئيس وزراء ماليزيا، ورئيس فنزويلا، والرئيس عبده ضيوف، ووزير

خارجية زيمبابوي ناتان شامو ياريها الذي أخبرني أن منافسي وصديقي شيدزيرو قد قبل الهزيمة بصدر رحب.. وهذا ما كنت أتوقعه منه.

كاراكاس: الثلاثاء، ٢٦ نوفمبر ١٩٩١

اجتماع مُغلق لرؤساء الدول ثم انضم إليهم مندوبوهم. تناقشنا في التعاون بين دول الجنوب، وأهمية إنشاء جبهة متحدة لدول العالم الثالث.

أقام كارلوس آندرياس بيريز رئيس الجمهورية حفل عشاء أحياه أوركسترا من أمريكا الجنوبية. هَمَسَ أحدُهم في أُذُني قائلًا: رئيس الجمهورية يجلس بين زوجته الشرعية وعشيقته الرسمية.

كاراكاس / نيويورك: الأربعاء، ٢٧ نوفمبر ١٩٩١

يأمل الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد أن تمكنني وظيفتي الجديدة من القدرة على التحرك لصالح الفلسطينيين، والدفاع عن مصالح العالم العربي بشكل أفضل.

نيويورك: الأحد، الأول من ديسمبر ١٩٩١

أعددتُ الخطبة التي سأُلقيها بعد غدٍ ستكون قصيرة وبثلاث لغات: العربية والإنجليزية والفرنسية، لكنني سأُؤدي القَسَم باللغة العربية.

نيويورك: الثلاثاء، ٣ ديسمبر ١٩٩١

برزانة وهدوء، دخلتُ إلى القاعة الكبرى للجمعية العامة للأمم المتحدة. بعد أداء القَسَم باللغة العربية، قرأتُ خطبتي التي دارت حول أربعة محاور:

١ ـ التحرك للحفاظ على السلام قبل اندلاع الصراعات بوصف ذلك من أعمال الديبلوماسية الوقائية.

٢ ـ تقليل الهُوَّة بين الشمال والجنوب بواسطة التنمية.

٣ ـ إصلاح الأمم المتحدة.

٤ ـ السعي لزيادة الديموقراطية في الدول وفي العلاقات بين الدول وبعضها البعض.

تحدثت عن الفيلسوف المسلم الفارابي الذي عاش في القرون الوسطى وكان

يحلم بالمدينة الفاضلة، وقلت بأن مجموع المدن الفاضلة سيخلق العالَم الفاضل، وهذا هو أعظم الأحلام. عَبَّرتُ عن أملي في أن يتحقق العالَم الفاضل بفضل جهود الأمم المتحدة.

واشنطن: الخميس، ٥ ديسمبر ١٩٩١

قابلتُ جيمس بيكر وبرينت سكوكروفت ولورانس إيجلبرجر قبل لقائي بالرئيس بوش في المكتب البيضاوي. أكدتُ له تصميمي على إنجاز إصلاح السكرتاريا العامة للأمم المتحدة.

بعد خروجي من البيت الأبيض، ذهبت إلى المستشفى لزيارة موسى صبري. إنه يحتضر بسبب إصابته بالسرطان لكن ذهنه ما يزال متقدًا، ويريد معرفة كل شيء عن تفاصيل انتخابي وعن حفل تنصيبي الذي تم أول أمس في نيويورك. أعرفُ أنني على وَشَك فقدان صديق عزيز جدًا.

قابلتُ زميلي وصديقي إبراهيم شحاتة، ووفيق حسني. سأذهب للتعبير عن مَوَدَّتي لنيلسون مانديلا الذي حضر حفل تنصيبي أول أمس. إنه بصحة جيدة ويتقد بالذكاء ومليء بالمودة.

القاهرة: السبت، ١٤ ديسمبر ١٩٩١

آخر جلسة أحضرها في البرلمان بصفتي النيابية قبل استقالتي منه. خطبة لرئيس مجلس الشعب قال فيها: «إن تعيينك لهو شرف لكل مصري ولكل عربي ولكل أفريقي...»، قاطع أعضاء البرلمان كلمته بالتصفيق عدة مرات. التقاط الصور. الأحضان. حالة من الاهتمام الجماعي الشديد، وهذه مشاعر طيبة ولا شك ولكن قد يصعب على المرء التعامل مع كل هذا الود دفعة واحدة.

القاهرة: الأربعاء، ١٨ ديسمبر ١٩٩١

أقام الرئيس مبارك حفل استقبال تكريمًا لي في القصر الجمهوري حضره كل الوزراء والبرلمانيين. احتضنني ومنحني «وسام النيل» الرفيع. قرأتُ خطبة جميلة تلطَّف أسامة الباز وأعدَّها لي.

عندما كان الرئيس يضع الوسام على صدري، قال لي بصوت منخفض: «ـ سأفسد بذلتك الجميلة. أعتقدُ أنك قد فصَّلتها في إيطاليا. الآن، تستطيع تفصيل غيرها في نيويورك».

بعد الظهر، قابلتُ وزير خارجية صربيا الذي قدَّم لي عريضة اتهام طويلة يتهم فيها ألمانيا والفاتيكان بالسعي لتدمير يوغوسلافيا. سألته: «ـ هل تتحدث معي الآن بصفتي وزير الخارجية المصري أم لأنني سأكون السكرتير العام للأمم المتحدة؟».

أجابني غاضبًا: «للاثنَيْن يا صاحب السعادة».

باريس: الأحد، ٢٢ ديسمبر ١٩٩١

دعاني الميلياردير المصري محمد الفايد في فندق الريتز في الجناح الإمبراطوري. تناولتُ العشاء مع السفير أحمد صدقي. قُدِّم لي كونياك مُعَتَّق من سنة ١٨٣٠ للاحتفال بالمهمة الكبيرة التي أصبحتُ بصددها، سأبدأ مهنة جديدة في سن التاسعة والستين وأنا كُلِّي آمال وطموحاتُ ومقتنع بأنني قادر على تطوير الأمم المتحدة وإصلاحها لكي تستطيع إدارة فترة ما بعد انتهاء الحرب الباردة.

* * *

مُلحــــق

قبل طي صفحات هذه اليوميات، أودُّ الإجابة عن سؤال حول استمرارية حالة التجاذب التي جاءت في كثير من صفحات ما دونته حول التردُّد المصري في تفضيل العمل على مسار النيل أو العمل في القدس وما حولها.

الإجابة عن هذا السؤال ليست سهلة لأن الأمر يتعلَّق بالعلاقة الجَدَلية بين الحاضر والمستقبل، بين التاريخ والجغرافيا، بين ما هو حادث الآن وما سيحدث في المستقبل.

وإذا كان النيل يمثِّل لمصر المستقبل والحياة خاصة وأن المياه ستُصبح أكثر نُدرة، وقضايا البيئة ستصبح أكثر إلحاحًا، وتداخُل مصالحنا مع القارة الأفريقية التي ساعدناها على التحرر ليس له من نهاية، فإن القدس تمثل العالم العربي، والتاريخ القريب، والإغراق التلقائي في التعامل مع قضايا لها أبعاد ذاتية، ولبعضها بعد ديني.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: كيف نختار بين مستقبل النيل ومستقبل العالم العربي؟ كيف نتعامل مع الخيارَيْن في وقت واحد؟ تلك هي الإشكالية المطروحة في هذه الحوليات التي كتبتها طوال عَشْر سنوات، وحاولتُ فيها التعامُل مع هذَيْن الخيارَيْن في وقت واحد. لقد قَسَّمْتُ ذهني وطاقتي وعملي ورحلاتي بين الدول العربية ودول حوض النيل؛ ولقد وجدت الاهتمام بالجهود التي أبذلها عندما تعلق الأمر بإقامة حوار مع أعدائنا السابقين أو بالتعامل مع بغداد أثناء حرب تحرير الكويت أو خلال حرب العراق وإيران. لكن الوضع اختلف عندما كان الأمر يتعلق بتوطيد علاقات مصر بأفريقيا حيث لم تكن الجهود التي أبذلها تثير الاهتمام أو الحماسة.

إن انسحاب القوات الإسرائيلية من سيناء، وقرار التحكيم في قضية طابا، وتطبيع العلاقات مع إسرائيل، والقضية الفلسطينية، والحرب العراقية ـ الإيرانية كانت كلها مواضيع حَشَدَت حولها الرأي العام المصري وحازت على اهتمام القيادات؛ لكن ذلك كله جاء خَصْمًا من إهتمامنا بالصراع المندلع في السودان بين الجنوب والشمال، وبقناة جونجلي، وبما يقوم به جون جارانج.

سيقول الواقعيون، بل وربما حتى المتشائمون، بأن مسألة الاختيار بين النيل والقدس، بين أفريقيا والعالم العربي، لهي مشكلة مُصطَنَعَة نظرًا لأننا في الوقت الراهن لا نملك لا القدرة ولا الإرادة السياسية لكي نُكرِّس جهودنا لهاتَيْن المشكلتَيْن في ذات الوقت، خاصة على الساحة الإقليمية والساحة الدولية، خاصة في ظل المشاكل السياسية الداخلية التي تستحوذ على الكثير من جهودنا، بل وتكاد تستأثر بها.

لقد استطعنا وبعد عناء أن نبني في سنوات دولة تخلصت من الاستعمار. والآن، فإننا نسعى وبعناء أيضًا لعلاج مشاكل متفاقمة مثل الانفجار السكاني، والأصولية الدينية، والفساد، والتبَعيَّة.

ويتساءل البعض إذا ما كان من الممكن لنا من الناحية الواقعية وفي ظل هذه الظروف، أن نسعى للاهتمام بهذه المشاكل الخارجية المستقبلية؛ أي مشاكل المياه والطاقة والدولة الفلسطينية وغيرها.

إنني لا أتفق مع هذه النظرة الضيقة والمحدودة، بل إنني أعتقد أن العكس هو الصحيح، فبعد توقيع اتفاقية السلام مع إسرائيل، أعتقد بأنه كان يجب علينا تكريس جهدنا الأساسي للاهتمام بحوض النيل وأفريقيا.

إن وجود مصر ذاته يتعرض للخطر بصورة ما، فعمّا قريب، سيصل عدد سكانها إلى ١٠٠ مليون نسمة يتكدسون في أقل من ٥٪ من مساحة أراضيها.

إن الأحلام ممكنة دومًا، وأنا أحلم بيوم يأتي فيه لمصر حاكم يسترجع أقدام الملك مينا نحو مسار نهر النيل ويتجاوز ما حققه مينا من توحيد مملكتَي الدلتا والصعيد ليذهب في زيارات تاريخية، ليس للقدس، بل للخرطوم وجوبا وأديس أبابا؛ ليطالب بتوحيد الشعوب والقبائل والعشائر التي تقتسم حاليًا مياه النيل قبل أن يأتي يوم تتصارع فيما بينها على هذه المياه.

بطرس بطرس غالي

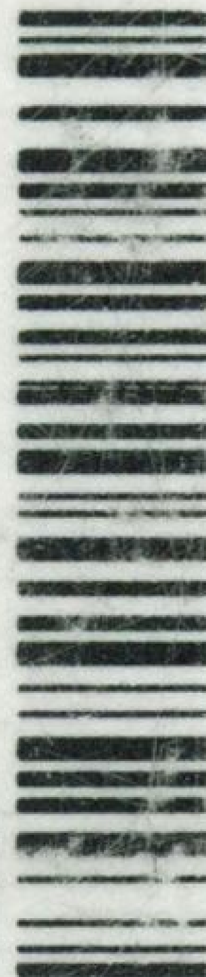
يعتمد هذا الكتاب على المذكرات - التي دونتها يومًا بيوم - والتي تغطي الفترة الممتدة من يوم اغتيال الرئيس أنور السادات في ٦ أكتوبر ١٩٨١ وحتى شغلي منصب «السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة» في الأول من يناير ١٩٩٢.

وبالتأكيد، فإن المذكرات اليومية التي دونتها ليست كاملة؛ ففي أغلب الأحيان كنت أغفل ذكر أحداث مهمة، وأحيانًا كنت أكتب تعليقات مُطوَّلَة عن أحداث ثانوية. وبعد عدة سنوات من تدوين تلك اليوميات، وعندما بدأت في إعدادها للنشر، لم أمحُ ما دونتُه في حينه -حتى ما أثبتت الأيام أنه كان خطأ في التقييم- ولم أحاول إخفاء جهلي ببعض الوقائع. لقد دونت الأحداث والمشاعر بأمانة. وآمل في أنها ستتيح للمؤرخين - في المستقبل - تحليل السياسة الخارجية المصرية، تلك السياسة التي توليتُ إدارتها لمدة عشر سنوات في عهد حسني مبارك، .

ولعل أهم ما بهذه الصفحات من أسئلة هو ما يتعلق بالتردد المصري في تفضيل العمل على مسار النيل أو العمل في القدس وما حولها. فإذا ما كان النيل يمثل لمصر المستقبل والحياة، خاصة وأن المياه ستصبح أكثر ندرة وقضايا البيئة ستصبح أكثر إلحاحًا، وتداخل مصالحنا مع القارة الإفريقية ... ليس له من نهاية، فإن القدس تمثل العالم العربي، والتاريخ القريب، والإغراق التلقائي في التعامل مع قضايا لها أبعاد ذاتية، لبعضها بُعد ديني.

إن الأجيال المقبلة هي التي ستتولى مهمة تخطي مشاكلنا وتجاوزها. ومن أجل هذه الأجيال المقبلة، حرصت على كتابة هذه المذكرات لكي تفهم الأسباب البعيدة للأزمة التي ستتولى هذه الأجيال حلها لكي تستطيع الدبلوماسية المصرية استعادة تألقها، على المستوى الدولي وتساهم في جعل «العَوْلَمَة» نظامًا ديمقراطيًّا.

بطرس بطرس غالي





دار الشروق
www.shorouk.com